



ادب شمس

12920
375

A.1032

كتاب
عَلِيَّ الْأَدَبِ

مقالات

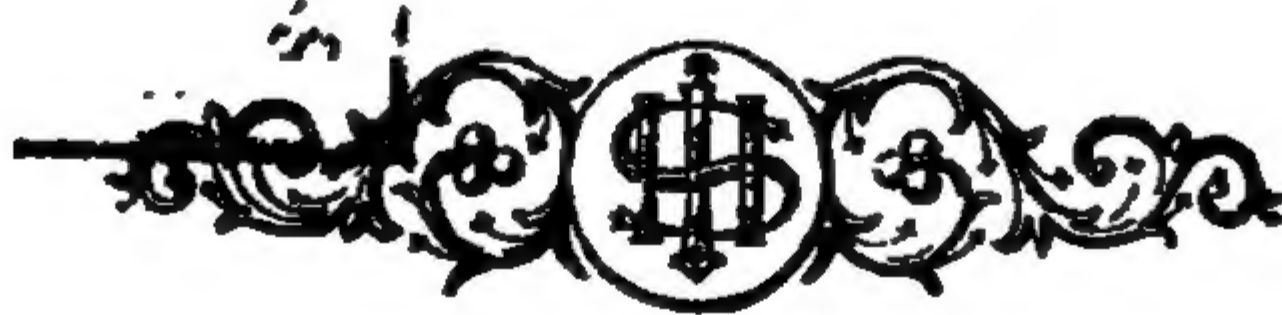
مَشَا هَذَا الْعَرَبِ

على الجزء الاول

من

عَلِيَّ الْأَدَبِ

جمع الاب لويس شينجو اليسوعي



حق الطبع محفوظ للمطبعة
طبع في مطبعة الابهاء المرسلين اليسوعيين
بيروت سنة ١٨٨٧

مَقَالَات

لبعض . شامير كتاب العرب

في الانشاء

نُظْمَةٌ

فصل في حقيقة علم الادب واقسامه واركانه

البحث الاول

في حد علم الادب

(عن الرمخشري والجرجاني والحاج خلفا بتصرف)

(راجع الجزء الاول من علم الادب صفحة ١ من التمهيد)

عِلْمُ الْأَدَبِ عِلْمٌ يُخْتَارُ بِهِ عَنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْخَطَا فِي كَلَامِ
الْعَرَبِ لَفْظًا وَكِتَابَةً. وَذَلِكَ أَنَّ فَايِدَةَ الْمُخَاطَبِ وَالْمُحَاوَرَاتِ فِي إِفَادَةِ
الْعُلُومِ وَاسْتِفَادَتِهَا لَمْ تَتَبَيَّنْ لِلطَّالِبِينَ إِلَّا بِالْأَلْفَاظِ وَالْكِتَابَةِ
وَأَحْوَالِهَا كَانَ ضَبْطُ أَحْوَالِهَا مِمَّا أَعْتَنَى بِهِ الْعُلَمَاءُ. فَاسْتَخْرَجُوا مِنْ
أَحْوَالِهَا عُلُومًا سَمَوَهَا بِالْعُلُومِ الْأَدَبِيَّةِ لِتَوْقُفِ آدَبِ الدَّرْسِ عَلَيْهَا
بِالذَّاتِ وَآدَبِ النَّفْسِ بِالْوَاسِطَةِ يُتَعَرَّفُ مِنْهَا التَّفَاهُمْ عَمَّا فِي الضَّمَايِرِ

البحث الثاني

في تقسيم الادب وانواع العلوم الادبية

(عن الوطواط والجرجاني)

(راجع صفحة ٢ و ٣ من تمهيد علم الادب)

الْأَدَبُ نَوْعَانِ نَفْسِيٌّ وَكَسْبِيٌّ. فَالنَّفْسِيُّ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ بِهِ لِمَنْ يُرِيدُ
وَهُوَ مَا كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَفْعَالِ الدَّائِمَةِ عَلَى كَرَمِ الطَّبَاعِ. وَالْكَسْبِيُّ
مَا اسْتَفَادَتْهُ الْأَنْفُسُ مِنْ أَحَاسِنِ الْأَقْوَالِ الْآخِذَةِ بِأَعْنَةِ الْقُلُوبِ
وَالْأَسْمَاعِ وَهُوَ الَّذِي تَرَجَمَتْ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِقَعُ ذِكْرِهِ فِي
النُّفُوسِ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ لِتَرْمِيقِهِ لِأَجْلِ الْعُيُونِ بِالْإِجْلَالِ وَتَحْمَلِ
النُّفُوسِ بِهِ لِمَلِيلِهَا إِلَيْهِ بِتَتَابَعِ الْإِذْلَالِ

وَأَمَّا تَقْسِيمُ الْأَدَبِ الْكَسْبِيِّ فَإِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي أَقْسَامِهِ فَذَكَرَ ابْنُ
الْأَثَرِيِّ أَنَّهَا ثَمَانِيَةٌ وَقَسَمَهُ الْعَلَّامَةُ الْجَرَجَانِيُّ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ قَسَمًا قَالَ :
لِعِلْمِ الْأَدَبِ أُصُولٌ وَفُرُوعٌ. أَمَّا الْأُصُولُ فَالْبَحْثُ فِيهَا : (١) إِمَّا (عَنْ
الْمُفْرَدَاتِ) مِنْ حَيْثُ جَوَاهِرُهَا وَمَوَادُّهَا وَهَيْئَاتُهَا فَعِلْمُ اللَّغَةِ. أَوْ مِنْ
حَيْثُ صُورُهَا وَهَيْئَاتُهَا فَقَطْ فَعِلْمُ الصَّرْفِ. أَوْ مِنْ حَيْثُ انْتِسَابُ
بَعْضِهَا بِبَعْضٍ بِالْأَصَالَةِ وَالْقَرَعَةِ فَعِلْمُ الْأَشْتِقَاقِ. (٢) وَإِمَّا (عَنْ
الْمُرَكَّبَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ). فَأَمَّا بِأَعْتِبَارِ هَيْئَاتِهَا التَّرَكِيبِيَّةِ وَتَأْدِيتِهَا لِمَعَانِيهَا
الْأَصْلِيَّةِ فَعِلْمُ النُّحْوِ. وَإِمَّا بِأَعْتِبَارِ إِفَادَتِهَا لِمَعَانٍ مُغَايِرَةٍ لِأَصْلِ الْمَعْنَى فَعِلْمُ
الْمَعَانِي. وَإِمَّا بِأَعْتِبَارِ كَيْفِيَّةِ تِلْكَ الْإِفَادَةِ فِي مَرَاتِبِ الْوُضُوحِ فَعِلْمُ

البيان. وعلم البديع ذيلٌ لعلمي المعاني والبيان داخلٌ تحتها. (٣) وأما
(عن المركبات الموزونة). فإما من حيث وزنها فعلم العروض أو من
حيث أوليها فعلم القوافي

وأما الفروع فالتجث فيها إما أن يتعلق بنقوش الكتابة فعلم
الخط أو يختص بالمنظوم فالعلم المسمى بقرض الشعر. أو بالنثر
فعلم الإنشاء. أو لا يختص بشيء فعلم المحاضرات ومنه التواريخ

البحث الثالث

في موضوع علم الادب واركانه

(مقدمة ابن خلدون)

(راجع صفحة ٣ من تمهيد علم الادب)

هذا العلم لاموضوع له ينظر في اثبات عوارضه أو نفيها وإنما
المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الإفادة في فني المنظوم
والتنوير على أساليب العرب ومناحيهم. فيجمعون لذلك من كلام
العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر علي الطبقية وتجمع
متساوي في الإفادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك
متفرقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر
بعض من أيام العرب ليفهم به ما يقع في أشعارهم منها وكذلك
ذكر الملم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة. والمقصود بذلك
كله أن لا يفتي على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم

وَمَنَاجِي بِلَاغَتِهِمْ إِذَا تَصَفَّحَهُ . لِأَنَّهُ لَا تَحْصُلُ الْمَلَكَةُ مِنْ حِفْظِهِ إِلَّا
 بَعْدَ فَهْمِهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيمِ جَمِيعِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُهُ . ثُمَّ إِنَّهُمْ
 إِذَا أَرَادُوا حَدَّ هَذَا الْقَنْ قَالَوا : الْأَدَبُ هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ
 وَأَخْبَارِهَا وَالْأَخْذُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِطَرَفٍ يُرِيدُونَ مِنْ عُلُومِ اللِّسَانِ
 أَوِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مُتُونُهَا فَقَطْ إِذْ لَا مَدْخَلَ بِغَيْرِ ذَلِكَ
 مِنْ الْعُلُومِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُونَ عِنْدَ كَلْفِهِمْ
 بِصِنَاعَةِ الْبَدِيعِ مِنَ التَّوْزِيَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَتَرْسُلِهِمْ بِالْأَصْطِلَاحَاتِ
 الْعِلْمِيَّةِ . فَاحْتَاجَ صَاحِبُ هَذَا الْقَنْ إِلَى أَصْطِلَاحَاتِ الْعُلُومِ لِيَكُونَ قَائِمًا
 عَلَى فَهْمِهَا : وَسَمِعْنَا مِنْ شُيُوخِنَا فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ أَنَّ أَصُولَ هَذَا الْقَنْ
 وَارْتِكَائَهُ أَرْبَعَةٌ دَوَائِرُ وَهِيَ : أَدَبُ الْكَاتِبِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ وَكِتَابُ
 الْكَامِلِ لِلْمُبَرِّدِ وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالْتِّينِ لِلْجَاحِظِ وَكِتَابُ النَّوَادِرِ
 لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَالِي الْبَغْدَادِيِّ وَمَا سِوَى هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ فَتَبَعَ لَهَا وَفَرَعَ
 عَنْهَا وَكُتِبَ الْمُحَدِّثِينَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ . وَكَانَ الْغِنَاءُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ
 مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا الْقَنْ لَمَّا هُوَ تَابِعٌ لِلشَّعْرِ إِذِ الْغِنَاءُ إِنَّمَا هُوَ تَلْحِينُهُ .
 وَكَانَ الْكِتَابُ وَالْفَضْلُ مِنْ الْخَوَاصِّ فِي الدَّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يَأْخُذُونَ
 أَنْفُسَهُمْ بِهِ جُرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ آسَالِيْبِ الشَّعْرِ وَقُوْنِهِ فَلَمْ يَكُنْ أَنْتِحَالُهُ
 قَادِمًا فِي الْعَدَالَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَقَدْ أَلْفَ الْقَاضِي أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَكَايُ
 كِتَابَهُ فِي الْأَغَانِي جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهُمْ وَأَنْسَاكِيَهُمْ
 وَأَيَّامَهُمْ وَدَوْلَهُمْ . وَجَعَلَ مَبْنَاهُ عَلَى الْغِنَاءِ فِي أَلْفَةِ صَوْتًا الَّتِي اخْتَارَهَا
 الْمُغَنُّونَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَوْعَبَ فِيهِ ذَلِكَ أَتَمَّ اسْتِيعَابٍ وَأَذَنَاهُ . وَلَعَنِي

إِنَّهُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَجَامِعُ أَشْتَاتِ الْحَاسِنِ وَالتَّارِيخِ وَالْغِنَاءِ وَسَائِرِ
الْأَحْوَالِ . وَلَا يُعَدُّ بِهِ كِتَابٌ فِي ذَلِكَ فِيمَا نَعْلَمُهُ وَهُوَ الْغَايَةُ الَّتِي
يَسْتَوْفِيهَا الْأَدَبُ وَيَقِفُ عِنْدَهَا

البحث الرابع

في شرف الادب ومنافعه

(عن التتالي وابن عبد ربه والوطواط)

(راجع صفحة ٢ من تمهيد علم الادب)

قَالَ أَصْنَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : الرَّجُلُ بِلَا آدَبٍ شَخْصٌ بِغَيْرِ آلَةٍ وَجَسَدٌ
بِلَا رُوحٍ . وَقِيلَ : الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةٌ وَأَنْفُسُهَا قِيَمَةٌ
فَاطْبُوءُهَا فَإِنَّهُ زِيَادَةٌ فِي الْفَضْلِ وَالنَّبَاطَةِ وَمَادَّةٌ لِلْعَقْلِ وَدَلِيلٌ عَلَى
الْمُرُوءَةِ وَمَنْسَبَةٌ لِلرَّأْيِ وَلِلصَّوَابِ وَصَلِيبٌ فِي الْعُرْبَةِ وَأَنْيَسٌ فِي
الْوَحْدَةِ وَجَمَالٌ فِي الْحَافِلِ وَصِلَةٌ فِي الْحَجَالِسِ . وَإِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ
بِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُغْنِيكَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْكِرَامَةَ تَزُولُ بِزَوَالِهَا
وَلِيُغْنِيكَ إِذَا أَكْرَمُوكَ بِدِينٍ أَوْ آدَبٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا الْفَتَى قَاتَهُ مَالٌ يُجْتَمَأُ فِيهِ التَّادِبُ بِمَا قَاتَهُ خَلْفُ
هُوَ اللَّيَاسُ الَّذِي لَا شَيْءَ يَعْدِلُهُ وَالْمُخَرِّجُ الدِّينُ فِيهِ الْفَضْلُ وَالشَّرَفُ
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَبْنِيهِ : تَأَدَّبُوا فَإِنْ كُنْتُمْ مُلُوكًا بَرَزْتُمْ وَإِنْ
كُنْتُمْ أَوْسَاطًا فُقُتُمْ وَإِنْ أَعُوزَكُمْ الْمَعَاشُ عِشْتُمْ . وَقِيلَ : إِنْ
الْأَدَبُ يُفِيدُ الرِّغَابَ الْحَلِيلَةَ وَيُعِزُّ بِلَا عَشِيرَةٍ وَيُكَثِّرُ الْأَنْصَارَ لِغَيْرِ

رَزِيَّةٌ . قَالَ بَرْدَجَمُّهُرُ : مَنْ كَثُرَ آدَبُهُ كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا .
وَبَعْدَ صِيتِهِ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيْبًا وَكَثُرَتْ حَوَائِجُ
النَّاسِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا . وَقَالُوا : مَنْ دَابَّ فِي طَرِيقِ الْآدَبِ أَذْرَكَ
حَاجَتَهُ وَمَلَكَ نَاصِيَتَهُ وَنَبَلَ قَدْرَهُ وَنَبَهَ ذِكْرَهُ . يَنْوِبُ الْآدَبُ عَنِ
النَّسَبِ وَلَا يَنْفَعُ نَسَبٌ بِلَا آدَبٍ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَمْ مِنْ خَسِيسٍ وَضِيعٍ الْقَدْرِ لَيْسَ لَهُ فِي الْعِزِّ يَتٌّ وَلَا يُنْسَى إِلَى نَسَبٍ
قَدْ صَارَ بِالْآدَبِ التَّخَمُّدُ ذَا شَرَفٍ غَالٍ وَذَا حَسَبٍ مَحْضٌ وَذَا نَسَبٍ
يُعْلَى التَّأْدَبُ أَقْوَامًا وَيَرْفَعُهُمْ حَتَّى يُسَادُوا ذَوِي الْعُلْيَاءِ فِي الرُّتَبِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الْأَعَاجِمِ يَفْتَحِرُ وَيَعْتَذِرُ :

مَالِي عَقْلِي وَهَمِّي حَسْبِي مَا أَنَا مَوْلَى وَلَا أَنَا عَرَبِي
وَإِذَا أَنْتَى مُنْتَمٍ إِلَى لَعْدٍ فَإِنِّي مُنْتَمٍ إِلَى آدَبِي
فَأَلْبَسُوا إِذَا الْآدَبُ حُلَّةٌ وَتَرَيُّوهُ جِلْيَةً فَإِنَّهُ أَنْفَقُ مَعَاشٍ وَأَجَلُ
رِيَاشٍ إِنْ أَخْتَجْتُمْ إِلَيْهِ كَانَ لَكُمْ مَالًا وَإِنْ اسْتَعْنَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ
جَمَالًا

فصل في قوى العقل الغريزية

البحث الاول

في العقل وشرفه واصل تسميته وتقسيه

(عن الماوردي باختصار وتصرف)

(راجع صفحة ٣ من توطئة علم الادب)

اعلم ان لكل فضيلة اُسا ولكل اُديب يتبوعا. واس افضائل
ويتبوع اُاداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين اخلا وللدنيا
عمادا فوجب الدين بكماله وجعل الدنيا مدبرة باحكامه والف به
بين خلقه مع اختلاف همهم ومآربهم . قال بعض البلغاء : العقل
خير المواهب والجهل شر المصائب . قال ابراهيم بن حسان :
يزين اُلقى في الناس صحة عقله وان كان محظورا عليه مكاسبه
يشين اُلقى في الناس قلة عقله وان كرمت اُغراقه ومناسبه
يعيش اُلقى بالعقل في الناس انه على العقل يجري علمه وتجاربه
وافضل قسم الله للمرأة عقله فليس من الاشياء شي يعاربه
اذا اكمل الرحمن للمرأة عقله فقد كملت اخلاقه ومآربه
وقال مطرف : ما اوتي العبد بعد الايمان بالله تعالى افضل
من العقل . ويقال : ما تم دين امرئ حتى يتم عقله . قال بزرجمهر :
العقل كالنسك ان خباته عبق وان بعته نفق . وقالوا : العقل
كنور وضعه الله طبعاً وغرزه في القلب كالنور في العين وهو البصر .

وَكَمَا يُدْرِكُ بِالْبَصَرِ شَوَاهِدُ الْأُمُورِ كَذَلِكَ يُدْرِكُ نُورُ الْعَقْلِ كَثِيرٌ
مِنَ الْمَخْجُوبِ وَالْمُسْتُورِ. وَعَمَى الْقَلْبُ كَعَمَى الْبَصَرِ. قَالَ بَرْزَجَمُورُ :
الْإِنْسَانُ صُورَةٌ فِيهَا عَقْلٌ فَإِنْ أَخْطَأَهُ الْعَقْلُ وَكَرَمَتْهُ الصُّورَةُ فَلَيْسَ
بِإِنْسَانٍ . قَالَ الْمَتَّي :

لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ آدَنَى ضَيْعٍ آدَنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
وَسُمِّيَ الْعَقْلُ عَقْلًا تَشْبِيهَا بِعَقْلِ النَّاقَةِ (١) لِأَنَّ الْعَقْلَ يَمْنَعُ
الْإِنْسَانَ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَى شَهَوَاتِهِ إِذَا قُبِحَتْ كَمَا يَمْنَعُ الْعَقْلُ النَّاقَةَ
مِنَ الثَّرُودِ إِذَا نَفَرَتْ . وَإِذَلِكَ قَالَ عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ : إِذَا عَقَلَكَ
عَقْلُكَ عَمَّا لَا يَنْبَغِي فَأَنْتَ عَاقِلٌ

البحث الثاني

في تقسيم العقل الى غريزي ومكتسب

(عن الوطواط والماوردي)

إِعْلَمُ أَنَّ بِالْعَقْلِ تُعْرَفُ حَقَائِقُ الْأُمُورِ وَيُفْصَلُ بَيْنَ الْحَسَنَاتِ
وَالسَّيِّئَاتِ وَقَدْ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ غَرِيزِيٍّ وَمُكْتَسَبٍ . قَالَ الْعُثَيْبِيُّ :
الْعَقْلُ عَقْلَانِ عَقْلٌ تَفَرَّدَ اللَّهُ بِصَنْعِهِ وَهُوَ الْأَصْلُ . وَعَقْلٌ يَسْتَفِيدُهُ
الْمَرْءُ بِهِ وَهُوَ الْفَرْعُ فَإِذَا اجْتَمَعَا قَوِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبُهُ تَقْوِيَّةُ
النَّارِ فِي الظُّلْمَةِ . وَلِذَلِكَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :
رَأَيْتُ الْعَقْلَ عَقْلَيْنِ قَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ

١ يُقَالُ عَقَلَ النَّاقَةَ عَقْلًا أَيْ رَبَطَهَا فِي وَسْطِ ذِرَاعَيْهَا بِجَبَلٍ وَيُسَمَّى الْجَبَلَ عَقْلًا

فَلَا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ إِذَا لَمْ يَكْ مَطْبُوعٌ
كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ وَضُوءُ أَلْعَيْنِ مَمْنُوعٌ *

المبحث الثالث

في العقل الغريزي وتعريفه

(عن الماوردي باختصار)

إِنَّ الْعَقْلَ الْغَرِيزِيَّ هُوَ الْعَقْلُ الْحَقِيقِيُّ وَلَهُ حَدٌّ يَتَعَلَّقُ بِهِ
التَّكْلِيفُ لَا يُجَاوِزُهُ إِلَى زِيَادَةٍ وَلَا يَقْصُرُ عَنْهُ إِلَى نُقْصَانٍ . وَبِهِ

* قد قسّم الغزويني القوى العقلية الى اربعة اقسام مرجعها الى هذين القسمين
قال: القوى العقلية اربعة اقسام. (الاول) القوة التي جا يفارق الانسان انبهاث وهي
التي جا استعد لقبول العلوم النظرية وتدير الصناعات الفكرية فيقال انها القوة
الغريزية جا يستعد الانسان لادراك العلوم النظرية. فكما ان الحياة هي الجسم للحركات
الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك هذه القوة الغريزية هي حياة الانسان للعلوم
النظرية والصناعات الفكرية والحكماء يقولون لما العقل الهولاني وهي مجرد
الاستعداد الذي هو موجود في الطفل وغير موجود في ولد انبيسة. (الثاني) القوة التي
تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز جواز الجائزات واستحالة المستحيلات كما علم
بأن الاثنين اكثر من الواحد والشخص الواحد لا يكون في مكانين فيقال له
التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة والحكماء يسمونه العقل بالملكة .
(الثالث) قوة تحصل جا العلوم الاستفادة من التجارب بمجاري الاحوال فن اتصف جا
يقال انه اقل في المادة ومن لم يتصف جا يقال انه غي غمر. فيقال لما مان مجتمعة
في الذهن من مقدمات تستنبط جا المصالح في الاعراض . (الرابع) قوة جا تعرف
حقائق الامور وعواقبها فتقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة وتحتمل المكروه
العاجل لسلامة الآجل . فاذا حصلت هذه القوة يسمى صاحبها عاقلا من حيث ان
اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة. والأولان
بالطبع والأخيران بالاكْتساب

يُمَازَ الْإِنْسَانُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ فَإِذَا تَمَّ فِي الْإِنْسَانِ سُتْبِي عَاقِلًا
وَخَرَجَ بِهِ إِلَى حَدِّ الْكَمَالِ كَمَا قَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :
إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ تَمَّتْ أُمُورُهُ وَتَمَّتْ أَمَانِيهِ وَتَمَّ بِنَاؤُهُ
وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي حَدِّ الْعَقْلِ وَفِي صِفَتِهِ عَلَى مَذَاهِبَ شَتَّى فَقَالَ
قَوْمٌ : هُوَ جَوْهَرٌ لَطِيفٌ يُفَصَّلُ بِهِ بَيْنَ الْحَقَائِقِ الْمَعْلُومَاتِ . . وَهَذَا
الْقَوْلُ فِي الْعَقْلِ بِأَنَّهُ جَوْهَرٌ لَطِيفٌ قَاسِدٌ مِنْ وَجْهَيْنِ : (أَحَدُهُمَا)
أَنَّ الْجَوَاهِرَ مُتَمَاثِلَةٌ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُوجِبَ بَعْضُهَا مَا لَا يُوجِبُ سَائِرُهَا
وَلَوْ أَوْجَبَ سَائِرُهَا مَا يُوجِبُ بَعْضُهَا لَأَسْتَعْنَى الْعَاقِلُ بِوُجُودِ نَفْسِهِ عَنْ
وُجُودِ عَقْلِهِ (١) . (وَالثَّانِي) أَنَّ الْجَوْهَرَ يَصِحُّ قِيَامُهُ بِذَاتِهِ فَلَوْ كَانَ الْعَقْلُ
جَوْهَرًا لَجَازَ أَنْ يَكُونَ عَقْلٌ بَغَيْرِ عَاقِلٍ كَمَا جَازَ أَنْ يَكُونَ جِسْمٌ بَغَيْرِ
عَقْلٍ . فَأَمْتَنَعَ بِهَذَيْنِ أَنْ يَكُونَ الْعَقْلُ جَوْهَرًا . وَقَالَ آخَرُونَ : الْعَقْلُ
هُوَ الْمَذْرُوكُ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ حَقَائِقِ الْمَعْنَى . وَهَذَا الْقَوْلُ
وَأِنْ كَانَ أَقْرَبَ مِمَّا قَبْلَهُ فَبَعِيدٌ مِنَ الصَّوَابِ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ وَهُوَ :
أَنَّ الْإِدْرَاكَ مِنْ صِفَاتِ الْحَيِّ (٢) وَالْعَقْلُ عَرَضٌ يَسْتَحِيلُ ذَلِكَ مِنْهُ كَمَا
يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مُتَلَذِّذًا أَوْ أَلْمًا أَوْ مُشْتَهِيًا (٣) . وَقَالَ آخَرُونَ مِنْ

(١) يُرِيدُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْعَقْلُ جَوْهَرًا مُخْتَلَفًا عَنْ جَوْهَرِ النَّفْسِ مُلَازِمًا لَهَا لَأَتَّفَقَا فِي
جَمِيعِ أَجْزَائِهِمَا لِأَنَّ النَّفْسَ وَالْعَقْلَ بَسِطَانِ مُتَمَاثِلَانِ فِي ذَلِكَ وَإِذَا تَمَّ الْإِتْفَاقُ كَانَ جَوْهَرُ
النَّفْسِ وَجَوْهَرُ الْعَقْلِ وَاحِدًا فَيَسْتَعْنَى الْإِنْسَانُ عَنْ عَقْلِهِ بِوُجُودِ نَفْسِهِ وَهَذَا بَاطِلٌ
(٢) يُرِيدُ هُنَا بِالْإِدْرَاكِ عَلَى مَا حَدَّهُ الْحُكْمَاءُ تَمَثُّلَ حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وَحَدُّهُ مِنْ غَيْرِ
حُكْمٍ عَلَيْهِ أَوْ اثْبَاتٍ وَيُسَمَّى أَيْضًا التَّصَوُّرَ وَهَذَا يَعْنِي كُلَّ حَيْثُ لَا يَخْتَصُّ بِالْإِنْسَانِ فَقَطْ
(٣) أَيُّ أَنَّ الْعَقْلَ لَا يُمْكِنُ إِدْرَاكَ هَذِهِ الْجُزْئِيَّاتِ كَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُتَلَذِّذًا
أَوْ أَلْمًا أَوْ مُشْتَهِيًا . لِأَنَّ اللَّذَّةَ وَالْأَلَمَ وَالشَّهْوَةَ مِنَ الْإِتْفَعَالَاتِ الطَّارِئَةِ عَلَى الْمَرْكَبِ

الْمُسْكَلِينَ : الْعَقْلُ هُوَ حَمْلَةُ عُلُومٍ ضَرُورِيَّةٍ . وَهَذَا لِحَدِّ غَيْرِ تَحْصُورٍ
لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الْإِجْمَالِ وَيَتَأَوَّلُهُ مِنَ الْإِحْتِمَالِ . وَالْحَدُّ إِنَّمَا هُوَ بَيَانُ
التَّحْدُودِ بِمَا يَنْفِي عَنْهُ الْإِجْمَالُ وَالْإِحْتِمَالُ . وَقَالَ آخَرُونَ وَهُوَ الْقَوْلُ
الصَّحِيحُ : إِنَّ الْعَقْلَ هُوَ الْعِلْمُ بِالْمَذَرَكَاتِ الضَّرُورِيَّةِ . وَذَلِكَ نَوْعَانِ :
أَحَدُهُمَا مَا وَقَعَ عَنْ دَرَكِ الْحَوَاسِ وَالثَّانِي مَا كَانَ مُبْتَدِئًا فِي النَّفْسِ .
فَأَمَّا مَا كَانَ وَاقِعًا عَنْ دَرَكِ الْحَوَاسِ فَمِثْلُ الْمَرِنَّاتِ الْمَذَرَكَةِ بِالنَّظَرِ
وَالْأَصْوَاتِ الْمَذَرَكَةِ بِالسَّمْعِ وَالطُّعْمِ الْمَذَرَكَةِ بِالدَّوْقِ وَالرَّوَانِحِ
الْمَذَرَكَةِ بِالسَّمِّ وَالْأَجْسَامِ الْمَذَرَكَةِ بِاللِّسِّ . فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ
يَمُنُّ لَوْ أَدْرَكَ بِحَوَاسِهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ثَبَتَ لَهُ هَذَا النَّوعُ مِنَ الْعِلْمِ .
لِأَنَّهُ خُرُوجُهُ فِي حَالِ تَغْيِيزِ عَيْنَيْهِ مِنْ أَنْ يُدْرِكَ بِهِمَا وَيَعْلَمُ لَا يَخْرُجُهُ
مِنْ أَنْ يَكُونَ كَامِلَ الْعَقْلِ مِنْ حَيْثُ عِلْمٌ مِنْ حَالِهِ أَنْ لَوْ أَدْرَكَ
لَعِلِمَ . وَأَمَّا مَا كَانَ مُبْتَدِئًا فِي النَّفْسِ فَكَأَلْعِلْمِ بِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يَخْلُو
مِنْ وَجُودٍ أَوْ عَدَمٍ . وَأَنَّ الْمَوْجُودَ لَا يَخْلُو مِنْ حَدُوثٍ أَوْ قِدَمٍ .
وَأَنَّ مِنَ الْحَالِ اجْتِمَاعَ الضَّدَيْنِ . وَأَنَّ الْوَاحِدَ أَقْلٌ مِنَ الْإِثْنَيْنِ .
وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْعِلْمِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَنْتَفِي عَنْ الْعَاقِلِ مَعَ سَلَامَةِ حَالِهِ
وَكَمَالِ عَقْلِهِ . فَإِذَا صَارَ عَالِمًا بِالْمَذَرَكَاتِ الضَّرُورِيَّةِ مِنْ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ
فَهُوَ كَامِلُ الْعَقْلِ

الانساني . ولإدراك العقل يقتضي ان تجرّد مادّته عن المحسوسات وهذا ما يصنعه
العقل بالفعل فتنتقل المفردات بذلك الى حالة الكليات

البحث الرابع في العقل المكتسب (عن الماوردي)

إِنَّ الْعَقْلَ الْمَكْتَسَبَ هُوَ نَتِيجَةُ الْعَقْلِ الْفَرِيزِيِّ وَهُوَ نَسَايَةُ
الْمَعْرِفَةِ وَصِحَّةُ السِّيَاسَةِ وَإِصَابَةُ الْفِكْرَةِ وَلَيْسَ لِهَذَا حَدٌّ لِأَنَّهُ يَنْسَبِي
إِنْ اسْتَعْمِلَ وَيَنْقُصُ إِنْ أُهْمِلَ . وَنَمَاؤُهُ يَكُونُ بِأَحَدٍ وَجِهَيْنِ :
(أَلَوَجُهُ الْأَوَّلُ) بِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ إِذَا لَمْ يُعَارِضْهُ مَانِعٌ مِنْ هَوَى
وَلَا صَادٌّ مِنْ شَهْوَةٍ كَالَّذِي يَحْصُلُ لِذَوِي الْأَسْنَانِ مِنَ الْخُنْكَةِ وَصِحَّةِ
الرُّوْيَةِ لِكثْرَةِ التَّجَارِبِ وَتَمَارَسَةِ الْأُمُورِ . وَإِذَلِكَ حِمْدَتِ الْعَرَبِ
آرَاءُ الشُّيُوخِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ : الْمَشَافِيخُ أَشْجَارُ الْوَقَارِ . وَمَنَاجِعُ
الْأَخْبَارِ . لَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ . وَلَا يَنْسَقُطُ لَهُمْ وَهْمٌ . إِنْ رَأَوْكَ فِي
قَبِيحٍ صَدُّوكَ . وَإِنْ أَبْصَرُوكَ عَلَى جَمِيلٍ أَمَدُّوكَ . وَقِيلَ : عَلَيْكُمْ
بِآرَاءِ الشُّيُوخِ فَإِنَّهُمْ إِنْ فَقَدُوا ذِكَاءَ الطَّبَعِ فَقَدْ مَرَّتْ عَلَى عُيُونِهِمْ
وُجُوهُ الْعَبَرِ . وَتَصَدَّتْ لِأَسْمَاعِهِمْ آثَارُ الْغَيْرِ . وَقِيلَ فِي مَثُورِ
الْحِكْمِ : مَنْ طَالَ عُمُرُهُ نَقَصَتْ قُوَّةُ بَدَنِهِ وَزَادَتْ قُوَّةُ عَقْلِهِ : وَقَالَ
فِيهِ : لَا تَدْعُ إِلَّا يَوْمَ جَاهِلًا إِلَّا أَدَبْتُهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :
كَفَى بِالتَّجَارِبِ تَأَذُّبًا وَبِقَلْبِ الْأَيَّامِ عِظَةً . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ :
الْتَجَرِبَةُ مِرَاةُ الْعَقْلِ . وَالْعِرَّةُ ثَمَرَةُ الْجَهْلِ . وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَنَاءِ :
كَفَى مُخْبِرًا عَمَّا بَقِيَ مَا مَضَى وَكَفَى عِبْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا جَرَّبُوا . وَقَالَ
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَقْلَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ وَلَكِنْ تَمَامُ الْعَقْلِ طَوْلُ التَّجَارِبِ
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا طَالَ عُمْرُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ آفَةٍ أَفَادَتْ لَهُ الْأَيَّامُ فِي كَرِّهَا عَقْلًا
(وَأَمَّا الْوَجْهُ الثَّانِي) فَقَدْ يَكُونُ بِفَرْطِ الذِّكَاةِ وَحُسْنِ الْفِطْنَةِ
وَذَلِكَ جُودَةُ الْحَدْسِ فِي زَمَانٍ غَيْرِ مُهْمَلٍ لِلْحَدْسِ . فَإِذَا أَمْتَرَجَ بِالْعَقْلِ
الْعَرِيزِي صَارَتْ نَتِيجَتُهُمَا نُمُو الْعَقْلِ الْمَكْتَسَبِ . كَالَّذِي يَكُونُ فِي
الْأَحْدَاثِ مِنْ وَفُورِ الْعَقْلِ وَجُودَةِ الرَّأْيِ حَتَّى قَالَ هَرِمٌ بْنُ قُطَيْبَةَ حِينَ
تَنَافَرِ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِيِّ وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَلَاتَةَ : عَلَيْكُمْ بِالْحَدِيثِ
السِّنِّ . الْحَدِيدِ الدِّهْنِ . وَلَعَلَّ هَرِمًا أَرَادَ أَنْ يَدْفَعَهُمَا عَنْ نَفْسِهِ
فَاعْتَذَرَ بِمَا قَالَ . لَكِنْ لَمْ يُنْكِرَا قَوْلَهُ إِذْعَانًا لِلْحَقِّ فَصَارَا إِلَى أَبِي
جَهْلٍ لِحِدَاثَةِ سِنِّهِ وَجِدَّةِ ذَهْنِهِ . فَأَبَى أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمَا فَرَجَعَا إِلَى
هَرِمٍ فَحَكَمَ بَيْنَهُمَا . وَفِيهِ قَالَ لَيْدٌ :

يَاهَرِمُ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ مَنْصِبًا إِنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ حُكْمًا مُنْجِبًا
وَقَدْ قَالَتِ الْعَرَبُ : عَلَيْكُمْ بِمُشَاوَرَةِ الشَّبَابِ فَإِنَّهُمْ يُنْتَجُونَ
رَأْيًا لَمْ يَنْلَهُ طَوْلُ الْقِدَمِ . وَلَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ رُطُوبَةُ الْهَرَمِ . وَقَدْ
قَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ الْعَقْلَ لَمْ يَكُنْ أَنْتِهَابًا وَلَمْ يُقَسَّمْ عَلَى عَدَدِ السِّنِينَ
وَلَوْ أَنَّ السِّنِينَ تَقَاسَمَتْهُ حَوَى الْأَمَاءُ أَنْصِبَةَ الْبَيْنَانِ
وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قُلْتُ لِغُلَامٍ حَدَّثَ مِنْ أَوْلَادِ الْعَرَبِ
كَانَ يُحَادِّثُنِي فَأَمْتَعَنِي بِفَصَاحَةٍ وَمَلَاحَةٍ : أَيْسُرُكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ

مِثَّةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَنْتَ أَحَقُّ . قَالَ : لَا . قَالَ : قُلْتُ : وَلِمَ . قَالَ :
أَخَافُ أَنْ يُخَيَّرَ عَلَيَّ حَقِّي جَنَائَةً تَذْهَبُ بِمَالِي وَيَبْقَى عَلَيَّ حَقِّي . فَانْظُرْ
إِلَى هَذَا الصَّبِيِّ كَيْفَ اسْتَخْرَجَ بِفَرْطِ ذِكَايَةِ وَاسْتَنْبَاطِ بَجُودَةِ قَرِيبَتِهِ مَا
لَعَلَّهُ يَدِيقُ عَلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا وَأَكْثَرُ تَجَرُّبَةً . وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا
الذِّكَاةِ وَالْفِطْنَةِ مَا حَكَى ابْنُ قُتَيْبَةَ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ بِصَبْيَانِ
يَلْعَبُونَ وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَهَرَّبُوا مِنْهُ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ :
مَا لَكَ لَا تَهْرُبُ مَعَ أَصْحَابِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَ أَكُنْ عَلَى
رِيَّةٍ فَأَخَافُكَ وَلَمْ يَكُنِ الطَّرِيقُ ضَيِّقًا فَأُوسِعَ لَكَ . فَانْظُرْ مَا تَضَمَّنَهُ
هَذَا الْجَوَابُ مِنَ الْفِطْنَةِ وَقُوَّةِ الْإِثْمَةِ وَحُسْنِ الْبَلِيَّةِ كَيْفَ نَفَى عَنْهُ
الْلَّوْمَ وَاثْبَتَ لَهُ الْحِجَّةَ فَلَيْسَ الذِّكَاةُ غَايَةً . وَلَا لَجُودَةُ أَتْرِيحَةً نِهَائَةً

البحث الخامس

في التصور والتمثل

(من كتاب زجر النفس لهرمس)

يَا نَفْسُ إِنَّ مُبْدِعَ الْأَشْيَاءِ وَمُنْشِئَهَا جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ
أَبَدَكَ وَجَعَلَكَ ذَاتَ التَّصَوُّرِ وَالتَّمَثُّلِ . فَأَمَّا التَّصَوُّرُ فَتَصَوُّرُكَ الشَّيْءَ
عَلَى حَقِيقَتِهِ مَا أَبَدَعَهُ مُبْدِعُهُ . وَأَمَّا التَّمَثُّلُ فَتَمَثُّلُكَ مَا خَفِيَ عَنْكَ مِنْ
عَالَمِ الْعَقْلِ بِمَا شَاهَدْتَهُ فِي عَالَمِ الْحِسِّ وَثَلَا بِمِثْلِ وَمَعْنَى بِمَعْنَى كَمَا
أَنْ تَدُلَّ ذَاتُ الصُّورَةِ الْمَطْبُوعَةِ فِي الشَّمْعِ عَلَى مَعْنَاهَا وَحَقِيقَتِهَا فِي
الطَّابِعِ وَكَمَا تَدُلُّ الصُّورَةُ الْمُمَثِّلَةُ فِي الطَّابِعِ عَلَى مَعْنَى حَقِيقَتِهَا فِي
نَفْسِ مُمَثِّلِهَا وَمَصَوِّرِهَا وَكَمَا يُؤَثِّرُ الْمَاءُ فِي الرَّمْلِ مَعَانِي حَرَكَاتِهِ وَتَمَوُّجِهِ

البحث السادس

الخيال والخيالي

(عن الحاج خلتا بتصرف)

(راجع صفحة ٥ من توطئة علم الادب)

الخيال في اللغة بمعنى الشخص وعند الحكماء يطلق على احدى الحواس الباطنة. وهو قوة تحفظ الصور المرئية في الحس المشترك اذا غابت تلك الصور عن الحواس الباطنة. ومحلها مؤخر التخويف الاول من التجاويف الثلاثة للدماغ عند الجمهور (١). واستدلوا على وجود الخيال باننا اذا شاهدنا صورة ثم ذهبت عنها زمانا ثم نشاهد مرة اخرى نحكم عليها بانها هي التي شاهدناها قبل ذلك. فلو لم تكن تلك الصورة محفوظة فينا زمان الدهول لامتنع احكام بانها هي التي شاهدناها قبل ذلك. (والخيالي) يطلق على الصورة المرئية في الخيال المتأدية اليه من طرق الحواس. وقد يطلق على المعدوم الذي اخترعته الخيلة ورغبته من الامور المحسوسة اي المذركة بالحواس الظاهرة. وبقولنا من الامور المحسوسة خرج الوهمي بمعنى ما اخترعته القوة الخيالية اخراعا صرفا على نحو المحسوسات وهذا المعنى يستعمل في باب التشبيه كما في قول الشاعر :

وَكَانَ نُحْمَرُ الشَّقِيقِ مِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أَعْلَامُ يَأْقُوتِ نُشْرِ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ ذَبْرَجَدَ

(١) ليس هذا الرأي بمقرر

فَإِنَّ الْأَعْلَامَ أَلْيَاقُوتِيَّةَ الْمُنْشُورَةَ عَلَى الرِّمَاحِ الزَّبْرَجَدِيَّةِ بِمَا لَا
يَذَرِكُهُ الْحَسُّ لِأَنَّ الْحَسَّ إِنَّمَا يُذَرِكُ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْمَادَّةِ حَاضِرَةٌ
عِنْدَ الْمَذَرِكِ عَلَى هَيْئَاتٍ مَحْسُوسَةٍ مَخْصُوصَةٍ بِهِ . لَكِنَّ مَادَّتَهُ الَّتِي
يَتَرَكَّبُ هُوَ مِنْهَا كَالْأَعْلَامِ وَالْيَاقُوتِ وَالرِّمَاحِ وَالزَّبْرَجَدِ كُلِّ وَنَهَا
مَحْسُوسٌ بِالْبَحْرِ

البحث السابع

في الحافظة

(عن الماوردي باختصار)

(راجع صفحة ٦٥٠ من توطئة علم الادب)

رُبَّمَا اسْتَشَقَلَ الْمُتَعَلِّمُ الدَّرْسَ وَالْحِفْظَ وَاتَّكَلَ بَعْدَ فَهْمِ الْمَعَانِي
عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ وَالْمُطَالَعَةِ فِيهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا
كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِهْتِنَاعِ مِنْهُ فَلَا تُعْقِبُهُ
الثِّقَةُ إِلَّا خَجَلًا وَالتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَمًا . وَهَذِهِ حَالٌ قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ
ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : الضَّجْرُ مِنْ مَعَانَاةِ الْحِفْظِ وَمَرَاعَاتِهِ وَطُولُ الْأَمَلِ
فِي التَّوَقُّرِ عَلَيْهِ عِنْدَ نَشَاطِهِ وَفَسَادِ الرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ
الضَّجْرَ خَائِبٌ وَأَنَّ الطَّوِيلَ الْأَمَلِ مَعْرُورٌ وَأَنَّ الْقَاسِدَ الرَّأْيِ مُصَابٌ .
وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا : حَرْفٌ فِي قَلْبِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ فِي كُتُبِكَ .
وَقَالُوا : لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَعْبُرُ مَعَكَ الْوَادِي وَلَا يَعْمُرُ بِكَ النَّادِي .
وَأَنْشَدْتُ عَنْ الرَّبِيعِ الشَّافِعِيِّ :

عَلِمِي مَعِيَ حَيْثُ مَا يَمُتُ يَتَفَعِّلِي
 قَلْبِي وَعَاةُ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِي
 إِنْ كُنْتُ فِي أَلَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ
 أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ
 وَرُبَّمَا اعْتَنَى الْمُتَعَلِّمُ بِاللِّفْظِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا فَهْمٍ حَتَّى يَصِيرَ
 حَافِظًا لِلْأَقَاظِ الْمَعَانِي قِيَمًا بِتَلَاوُثِهَا وَهُوَ لَا يَتَصَوَّرُهَا وَلَا يَفْهَمُ مَا
 تَضَمَّنَهَا يَرْوِي بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ وَيُخْبِرُ عَنْ غَيْرِ خَبَرَةٍ فَهُوَ كَالْكِتَابِ الَّذِي
 لَا يَدْفَعُ شُبُهَةً وَلَا يُرِيدُ حُجَّةً وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : هِمَّةُ السُّفَهَاءِ الرِّوَايَةُ .
 وَهِمَّةُ الْعُلَمَاءِ الرِّعَايَةُ . وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ : كُونُوا لِلْعِلْمِ رِعَاةً . وَلَا
 تَكُونُوا لَهُ رُؤَاةً . فَقَدْ يَرْعَوِي مَنْ لَا يَرْوِي . وَيَرْوِي مَنْ لَا يَرْعَوِي .
 وَحَدَّثَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بِحَدِيثٍ قِيلَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا سَعِيدٍ عَمَّنْ .
 قَالَ : مَا تَصْنَعُ بَعَمَّنْ . أَمَا أَنْتَ فَقَدْ نَأْتِكَ عِظَّتُهُ وَقَامَتْ عَلَيْكَ
 حُجَّتُهُ

وَ رُبَّمَا اعْتَمَدَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ وَانْغَلَّ تَقْيِيدَ الْعِلْمِ فِي كُتُبِهِ
 ثِقَةً بِمَا اسْتَقَرَّ فِي ذَهْنِهِ وَهَذَا خَطَأٌ مِنْهُ لِأَنَّ الشَّكْلَ مُفْتَرِضٌ
 وَالنِّسْيَانَ طَارِقٌ . وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : لَجَلَّ مَا فِي الْكُتُبِ رَأْسُ
 أَمَالٍ وَمَا فِي الْقُلُوبِ النِّفَقَةُ . وَقَالَ مَهْبُورٌ : لَوْلَا مَا عَقَدَتْهُ الْكُتُبُ
 مِنْ تَجَارِبِ الْأَوَّلِينَ لَأَتَحَلُّ مَعَ النِّسْيَانِ عُقُودَ الْآخِرِينَ



البحث الثامن

في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان

(مقدمة ابن خلدون)

(راجع صفحة ٦ من توطئة علم الادب)

إِغْلَمَ أَنَّ لَفْظَةَ الذَّوْقِ يَتَدَاوَلُهَا الْمُعْتَشُونَ بِشُّونِ الْبَيَانِ . وَمَعْنَا مَا
حُصِّلَ مَلَكَتِ الْبَلَاغَةِ لِلْسَّانِ الَّتِي هِيَ مُطَابِقَةُ الْكَلَامِ لِلْمَعْنَى مِنْ
جَمِيعِ وَجُوهِهِ بِخَوَاصِّ تَقَمُّ لِلتَّرَاكِبِ فِي إِفَادَةِ ذَلِكَ . فَأَلْتَمَسْتُ كَلِمَ
بِلْسَانِ الْعَرَبِ وَالْبَلِغِ فِيهِ يَتَحَرَّى الْهَيْئَةَ الْمُفِيدَةَ لِذَلِكَ عَلَى أَسَالِبِ
الْعَرَبِ وَأَنْحَاءِ مُخَاطَبَاتِهِمْ وَيَنْظِمُ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ جُهْدَهُ .
فَإِذَا اتَّصَلَتْ مَقَامَاتُهُ بِمُخَالَطَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَتُ فِي
نَظْمِ الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ . وَسَهِّلَ عَلَيْهِ أَمْرَ التَّرْكِيبِ حَتَّى لَا يَكَادُ
يَتَحَوَّرُ فِيهِ غَيْرَ مَتَحَى الْبَلَاغَةِ الَّتِي لِلْعَرَبِ . وَإِنْ سَمِعَ تَرْكِيبًا غَيْرَ جَارٍ
عَلَى ذَلِكَ الْمَتَحَى مَجَّهَ وَنَبَأَ عَنْهُ سَمْعُهُ بِأَدْنَى فِكْرٍ بَلٍ وَبَغِيرِ فِكْرٍ إِلَّا بِمَا
اسْتَفَادَهُ مِنْ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَتِ . فَإِنَّ الْمَلَكَاتِ إِذَا اسْتَقَرَّتْ
وَرَسَّخَتْ فِي مَحَالِّهَا ظَهَرَتْ كَأَنَّهَا طَبِيعَةٌ وَجِبَلَةٌ لِذَلِكَ الْحَلِّ . وَلِذَلِكَ
يُظَنُّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَعَلِّينَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ شَأْنَ الْمَلَكَاتِ أَنَّ الصَّوَابَ
لِلْعَرَبِ فِي لُغَتِهِمْ إِعْرَابًا وَبَلَاغَةً أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ وَيَقُولُ : كَانَتْ الْعَرَبُ تَنْطَلِقُ
بِالطَّبَعِ . وَلَيْسَ كَذَلِكَ . وَإِنَّمَا هِيَ مَلَكَتُ لِسَانِيَّةٌ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ
تَمَكَّنَتْ وَرَسَّخَتْ فَظَهَرَتْ فِي بَادِي الرَّأْيِ أَنَّهَا جِبَلَةٌ وَطَبَعٌ وَهَذِهِ

الملكة كما تقدم إننا نحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه . وليست نحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استتبها أهل صناعة اللسان . فإن هذه القوانين إنما تفيد علماً بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محامها . وإذا تقرر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تهدي الأبلغ إلى وجوه النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم . ولو رام صاحب هذه الملكة حيداً عن هذه السبيل المعتبر والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا واقعة عليه لسانه لأنه لا يعتاده ولا تهديه إليه ملكته الرايحة عنده . وإذا عرض عليه الكلام حائداً عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه ومجه وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم . وربما يعجز عن الاختجاج لذلك كما تصنع أهل القوانين النحوية والبيانة . فإن ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة بالاستقراء وهذا أمر وجدائي حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم . ومثاله لو فرضنا صيماً من صبيانهم نشأ ورّبي في جيلهم فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الأعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها وليس من العلم القانوني في شيء . وإنما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه . وكذلك نحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الخليل يحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشأ في جيلهم ورّبي بين

أَحْيَاتِهِمْ. وَالْقَوَائِنُ بِمَعْرِزٍ عَنْ هَذَا. وَأَسْتَعِيرَ لِهَذِهِ الْمَلَكَةِ عِنْدَمَا تَرُوحُ
وَتَسْتَقِرُّ أَسْمُ الذَّوْقِ الَّذِي أَضْطَلَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ صِنَاعَةِ الْبَيَانِ. وَالذَّوْقُ
إِنَّمَا هُوَ مَوْضُوعٌ لِإِذْرَاكِ الطُّعُومِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ مَحَلُّ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي
الْلسَانِ مِنْ حَيْثُ النُّطْقِ بِالْكَلَامِ كَمَا هُوَ مَحَلُّ لِإِذْرَاكِ الطُّعُومِ أَسْتَعِيرَ
لَهَا أَسْمُهُ وَآيْضًا فَهُوَ وَجَدَانِي لِللسَانِ كَمَا أَنَّ الطُّعُومَ مَحْسُوسَةٌ لَهُ فَقِيلَ
لَهُ ذَوْقٌ. وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ذَلِكَ عَلِمْتَ مِنْهُ أَنَّ الْأَعَاجِمَ الدَّاخِلِينَ فِي
الْلسَانِ الْعَرَبِيِّ الطَّارِئِينَ عَلَيْهِ الْمُضْطَرِّينَ إِلَى النُّطْقِ بِهِ لِمُخَالَطَةِ أَهْلِهِ
كَأَلْفُرسٍ وَالرُّومِ وَالْأَتْرَكِ بِالشَّرْقِ وَكَأَلْبَرْبِ بِالْمَغْرِبِ فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ
لَهُمْ هَذَا الذَّوْقُ لِقُصُورِ حَظِّهِمْ فِي هَذِهِ الْمَلَكَةِ الَّتِي قَرَرْنَا أَمْرَهَا.
لِأَنَّ قُصَارَاهُمْ بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُمُرِ وَسَبَقَ مَلَكَةُ أُخْرَى إِلَى الْلسَانِ
وَهِيَ لُغَاتُهُمْ أَنْ يَعْتَنُوا بِمَا يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُ الْمَضَرِ (١) بَيْنَهُمْ فِي الْحَوَادِثِ مِنْ
فُرْدٍ وَمُرَكَّبٍ لَمَّا يَضْطَرُّونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ قَدْ ذَهَبَتْ
لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَبَعْدُوا عَنْهَا كَمَا تَقَدَّمَ. وَإِنَّمَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَلَكَةٌ
أُخْرَى وَلَيْسَتْ هِيَ مَلَكَةُ الْلسَانِ الْمَطْلُوبَةُ. وَمَنْ عَرَفَ تِلْكَ الْمَلَكَةَ
مِنَ الْقَوَائِنِ الْمُسْطَرَّةِ فِي الْكُتُبِ فَلَيْسَ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَلَكَةِ فِي شَيْءٍ
إِنَّمَا حُصِّلَ أَحْكَامُهَا كَمَا عَرَفْتَ وَإِنَّمَا تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِالْمُمَارَسَةِ
وَالْإِعْتْيَادِ وَالتَّكْرُّرِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ. فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مَا تَسْمَعُهُ مِنْ
أَنَّ سَبْيَوِيَّهَ وَالْفَارِسِيَّ وَالزُّنْجَارِيَّ وَأَمْثَالَهُمْ مِنْ فُرْسَانِ الْكَلَامِ
كَانُوا أَنْجَامًا مَعَ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ لَهُمْ فَأَعْلَمَ أَنَّ أَوْلِيكَ الْقَوْمِ

الَّذِينَ تَسْمَعُ عَنْهُمْ إِذَا كَانُوا عَجَمًا فِي نَسَبِهِمْ فَقَطَّ وَأَمَّا الْمَرْبِيُّ وَالنَّشَاءُ
فَكَانَتْ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ مِنَ الْعَرَبِ وَمَنْ تَعَلَّمَهَا مِنْهُمْ
فَاسْتَوَلُوا بِذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى غَايَةِ لَا وَرَاءَهَا . وَكَانَتْهُمْ فِي أَوَّلِ
نَشَأَتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي أَحْيَائِهِمْ (١) حَتَّى أَدْرَكُوا كُنْهَ اللُّغَةِ
وَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا . فَهُمْ وَإِنْ كَانُوا عَجَمًا فِي النَّسَبِ فَلَيْسُوا بِأَعْجَمٍ فِي
اللُّغَةِ وَالْكَلَامِ لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَلْمَلَّةَ فِي عُقُوبَاتِهَا وَاللُّغَةَ فِي شَبَابِهَا وَلَمْ
تَنْهَبْ آثَارُ الْمَلَكَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ثُمَّ عَكَفُوا عَلَى الْمَارَسَةِ
وَالْمُدْرَاسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ حَتَّى اسْتَوَلُوا عَلَى غَايَتِهِ . وَالْوَاحِدُ الْيَوْمَ مِنْ
الْعَجَمِ إِذَا خَالَطَ أَهْلَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ بِالْأَمْصَارِ قَاوِلٌ مَا يُجِدُ تِلْكَ
الْمَلَكَةَ أَلْمَلَّةَ صَوْدَةَ مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مُسْتَحْيَةً الْآثَارِ وَيُجِدُ مَلَكَتَهُمْ
الْخَاصَّةَ بِهِمْ مَلَكَةً أُخْرَى مُخَالَفَةً لِمَلَكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ . ثُمَّ إِذَا فَرَضْنَا
أَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الْمَارَسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهِمْ بِالْمُدْرَاسَةِ وَالْحِفْظِ
يَسْتَفِيدُ تَحْصِيلَهَا قَلَّ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَنَّ الْمَلَكَةَ إِذَا
سَبَقَتْهَا مَلَكَةٌ أُخْرَى فِي الْتَحَلِّ فَلَا تَحْصُلُ إِلَّا نَاقِصَةً مُخْدُوشَةً . وَإِنْ
فَرَضْنَا عَجَمِيًّا فِي النَّسَبِ سَلِمَ مِنْ مُخَالَفَةِ اللِّسَانِ الْعَجَمِيِّ بِالْكُلِّيَّةِ
وَذَهَبَ إِلَى تَعَلُّمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْحِفْظِ وَالْمُدْرَاسَةِ فَرُبَّمَا يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ
لَكِنِّهِ مِنَ التَّدْوِيرِ بِمَجِثٍ لَا يَنْجَحِي عَلَيْكَ بِمَا تَقَرَّرَ . وَرُبَّمَا يَدَّعِي كَثِيرٌ مِمَّنْ
يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْقَوَائِنِ الْبَيَانِيَّةِ حُصُولَ هَذَا الذَّوْقِ لَهُ بِهَا وَهُوَ غَلَطٌ أَوْ
مُغَالَطَةٌ وَإِنَّمَا حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَةُ إِنْ حَصَلَتْ فِي تِلْكَ الْقَوَائِنِ الْبَيَانِيَّةِ

وَلَيْسَتْ مِنْ مَلَكَهَ الْعِبَارَةِ فِي شَيْءٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

البحث التاسع

في المطالعة

(المثل السائر لابي الفتح بن الاثير الموصلی)

(راجع صفحة ٨ من توطئة علم الادب)

إِنَّ فِي الْإِطْلَاقِ عَلَى كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْمُنْظُومِ وَالْمَشُورِ
فَوَائِدَ جَمَّةٍ لِأَنَّهُ يُعْلَمُ مِنْهُ أَغْرَاضُ النَّاسِ وَنَتَائِجُ أَفْكَارِهِمْ وَيَعْرِفُ
بِهِ مَقَاصِدُ كُلِّ فَرِيقٍ وَنُهُمُ وَإِلَى أَيْنَ تَرَامَتْ بِهِ صَنْعَتُهُ فِي ذَلِكَ . فَإِنَّ
هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مِمَّا تَشْتَغِلُ الْقَرِيحَةَ وَتُرْكِي الْفِطْنَةَ . وَإِذَا كَانَ صَاحِبُ
هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَارِفًا بِهَا تَصِيرُ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْتُ وَتَعَبَ فِي اسْتِخْرَاجِهَا
كَالشَيْءِ الْمُلْقَى بَيْنَ يَدَيْهِ يَأْخُذُ مِنْهُ مَا أَرَادَ . وَأَيْضًا فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ
مُطْلَعًا عَلَى الْمَعَانِي الْمَسْبُوقِ إِلَيْهَا قَدْ يَنْقَدِحُ لَهُ مِنْ بَيْنِهَا مَعْنَى غَرِيبٌ
لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ . وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ خَوَاطِرَ النَّاسِ وَإِنْ كَانَتْ مُتَفَاوِتَةً
فِي الْجُودَةِ وَالرَّدَاءَةِ فَإِنَّ بَعْضَهَا لَا يَكُونُ عَالِيًا عَلَى بَعْضٍ أَوْ مُنْخَطَأًا
عَنْهُ إِلَّا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ . وَكَثِيرًا مَا تَتَسَاوَى الْقَرَائِحُ وَالْأَفْكَارُ فِي
الْإِثْنَانِ بِالْمَعَانِي حَتَّى إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَأْتِي بِمَعْنَى مَوْضُوعٍ بِلَفْظٍ
ثُمَّ يَأْتِي الْآخَرُ بَعْدَهُ بِذَلِكَ الْمَعْنَى وَاللَّفْظَ بَعَيْنِهِمَا مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُ
بِمَا جَاءَ بِهِ الْأَوَّلُ وَهَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ أَرْبَابُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَقُوعَ الْخَافِرِ
عَلَى الْخَافِرِ

البحث العاشر

في الارتياض والممارسة

(المثل السائر والوشي المرقوم لابن الاثير)

(راجع صفحة ٩ و ١٠ من توطئة علم الادب)

إِعْلَمْ أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي كِتَابِي أَنَّ مَدَارَ عِلْمِ أَلْيَانٍ عَلَى حَاصِمِ
الذَّوْقِ السَّلِيمِ الَّذِي هُوَ أَتَمُّ مِنْ ذَوْقِ التَّعْلِيمِ . وَهَذَا الْكِتَابُ وَإِنْ
كَانَ فِيمَا يُاتِيهِ إِلَيْكَ أُنْتَادًا أَوْ إِذَا سَأَلْتَ عَمَّا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي قَتْلِهِ قِيلَ
لَكَ هَذَا فَإِنَّ الدَّرَبَةَ وَالْإِدْمَانَ أَجْدَى عَلَيْكَ قَتْلًا وَأَهْدَى بَصَرًا
وَسَمْعًا . وَهَمَا يَرِيَانُكَ الْخَبَرُ عِيَانًا وَيَجْعَلَانِ عُسْرَكَ مِنْ الْقَوْلِ إِمْكَانًا
وَكُلَّ جَارِحَةٍ مِنْكَ قَلْبًا وَلِسَانًا . فَخُذْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ مَا أَعْطَاكَ
وَأَسْتَنْبِطْ بِإِدْمَانِكَ مَا أَخْطَاكَ . وَمَا مَثَلِي فِيمَا مَهْدَتْهُ لَكَ مِنْ هَذَا
الطَّرِيقِ إِلَّا كَدَنْ طَبَعَ سَيْفًا وَوَضَعَهُ فِي يَمِينِكَ لِتَقَاتِلَ بِهِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ
أَنْ يَخَاقَ لَكَ قَلْبًا فَإِنَّ حَمْلَ التَّيصالِ غَيْرُ مَبَاشَرَةِ الْقِتَالِ
وَإِنَّمَا يَبْتَغِ الْإِنْسَانُ غَايَتَهُ مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلَالُ
وَإِنَّ صَاحِبَ الْكِتَابَةِ لَا يَرَى فِي أَمْرِهِ إِلَّا صُعُوبَةً وَوَعُورَةً
وَطَرِيقًا مُشْكِلةً الْمَذَاهِبَ كَثِيرَةَ الشُّعَابِ . فَإِذَا أَكْرَهَ خَاطِرُهُ عَلَى
سُلُوكِهَا وَشَجَعَهُ عَلَى تَوَرُّدِهَا فَمَا مَضَى بِهِ هَنِيئَةً حَتَّى يَسْتَبِرَّ بِهِ الطَّرِيقُ
وَيَتَضَحَّحَ لَهُ . وَالتَّعَبُ عَلَى مَنَازِلِ الْعُلَيَاءِ إِمَارَةٌ

البحث الحادي عشر

في طرائق مختلفة من الممارسة والتمرين

(المثل السائر باختصار)

(راجع صفحة ١٠ من توطئة علم الادب)

هَذَا الْفَصْلُ هُوَ كَثْرُ الْكِتَابَةِ وَمَنْبَعُهَا وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِشَيْءٍ . وَلَمَّا حُبِبْتُ إِلَيَّ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ وَبَلَّغَنِي اللَّهُ مِنْهَا مَا بَلَغَنِي وَجَدْتُ الطَّرِيقَ يَتَقَسِّمُ فِيهَا إِلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ : (الْأُولَى) أَنْ يَتَصَفَّحَ الْكَاتِبُ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَيَطَّلِعَ عَلَى أَوْخَاعِهِمْ فِي اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي ثُمَّ يَخَذُو حَذْوَهُمْ . وَهَذِهِ اذْنَى الطَّبَقَاتِ عِنْدِي . (الثَّانِيَّةُ) أَنْ يَمْرُجَ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِمَا يَسْتَحِجُّهُ لِنَفْسِهِ مِنْ زِيَادَةِ حَسَنَةِ إِمَامَا فِي تَحْسِينِ الْأَلْفَاظِ أَوْ فِي تَحْسِينِ الْمَعَانِي . وَهَذِهِ الطَّبَقَةُ الْوَسْطَى وَهِيَ أَعْلَى مِنْ أَلَّتِي قَبْلَهَا . (الثَّالِثَةُ) أَنْ لَا يَتَصَفَّحَ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَلَا يَطَّلِعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا بَلْ يَصْرِفَ هَمَّهُ إِلَى حِفْظِ الْحَدِيثِ وَالْأَخْبَارِ وَعِدَّةٍ مِنْ دَوَائِرِ قُحُولِ الشُّعْرَاءِ يَمُنُّ غَلَبَ عَلَى شِعْرِهِ الْإِجَادَةُ فِي الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ . ثُمَّ يَأْخُذُ فِي الْأَقْتِبَاسِ مِنْ هَذِهِ فَيَقُومُ وَيَقَعُ وَيُخْطِئُ وَيُصِيبُ وَيَضِلُّ وَيَهْتَدِي حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَلَى طَرِيقِهِ يَفْتَحُهَا لِنَفْسِهِ . وَأَخْلَقَ بِتِلْكَ الطَّرِيقِ أَنْ تَكُونَ مُبْتَدَعَةً غَرِيبَةً لَا شَرَكَةَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِيهَا . وَهَذِهِ الطَّرِيقُ هِيَ طَرِيقُ الْإِجْتِهَادِ وَصَاحِبُهَا يُعَدُّ إِمَامًا فِي قَنْ الْكِتَابَةِ . إِلَّا أَنَّهَا مُسْتَوَعِرَةٌ جِدًّا وَلَا يَسْتَطِيعُهَا إِلَّا مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ

تَعَالَى لِسَانًا هَجَامًا وَخَاطِرًا رَقَامًا وَإِنَّمَا تَكُونُ تَقَاسُةَ الْأَشْيَاءِ بِعِزَّةِ حُصُولِهَا
وَمَشَقَّةِ وُضُوعِهَا :

لَيْسَ خُلُوعًا وَجُودُكَ الشَّيْءِ تَبْغِيهِ مِ طِلَابًا حَتَّى يَغِزَّ طِلَابُهُ
وَهَذِهِ الطَّرِيقُ يَجْهَلُهَا كَثِيرٌ مِنْ مُتَعَاظِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَالَّذِي
يَعْلَمُهَا مِنْهُمْ يَرْضَى بِالْحَوَاشِي وَالْأَطْرَافِ وَيَقْنَعُ مِنْ لَالِيهَا بِمَعْرِقَةٍ مَا
فِي الْأَضْدَافِ . وَلَا أُرِيدُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ مُرْتَبِطًا
فِي كِتَابَتِهِ بِمَا يَسْتَخْرِجُهُ بِحَيْثُ أَنَّهُ لَا يُنْشِئُ كِتَابًا إِلَّا مِنْ ذَلِكَ بَلْ
أُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا حَفِظَ بِمَا قَدَّمْنَا شَيْئًا ثُمَّ تَهَبَّ عَنْ ذَلِكَ تَتَقَيَّبُ مُطْلِعٌ
عَلَى مَعَانِيهِ مُفْتِشٌ عَنْ دَقَائِيقِهِ وَقَلْبُهُ ظَهْرًا لِبَطْنِ عَرَفٍ حِينْدٍ مِنْ آيِنٍ
تُوكَلُّ الْكَتِفُ فِيمَا يُنْشِئُهُ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ وَأَسْتَعَانَ بِالْحَفِظِ عَلَى
الْعَرِيزَةِ الطَّبِيعِيَّةِ . أَلَا تَرَى صَاحِبَ الْاجْتِهَادِ مِنَ الْفُقَهَاءِ يَفْتَقِرُ إِلَى
مَعْرِقَةِ أَخْبَارِ الْأَحْكَامِ وَإِلَى مَعْرِقَةِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحِسَابِ
مِنْ الْمَعْلُومِ وَالْمَجْهُولِ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي الْكَاتِبِ إِذَا
أَحَبَّ التَّرَقِّيَ إِلَى دَرَجَةِ الْاجْتِهَادِ فِي الْكِتَابَةِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى أَدَوَاتٍ
كَثِيرَةٍ سَنَذْكُرُهَا

فصل في صفة الكاتب وما يحتاج اليه من المعارف

البحث الاول

في صفة الكاتب الظاهرة

(عن ابراهيم الشيباني وآثار الاول للحسن بن عبدالله)

قِيلَ إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَحْسَنُوا فِي الْكَاتِبِ اَعْتِدَالَ الْقَامَةِ وَصِغَرَ اَهْلَامَةِ
وَخِفَةَ اَللِّهَازِمِ وَصَدَقَ الْحَسَّ وَلُطْفَ الْمَذْهَبِ وَحَلَاوَةَ الشَّمْلِ وَحَسْنَ
الْإِشَارَةِ وَمَلَاخَةَ الرِّبِيِّ حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْمَهَالِبَةِ لَوْلَيْهِ : تَرَيُوا بَرِي
الْكِتَابِ فَإِنَّ فِيهِمْ آدَبَ الْمُلُوكِ وَتَوَاضَعَ السُّوقَةِ . وَقِيلَ : إِنَّ
مِنْ كَمَالِ آلَةِ الْكِتَابَةِ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ تَقِيَّ الْمَلْبَسِ قَظِيفِ
الْجَلِيسِ ظَاهِرِ الْمُرُوءَةِ دَقِيقِ الذِّهْنِ حَسَنِ الْقَهْمِ وَافِرِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ
صَادِقِ الْحَسَنِ حَسَنِ الْبَيَانِ صَحِيحِ الرَّأْيِ وَالْعِبَارَةِ مَلِيحِ التَّأْيِي فِي ظَمِ
الْمَعَانِي وَنَثَرِهَا دَقِيقِ حَوَاشِي اللِّسَانِ حُلُوَ الْإِشَارَةِ مَلِيحِ الْإِسْتِعَارَةِ
لَطِيفِ الْمَسَالِكِ مُسْتَقِرَّ التَّرْكِيبِ . وَلَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ قَدَمَ الْمَنْظَرِ
مُتَفَاوِتَ الْأَجْزَاءِ مُضْطَرِبَ الْخَلْقِ . فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ
لَا يَلِيقُ بِصَاحِبِهَا الذُّكَاةُ وَالْإِفْطِنَةُ . وَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الْخَطِّ
فَهُوَ كَمَالُهُ وَإِلَّا فَيَكُونُ هُوَ الْمُنْشِئُ وَغَيْرُهُ الْكَاتِبُ . وَقَطَرَ أَحْمَدُ
ابْنُ خَصِيبٍ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْكُتَّابِ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ فَقَالَ : لَأَنْ
يَكُونَ هَذَا فِنْطَاسَ مَرْكَبٍ أَشْبَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا . قَالَ بَعْضُهُمْ :
عَلَيْكَ بِكَاتِبٍ لَيْقٍ رَشِيقٍ ذَكِيٍّ فِي شَمْلِهِ حَذَارَةٌ

تُجَاهِهِ بِطَرَفِكَ مِنْ بَعِيدٍ فَيَفْهَمُ رَجَعَ لِحَظِكَ بِالْإِشَارَةِ
فَإِذَا اجْتَمَعَتِ لِلْكَاتِبِ هَذِهِ الْخِلَالُ وَأَنْتَظَمْتَ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ
فَهُوَ الْكَاتِبُ الْبَلِيعُ وَالْأَدِيبُ الْخَرِيرُ وَإِنْ قَصُرَتْ بِهِ آلَةٌ مِنْ هَذِهِ
الْآلَاتِ وَقَعَدَتْ بِهِ آدَاةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ فَهُوَ مَنْقُوصُ الْجَمَالِ
مُنْكَسِفُ الْحُسْنِ مَخْجُوسُ النَّصِيبِ

البحث الثاني

في ادوات علم الكتابة

(عن المثل السائر لابن الاثير الموصلي باختصار)

إِنَّمَا أَنْ صِنَاعَةٌ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ تَنْفَقِرُ
إِلَى آلَاتٍ كَثِيرَةٍ . وَقَدْ قِيلَ : يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِكُلِّ عِلْمٍ
حَتَّى قِيلَ : كُلُّ ذِي عِلْمٍ يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَنْسَبَ نَفْسُهُ إِلَيْهِ فَيَقُولَ : فُلَانُ
الْخَوْرِيُّ وَفُلَانُ الْفَقِيهُ وَلَا يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَنْسَبَ نَفْسُهُ إِلَى الْكِتَابَةِ فَيَقُولَ :
فُلَانُ الْكَاتِبُ وَذَلِكَ لِمَا يَنْفَقِرُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَوْضِ فِي كُلِّ فَنٍ . وَوَلَاكُ هَذَا
كُلُّهُ الطَّبَعُ فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ ثُمَّ طَبَعَ فَإِنَّهُ لَا تُغْنِي تِلْكَ الْآلَاتُ
شَيْئًا . وَمِثَالُ ذَلِكَ كَمَثَلِ النَّارِ الْكَامِنَةِ فِي الزَّرْنَادِ وَالْحَدِيدَةِ الَّتِي
يُقَدِّحُ بِهَا . أَلَا تَرَى أَنَّ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الزَّرْنَادِ نَارٌ لَا تُقِيدُ تِلْكَ
الْحَدِيدَةُ شَيْئًا . وَكَثِيرًا مَا رَأَيْنَا مِنْ غَرَائِبِ الطَّبَاعِ فِي تَعَلُّمِ الْعُلُومِ
حَتَّى إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَكُونُ لَهُ قَادٌّ فِي تَعَلُّمِ عِلْمٍ مُشْكِلٍ الْمَسْلُوكِ
صَعْبٍ أَلَا خَذِ فَإِذَا كَلَّفَ تَعَلَّمَ مَا هُوَ دُونَهُ مِنْ سَهْلِ الْعُلُومِ نَكَسَ

عَلَى عَقِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ نَفَاذٌ . وَأَغْرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ صَاحِبَ
الطَّبْعِ فِي الْمَنْظُومِ يُجِيدُ فِي الْمَدِيحِ دُونَ الْهَجَاءِ أَوْ فِي الْهَجَاءِ دُونَ
الْمَدِيحِ أَوْ يُجِيدُ فِي الْمَرَاثِي دُونَ التَّهَانِي أَوْ فِي التَّهَانِي دُونَ الْمَرَاثِي .
وَكَذَلِكَ صَاحِبُ الطَّبْعِ فِي الْمَثُورِ . هَذَا ابْنُ الْحَرِيرِيِّ صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ
قَدْ كَانَ عَلَى مَا طَهَّرَهُ مِنْ تَسْيِيقِ الْمَقَامَاتِ وَاجِدًا فِي قَبْلِهِ فَلَمَّا
حَضَرَ بَغْدَادَ وَوَقَفَ عَلَى مَقَامَةٍ قِيلَ هَذَا يَسْتَضِلُّ لِكِتَابَةِ الْإِنشَاءِ
فِي دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ وَيَحْسُنُ آثَرُهُ فِيهِ . فَأَحْضَرَ وَكَلَّفَ كِتَابَةَ كِتَابٍ
فَأَفْهَمَ وَلَمْ يَجِرْ لِسَانُهُ فِي طَوِيلَةٍ وَلَا قَصِيرَةٍ وَبَلَغَنِي عَنْ
السَّيِّحِ أَبِي مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحَشَابِ الْحَمَوِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : ابْنُ
الْحَرِيرِيِّ رَجُلٌ مَقَامَاتٍ أَيْ أَنَّهُ لَمْ يُحْسِنْ مِنْ الْكَلَامِ الْمَثُورِ
سِوَاهَا وَإِنْ أَتَى بِغَيْرِهَا لَا يَقُولُ شَيْئًا . فَأَنْظُرْ أَيُّهَا الْمُتَأَمِّلُ إِلَى هَذَا
الْتِفَافَاتِ فِي الصَّنَاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ الْكَلَامِ الْمَثُورِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ
قِيلَ : شَيْئَانِ لَا نِهَايَةَ لَهَا أَلْيَانُ وَالْجَمَالُ

البحث الثالث

فما يجب على الكاتب معرفته

(عن صناعة التمرسل لشهاب الدين الحلبي باختصار)

وَمَا يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَدْرُسَ بِهِ لِلْكِتَابَةِ قِرَاءَةً مَا يَتَّفِقُ مِنْ
(كُتُبِ النَّحْوِ) الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا الْمَقْصُودُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِجَيْثُ يَجْمَعُ
بَيْنَ طَرَفِي الْكِتَابِ الَّذِي يَقْرَأُهُ وَيَسْتَكْمِلُ اسْتِشْرَاحَهُ وَيَكِبُّ عَلَى

الاعراب ويلزمه ويجمعه دأبه ليرتسم في فكره ويدور على لسانه
وينطلق به عقل قلبه وكلية ويؤول به ألوههم عن سجيته ويكون على
بصيرة من عبارته . فإنه لو أتى من البلاغة بأتم ما يكون ولحن
ذهبت محاسن ما أتى به وأنهت طبقة كلامه وألهي جميع ما
يُحسُّنه ووقف به عند ما جهله . ويتعلق بذلك قراءة ما يتها من
مختصرات (كتب اللغة) كالقصيح لثعلب وكفاية المحفظ وغير ذلك
من كتب الألفاظ ليتسع عليه نطاق النطق ويتفصح له مجال العبارة
ويتفصح له باب الأوصاف فيما يحتاج إلى وصفه من خيل أو سلاح أو
حرب أو سير أو قتال أو غير ذلك مما يحتاج إلى وصفه ويضطر إلى
تنته . ويتصل بذلك حفظ (خطب البلاء) من الصحابة وغيرهم
ومخاطباتهم ومحاوراتهم ومرجعاتهم وما أدعاه كل منهم لنفسه أو
لقومه وما نقضه عليه خصمه لما في ذلك من مفرقة الوقائع بنظائرها
وتلقي الحوادث بما شاكلها والإقتداء بطريقة من فلح على خصمه
واقْتفاء آثار من اضطر إلى عذر أو إبطال دعوى أو إثباتها فلحن
بسجيته وتخلص بأطف مأخذه ودقة مسلكه وحسن عبارته . . .
فأنظر في هذا وأمثاله وألحظ منه والاكثار من مطالعته مما يشهد
القرائح ويفتح الأذهان ويرتسم في الخواطر ويكن في الأفكار
حتى يفيض ما غاض منه على لسان القلم ويدوم منه لكل واقعة
منوال يُنسج عليه ومثال يُنظر في ظاير الأمور إليه
ثم أنظر في (أيام العرب) ووقائعهم وحروبهم وتسمية الأيام

الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَمَعْرِفَةٍ يَوْمَ كُلِّ قَبِيلَةٍ عَلَى الْآخَرَى وَمَا جَرَى
بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَشْعَارِ وَالْمُنَاقَضَاتِ . لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا
يُسْتَشْهَدُ بِهِ مِنْ وَاقِعَةٍ قَدِيمَةٍ أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي مُكَاتَبَةٍ مِنْ ذِكْرِ أَيَّامٍ
مَشْهُورَةٍ أَوْ ذِكْرِ فَارِسٍ مُعَيَّنٍ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي تَطَايُرِهِ كَثِيرَةٌ
فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَارِفًا بِكُلِّ يَوْمٍ مِنْ
هَذِهِ الْأَيَّامِ عَالِمًا بِمَا جَرَى فِيهَا لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ عَمَّا يَرُدُّ إِلَيْهِ مِنْ
مِثْلِهَا وَلَا مَا يَقُولُ إِذَا سُئِلَ عَنْهَا وَحَسْبُهُ ذَلِكَ نَقْصًا فِي صِنَاعَتِهِ وَقُصُورًا
عَمَّا يَتَحَمَّ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَحُسْنِ الْجَوَابِ فِيهِ عِنْدَ السُّؤَالِ عَنْهُ

ثُمَّ (النَّظَرُ فِي التَّوَارِيخِ) وَمَعْرِفَةُ أَخْبَارِ الدُّوَلِ مِنَ الْإِطْلَاعِ عَلَى
سِيرِ الْمُلُوكِ وَسِيَاسَاتِهِمْ وَذِكْرُ وَقَائِعِهِمْ وَمَكَانِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ وَمَا اتَّفَقَ
لَهُمْ مِنَ الثَّجَارِبِ الَّتِي بَلَغُوا بِهَا أَقْصَى الْمَآرِبِ وَغَدَتْ لِمَنْ بَعْدَهُمْ كَالْمِرَآةِ
الَّتِي تُصَوِّرُ لَهُمْ وَجُودَ التَّدْبِيرِ وَثَرِيهِمْ مَا اسْتَرَّ عَنْهُمْ مِنْ صَغِيرِ أَمْوَالِهِمْ
وَالْكَبِيرِ . فَإِنَّهُ قَدْ يُضْطَرُّ إِلَى السُّؤَالِ عَنْ أَمْوَالِ مَنْ سَلَفَ مِنْ
أَوَّلِ الْعَصْرِ إِلَى الْآنَ وَيُسْتَحْبَذُ كَيْفَ كَانَ الْأَمْرُ بَيْنَ زَيْدٍ وَعُمَرُو
وَكَيفَ انْتَصَرَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ . أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي كِتَابٍ ذِكْرُ وَاقِعَةٍ
بَعَيْنَهَا أَوْ يُخْتَمَجُّ عَلَيْهِ بِصُورَةٍ قَدِيمَةٍ فَلَا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهَا مِنْ مَجَازِهَا وَلَا
صِدْقَهَا مِنْ مَنِيهَا

ثُمَّ (حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ) وَمَطَالَعَةُ شُرُوحِهَا وَأَسْتِكْشَافُ
غَوَامِضِهَا وَالتَّوَقُّرُ عَلَى مَا اخْتَارَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْهَا كَالْحِمَاةِ
وَالْمُفْضَلِيَّاتِ وَالْأَصْمَعِيَّاتِ وَدِيَوَانِ الْهَذَلِيِّينَ وَمَا أَشَبَهَ ذَلِكَ لَمَّا فِي

ذَلِكَ مِنْ غَزَارَةِ الْمَوَادِّ وَصِحَّةِ الْإِسْتِشْهَادِ وَكَثْرَةِ الثَّقَلِ وَصَفْلِ
مِرَاقَةِ الْعَقْلِ وَآبِتْدَاعِ الْأَمْثَالِ وَالْأَخْذِ فِي اخْتِرَاعِ الْمَعَانِي عَلَى أَصَحِّ
مِثَالٍ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى أُصُولِ اللُّغَةِ وَشَوَاهِدِهَا وَالْإِضْطِلَاعِ مِنْ نَوَادِرِ
الْعَرَبِيَّةِ وَشَوَارِدِهَا . وَقَدْ كَانَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ يَعْتَنُونَ بِذَلِكَ غَايَةً
الِإِعْتِنَاءِ . فَذَكَرَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ يُقَدِّمُ زُهَيْرَ بْنَ أَبِي سَلَمَى فِي الشِّعْرِ
فَقِيلَ لَهُ : بِمِ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ عِنْدَكَ . فَقَالَ : كَانَ لَا يُعَاطِلُ بَيْنَ الْقَوْلِ
وَلَا يَتَّبِعُ حَوَائِشَ الْكَلَامِ وَلَا يَحِفُّ الرَّجُلَ إِلَّا بِمَا يَكُونُ فِي الرِّجَالِ .
فَإِذَا أَكْثَرَ الْمُرْتَمِّحُ لِلْكِتَابَةِ مِنْ حِفْظِ خِيَارِ الشِّعْرِ وَتَدَبُّرِ مَعَانِيهِ يَسْهَلُ
عَلَيْهِ حَالُهُ وَظَهَرَتْ لَهُ مَوَاضِعُ الْإِسْتِشْهَادِ بِهِ وَسَاقَهُ الْكَلَامُ إِلَى إِبْرَازِ
مَا فِي ذَخِيرَةِ حِفْظِهِ وَوَضْعِهِ فِي مَكَانِهِ وَثَقْلِهِ فِي الْإِسْتِشْهَادِ أَوْ التَّضْمِينِ
إِلَى مَا كَانَتْهُ وَضَعَهُ لَهُ

وَكَذَلِكَ حِفْظُ جَانِبٍ جَيِّدٍ مِنْ شِعْرِ الْمُتَحَدِّثِينَ كَأَبِي نَمَامٍ وَهُسَلِيمِ
أَبْنِ الْوَلِيدِ وَالْبُخْتَرِيِّ وَأَبْنِ الرُّومِيِّ وَالْمُتَنَّبِيِّ لِلطُّفِّ مَأْخِذِهِ
وَدَوْرَانِ الصِّنَاعَةِ فِي كَلَامِهِمْ وَدِقَّةِ تَوَلِيدِ الْمَعَانِي فِي أَشْعَارِهِمْ وَقُرْبِ
أُسْلُوبِهِمْ مِنْ أُسْلُوبِ الْخَطَابَةِ وَالْكِتَابَةِ وَخُصُوصًا الْمُتَنَّبِيِّ الَّذِي
كَانَتْهُ يَنْطَوُّ عَنْ السِّنَةِ النَّاسِ فِي مُحَاوَرَاتِهِمْ . وَكَثُرَ الْإِسْتِشْهَادُ لِشِعْرِهِ
حَتَّى قُلَّ مَنْ يَجْهَلُهُ وَحَتَّى أَكْثَفِي بِالْبَيْتِ الْوَاحِدِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى
الْقَصْدِ وَبُلُوغِ الْفَرَضِ فِي الْجَوَابِ كَمَا كَتَبَ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَرَبِ
إِلَى مَنْ كَرَّرَ كُتُبَهُ وَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ بِقَوْلِ الْمُتَنَّبِيِّ :

وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفَةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَيْسُ الْعَرْمَرُمُ

وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ دُونَ حِفْظِهَا لِمَا فِي النَّظَرِ فِيهَا
 مِنْ تَتَبُّعِ الْقَرِيحَةِ وَإِشَادِ الْخَاطِرِ وَتَسْهِيلِ الطَّرِيقِ وَالْتِمَاسِ عَلَى مَنَوَالِ
 الْحَجِيدِ وَالِاقْتِدَاءِ بِطَرِيقَةِ الْحُسْنِ وَاسْتِحْلَاءِ مَا أَنْتَجَتْهُ الْقَرَائِحُ مِنْ
 أَبْكَارِ الْأَفْكَارِ وَاسْتِحْلَاءِ مَا رَوَّقَتْهُ الْخَوَاطِرُ مِنْ حِيَاضِ الْأَلْفَاظِ
 وَاسْتِدْرَاكِ مَا فَاتَ الْقَاصِرَ وَالِاخْتِرَازِ مِمَّا أَظْهَرَهُ النَّقْدُ وَرَدَّ مَا بَهَرَجَهُ
 السَّبْكُ . فَأَمَّا أَنَّنِي عَنْ حِفْظِ ذَلِكَ فَلَيْلًا يَكِلُ الْخَاطِرُ عَمَّا فِي حَاصِلِهِ
 وَيَسْتَنِدُ الْفِكْرُ إِلَى مَا فِي مَوْدِعِهِ وَيَكْتَفِي بِمَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَلَبَّسُ بِمَا لَمْ
 يَعْطِ كَلَابِسَ ثَوْبِي زُورٍ

وَكَذَلِكَ (النَّظَرُ فِي كُتُبِ الْأَمْثَالِ) الْوَارِدَةِ عَنِ الْعَرَبِ قَطْمًا
 وَثَرًا كَامِثَالِ الْمِيدَانِيِّ وَأَفْضَلِ بْنِ سَلَمَةَ الضَّحِيِّ وَحَمْزَةَ الْأَصْبَهَانِيِّ
 وَغَيْرِهِمْ وَأَمْثَالِ الْمُحَدِّثِينَ الْوَارِدَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ كَأَبِي الْعَتَاهِيَةِ وَأَبِي تَمَّامٍ
 وَالْمُتَنَّبِيِّ وَأَمْثَالِ الْمُؤَلِّدِينَ وَالْأَمْثَالِ الْمُتَوَسَّعَةِ عَلَى أَلْسِنِ الْحَيَوَانِ
 لِلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ لِيَسْتَشْهَدَ بِأَلْمَثَلِ فِي مَوْضِعِهِ وَيُورِدَهُ فِي مَكَانِهِ وَيَكُونَ
 مِنْ وَرَاءِ الْغُرُقَةِ بِأَصْلِهِ وَأَوَّلِ مَنْ أَرْسَلَهُ مَثَلًا وَمَنْ أَسْتَشْهَدَ بِهِ
 وَذَكَرَ سَبِيهِ

وَأَمَّا (التَّمَثُّلُ بِالشَّعْرِ) فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ تَمَثَّلَ يَوْمًا بِقَوْلِ
 النَّابِغَةِ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَأْتُهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ
 ثُمَّ قَالَ : لِمَنْ هَذَا . فَقِيلَ لَهُ : لِلنَّابِغَةِ . فَقَالَ : ذَاكَ أَشْعَرُ شَعْرَائِكُمْ .
 وَسَالَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ نَبِيِّ : فَأَجَابَهُ عَنْهُ فَأَعْجَبَهُ جَوَابُهُ فَقَالَ :

سُنْشِنَةُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ . وَامْتَالُ ذَلِكَ مِمَّا تَمَثَّلُ بِهِ الْقَحَابَةُ كَثِيرٌ .
وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي (الْأَحْكَامِ السَّاطِنَةِ) فَإِنَّهُ قَدْ يُؤْمَرُ بِأَمْرٍ
فَيَعْرِفُ بِهَا كَيْفَ يُخْلَصُ قَامَهُ عَلَى حُكْمِ الشَّرِيعَةِ الْمَطْهَرَةِ مِنْ وَلَايَةِ
الْقَضَاءِ وَالْحِسْبَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَهَذِهِ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ لَا بُدَّ لِلْمُتَرَشِّحِ لِهَذِهِ
الصَّنَاعَةِ مِنْ اتِّصَادِي الْأَطْلَاعِ عَلَيْهَا وَالْإِكْتِبَابِ عَلَى مَطَالَعَتِهَا
وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا . يَنْفَقُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَادِّ وَيَسْلُكُ فِي الْوُصُولِ إِلَى تِلْكَ
الصَّنَاعَةِ بِذَلِكَ الْجَوَادِ وَالْأَقْلِيَعَمِ أَنَّهُ فِي وَادٍ وَالْكِتَابَةِ فِي وَادٍ
وَأَمَّا الْأُمُورُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَرِيدُ مَعْرِفَتَهَا قَدْرَهُ وَيُزَيْنُ الْعِلْمُ بِهَا
نَظْمَهُ وَنَثَرَهُ فَانْهَاهُ مِنَ الْمَكِيلَاتِ لِهَذَا الْفَرْقِ وَإِنْ لَمْ يُضْطَرَّ إِلَيْهَا ذُو
الذَّهْنِ الثَّاقِبِ وَالطَّبْعِ السَّلِيمِ وَالْقَرِيحَةِ الْمَطَارِعَةِ وَالْفِكْرَةِ الْمُنْتَمِعَةِ
وَالْبَدِيَّةِ الْحَيَّةِ وَالرَّوِيَّةِ الْمُتَصَرِّقَةِ . لَكِنَّ الْعَالَمَ بِهَا مُتَسَكِّنٌ مِنْ
إِزْمَةِ الْمَعَانِي يَقُولُ عَنْ عِلْمٍ وَيَتَصَرَّفُ عَنْ مَعْرِقَةٍ وَيَتَّقِدُ بِحُجَّةٍ وَيَخْتِزُ
بِدَلِيلٍ وَيَسْتَحْسِنُ بِرَهَانٍ وَيَصُوغُ الْكَلَامَ بِتَرْتِيبٍ
مِنْ ذَلِكَ (عِلْمُ الْمَعَانِي وَالْيَانِ وَالْبَدِيعِ) وَمَا يُلْحَقُ بِهَا وَأَنَا
لَشِيدُ الْآنَ إِلَى ثَنَاتِهَا تَدُلُّ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِ هَذَا الْعِلْمِ وَعِظَمِ
الْفَائِدَةِ بِهِ وَأَنَّ الْأَدِيبَ وَالْكَاتِبَ الْعَارِيَيْنِ مِنْهُ قَاصِرَانِ عَنْ آدَنِ
رُتَبِ الْكَمَالِ يُجِيدَانِ وَلَا يَذَرِيَانِ كَيْفَ يُجَيِّبَانِ . فَلَوْ سُئِلَ عَنْ
عِلَّةٍ مَعْنَى اسْتَحْسَنَهُ أَوْ لَفْظٍ اسْتَحْلَاهُ أَوْ تَرْكِيبٍ اسْتَجَادَهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى
الْإِتْيَانِ بِدَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ اتَّحَكَّمْ فِي الشِّعْرِ مِ وَمَا فِيكَ آتَهُ الْحُكَّامُ

إِنَّ تَهْدَ الدِّينَارِ إِلَّا عَلَى الصَّرِّ فِي صَعْبٍ فَكَيْفَ تَهْدُ الْكَلَامَ
 قَدْ رَأَيْتُكَ لَسْتَ تَفْرُقُ فِي الْأَمِّ شَعَارَ يَتْنِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ
 وَحَكِي الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْخُزْجَانِيُّ قَالَ : رَكِبَ الْكِندِيُّ
 الْمُتَفَلِّسُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي آجِدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ
 حَشْوًا . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ : فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَجَدْتَ ذَلِكَ . قَالَ :
 وَجَدْتُ الْعَرَبَ يَقُولُ : عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ . ثُمَّ يَقُولُونَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ .
 ثُمَّ يَقُولُونَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ . فَالْأَلْفَاظُ مُتَكَرِّرَةٌ وَالْمَعْنَى وَاحِدَةٌ .
 فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : بَلِ الْمَعْنَى مُخْتَلِفَةٌ لِاخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ . فَقَوْلُهُمْ :
 عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ إِنْخِبَارٌ عَنْ قِيَامِهِ . وَقَوْلُهُمْ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ جَوَابٌ
 عَنْ سُؤَالٍ سَائِلٍ . وَقَوْلُهُمْ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ جَوَابٌ عَنْ انْكَارِ
 مُنْكَرِ قِيَامِهِ . فَمَا أَحَارَ الْمُتَفَلِّسُ جَوَابًا . فَإِذَا ذَهَبَ وَثَلُ هَذَا عَلَى
 الْكِندِيِّ فَمَا الظَّنُّ بِغَيْرِهِ . وَإِنْ كَانَ مِنْ مُحَاسِنِ الْكَلَامِ مَا لَا
 يَحْكُمُ فِي أَمْرِاجِهِ بِالْقُلُوبِ غَيْرُ الذَّوْقِ السَّلِيمِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
 شَيْءٌ بِهِ فُتِنَ الْوَرَى غَيْرَ الَّذِي يُدْعَى الْجَمَالَ وَلَسْتُ أَذْرِي مَا هُوَ
 لَكِنَّ الْقَالِبَ فِي الْكَلَامِ يُعْلَمُ سَبَبُ تَحْسِينِهِ وَتَعْلُلُ مَوَادِّ
 تَمْكِينِهِ وَيُجَابُ عَنْ الْعِلَّةِ فِي التَّحْطِاطِ وَارْتِقَاعِهِ وَيُذَكَّرُ الْمَعْنَى فِي
 ارْتِقَاعِهِ مِنْ حَضِيضِ الْقَوْلِ إِلَى أَيْقَاعِهِ



الجزء الأول

في علم الانشاء.

بحث في تعريف الانشاء

(عن ابي الخير وعن آداب المنشي لابن صدر الدين)

(راجع الجزء الاول من علم الادب صفحة ١)

ان الانشاء علم يبحث فيه عن المنشور من حيث انه يليغ و فصيح
وهو مشتغل على الآداب المعتبرة عندهم في العبارات المستحسنة
واللائقة بالمقام . وموضوعه وغرضه وغايته ظاهرة بما ذكر ومبادئه
مأخوذة من تتبع الخطب والرسائل بل له استمداد من جميع العلوم
سيما الحكمة العملية والعلوم الشرعية وسير الملوك ووصايا العقلاء
وغير ذلك من الأمور الغير المتناهية . هذا ما ذكره أبو الخير .
ويندرج فيه ما أوردته في علم مبادئ الانشاء وأدواته فلا وجه
لجله علما آخر . وأما ابن صدر الدين فإنه لم يذكر سوى معرفة
الحسين والمعاني ونبذة من آداب المنشي . وزبدة كلامه ان
للنثر من حيث انه نثر محاسن ومعاني يجب على المنشي ان يفرق
بينهما فيحترز عن المعاني . ولا بد ان يكون اعلى كعبا في العربية
محترزا عن استعمال الألفاظ العربية وما يخل له بفهم المراد ويوجب

صُعُوبَتُهُ وَأَنْ يَتَحَرَّزَ عَنِ التَّكَرَّارِ وَأَنْ يَجْعَلَ الْأَلْفَاظَ تَابِعَةً لِلْمَعَانِي
دُونَ الْعَكْسِ . إِذَا أَلْمَعَانِي إِذَا تَرَكَّبَتْ عَلَى سَجِيَّتِهَا طَلَبَتْ لِأَنْفُسِهَا
الْفَظًا تَلِيْقُ بِهَا فَيَحْسُنُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا . وَأَمَّا جَعْلُ الْأَلْفَاظِ
مُتَكَلِّفَةً وَالْمَعَانِي تَابِعَةً لَهَا فَهُوَ كَلِبَاسٍ مَلْبِجٍ عَلَى مَنْظَرٍ قَبِيحٍ فَيَجِبُ
أَنْ يُجْتَنَبَ عَمَّا يَفْعَلُهُ بَعْضُ مَنْ لَهُمْ شَغَفٌ بِإِيرَادِ شَيْءٍ مِنَ الْمُحْسِنَاتِ
الْلَفْظِيَّةِ فَيَضْرِفُونَ الْعِنَايَةَ إِلَى الْمُحْسِنَاتِ وَيَجْعَلُونَ الْكَلَامَ كَأَنَّهُ غَيْرُ
سُوقٍ لِإِفَادَةِ الْمَعْنَى فَلَا يُبَيِّنُونَ بِحَقٍّ الدَّلَالَاتِ وَرَكَاكَةِ الْمَعْنَى .
وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَلِيْقُ لِمَنْ يَتَعَاطَى الْإِنْشَاءَ أَنْ يَكْتُبَ مَا يُرَادُ لَا مَا
يُرِيدُ . كَمَا قِيلَ فِي الصَّاحِبِ وَالصَّابِغِ : إِنْ الصَّابِغُ يَكْتُبُ مَا يُرَادُ
وَالصَّاحِبُ يَكْتُبُ مَا يُرِيدُ . وَلَا بُدَّ أَنْ يُلَاحَظَ فِي كِتَابِ النَّثْرِ حَالُ
الْمُرْسَلِ وَالْمُرْسَلِ إِلَيْهِ وَيُعْنَوْنَ الْكِتَابُ بِمَا يُنَاسِبُ الْمَقَامَ

الفصل الاول

في الفصاحة

البحث الاول

في تحديد الفصاحة

(عن الفصاحة والبلاغة للامام السيوطي باختصار)

(راجع صفحة ٣ من الجزء الاول من علم الادب)

الْفَصَاحَةُ لُغَةٌ تُشِيرُ عَنِ الْإِبَانَةِ وَالظُّهُورِ يُقَالُ : فَضَحَ الْأَعْجَبِيُّ
وَأَفْضَحَ إِذَا انْطَلَقَ لِسَانُهُ وَخَلَصَتْ لُغَتُهُ مِنَ اللَّكْنَةِ وَجَادَتْ فَلَمْ
يَلْحَنْ . وَأَفْضَحَ بِهِ أَيَّ صَرَّحَ . وَعِنْدَ أَهْلِ أَلْمَعَانِي تُطْلَقُ عَلَى مَعَانٍ
مِنْهَا : وَصَفٌ فِي الْكَلَامِ بِهِ يَقَعُ التَّفَاضُلُ وَيَثْبُتُ الْإِعْجَازُ . قَالَ
الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ : أَعْلَمُ أَنَّ الْفَصَاحَةَ خُلُوصُ الْكَلَامِ مِنْ
التَّعْقِيدِ . وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ : أَفْضَحَ اللَّبَنُ إِذَا ذَهَبَتْ عَنْهُ الرِّغْوَةُ .
وَهِيَ بِالْأَصْطِلَاحِ : عِبَارَةٌ عَنِ الْأَلْفَافِ الْبَيِّنَةِ الظَّاهِرَةِ الْمَتَبَادِرَةِ إِلَى
الْفَهْمِ وَالْمَأْنُوسَةِ الْإِسْتِعْمَالِ لِمَكَانٍ حَسَنٍ

البحث الثاني

في الفرق بين الفصاحة والبلاغة وموضوعهما

(عن كتاب الصناعتين للكتابة والانشاء لابي هلال العسكري باختصار)

الْبَلَاغَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ : بَلَّغْتُ أَلْعَايَةَ إِذَا انْتَهَيْتُ إِلَيْهَا وَبَلَّغْتُهَا

غَيْرِي. وَمَبْلَغُ الشَّيْءِ مُتَّهَاهُ . وَالْمَبَالِغَةُ فِي الشَّيْءِ الْإِتِّهَاءُ إِلَى غَايَتِهِ .
 فَسُمِّيَتْ الْمَبَالِغَةُ بِلَاغَةً لِأَنَّهَا تُنْهِي الْمَعْنَى إِلَى قَلْبِ السَّامِعِ فَيَفْهَمُ
 وَسُمِّيَتْ الْمَبْلَغَةُ بِلَغَةً لِأَنَّكَ تَتَبَلَّغُ بِهَا فَتَنْتَهِي بِكَ إِلَى مَا فَوْقَهَا وَهِيَ
 الْمَبَالِغَةُ أَيْضًا . وَيُقَالُ : الدُّنْيَا بِلَاغٌ لِأَنَّهَا تُؤْذِيكَ إِلَى الْآخِرَةِ . وَالْمَبَالِغُ
 أَيْضًا التَّيْلِغُ . وَمِنْهُ : هَذَا بِلَاغٌ لِلنَّاسِ أَيْ تَبْلِغُ . وَيُقَالُ : بَلَّغَ الرَّجُلُ
 بِلَاغَةً إِذَا صَارَ يَلِيقًا كَمَا يُقَالُ نَبْلَ نَبَاةٍ إِذَا صَارَ نَيْلًا . وَكَلَامٌ يَلِيقُ
 وَبَلَّغَ (بِالْفَتْحِ) كَمَا يُقَالُ وَجِيزٌ وَوَجِزٌ . وَرَجُلٌ يَلِيقُ (بِالْكَسْرِ) يَلِيقُ مَا
 يُرِيدُ وَفِي مَثَلٍ لَهُمْ : أَحْمَقُ يَلِيقُ . وَيُقَالُ : ابْلَغْتُ فِي الْكَلَامِ إِذَا
 أَتَيْتَ بِالْبَلَاغَةِ فِيهِ كَمَا تَقُولُ : أَبْرَحْتُ إِذَا أَتَيْتَ بِالْبَرَاءَةِ وَهُوَ
 الْأَمْرُ الْجَسِيمُ . وَالْبَلَاغَةُ مِنْ صِفَةِ الْمُتَكَلِّمِ فَلِهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ يَلِيقُ إِذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِصِفَةٍ كَانَ مَوْضُوعُهَا
 الْمَكَلَامُ وَتَسْمِيَتُنَا الْمُتَكَلِّمَ بِأَنَّهُ يَلِيقُ تَوْسِعُ وَحَقِيقَتُهُ أَنْ كَلَامُهُ
 يَلِيقُ كَمَا تَقُولُ : فَلَانٌ رَجُلٌ مُحْكَمٌ وَتَعْنِي أَنْ أَفْعَالُهُ مُحْكَمَةٌ .
 وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الْأِسْتِعْمَالِ جَعَلَتْ تَسْمِيَةَ الْمُتَكَلِّمِ بِأَنَّهُ يَلِيقُ
 كَالْحَقِيقَةِ

أَمَّا الْقَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ قَوْمٌ إِنَّهَا مِنْ قَوْلِهِمْ : أَفْصَحَ فَلَانٌ عَمَّا
 فِي نَفْسِهِ إِذَا أَظْهَرَهُ . وَالشَّاهِدُ عَلَى أَنَّهَا هِيَ الْإِظْهَارُ قَوْلُ الْعَرَبِ
 أَفْصَحَ الصَّنِيعُ إِذَا أَضَاءَ وَفْصَحَ أَيْضًا . وَأَفْصَحَ الْأَعْجَبِيُّ إِذَا أَبَانَ
 بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ يُبَيِّنُ وَفْصَحَ اللَّحَّانُ إِذَا عَابَرَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَأَظْهَرَهُ
 عَلَى جِهَةِ الصَّوَابِ دُونَ الْخَطَا . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَالْقَصَاحَةُ

وَالْبَلَاغَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ إِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِنَّمَا هُوَ الْإِبَاقَةُ عَنْ
 الْمَعْنَى وَالْإِظْهَارُ لَهُ . وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا : الْقَصَاحَةُ تَمَامُ آلَةِ الْبَيَانِ .
 فَلِهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى فَصِيحًا إِذَا كَانَتْ الْقَصَاحَةُ تَتَضَمَّنُ
 مَعْنَى الْآلَةِ وَلَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْآلَةُ . وَيُوصَفُ كَلَامُهُ بِالْقَصَاحَةِ
 لِمَا يَتَضَمَّنُ مِنْ تَمَامِ الْبَيَانِ . وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْإِظْهَارَ وَالْتِمَامَ
 لَا يُسَمَّيَانِ فَصِيحَيْنِ لِنُقْصَانِ آتِيَهُمَا عَنْ إِقَامَةِ الْحُرُوفِ . وَقِيلَ : زِيَادُ
 الْأَنْجَمِ . لِنُقْصَانِ آلَةِ نَطْقِهِ عَنْ إِقَامَةِ الْحُرُوفِ وَكَانَ يُعْبَرُ عَنْ الْحِمَارِ
 بِالْهَمَارِ فَهُوَ أَنْجَمٌ وَشَعْرَةٌ فَصِيحٌ لِتَمَامِ بَيَانِهِ . فَعَلَى هَذَا تَكُونُ
 الْقَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ مُخْتَلِفَتَيْنِ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَصَاحَةَ تَمَامُ آلَةِ الْبَيَانِ فِيهِ
 مَقْصُورَةٌ عَلَى اللَّفْظِ لِأَنَّ الْآلَةَ تَتَعَاقُ بِاللَّفْظِ دُونَ الْمَعْنَى . وَالْبَلَاغَةُ
 إِنَّمَا هِيَ إِتْمَامُ الْمَعْنَى فِي الْقَلْبِ فَكَانَتْهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى الْمَعْنَى . وَمِنْ
 الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْقَصَاحَةَ تَتَضَمَّنُ اللَّفْظَ وَالْبَلَاغَةُ تَتَنَاوَلُ الْمَعْنَى
 أَنَّ الْبَيَانَ يُسَمَّى فَصِيحًا وَلَا يُسَمَّى بَلِيغًا إِذَا هُوَ مُقِيمٌ الْحُرُوفِ وَلَيْسَ
 لَهُ قَصْدٌ إِلَى الْمَعْنَى الَّتِي يُؤْذِيهِ . وَقَدْ يَجُوزُ مَعَ هَذَا أَنْ يُسَمَّى الْكَلَامُ
 الْوَاحِدُ فَصِيحًا بَلِيغًا إِذَا كَانَ وَاضِحَ الْمَعْنَى سَهْلَ اللَّفْظِ وَجَيِّدَ السَّبْكِ
 غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ فَجَّ وَلَا مُتَكَلِّفٍ وَخِمٍ وَلَا يَنْعُهُ مِنْ أَحَدِ الْأَسْمَانِ
 شَيْءٌ . لِمَا فِيهِ مِنْ إِضَاحِ الْمَعْنَى وَتَقْوِيمِ الْحُرُوفِ . وَشَهِدْتُ قَوْمًا
 يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ لَا يُسَمَّى فَصِيحًا حَتَّى يَجْمَعَ مَعَ هَذِهِ النُّعُوتِ
 فَخَامَةٌ وَشَدَّةُ جَزَالَةٍ فَيَكُونُ مِثْلَ كَلَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ : إِنَّ النَّاسَ عَيْدُ
 الْأَمْوَالِ وَالْدِّينِ لَقَوَّ عَلَى السِّنَّتِهِمْ يَحْوَطُونَهُ مَا دَرَّتْ بِهِ مَعَايِشُهُمْ فَإِذَا

مَحْصُوا بِالْإِتِّلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُونَ . وَمِثْلُ الْمَنْظُومِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
 تَرَى غَابَةَ الْخَطِيءِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ كَمَا أَشْرَقَتْ فَوْقَ الصُّوَارِقِ قُرُونُهَا
 (قَالُوا) وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ يَجْمَعُ نُعُوتَ الْجُودَةِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ
 فُحَامَةٌ وَفَضْلُ جَزَالَةٍ سُمِّيَ بَلِيغًا ثُمَّ فَصِيحًا كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ وَقَدْ سُئِلَ
 عَنْ حَالِهِ عِنْدَ الْوَفَاةِ فَقَالَ : مَا حَالُ مَنْ يُرِيدُ سَفَرًا بَعِيدًا بِلَا زَادٍ
 وَيُقَدِّمُ عَلَى مَلِكٍ عَادِلٍ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَيَسْكُنُ قَبْرًا مُوَحِشًا بِلَا أُنَيسٍ .
 وَقَوْلِ آخِرِ لَاحٍ لَهُ : مَدَدْتُ إِلَى الْمَوَدَّةِ يَدًا فَشَكَرْتَاكَ وَشَفَعْتَ
 ذَلِكَ بَشِيءٍ مِنْ الْجَفَاءِ فَعَذَرْتَاكَ وَالرُّجُوعُ إِلَى مَحْمُودٍ أَلْوَدُ أَوَّلَى بِكَ
 مِنْ الْمَقَامِ عَلَى مَكْرُوهٍ الصَّدِّ . وَاسْتَدْلُوا عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْمَذْهَبِ بِقَوْلِ
 الْعَاصِي بْنِ عَدِيٍّ : الشُّجَاعَةُ قَلْبٌ رَكِينٌ وَالْفَصَاحَةُ لِسَانٌ رَزِينٌ .
 وَاللِّسَانُ هَاهُنَا الْكَلَامُ . وَالرَّزِينُ الَّذِي فِيهِ فُحَامَةٌ وَجَزَالَةٌ وَلَيْسَ
 الْغَرَضُ فِي هَذَا الْكِتَابِ سُلُوكُ مَذْهَبِ الْمُتَكَلِّمِينَ . وَإِنَّمَا قَصَدْتُ
 فِيهِ مَقْصِدَ صُنَاعِ الْكَلَامِ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ فَلِهَذَا لَمْ أُطْلِ
 الْكَلَامَ فِي هَذَا الْفَضْلِ

البحث الثالث

في حقيقة الفصاحة

(عن المثل السائر)

(راجع صفحة ٣ من علم الادب)

إِعْلَمَنَّ أَنَّ هَذَا تَابٌ مُتَعَذِّرٌ عَلَى الْوَالِجِ وَمَسْلُوكٌ تَوَعَّرٌ عَلَى

النَّاهِجِ وَلَمْ يَزَلِ الْعُلَمَاءُ مِنْ قَدِيمِ الْوَقْتِ وَحَدِيثِهِ يُكْثِرُونَ الْقَوْلَ فِيهِ
وَالْتَجَسَتْ عَنْهُ وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذَلِكَ مَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ إِلَّا الْقَلِيلَ . وَغَايَةُ
مَا يُقَالُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ الْقَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ فِي أَصْلِ
الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ يُقَالُ : أَقْصَحَ الصُّبْحُ إِذَا ظَهَرَ ثُمَّ إِنَّهُمْ يَقِفُونَ عِنْدَ
ذَلِكَ وَلَا يَكْشِفُونَ عَنِ السَّرِّ فِيهِ . وَبِهَذَا الْقَوْلِ لَا تَتَيْنُ حَقِيقَةُ
الْقَصَاحَةِ لِأَنَّهُ يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بِوُجُوهِ مِنَ الْأَعْتَاضَاتِ . (أَحَدُهَا) : أَنَّهُ
إِذَا لَمْ يَكُنِ اللَّفْظُ ظَاهِرًا بَيْنًا لَمْ يَكُنْ قَصِيحًا ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ
صَارَ قَصِيحًا . (الْوَجْهُ الثَّانِي) : أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ الْقَصِيحُ هُوَ الظَّاهِرُ
الْبَيِّنَ فَقَدْ صَارَ ذَلِكَ بِالنِّسْبِ وَالْإِضَافَاتِ إِلَى الْأَشْخَاصِ فَإِنَّ اللَّفْظَ
قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا لَزِيدٍ وَلَا يَكُونُ ظَاهِرًا لِعَمْرٍو فَهُوَ إِذَا قَصِيحٌ عِنْدَ
هَذَا وَغَيْرُ قَصِيحٍ عِنْدَ هَذَا . وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْقَصِيحُ هُوَ قَصِيحٌ
عِنْدَ الْجَمِيعِ لَا خِلَافَ فِيهِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ حَدُّ
الْقَصَاحَةِ وَعُرفَ مَا هِيَ لَمْ يَتَّقِ فِي اللَّفْظِ الَّذِي يُخْتَصُّ بِهِ خِلَافٌ .
(الْوَجْهُ الثَّلَاثُ) : أَنَّهُ إِذَا جِيءَ بِلَفْظٍ قَبِيحٍ يَتَّبِعُهُ السَّمْعُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ
ظَاهِرٌ بَيِّنٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَصِيحًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَصَاحَةَ
وَصْفٌ حُسْنٍ لِلْفِظِ لَا وَصْفٌ قُبْحٍ . فَهَذِهِ الْأَعْتَاضَاتُ الثَّلَاثَةُ وَارِدَةٌ
عَلَى قَوْلِ الْقَائِلِ إِنَّ اللَّفْظَ الْقَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ .
وَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى أَقْوَالِ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ مَلَكَتْنِي الْحَيْرَةُ فِيهَا وَلَمْ
يُثَبِّتْ عِنْدِي مِنْهَا مَا أُعَوَّلُ عَلَيْهِ وَلِكَثْرَةِ مُلَابَسَتِي هَذَا الْفَنِّ
وَمُعَارَكَتِي إِيَّاهُ أَنْكَشَفَ لِي السَّرُّ فِيهِ وَسَأُوضِّحُهُ فِي كِتَابِي هَذَا

وَأَحَقُّ الْقَوْلَ فِيهِ فَأَقُولُ : إِنَّ الْكَلَامَ الْقَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ
وَأَعْنِي بِالظَّاهِرِ الْبَيِّنِ أَنْ تَكُونَ الْفَاعِلُ مَفْهُومَةً لَا يُحْتَاجُ فِي فَهْمِهَا
إِلَى اسْتِخْرَاجٍ مِنْ كِتَابٍ لُغَةٍ . وَإِنَّمَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ
مَأْلُوقَةً لِإِسْتِعْمَالِ بَيْنِ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ دَايِرَةً فِي كَلَامِهِمْ . وَإِنَّمَا
كَانَتْ مَأْلُوقَةً لِإِسْتِعْمَالِ دَايِرَةٍ فِي الْكَلَامِ دُونَ غَيْرِهَا مِنْ الْأَلْفَافِ
لِمَكَانِ حُسْنِهَا . وَذَلِكَ أَنَّ أَرْبَابَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ غَرِبُوا اللَّغَةَ بِاعْتِبَارِ
الْفَاعِلِ وَسَبَرُوا وَقَسَمُوا فَاخْتَارُوا الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَافِ فَاسْتَعْمَلُوهُ
وَقَرُّوا الْقَبِيحَ مِنْهَا فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ قَحْنُ الْإِسْتِعْمَالِ سَبَبُ اسْتِعْمَالِهَا
دُونَ غَيْرِهَا وَاسْتِعْمَالُهَا سَبَبُ ظُهُورِهَا وَبَيَانِهَا . فَالْقَصِيحُ إِذَنْ مِنْ
الْأَلْفَافِ هُوَ الْحَسَنُ . فَإِنْ قِيلَ : مَنْ آيٍ وَجِهَ عِلْمَ أَرْبَابِ النَّظْمِ
وَالنَّثْرِ الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَافِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا الْقَبِيحَ مِنْهَا حَتَّى تَقَوَّه
وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ . قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : إِنَّ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْخُصُوسَةِ
الَّتِي شَاهَدُهَا بِنَفْسِهَا لِأَنَّ الْأَلْفَافَ دَاخِلَةٌ فِي حَيْثُ الْأَصْوَاتِ فَالَّذِي
يَسْتَلِذُّهُ السَّمْعُ مِنْهَا وَيَعْمَلُ إِلَيْهِ هُوَ الْحَسَنُ وَالَّذِي يَكْرَهُهُ وَيَتَفَرَّغُ عَنْهُ
الْقَبِيحُ . أَلَا تَرَى أَنَّ السَّمْعَ يَسْتَلِذُّ صَوْتَ الْبَلْبَلِ مِنَ الطَّيْرِ وَصَوْتَ الشُّجُورِ
وَيَعْمَلُ إِلَيْهِمَا وَيَكْرَهُ صَوْتَ الْغُرَابِ وَيَتَفَرَّغُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ يَكْرَهُ نَهيقَ
الْحِمَارِ وَلَا يَجِدُ ذَلِكَ فِي صَهِيلِ الْفَرَسِ . وَالْأَلْفَافُ جَارِيَةٌ هَذَا النِّجَازِ
فَأَنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ الْمُرْتَبَةِ وَالْأَلْفَافُ حَسَنَةٌ يَسْتَلِذُّهَا السَّمْعُ . وَأَنَّ
لَفْظَةَ الْبُعَاقِ قَبِيحَةٌ يَكْرَهُهَا السَّمْعُ . وَهَذِهِ اللَّفْظَاتُ الثَّلَاثُ مِنْ صِفَةِ
الْمَطَرِ وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ . وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَرَى لَفْظَتِي الْمُرْتَبَةِ

وَالذِّمَّةُ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا مَأْلُوفَتِي الْإِسْتِعْمَالِ وَتَرَى لَفْظَ الْبُعَاقِ وَمَا
جَرَى مَجْرَاهُ مَتْرُوكًا لَا يُسْتَعْمَلُ . وَإِنْ أَسْتَعْمِلَ فَإِنَّمَا يَسْتَعْمِلُهُ جَاهِلٌ
بِحَقِيقَةِ الْفَصَاحَةِ أَوْ ذَوْقُهُ غَيْرُ ذَوْقِ سَلِيمٍ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا مُحَضًّا مِنْ
الْجَاهِلِيَّةِ الْأَقْدَمِينَ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ إِذَا عَلَتْ وَجِبَ الْوُقُوفُ
عِنْدَهَا وَلَمْ يُعْرَجْ عَلَى مَا خَرَجَ عَنْهَا . وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الْقَصِيحَ مِنْ
الْأَلْفَاظِ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ وَإِنَّمَا كَانَ ظَاهِرًا بَيِّنًا لِأَنَّهُ مَأْلُوفُ الْإِسْتِعْمَالِ
وَإِنَّمَا كَانَ مَأْلُوفَ الْإِسْتِعْمَالِ لِمَكَانِ حُسْنِهِ وَحُسْنُهُ يُدْرِكُ بِالسَّمْعِ .
وَالَّذِي يُدْرِكُ بِالسَّمْعِ إِنَّمَا هُوَ الْفِظُ لِأَنَّهُ صَوْتٌ يَأْتِلَفُ عَنْ مَخَارِجِ
الْحُرُوفِ فَمَا اسْتَلْذَهُ السَّمْعُ وَنَهْهُ فَهُوَ الْحَسَنُ وَمَا كَرِهَهُ فَهُوَ الْقَبِيحُ
وَالْحَسَنُ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالْفَصَاحَةِ وَالْقَبِيحُ غَيْرُهُ وَصُوفُ الْفَصَاحَةِ لِأَنَّهُ
ضِدُّهَا لِمَكَانِ قَبِيحِهِ . وَقَدْ مَثَلْتُ أَلِمَّالَ الْمُتَقَدِّمَ بِلَفْظَةِ الْمُرْتَبَةِ
وَالذِّمَّةِ وَلَفْظَةِ الْبُعَاقِ وَلَوْ كَانَتْ الْفَصَاحَةُ لِأَمْرٍ يَرْجِعُ إِلَى الْمَعْنَى
لَكَانَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ سَوَاءً أَيْسَ وَنَهَا حَسَنٌ وَنَهَا
قَبِيحٌ . وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ عَلَيْنَا أَنَّنَا نَحْصُ الْفِظَ دُونَ الْمَعْنَى .
وَلَيْسَ لِقَائِلِ هُنَا أَنْ يَقُولَ لَا لَفْظَ إِلَّا بِمَعْنَى فَكَيْفَ فَصَلْتَ أَنْتَ
بَيْنَ الْفِظِ وَالْمَعْنَى . قُلْتُ : لَمْ أَفْعِلْ بَيْنَهُمَا وَإِنَّمَا خَصَصْتُ الْفِظَ
بِصِفَةِ هِيَ لَهُ وَالْمَعْنَى بِمَعْنَى فِيهِ ضِمْنًا وَتَبَعًا

البحث الرابع

في احكام الفصاحة وشروطها

(عن المثل السائر)

(راجع صفحة ٤٣ من علم الادب)

اعلم انه يحتاج صاحب هذه الصناعة في تأليفه الى ثلاثة
اشياء : (الاول) ونها اختيار الالفاظ المفردة . وحكم ذلك
حكم اللآلي المبددة فانها تختار وتنقى قبل النظم . (الثاني)
نظم كل كلمة مع اخنها في المشاكسة لها لتلاخي الكلام قلنا
نافرا عن مواضعه وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل
لؤلؤة ونه باختيار المشاكسة لها . (الثالث) الغرض المقصود من ذلك
الكلام على اختلاف آواجه وحكم ذلك حكم الموضع الذي
يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل اكليلا على الرأس وتارة يجعل
قلادة في العنق وتارة يجعل شفا في الاذن ولكل موضع من
هذه المواضع هيئة من الحسن تحضه . فهذه ثلاثة اشياء لا بد
للخطيب والشاعر من العناية بها وهي الاصل المعتمد عليه في تأليف
الكلام من النظم والنثر . فالاول والثاني من هذه الثلاثة
المذكورة هما المراد بالفصاحة . والثلاثة مجملتها هي المراد بالبلاغة .
وهذا الموضع يصل في سلوك طريقه العلماء بصناعة صوغ الكلام
من النظم والنثر فكيف الجهال الذين لم تتفتحهم رايحة . ومن

الَّذِي يُؤْتِيهِ اللَّهُ فِطْرَةً نَّاصِغَةً يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيُّ وَلَوْ لَمْ تُمْسَسْهُ نَارٌ
حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى مَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ فَيَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا
وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنِّي مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ لِلْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ خَصَائِصَ
وَهَيْئَاتٍ تَتَّصِفُ بِهَا وَتَخْتَلِفُ فِي ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَ أَحَدُهُمْ شَيْئًا فَخَوَّلَفَ
فِيهِ وَكَذَلِكَ اسْتَشْجَحَ الْآخَرُ شَيْئًا فَخَوَّلَفَ فِيهِ . وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ وَوَقَفُوا
عَلَى السَّرِّ فِي اتِّصَافِ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ بِالْحَسَنِ وَبَعْضِهَا بِالْقُبْحِ لَمَا كَانَ
بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْجُهَالِ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ إِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةُ
حَسَنَةٌ وَهَذِهِ قُبِيحَةٌ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ : كُلُّ الْأَلْفَاظِ حَسَنٌ وَالْوَاضِعُ لَمْ
يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا . وَمَنْ يَبْلُغُ جَهْلَهُ إِلَى أَنْ لَا يَفْرُقَ بَيْنَ لَفْظَةِ الْغَضَنِ
وَلَفْظَةِ الْعُسْلُوجِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْمَدَامَةِ وَلَفْظَةِ الْإِسْفِنِطِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ
السَّيْفِ وَلَفْظَةِ الْحَشَائِلِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْأَسَدِ وَلَفْظَةِ الْقَدْوَكْسِ فَلَا
يَنْبَغِي أَنْ يُخَاطَبَ بِمِخْطَابٍ وَنِجَابٍ بِجَوَابٍ

وَقَدْ بَقِيَ هُنَاكَ أَوْصَافٌ أُخْرَى يَنْبَغِي أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهَا . فَمِنْهَا أَنْ
لَا تَكُونَ الْكَلِمَةُ وَحْدَهَا . وَقَدْ خَفِيَ الْوَحْشِيُّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَشَبِّهِينَ
إِلَى صِنَاعَةِ الْأَظْمِ وَالْثَرِ وَظَنُّوا الْمُسْتَشْبِهَ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ
بَلِ الْوَحْشِيُّ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا غَرِيبٌ حَسَنٌ وَالْآخَرُ غَرِيبٌ
قُبِيحٌ . وَذَلِكَ أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى اسْمِ الْوَحْشِ الَّذِي يَسْكُنُ الْقِفَارَ وَلَيْسَ
بِإِنْسٍ وَكَذَلِكَ الْأَلْفَاظُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَأْنُوسَةً لِالِاسْتِعْمَالِ . وَلَيْسَ
مِنْ شَرْطِ الْوَحْشِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَشْبِهًا بَلِ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْتِي

الإنس فتارة يكون حسنا وتارة يكون قبيحا . وعلى هذا فإن أحد قسمي الوحشي وهو الغريب الحسن يختلف باختلاف النسب والإضافات . وأما القسم الآخر من الوحشي الذي هو قبيح فإن الناس في استقباحه سواء ولا يختلف به عربي بادي ولا قروي متحضر . وأحسن الألفاظ ما كان مألوفا متداولاً لأنه لم يكن مألوفا متداولاً إلا لِمكان حسنه وقد تقدم الكلام على ذلك في باب انقضاة . فإن أرباب الخطابة والشعر نظروا إلى الألفاظ ونقبوا عنها ثم عدلوا إلى الأحسن منها فاستعملوه وتركوا ما سواه وهو أيضا يتفاوت في درجات حسنه فالألفاظ إذن تنقسم ثلاثة أقسام : قسمان حسنان وقسم قبيح . فالقسمان الحسنان أحدهما ما تداول استعماله الأول والآخر من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشي . والآخر ما تداول استعماله الأول دون الآخر ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله وهذا هو الذي لا يعاب استعماله عند العرب لأنه لم يكن عندهم وحشيا وهو عندنا وحشي .

ولا يسبق وهمك ليها التامل إلى قول القائل الذي غلب عليه غلط الطبع وفجاجة الذهن بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا فهذا دليل على أنه حسن . بل ينبغي أن تعلم أن الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذي كان عند العرب مستحسنا والذي نستقبحه هو الذي كان عندهم مستقبحا . والاستعمال ليس بدليل على الحسن فإننا نحن نستعمل الآن من الكلام ما

أَيَسَ بِحَسَنِ وَإِنَّمَا نَسْتَعْمِلُهُ لِمُضْرُورَةٍ فَلَيْسَ اسْتِعْمَالُ الْحَسَنِ يُمَكِّنُ فِي
كُلِّ الْأَحْوَالِ . وَهَذَا طَرِيقٌ يَضِلُّ بِغَيْرِ الْعَارِفِ بِمَسَالِكِهِ وَمَنْ لَمْ
يَعْرِفْ صِنَاعَةَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَمَا يَجِدُهُ صَاحِبُهَا مِنَ الْكُلْفَةِ فِي صَوْنِ
الْأَلْفَافِ وَلِخِيَارِهَا فَإِنَّهُ مَعذُورٌ فِي أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ :

لَا يَعْرِفُ الْحُزْنَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا
وَمَعَ هَذَا فَإِنْ قَوْلُ الْقَائِلِ : بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ مِنَ
الْأَلْفَافِ كَذَا وَكَذَا وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ قَوْلٌ فَاسِدٌ لَا يَصْدُرُ
إِلَّا عَنْ جَاهِلٍ . فَإِنْ اسْتَحْسَنَ الْأَلْفَافُ وَاسْتَبَاحَهَا لَا يُؤْخَذُ بِالتَّقْلِيدِ مِنَ
الْعَرَبِ لِأَنَّهُ شَيْءٌ لَيْسَ بِالتَّقْلِيدِ فِيهِ مَجَالٌ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ لَهُ خَصَائِصُ
وَهَيْئَاتٌ وَعَلَامَاتٌ إِذَا وَجِدَتْ عِلْمَ حُسْنِهِ مِنْ قُبْحِهِ . وَأَمَّا الَّذِي نُقَلَّدُ
الْعَرَبَ فِيهِ مِنَ الْأَلْفَافِ فَإِنَّمَا هُوَ الْإِسْتِشْهَادُ بِأَشْعَارِهَا عَلَى مَا يَنْقَلُ مِنَ
لُغَتِهَا وَأَلَاخِذُ بِأَقْوَالِهَا فِي الْأَوَاضَاعِ النَّحْوِيَّةِ فِي رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصْبِ
الْمَفْعُولِ وَجَرِّ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَجَزْمِ الشَّرْطِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ وَمَا عَدَاهُ
فَلَا . وَحُسْنُ الْأَلْفَافِ وَقُبْحُهَا لَيْسَ إِضَافِيًا إِلَى زَيْدٍ دُونَ عَمْرٍو أَوْ إِلَى
عَمْرٍو دُونَ زَيْدٍ لِأَنَّهُ وَصْفٌ ذَوِيٌّ لَا يَتَغَيَّرُ إِلَّا بِالِإِضَافَةِ . أَلَا تَرَى
أَنَّ لَفْظَةَ الْمُرْتَبَةِ مَثَلًا حَسَنَةً عِنْدَ النَّاسِ كَأَنَّهُ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ
وَهَلَمْ جَرًّا لَا يَخْتَلِفُ أَحَدٌ فِي حُسْنِهَا . وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ الْبُعَاقِ فَإِنَّهَا
قَبِيحَةٌ عِنْدَ النَّاسِ كَأَنَّهُ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهَا الْعَرَبُ
لَا يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهَا مُخْرِجًا لَهَا عَنِ الْقُبْحِ وَلَا يُلْتَفَتُ إِذَنْ إِلَى
اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهَا بَلْ يُعَابُ اسْتِعْمَالُهَا وَيُعَاطَى لَهُ النَّكِيرُ حَيْثُ اسْتَعْمَلَهَا

فَلَا تَقُنْ أَنَّ الْوَحْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا يَكْرَهُهُ سَمْعُكَ وَيَثْقُلُ
عَلَيْكَ النُّطْقُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ الْغَرِيبُ الَّذِي يَهْلُ اسْتِعْمَالُهُ فَتَارَةً يَخْفُ
عَلَى سَمْعِكَ وَلَا تَجِدُ بِهِ كَرَاهَةً وَتَارَةً يَثْقُلُ عَلَى سَمْعِكَ وَتَجِدُ مِنْهُ
الْكَرَاهَةَ. وَذَلِكَ فِي الْفِظِ عَيْنَانِ : (أَحَدُهُمَا) أَنَّهُ غَرِيبُ الْإِسْتِعْمَالِ
(وَالْآخَرُ) أَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَى السَّمْعِ كَرِيهٌ عَلَى الذَّوْقِ. وَإِذَا كَانَ الْفِظُ
بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَلَا مَزِيدَ عَلَى قَطَاعَتِهِ وَغَلَاظَتِهِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى
الْوَحْشِيَّ الْغَلِيظَ وَيُسَمَّى أَيْضًا اَلْمَتَوَعَّرَ وَائِسَ وَرَاءَهُ فِي الْقَبْحِ دَرَجَةٌ
أُخْرَى وَلَا يَسْتَعْمَلُهُ إِلَّا لَجَهْلِ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِهِ شَيْءٌ مِنْ
مَعْرِفَةِ هَذَا الْفَنِّ أَصْلًا. فَإِنْ قِيلَ : فَمَا هَذَا النُّوعُ مِنَ الْأَلْفَاظِ . قُلْتُ :
قَدْ ثَبَتَ لَكَ أَنَّهُ أَكْرَهُهُ سَمْعُكَ وَثَقُلَ عَلَى لِسَانِكَ النُّطْقُ بِهِ .
وَسَأَضْرِبُ لَكَ فِي ذَلِكَ وَمِنَ الْفَنِّ مَا وَرَدَ لَنَا بَطْ شَرَا فِي كِتَابِ
الْحِصَانِ :

يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيَمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَسَالِكِ
فَإِنَّ لَفْظَةَ (جَحِيشٍ) مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُنْكَرَةِ الْقَبِيحَةِ . وَيَا لِلَّهِ الْعَجَبُ
الَّذِي أَنهَا بِمَعْنَى (فَرِيدٍ) وَفَرِيدٌ لِنَظْمٍ حَسَنَةٍ رَائِقَةٍ وَلَوْ وَضِعَتْ فِي هَذَا
الْبَيْتِ مَوْسِمُ جَحِيشٍ لَمْ اخْتَلِ شَيْئًا مِنْ وَزَنِهِ . فَتَأَبَّطْ شَرًّا مَلُومٌ مِنْ
وَجْهَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ اسْتَعْمِلَ الْقَبِيحَ . وَالْآخَرُ أَنَّهُ كَانَتْ
لَهُ مَنَدُوحَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِهِ فَأَمَّ يَسْدِلُ عَنْهُ . وَمِمَّا هُوَ أَقْبَحُ مِنْهَا مَا وَرَدَ
لِابِي تَمَامٍ قَوْلُهُ :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا أَظْلَحْتُمُ الْأَمْرَ وَانْبَعَثَ عَشَوَاءُ تَالِيَةٌ غُبَا دَهَارِي سَا

فَلَفْظَةُ (ظَلَحَمَ) مِنْ أَلْفَاظِ الْمُسْكِرَةِ الَّتِي جُمِعَتْ أَلَوْصَفَيْنِ الْقَبِيحَيْنِ
فِي أَنَّهَا غَرِيبَةٌ وَأَنَّهَا غَلِيظَةٌ فِي السَّمْعِ كَرِيهَةٌ عَلَى الذَّوْقِ وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ
(دَهَارِيسَ) أَيْضًا . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُهُ مِنْ آيَاتِ يَصِفُ فَرَسًا مِنْ
جَمَلَتِهَا :

نِعْمَ مَتَاعُ الدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ أَرَوْعُ لَا جَيْدَرُ وَلَا جَبَسُ
فَلَفْظَةُ (جَيْدَرُ) غَلِيظَةٌ . وَأَغْلَظُ وَنَهَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمَتَنِ :

جَفَحْتُ وَهُمْ لَا يَخْفَحُونَ بِهَا بِهِمْ شِمٌّ عَلَى الْحَسَبِ الْأَغْرَ دَلَاتُلُ
فَإِنَّ لَفْظَةَ (جَفَحَ) بُرَّةُ الطَّعْمِ وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى السَّمْعِ أَقْشَعَرَتْ وَنَهَا
وَأَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِهَا كَاسْتِعْمَالِ تَابُطَ شَرًّا لَفْظَةُ جَحْيَشٍ . فَإِنَّ
تَابُطَ شَرًّا كَانَتْ لَهُ مَنُذَوْحَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِ تِلْكَ اللَّفْظَةِ كَمَا أَشْرَفْنَا
فِيمَا تَقَدَّمَ . وَكَذَلِكَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ الَّتِي هِيَ
جَفَحْتُ فَإِنَّ مَعْنَاهَا فَخَرْتُ وَالْجَفْحُ الْفَخْرُ يُقَالُ : جَفَحَ فُلَانٌ إِذَا فَخَرَ . وَلَوْ
اسْتَعْمَلَ عَوْضًا عَنْ جَفَحْتُ فَخَرْتُ لَأَسْتَقَامَ أَلَيْتُ وَحَظِي فِي اسْتِعْمَالِهِ
بِالْأَحْسَنِ . وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَذْهَبُ هَذَا وَآمِثَالُهُ عَلَى مِثْلِ هَؤُلَاءِ
الْفُحُولِ مِنَ الشُّعْرَاءِ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتَهُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ أَلْفَاظِ
هُوَ الْوَحْشِيُّ الْغَلِيظُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَا يُدَانِيهِ فِي قُبْحِهِ وَكَرَاهَتِهِ . وَهَذِهِ
الْأَمَثَلَةُ دَلِيلٌ عَلَى مَا أوردناه . وَأَعْرَبُ أَذْنُ لَا تُتْلَمُ عَلَى اسْتِعْمَالِ
الْغَرِيبِ الْحَسَنِ مِنَ أَلْفَاظِ وَإِنَّمَا تُتْلَمُ عَلَى الْغَرِيبِ الْقَبِيحِ . وَأَمَّا
الْحَضَرِيُّ فَإِنَّهُ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْقِسْمَيْنِ مَعًا وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَشَدُّ مَلَامَةً
مِنَهُ فِي الْآخَرِ

البحث الخامس

في الالفاظ المترادفة والاسماء المشتركة

(عن المثل السائر لابن الاثير)

(راجع صفحة ٦ من علم الادب)

وَيَفْتَقِرُ مُؤَلَّفُ الْكَلَامِ إِلَى مَعْرِقَةِ عِدَّةِ أَسْمَاءٍ لِمَا يَقَعُ اسْتِعْمَالُهُ فِي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ لِيَجِدَ إِذَا ضَاقَ بِهِ مَوْضِعٌ فِي كَلَامِهِ بِإِيرَادِ بَعْضِ الْأَلْفَافِ فِيهِ الْعُدُولَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ بِمَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ . وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ تَسَمَّى الْمُتَرَادِفَةَ وَهِيَ اتِّحَادُ الْمُسَمَّى وَاخْتِلَافُ أَسْمَاءِهِ كَقَوْلَانَا : الْحُمْرُ وَالرَّاحُ وَالْمَدَامُ . فَإِنَّ الْمُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَأَسْمَاؤُهُ كَثِيرَةٌ . وَكَذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِقَةِ الْأَسْمَاءِ الْمُشْتَرِكَةِ لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى اسْتِعْمَالِ التَّجْنِيسِ فِي كَلَامِهِ وَهِيَ اتِّحَادُ الْأَسْمِ وَاخْتِلَافُ الْمُسَمَّيَاتِ . كَالْعَيْنِ فَإِنَّهَا تَطْلُقُ عَلَى الْعَيْنِ النَّاطِرَةِ وَعَلَى يَتْبُوعِ الْمَاءِ وَعَلَى الْمَطَرِ وَغَيْرِهِ . إِلَّا أَنَّ الْمُشْتَرِكَةَ تَفْتَقِرُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ إِلَى قَرِينَةٍ تُخَصِّصُهَا كَمَا لَا تَكُونُ مُبْهَمَةً . لِأَنَّا إِذَا قُلْنَا : عَيْنٌ . ثُمَّ سَكَتْنَا وَقَعَ ذَلِكَ عَلَى مُحْتَمَلَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعَيْنِ النَّاطِرَةِ وَالْعَيْنِ النَّابِعَةِ وَالْمَطَرِ وَغَيْرِهِ بِمَا هُوَ مَوْضُوعٌ بِإِزَاءِ هَذَا الْأَسْمِ . وَإِذَا قُرِنَ إِلَيْهِ قَرِينَةٌ تُخَصِّصُ ذَلِكَ ذَلِكَ الْأَلْبَاهِمُ بِأَنْ تَقُولَ : عَيْنٌ حَسَنَاءُ أَوْ عَيْنٌ نَضَاجَةٌ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ . وَهَذَا مَوْضِعٌ لِلْعُلَمَاءِ فِيهِ مُجَادَاتٌ جَدَلِيَّةٌ . فَمَنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ الْمُشْتَرِكُ حَقِيقَةً فِي الْأَعْيُنِ جَمِيعًا وَيَقُولُ :

إِنَّ ذَلِكَ يُجِلُّ بِفَائِدَةٍ وَضَعِ اللُّغَةَ لِأَنَّ اللُّغَةَ إِنَّمَا هِيَ وَضَعُ الْأَلْفَاظِ فِي دَلَالَتِهَا عَلَى الْمَعْنَى أَيْ وَضَعُ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْمُسَمَّيَاتِ لِتَكُونَ مُنْبِئَةً عَنْهَا عِنْدَ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ وَالْإِشْتِرَاكِ لَا يَبَانَ فِيهِ وَإِنَّمَا هُوَ ضِدُّ الْبَيَانِ. لَكِنْ طَرِيقَ الْبَيَانِ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُ الْمَعْنَيْنِ فِي اللَّفْظِ الْمَشْتَرِكِ حَقِيقَةً وَالْآخَرُ مَجَازِيًا. فَإِذَا قُلْنَا: هَذِهِ كَلِمَةٌ. وَأَطْلَقْنَا الْقَوْلَ فُهِمَ مِنْهُ اللَّفْظَةُ الْوَاحِدَةُ. وَإِذَا قِيدْنَا اللَّفْظَ قُلْنَا: هَذِهِ كَلِمَةٌ شَاعِرَةٌ. فُهِمَ مِنْهُ الْقَصِيدَةُ الْقَصْدَةُ مِنَ الشِّعْرِ وَهِيَ مَجْمُوعُ كَلِمَاتٍ كَثِيرَةٍ. وَلَوْ أَطْلَقْنَا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ وَآرَدْنَا الْقَصِيدَةَ مِنَ الشِّعْرِ لَمَا فُهِمَ مُرَادُنَا الْبَلَّةَ. هَذَا خُلَاصَةٌ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ تَنْكِيرٍ وَقَوْعِ اللَّفْظِ الْمَشْتَرِكِ فِي الْمَعْنَيْنِ حَقِيقَةً. وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ. وَسَائِينَ مَا يَدْخُلُهُ مِنَ الْحَلْلِ فَأَقُولُ فِي الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ مَا اسْتَخْرَجْتُهُ بِفِكْرِي وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيهِ قَوْلٌ مِنْ قَبْلِي وَهُوَ: أَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ فَائِدَةَ وَضَعِ اللُّغَةَ إِنَّمَا هُوَ الْبَيَانُ عِنْدَ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ وَاللَّفْظُ الْمَشْتَرِكُ يُجِلُّ بِهَذِهِ الْفَائِدَةِ. فَهَذَا غَيْرُ مُسَلَّمٍ بَلْ فَائِدَةُ وَضَعِ اللُّغَةَ هُوَ الْبَيَانُ وَالتَّحْسِينُ

(أَمَّا الْبَيَانُ) فَقَدْ وَفَى الْأَسْمَاءُ الْمُبَيِّنَةُ الَّتِي كُلُّ أَسْمٍ وَاحِدٍ دَلٌّ عَلَى مُسَمًى وَاحِدٍ. فَإِذَا أُخْلِقَ اللَّفْظُ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ كَانَ بَيِّنًا مَفْهُومًا لَا يَحْتَاجُ إِلَى قَرِينَةٍ وَلَوْ لَمْ يَضَعِ الْوَاضِعُ مِنَ الْأَسْمَاءِ شَيْئًا غَيْرَهَا لَكَانَ كَافِيًا فِي الْبَيَانِ

(وَأَمَّا التَّحْسِينُ) فَإِنَّ الْوَاضِعَ لِهَذِهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ اللُّغَاتِ نَظَرًا إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَرْبَابُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ فِيمَا يَصُوغُونَهُ

من ظم ونثر ورأى أن من مهمات ذلك التحسين ولا يقوم به إلا
الأنباء المشتركة التي هي كل اسم واحد دل على مسمين فصاعدا
فوضعها من أجل ذلك . وهذا الموضع يجاذبه جانبان يترجح أحدهما
على الآخر . ويأنه أن التحسين يقضي بوضع الأنباء المشتركة
ووضعها ينتهب بفائدة البيان عند إطلاق اللفظ . وعلى هذا فإن
وضعها الواضع ذهب بفائدة البيان وإن لم يضع ذهب بفائدة
التحسين . لكنه إن وضع استدرك ما ذهب من فائدة البيان بالقرينة
وإن لم يضع لم يستدرك ما ذهب من فائدة التحسين فترجح حينئذ
جانب الواضع فوضع

المبحث السادس

في فصاحة المفرد وفصاحة المركب

(من شرح لديعة العيان لابن جابر الاندلسي باختصار)

(راجع صفحة ٤٠٥ من علم الادب)

الفصاحة في المفرد هي أن تكون مما استعملت العرب الفصحاء
كثيرا ودار على السنتهم فسلم من ستة أشياء . (الأول) : أن
لا يترك من حروف متافرة كلفظة (العنخ) وهو نبت . مثل أغراي
عن ناقته فقال : تركتها ترعى العنخ . وإنما تنافرت حروف هذه
الكلمة لكونها من مخرج واحد وهو الخلق . (الثاني) : أن
لا تتوالى فيه أكثر من حركتين يحدث بسببهما ثقل . (الثالث) :

ان لا يكون سائها في كثرة الحروف بلا زيادة معنى نحو :
 خندريس . ولا في قلتها نحو : جد عن ذا المرء . وخير الأمور أوسطها
 وهو الثلاثي اذ لا فضلة فيه عما يحتاج اليه من حرف الابتداء .
 وحرف الوقف وحرف فاصل بين الوقف والابتداء . اما لو كانت
 زيادة الحروف تدل على معنى زائد لكانت اللفظة فصحة نحو :
 أخشوشن . معناه أزيد من خشن . (الرابع) : ان لا يكون وحشيا
 غير مألوف نحو : الإسفينط للخمير والخشليل للسيف وألفدوكس
 للأسد . فهذه الألفاظ غريبة يجهل الطبع ولا يطلع على معناها الا
 بعد بحث في كتب اللغة . (الخامس) : ان لا يكون مبذولا وذلك
 نحو ان يخرج اللفظ عن أصل وضعه ويستعمل في شيء مستقيم .
 (السادس) : ان لا يكون مشتركا بين معنيين أحدهما مكروه كما لو
 قالت : لقيت فردنا فعزته . فإنه يحتمل الإكرام والأهانة . فلو كان في
 الكلام قرينة تدل على المعنى الحسن أكان اللفظ فصيحاً كقولك :
 لقيت فلانا فعزته ونصرته . فلفظ (نصرته) يعين فيه المعنى الحسن .
 وعليه يكون اللفظ حسنا في نفسه فيعد قبيحا بسبب محله من الكلام
 ووقعه منه

واما الفصاحة في التركيب فهو ان يسلم من خمسة أشياء .
 (الأول) : سلامة مفرداته من الستة الأشياء المتقدمة الذكري في
 المفرد لان للمركب حكم ما تركب منه . (الثاني) : ان يسلم من
 ضعف التأليف وهو خروجه عن قواعد العربية كقوله :

جَزَا رَبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بْنُ حَاتِمٍ جَزَاءَ الْكِلابِ أَلْعَاوِيَّاتِ وَقَدْ فَعَلَ
فَاتَهُ خَالَفَ الْقِيَاسَ فِي إِعَادَةِ الضَّمِيرِ فِي (رَبِّهِ) إِلَى عَدِيٍّ
وَهُوَ مُتَأَخِّرٌ لَفْظًا وَمَعْنَى . وَالْقَاعِدَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَنَّ يَعُودَ الضَّمِيرُ عَلَى مَا
قَبْلَهُ أَوْ عَلَى مَا بَعْدَهُ لَفْظًا لَا مَعْنَى . (الثَّلَاثُ) : أَنَّ يَسْلَمَ مِنْ
تَنَافُرِ الْكَلِمَةِ وَذَلِكَ أَنَّ تَكُونَ الْكَلِمَةُ حَالِ الْإِفْرَادِ غَيْرَ مُتَنَافِرَةٍ
فَإِذَا رُكِبَتْ حَصَلَ التَّنَافُرُ تَحْوِ قَوْلِهِ :

وَقَبْرَ حَرْبٍ (١) بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ
قِيلَ : إِنَّ هَذَا أَلْبَيْتَ لَا يُمَكِّنُ إِنْشَادُهُ فِي الْعَالِبِ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ مُتَوَالِيَةٍ إِلَّا وَيَقَاطُ الْمُنْشِدُ فِيهِ لِأَنَّ تَقَسُّمَ اجْتِمَاعِ الْكَلَامِ
وَالْقُرْبَ فِي الْحَاجِجِ يُجَدِّثَانِ ثَلَاثًا . وَإِذَا كَانَ التَّنَافُرُ فِي حُرُوفِ
الْكَلِمَةِ فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى عَدَمِ فَصَاحَةِ الْمَفْرَدِ وَلَا يَسْلَمُ الْمُرْكَبُ مِنَ
التَّنَافُرِ مَتَى تَسْلَمَ مُفْرَدَاتُهُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحُهُ أَمَدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ وَإِذَا مَا لَمْتُهُ لَمْتُهُ وَحَدِي
فَالْتَّنَافُرُ فِيهِ مِنْ وَجْهِ تَكَرُّارِ (أَمَدَحُهُ) لِأَمِنْ وَجْهِ أَنَّ حُرُوفَ
(أَمَدَحُهُ) مُتَنَافِرَةٌ لِاجْتِمَاعِ حَرْفِي الْخَلْقِ . (الرَّابِعُ) : أَنَّ يَسْلَمَ
مِنْ التَّعْقِيدِ وَهُوَ إِيرَادُ كَلَامٍ خَفِيَ الدَّلَالَةُ عَلَى مَعْنَاهُ وَهُوَ مِنْ جِهَةِ
الْلَفْظِ وَمِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى . فَمِنْ جِهَةِ الْلَفْظِ كَتَاخِيرُ الْأَلْفَاظِ وَتَقْدِيمُهَا
عَلَى مَوَاضِعِهَا وَحُصُولِ الْفَضْلِ إِذَا ذَاكَ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ الْمُتَلَازِمَةِ كَقَوْلِ
الْفَرَزْدَقِ يَمْدَحُ إِبْرَاهِيمَ خَالَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُوكًا أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ (١)
 التَّقْدِيرُ: وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيٌّ يُقَارِبُهُ فِي الشَّرَفِ إِلَّا مَمْلُوكٌ أَبُو
 أُمِّ ذَلِكَ الْمَلِكِ أَبُو هَذَا الْمَدُوحِ. فَتَأْمَلْ مَا فِيهِ مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ
 الْمَوْذِنِ بِالتَّعْقِيدِ اللَّفْظِيِّ. وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى فَهُوَ أَنْ يُرِيدَ
 أَلْتَكَلَّمَ الدَّلَالَةَ فِي اللَّفْظِ عَلَى لَازِمِ مَعْنَاهُ فِي اعْتِقَادِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ
 فِي الْمَشْهُورِ مِنْ كَلَامِ الْفُصَحَاءِ كَقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ:
 سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبَ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِتَجْمُدَا (٢)
 فَجَعَلَ سَكْبَ الدَّمُوعِ كِنَايَةً عَمَّا يَلْزَمُ فِرَاقَ الْأَحِبَّةِ مِنَ الْكِبَايَةِ
 وَالْحُزْنَ وَأَصَابَ. لَكِنَّهُ أَخْطَأَ فِي جَعْلِ جُودِ الْعَيْنِ كِنَايَةً عَمَّا يُوجِبُهُ
 دَوَامُ التَّلَاقِ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ السُّرُورَ بِمَعْنَى الْجُودِ.
 لَأَنَّ جُودَ الْعَيْنِ عِنْدَ الْفُصَحَاءِ إِنَّمَا يَلْزَمُ بُحْلَهَا بِالدَّمُوعِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ
 لَا السُّرُورَ. وَأَعْلَمَ أَنَّ شَرَفَ الدِّينِ الطَّيْسِيِّ جَعَلَ بَيْتَ الْعَبَّاسِ
 (سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ) مِنَ الْمَطَابَقَةِ الْحَسَنَةِ وَلَيْسَ فِيهِ عِنْدَهُ تَعْقِيدٌ
 مَعْنَوِيٌّ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ سَكْبَ الدَّمُوعِ فِي الْبَيْتِ عِبَارَةٌ عَنِ الْحُزَنِ.
 وَالْجُودُ عِبَارَةٌ عَنِ السُّرُورِ فَخَصَّتْ بَيْنَهُمَا مَطَابَقَةٌ بِهَذَا اللَّفْظِ. وَجَعَلَ
 التَّعْقِيدَ اللَّفْظِيَّ فِيمَا يَحْدُثُ مِنَ الثَّقَلِ مِنْ تَوَالِي الْمُضَافَاتِ وَالضَّمَاوِرِ
 وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ غَيْرِ عَطْفٍ وَتَكَرُّارِ الْأَلْفَاظِ وَمَا جَرَى مَجْرَى

(١) أي ليس في الناس مثل المدوح حي يقارب إلا ابن اخته وهو هشام
 الملك أي المعطى الملك

(٢) المعنى: أني أطيب نفساً بالبعد والفراق وأوطنها على مقاساة الحزن
 وأتجرع غصصاً تفيض لأجلها الدموع من عيني إلى أن يأتي بعد العسر يسر

ذَلِكَ . (الْخَامِسُ) أَنْ يَسْلَمَ مِنْ التَّكَرَّارِ الْمَوْجِبِ فِي الثَّقَلِ كَتَّكَرَّارِ
الْفِظَةِ ذَاتِهَا وَتَوَالِي الْأِضَافَاتِ وَالْصِّفَاتِ وَلَا يُخْلُ بِالْفَصَاحَةِ قَطْعًا تَكَرَّارُ
الْفِظَةِ لِلتَّوَكِيدِ وَأَمَّا يُعَابُ قُبْحُ التَّكَرَّارِ بِلا فائدة كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :
كُنْتُ كُنْتُ كُنْتُ التَّرَكُّنْتُ كَمَا

كُنَّا وَكُنْتُ وَلَكِنْ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ
فَجَاءَتْ الْحُرُوفُ قَلِيلَةً مَكْدُودَةً غَيْرَ مُتِمِّكَةٍ فِي مَوَاضِعِهَا . (وَتَتَابَعُ
الْإِضَافَاتِ) مِثْلُ قَوْلِ أَبِي فَاذِلٍ :

حَمَامَةٌ جَرَعًا حَوْمَةً الْجَنْدَلِ أَنْجَبِي فَأَنْتِ بَرَايَ مِنْ سَعَادٍ وَمَسْمَعٍ (١)
فَفِيهِ إِضَافَةٌ حَمَامَةٍ إِلَى جَرَعًا وَجَرَعًا إِلَى حَوْمَةٍ وَحَوْمَةٍ إِلَى الْجَنْدَلِ .
وَلَيْسَ هَذَا بِفَصِيحٍ . أَتُوس

(وَتَوَالِي الصِّفَاتِ) ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ ذَلِكَ بِمَا يُحْدِثُ فِي الْكَلَامِ
ثِقَلًا وَأَسْتَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّي :
دَانٍ بَعِيدٌ نَحْبٌ مُبْعَضٌ بِهِجٌ أَعَزُّ حُلُوٌّ مُرٌّ لَيْتَنُ شَرَسٌ

(١) الحمرعاً تخفيف الحمرء وموئث الاجرع وهي ارض ذات رمل لاتبت
شيئاً. والحومة معطم الشيء. والجندل ارض ذات حجارة يقول : اسمى يا حمامة ارضي
قفرة سبعة فان سعاد تراك وتسمعك



الفصل الثاني

في البلاغة

المبحث الاول

في الابانة عن حدّ البلاغة

(من كتاب الصاعتين للعسكري)

(راجع صفحة ٩ من علم الادب)

البلاغة كل ما تُبَاغ به المعنى قلب السامع فتسكنه في نفسه
تسكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن . وانما جعلنا
حسن المعرض وقبول الصورة شرطاً في البلاغة لان الكلام اذا
كانت عبارته رثة ومعرضه خالماً يسم بليغاً وان كان مفهوم المعنى
مكشوفاً المفزى . ألا ترى الى معنى الكاتب الذي كتب الى
بعض معاويليه : (قد تأخر الأمر فيما وعدت حمله ضحوة اتهار
والقوم غير مقيمين ليس لهم صبر . فان رايت في اراحة العلة مع
الجهد فعلت ان شاء الله) . فعناه مفهوم ومغزاه معلوم وليس كلامه
بليغ فهذا يدل على ان من شرط البلاغة ان يكون المعنى مفهومًا
واللفظ مقبولا على ما قدمناه . ومن قال ان البلاغة انما هي افهام
المعنى فقط فقد جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والاغلاق

وَالْإِبَاطَةُ سَوَاءٌ . وَآيُضًا فَلَوْ كَانَ الْكَلَامُ الْوَاضِحُ السَّهْلُ وَالْقَرِيبُ
السَّيْسُ لَخَلُّوا بَلِيغًا وَمَا خَالَفَهُ مِنْ الْكَلَامِ الْمُسْتَهْمِ الْمُسْتَقْلَقِ
وَالْمُتَكَافِ الْمَتَعَدِّ آيُضًا بَلِيغًا لَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ مَحْمُودًا وَمَمْدُوحًا
مَقْبُولًا لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ أَسْمُ بِمَدْحٍ بِهِ الْكَلَامُ . فَلَمَّا رَأَيْنَا أَحَدَهُمَا
مُسْتَحْسِنًا وَالْآخَرَ مُسْتَهْجِنًا عَلِمْنَا أَنَّ الَّذِي يُسْتَحْسِنُ هُوَ الْبَلِيغُ وَالَّذِي
يُسْتَهْجَنُ لَيْسَ بِبَلِيغٍ . وَقَالَ الْعِتَابِيُّ : كُلُّ مَنْ أَفْهَكَ حَاجَتَهُ فَهُوَ
بَلِيغٌ . وَإِنَّمَا عَنَى أَنَّ مَنْ أَفْهَكَ حَاجَتَهُ بِالْأَلْفَافِ الْحَسَنَةِ وَالْعِبَادَةِ
الْثَبِيرَةِ فَهُوَ بَلِيغٌ . وَلَوْ حَمَلْنَا هَذَا الْكَلَامَ عَلَى ظَاهِرِهِ لَلَزِمَ أَنَّ
يَكُونُ أَلَّا لَكُنْ بَلِيغًا لِأَنَّهُ يَفْهَمُنَا حَاجَتَهُ بَلْ يَلْزِمُ أَنَّ يَكُونَ كُلُّ
النَّاسِ بُلَاغًا حَتَّى الْأَطْفَالُ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ لَا يَعْدُمُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى غَرَضِهِ
بِفَحْمَتِهِ وَلِكُنْتِهِ وَإِيمَانِهِ وَإِشَارَتِهِ بَلْ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ السَّيُّورُ بَلِيغًا
لَأَنَّا نَسْتَدِيلُ بِضَعَانِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ إِرَادَتِهِ وَهَذَا ظَاهِرُ الْأَحَالَةِ .
وَنَحْنُ نَقُومُ رِطَانَةَ السُّوقِ وَجَنَاحَةَ الْأَنْجَمِ لِلْعَادَةِ الَّتِي جَرَتْ لَنَا فِي
سَمَاعِهَا لَا لِأَنَّ تَاكَ بَلَاغَةٌ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَعْرَابِيَّ أَنْ سَمِعَ ذَلِكَ لَمْ
يَفْهَمْهُ إِذْ لَا عَادَةَ لَهُ بِسَمَاعِهِ . وَآرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَسْأَلَ بَعْضَ الْأَعْرَابِ
عَنْ أَهْلِهِ فَقَالَ : كَيْفَ أَهْلُكَ (بِالْكَسْرِ) . فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ :
صَابَأَ . إِذْ لَمْ يَشْكُ أَنَّهُ أَمَّا يَسْأَلُهُ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي يَهْلِكُ بِهِ . وَسَمِعَ
أَعْرَابِيٌّ قَصِيدَةَ أَبِي قَامٍ فِي خَالِدِ بْنِ يَزِيدٍ :

طَلَّ الْجَمِيعُ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدًا

فَقَالَ : إِنْ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَشْيَاءُ أَفْهَمُهَا وَأَشْيَاءُ لَا أَفْهَمُهَا

فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ قَائِلُهَا أَشْعَرُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ
النَّاسِ أَشْعَرُ مِنْهُ . وَتَحْنُ فَفَهُمْ مَعَانِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِأَسْرَافِهَا لِإِعَادَتِنَا
لِسَمَاعِ مِثْلِهَا لَا لِأَنَّا أَعْرَفُ بِالْكَلَامِ مِنَ الْأَعْرَابِ . وَمَا يُؤَيِّدُ مَا
قُلْنَا مِنْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ إِنَّمَا هِيَ إِيضَاحُ الْمَعْنَى وَتَحْسِينُ اللَّفْظِ قَوْلُ بَعْضِ
الْحُكَمَاءِ : الْبَلَاغَةُ تَضَحِيحُ الْأَقْسَامِ وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ : الْبَلَاغَةُ قَوْلٌ يَضْطَرُّ الْعُقُولَ إِلَى فَهْمِهِ بِأَسْهَلِ
الْعِبَارَةِ . فَقَوْلُهُ : (يَضْطَرُّ الْعُقُولَ إِلَى فَهْمِهِ) عِبَارَةٌ عَنْ إِيضَاحِ الْمَعْنَى .
وَقَوْلُهُ : (بِأَسْهَلِ الْعِبَارَةِ) تَنْبِيهُ عَلَى تَسْلِيْسِ اللَّفْظِ وَتَرْكِ تَنْقِيهِ

البحث الثاني

اقوال في تحديد البلاغة

(ملخص عن زهر الاداب للعصري وكتاب الصنائع للعسكري)

قَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ مِنَ الْبَعِيدِ وَالتَّبَاعُدُ مِنَ الْكَثْفِ
وَالدَّلَالَةُ بِقَلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ . قَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى : الْبَلَاغَةُ تَقْرِيرُ
الْمَعْنَى فِي الْأَفْهَامِ مِنْ أَقْرَبِ وَجْهِ الْكَلَامِ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :
الْبَلَاغَةُ التَّلَوُّغُ إِلَى الْمَعْنَى وَلَمْ يَطُلْ سَفَرُ الْكَلَامِ . قَالَ سَهْلُ بْنُ
هَارُونَ : الْبَيَانُ تَرْجُمَانُ الْعُقُولِ وَدَرُوضُ الْقُلُوبِ . وَقَالَ أَيْضًا : الْعَقْلُ
رَأْيُ الرُّوحِ وَالْعِلْمُ رَأْيُ الْعَقْلِ وَالْبَيَانُ تَرْجُمَانُ الْعِلْمِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ
الْإِمَامُ : يَكْفِي مِنَ الْبَلَاغَةِ أَنْ لَا يُؤْتِيَ السَّامِعُ مِنْ شَوْءٍ فَفَهُمُ النَّاطِقِ
وَلَا يُؤْتِيَ النَّاطِقُ مِنْ شَوْءٍ فَفَهُمُ السَّامِعِ . قَالَ الْعِتَابِيُّ : الْبَلَاغَةُ مَدُّ

أَلَكَلَامِ بِمَعَانِيهِ إِذَا قُصِرَ وَحُسِّنَ التَّأْلِيفِ إِذَا طَالَ . قَالَ أَعْرَابِيٌّ :
 أَلْبَلَاغَةُ إِيجَازٌ فِي غَيْرِ عَجْزٍ وَاطْنَابٌ فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَقَدْ قِيلَ لِلْيُونَانِيِّ :
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : تَضَحِيجُ الْأَقْسَامِ وَأَخْتِيَارُ الْكَلَامِ . وَقِيلَ لِلرُّومِيِّ :
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : حُسْنُ الْأَقْتِضَابِ عِنْدَ الْبِدَاهَةِ وَالْفَرَازَةِ يَوْمَ
 الْإِحَالَةِ . وَقِيلَ لِلْهِنْدِيِّ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَأَنْتِهَازُ
 الْفُرْصَةِ وَحُسْنُ الْأَشَارَةِ . وَقِيلَ لِلْفَارِسِيِّ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : مَعْرِفَةُ
 الْفَصْلِ مِنَ الْوَضَلِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَانِيُّ : أَلْبَلَاغَةُ إِيْصَالُ
 الْمَعْنَى إِلَى الْقَلْبِ فِي حُسْنِ صُورَةٍ مِنَ اللَّفْظِ . وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ
 أَلْبَلَاغَةٍ . قَالَ : أَبْلَغَ الْكَلَامِ مَا حَسَنَ إِيجَازُهُ . وَقُلَّ مَجَازُهُ . وَكَثُرَ
 إِعْجَازُهُ . وَتَنَاسَبَتْ صُورُهُ وَأَعْجَازُهُ . وَقِيلَ لِمُغَفَّرِ بْنِ خَالِدٍ : مَا
 أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : التَّقَرُّبُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ وَالْدَّلَالَةُ بِالْقَائِلِ عَلَى
 الْكَثِيرِ . وَقِيلَ لِآخَرَ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : تَطْوِيلُ الْقَصِيرِ وَتَقْصِيرُ
 الطَّوِيلِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : حَذْفُ الْفُضُولِ
 وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ وَحُسْنُ الْأَسْنَادَةِ . وَقِيلَ لِحَالِيئُوسَ : مَا أَلْبَلَاغَةُ .
 قَالَ : إِيضَاحُ الْمُغْضِلِ وَفَكُّ الْمَشْكَالِ . وَقِيلَ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : مَا
 أَلْبَلَاغَةُ . فَقَالَ : مَا قَرُبَ طَرَفَاهُ وَبَعُدَ مُنْتَهَاهُ . وَقِيلَ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ :
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : إِصَابَةُ الْمَعْنَى وَالْمُقْصَدُ إِلَى الْحُجَّةِ . وَقِيلَ لِآخَرَ :
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : تَصْوِيرُ الْحَقِّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ وَتَصْوِيرُ الْبَاطِلِ فِي
 صُورَةِ الْحَقِّ (١) . وَقِيلَ لِابِرْهِيمَ الْأَمَامِ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . فَقَالَ : الْخِرَاطَةُ وَالْإِصَالَةُ

(١) لا يجوز ذلك الا على طريقة المعايير في الامور القابلة المدح والذم

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ حَسَّانَ : لَمْ يُفَسِّرْ أَحَدُ الْبَلَاغَةِ تَفْسِيرَ ابْنِ الْمَقْفَعِ
إِذْ قَالَ : الْبَلَاغَةُ لِمَعَانٍ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ كَثِيرَةٌ : فَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي
الْإِشَارَةِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْحَدِيثِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْإِسْتِمَاعِ
وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْإِحْتِجَاجِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ شِعْرًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ
أَبْتَدَاءً . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ جَوَابًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ سَجْعًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ
خُطْبًا . وَمِنْهَا رُبَّمَا كَانَتْ رِسَائِلَ . قَتَايَةُ (١) هَذِهِ الْأَبْوَابُ الْوَحْيُ
فِيهَا وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْمَعْنَى ابْلَغُ وَالْإِيحَازُ هُوَ الْبَلَاغَةُ . فَالْسُّكُوتُ يُسَمَّى
بَلَاغَةً مَجَازًا وَهُوَ فِي حَالَةٍ لَا يَنْجَعُ فِيهَا الْقَوْلُ وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا إِقَامَةُ
الْمُجَعِّجِ . إِمَّا عِنْدَ جَاهِلٍ لَا يَفْهَمُ الْخُطَابَ أَوْ عِنْدَ وَضِيعٍ لَا يَرْهَبُ
الْجَوَابَ . أَوْ ظَالِمٍ سَلِيطٍ يَحْكُمُ بِالْهَوَى وَلَا يَرْتَدُّ بِكَلِمَةِ التَّقْوَى
وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ يَغْرَى مِنْ الْخَيْرِ أَوْ يَجْلِبُ الشَّرُّ فَالْسُّكُوتُ أَوَّلَى
كَمَا قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

مَا كُلُّ نُطْقٍ لَهُ جَوَابٌ جَوَابُ مَا يُكْرَهُ السُّكُوتُ
وَرُبَّمَا كَانَ صَمْتُكَ فِي حَالٍ أَرْفَقَ مِنْ كَلَامِكَ وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ
قَوْلُهُمْ : كُلُّ صَاوِتٍ نَاطِقٌ مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ دَلَائِلَ الصَّنْعَةِ
فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَاضِحَةٌ . وَالْمَوْعِظَةُ فِيهَا قَائِمَةٌ . وَقَدْ قَالَ الرَّقَائِشِيُّ :
بَسَلِ الْأَرْضَ مِنْ شَقِّ أَنْهَارِكَ وَغَرَسِ اشْجَارَكَ وَجَنَى ثَمَّارَكَ . فَإِنْ لَمْ
تَجِبْكَ حِوَارًا أَجَابَتْكَ أَعْتِبَارًا . وَقَوْلُ ابْنِ الْمَقْفَعِ : (رُبَّمَا كَانَتْ
الْبَلَاغَةُ بِالْإِسْتِمَاعِ) فَلِأَنَّ الْخُطَّابَ إِذَا لَمْ يُحْسِ الْإِسْتِمَاعَ لَمْ

يَقِفُ عَلَى الْمَعْنَى الْمُوْدِي إِلَى الْخِطَابِ . فَلَا سِتِمَاعُ الْحَسَنِ عَوْنٌ
لِلْبَلِيغِ عَلَى إِفْهَامِ الْمَعْنَى

وَقَدْ جَاءَ لِلْبَلَاغَةِ تَعْرِيفَاتٌ أُخْرُ مِنْهَا قَوْلُ بَعْضِ حُكَمَاءِ الْهِنْدِ :
جَمَاعُ الْبَلَاغَةِ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاقِعِ الْفُرْصَةِ وَبِالْبَصَرِ بِالْحُجَّةِ
أَنْ تَدَعَ الْأَفْصَاحَ بِهَا إِلَى الْكِنَايَةِ عَنْهَا إِذَا كَانَ طَرِيقُ الْأَفْصَاحِ
وَعَرًا وَكَانَتْ الْكِنَايَةُ أَحْضَرَ نَفْعًا . قَالَ آخَرُ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا
يُؤْنِسُ مَسْمَعُهُ . وَيُؤْنِسُ مَصْنَعُهُ . وَالْبَلِيغُ مَنْ يَحْتَاجُ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَنْوَاعَهَا .
وَمِنْ الْمَعَانِي ثَمَارَهَا . لَيْسَتْ الْبَلَاغَةُ أَنْ يُطَالَ عِنَانُ الْقَلَمِ أَوْ سِنَانُهُ .
أَوْ يُبْسَطَ رِهَانُ الْقَوْلِ وَمِيدَانُهُ . بَلْ هِيَ أَنْ يَبْلُغَ أَسَدَ الْمُرَادِ
بِالْفَظِ أَعْيَانَ وَمَعَانَ أَفْرَادٍ مِنْ حَيْثُ لَا تَرِيدُ عَلَى الْحَاجَةِ وَلَا إِخْلَالَ
يُفْضِي إِلَى الْفَاقَةِ . وَصَفَ بَعْضُهُمُ الْبَلَاغَةَ قَالَ : هِيَ مِيدَانٌ لَا يُقْطَعُ
إِلَّا بِسَوَاقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسَلَّكَ إِلَّا بِبَصَائِرِ الْبَيَانِ . يَبْثُ صَاحِبُهَا
بِالْكَلَامِ . وَيَقُودُهُ بِاللِّينِ زِمَامٌ . حَتَّى كَانَ الْأَلْفَاظُ تَتَحَاشَدُ فِي السَّابِقِ إِلَى
خَوَاطِرِهِ وَالْمَعَانِي تَتَغَايَرُ فِي الْأَنْثِيَالِ عَلَى أَنْوَالِهِ كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ الطَّائِي :
تَغَايَرَ الشَّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقَشَّشُ
وَقِيلَ فِي بَلِيغٍ : فَلَانٌ مَشْرِقِي الْمَشْرِقِ . وَصَدِيقِي الْمُنْطِقِ .
الْبَيَانُ أَصْغَرُ صِفَاتِهِ . وَالْبَلَاغَةُ عَفْوُ خَطَرَاتِهِ . كَأَنَّهُ أُوحِيَ بِالتَّوْفِيقِ إِلَى
صَدْرِهِ . وَحَسَنَ الصَّوَابِ بَيْنَ طَبْعِهِ وَفِكْرِهِ . يَحْزُ . مَقَاصِلَ الْكَلَامِ .
وَيَسْبِقُ فِيهَا إِلَى دَرْكِ الْمَرَامِ . كَأَنَّمَا جَمَعَ الْكَلَامَ حَوْلَهُ حَتَّى أَنْتَقَى مِنْهُ
وَأَنْتَخَبَ . وَتَنَاوَلَ مِنْهُ مَا طَلَبَ . وَتَرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَذْنَابًا لَا رُؤْسَاءَ .

وَأَجْسَادًا لَا تُهَوِّسًا . وَقِيلَ فِي آخِرَ : يَرْضَى بِغَفْرِ الطَّبَعِ . وَيَشْعُرُ بِمَا
خَفَّ عَلَى السَّمْعِ . وَيُوجِزُ فَلَا يُجِلُّ . وَيُطِيبُ فَلَا يُعِلُّ . فَلِلَّهِ فَلَانٌ أَخَذَ
بِأَزْمَةِ الْقَوْلِ يَقُودُهَا كَيْفَ أَرَادَ وَيَجْذِبُهَا إِلَى شَاءٍ فَلَا تَغْصِيهِ
بَيْنَ الصَّغْبِ وَالذَّلُولِ . وَلَا تُسْلِمُهُ عِنْدَ الْحُزُونِ وَالسُّهُولِ . كَلَامُهُ
يَشْتَدُّ مَرَّةً حَتَّى تَقُولَ : الصَّخْرُ الْأَمْلَسُ . وَيَلِينُ تَارَةً حَتَّى تَقُولَ : أَلْمَاءُ
أَوْ أَسْلَسُ . يَقُولُ : قِصُولُ . وَنَحْيِبُ . فَيُصِيبُ . وَيَكْتَسِبُ فَيُطِيقُ أَلْفَصِلُ .
وَيَنْسُقُ الدَّرَّ أَلْفَصِلُ . وَيَرِدُ مَشَارِعَ الْكَلَامِ وَهِيَ صَافِيَةٌ لَمْ تُطْرَقْ .
وَجَامَةٌ لَمْ تُرْتَقْ . خَاطِرُهُ الْبَرَقُ أَوْ أَسْرَعُ لَمَعًا . وَالسَّيْفُ أَوْ أَحَدُ قَطْعَا .
وَأَلْمَاءُ أَوْ أَسْلَسُ جَرِيًا . وَأَلْفَلَكَ أَوْ أَقَوْمَ هَذِيَا . يَسْهَلُ الْكَلَامُ عَلَى
لَفْظِهِ وَتَتَرَاخَمُ أَلْمَعَانِي عَلَى طَبْعِهِ فَيَتَنَاوَلُ الْمَرْمَى أَلْبَعِيدَ بِقَرِيبِ سَعْيِهِ .
وَيَسْتَبْطِطُ الْمَشْرَعَ أَلْعَبِيقَ بِسَيْرِ جَرِيهِ . لِسَانُهُ يَفْلُقُ الصُّخُورَ . وَيُفِيضُ
الْبُحُورَ . خَطِيبٌ لَا تَنَالُهُ حُبْسَةٌ وَلَا تَرْتَبِنُهُ لُكْنَةٌ وَلَا تَتَحَيَّفُ بَيَانُهُ عُجْمَةٌ
وَلَا تَعْتَرِضُ لِسَانُهُ عُقْدَةٌ يُحْسِنُ السَّفَارَةَ . وَيَسْتَوِي فِي الْعِبَارَةِ . وَيُؤَدِّي
الْأَلْفَاظَ . وَيَسْتَعْرِقُ الْأَغْرَاضَ . قَالَ حَتَّى قَالَ الْكَلَامُ : لَوْ أَعْفَيْتَ .
وَكَتَبَ حَتَّى قَالَتْ الْأَقْلَامُ : قَدْ أَحْفَيْتَ

البحث الثالث

في أوصاف البلاغات على السنة اقوام من اهل البلاغات

(عن زهر الاداب للقيرواني)

قَالَ بَعْضُ مَنْ وُلِدَ عَقَائِلُ هَذَا الْمَشْهُورِ . وَآلِفِ قَوَاصِلِ هَذِهِ

الشذور: تجمع قوم من أهل الصناعات فوصفوا بلاغاتهم ون طريق
صناعاتهم . (فقال لجوهري) : أحسن الكلام نظاما ما ثقبته
يد الفكرة ونظمته الفطنة ووصل جوهر معانيه في سوط الفاظه
فاحتملت ثور الرواة . (وقال الطار) : أطيب الكلام ما عجن
عذب الفاظه بعسك معانيه ففاح نسم نشقه . وسطعت رائحة عبقه .
فتعلقت به الرواة . وتطورت به الشراة . (وقال الصانع) : خير الكلام
ما أحسنته بكبر الفكر . وسبكته بمشاعل النظر . وخلصته من خبث
الاطناب فبرز بروز الأبريز . في معنى وجيز . (وقال الصيرفي) :
خير الكلام ما نقدته يد البصيرة وجلته عين الروية ووزنته بميزان
الفصاحة فلا ظر يزفه ولا سماع يهرجه . (وقال الحداد) : أحسن
الكلام ما نصبت عليه منحة القريحة وأشعلت عليه نار البصيرة
ثم أخرجته من فحم الإلحاح . ورققته بفطيس الإفهام . (وقال
النجار) : خير الكلام ما انحكت نجر معناه بقدم التقدير . ونشرت
بمنشار التدوير . فصار بابا لبيت البيان . وعارضة لسقف اللسان .
(وقال النجاد) : أحسن الكلام ما لطفت رقاف الفاظه وحسنت
طارح معانيه فتزهرت في زراعي محاسنه عيون الناظرين . وأصلحت
لنارقي بهجته آذان السامعين . (وقال المالح) : أين الكلام ما
علقت وذم الفاظه بكرة معانيه ثم أرسلته في قلب الفطن ريا
فامتخت به سقاء يكشف الثبات . واستشبط به معنى يروي ون
ظما المشكلات . (وقال الحياط) : البلاغة رداء فخر بأنه البيان

وَجِيهَ الْمَعْرِفَةِ وَكَدَاهُ الْوَجَازَةُ وَدَخَارِيصُهُ الْإِفْهَامُ وَدُرُوزُهُ الْحَلَاوَةُ
وَلَا يَسُهُ جَسَدُ اللَّفْظِ وَرُوحُ الْمَعْنَى . (وَقَالَ الصَّبَّاحُ) : أَحْسَنُ
الْكَلَامِ مَا لَمْ تُضَعْ بِهَيْجَةٍ إِيْجَازُهُ . وَلَمْ تُكْشَفْ صَبْغَةُ إِيْجَازِهِ .
قَدْ صَقَلَتْهُ يَدُ الرَّوِيَّةِ مِنْ كُمُودِ الْإِشْكَالِ فَرَاعَ كَوَائِبَ الْآدَابِ .
وَأَلْفَ عَذَارَى الْأَلْبَابِ . (وَقَالَ الْخَالِكَ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا
اتَّصَلَتْ لُحْدَةُ الْفَاطِظِ بِسَدَى مَعَانِيهِ فَخَرَجَ مُفَوَّقًا مُنِيرًا وَمُوشِي مُخْبِرًا .
(وَقَالَ الْبَرَّازُ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا صَدَقَ رَقْمُ الْفَاطِظِ وَحَسُنَ
نَشْرُ مَعَانِيهِ فَلَمْ يُسْتَعْجَمْ عَنْكَ نَشْرُ وَلَمْ يُسْتَبْهَمْ عَلَيْكَ طَيُّ . (وَقَالَ
الرَّائِضُ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا لَمْ يُخْرَجْ عَنْ حَدِّ التَّخْلِيْعِ إِلَى مَزِلَّةِ التَّقْرِيبِ إِلَّا
بَعْدَ الرِّيَاضَةِ وَكَانَ كَالْمُهَرِّ الَّذِي أَضْمَعَ أَوَّلُ رِيَاضَتِهِ فِي تَمَامِ ثِقَاتِهِ .
(وَقَالَ الْجَمَّالُ) : أَلْبَلِيغُ مَنْ أَخَذَ بِخَطَامِ كَلَامِهِ فَأَنَاقَهُ فِي مَبْدَأِ الْمَعْنَى
ثُمَّ جَعَلَ الْأَخْتِصَارَ لَهُ عِقَالًا وَالْإِيْجَازَ لَهُ مَجَالًا . فَلَمْ يَنْدَ عَنْ الْأَذَانِ . وَلَمْ
يَشُدَّ عَنْ الْأَذْهَانِ . (وَقَالَ الْخَمَّارُ) : أَبَاغُ الْكَلَامِ مَا طَلَبَتْهُ مَرَاجِلُ
الْعِلْمِ وَصَفَّاهُ رَاوِقُ الْفَهْمِ وَضَمَّتْهُ دِنَانُ الْحِكْمَةِ فَتَشَتَّ فِي
الْمَفَاصِلِ عُدُوبَتُهُ وَفِي الْأَفْكَارِ دِقَّتُهُ وَفِي الْعُقُولِ حَدَّتُهُ . (وَقَالَ
الْفُقَاعِيُّ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا رَوَّحَتْ الْفَاطِظُ غِبَاوَةَ الشَّكِّ وَدَفَعَتْ
دِقَّتُهُ قَظَاطَةَ الْجَهْلِ فَطَابَ جُشَاءُ قَطْعِهِ وَعَذَبَ مَصُّ جُرْعِهِ . (وَقَالَ
الطَّيِّبُ) : خَيْرُ الْكَلَامِ إِذَا بَاشَرَ دَوَاءَ يَبَاقِيهِ سُقْمُ الشُّبْهِةِ
أَسْطَلَقَتْ طَبِيعَةُ الْغِبَاوَةِ فَشَفَى مِنْ سُوءِ التَّفْهَمِ وَأَوْرَثَ صِحَّةَ التَّوَهُّمِ .
(قَالَ الْكَحَّالُ) : كَمَا أَنَّ الرَّمَدَ قَذَى الْأَبْصَارِ فَالشُّبْهِةُ قَذَى الْأَبْصَارِ

فَانْحَلْ عَيْنَ الْكُنْهَةِ بِمِيلِ الْبَلَاغَةِ وَأَجَلِ رَمَصِ الْعَقْلَةِ بِرُودِ الْيَقْظَةِ.
(ثُمَّ قَالَ) : أَحْمَرُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ أَبْلَغَ الْكَلَامِ مَا إِذَا أَشْرَقَتْ
شَمْسُهُ أَنْكَشَفَ لَبْسُهُ وَإِذَا صَدَقَتْ أَوَاؤُهُ لَخَضَرَتْ أَحْمَاؤُهُ

الفصل الثالث

في المعاني

البحث الأول

في حقيقة المعاني

(عن كشف اصطلاحات الفنون بتصرف)

(راجع صفحة ١٠ من علم الادب)

الْمَعْنَى لُغَةً الْمَقْصُودُ وَفِي الْأَصْطِلَاحِ هُوَ الصُّورَةُ النَّهْيِيَّةُ مِنْ
حَيْثُ إِنَّهُ وَضِعَ بِإِزَائِهَا اللَّفْظُ أَيُّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تُقْصَدُ بِهِ . وَذَلِكَ
إِنَّمَا يَكُونُ بِالْوَضْعِ فَإِنْ عُدَّ عَنْهَا بِلَفْظٍ مُفْرَدٍ يُسَمَّى مَعْنًى مُفْرَدًا .
وَإِنْ عُدَّ عَنْهَا بِلَفْظٍ مُرَكَّبٍ سُمِّيَ مَعْنًى مُرَكَّبًا . فَأَلِفَرَادُ وَالتَّرَكِيبُ
صِفَتَانِ لِلْأَلْفَافِ حَقِيقَةٌ وَيُوصَفُ بِهَا الْمَعْنَى تَبَعًا . وَعِلْمُ الْمَعْنَى عِلْمٌ
يُخْتَصَرُ بِهِ عَنْ لُحْظٍ فِي تَأْدِيَةِ الْمُرَادِ وَتُعْرَفُ أَحْوَالُ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ
الَّتِي بِهَا يُطَابِقُ اللَّفْظُ مُقْتَضَى الْحَالِ وَهُوَ مِنْ أُصُولِ الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ
يَبْتَغَى عَنْ الْمُرَكَّبَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِاعْتِبَارِ إِفَادَتِهَا لِمَعَانٍ زَائِدَةٍ عَلَى
أَصْلِ الْمَعْنَى . قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْنَى : الْكَلَامُ الَّذِي يُوصَفُ

بِالْبَلَاغَةِ هُوَ الَّذِي يَدُلُّ بِلَفْظِهِ عَلَى مَعْنَاهُ اللَّغَوِيَّ أَوْ الْعُرْفِيَّ أَوْ
الْشَّرْعِيَّ . ثُمَّ تَجِدُ لَذَلِكَ الْمَعْنَى دَلَالَةً ثَانِيَةً عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ
الَّذِي يُرِيدُ الْمُتَكَلِّمُ إِثْبَاتَهُ أَوْ نَفْيَهُ فَهَنَّاكَ الْفَاعِلُ وَمَعَانٍ أَوَّلٌ وَمَعَانٍ
ثَوَانٍ . فَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ هِيَ مَذْلُولَاتُ التَّرَاكِيِبِ وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي
تُسَمَّى فِي عِلْمِ النَّحْوِ أَصْلَ الْمَعْنَى . وَالْمَعْنَى الثَّوَانِي الْأَغْرَاضُ الَّتِي
يُسَاقُ لَهَا الْكَلَامُ . وَلِذَا قِيلَ : مُقْتَضَى الْحَالِ هُوَ الْمَعْنَى الثَّانِي .
كَرَّرَ إِلَّا نَكَارٍ وَدَفَعَ الشَّكَّ مَثَلًا إِذَا قُلْنَا : إِنَّ زَيْدًا قَاتِمٌ . فَالْمَعْنَى
الْأَوَّلُ هُوَ الْقِيَامُ الْمَوْكَّدُ وَالْمَعْنَى الثَّانِي رَدُّ الْإِنْكَارِ وَدَفْعُ الشَّكِّ .
وَإِذَا قُلْنَا : هُوَ أَسَدٌ فِي صُورَةٍ الْإِنْسَانِ . فَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ هُوَ مَذْلُولُ هَذَا
الْكَلَامِ وَالْمَعْنَى الثَّانِي هُوَ أَنَّهُ شَجَاعٌ . فَالْمَعْنَى الثَّانِي هُوَ الَّذِي يُرَادُ
إِيرَادُهُ فِي الطَّرِيقِ الْمُخْتَلَفَةِ وَالْمَقْهُومُ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ .
وَتَسْمِيَتُهُ بِالْمَعْنَى الثَّانِي لِكَوْنِ اللَّفْظِ دَالًّا عَلَيْهِ بِوَاسِطَةِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ .
فَدَلَالَةُ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ عَلَى الثَّانِي عَقْلِيَّةٌ قَطْعًا وَأَمَّا دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى
الْمَعْنَى الْأَوَّلِ فَقَدْ تَكُونُ وَضْعِيَّةً وَقَدْ تَكُونُ عَقْلِيَّةً . وَقَدْ تُسَمَّى
الْمَعْنَى الْأَوَّلُ بِالْخُصُوصِيَّاتِ وَالْكَفَيَّاتِ الزَّائِدَةِ عَلَى أَصْلِ الْمَعْنَى
وَبِالصُّورِ وَالْخَوَاصِ وَالْأَيَا مَجَازًا . ثُمَّ إِنَّهُمْ سَمَوْا تَرْتِيبَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ
وَكَذَا الْمَعْنَى الْأَوَّلِ الْفَاعِلَ . وَفَضِيلَةُ الْكَلَامِ بِاعْتِبَارِ هَذَا التَّرْتِيبِ
لِكَوْنِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ مَحَلَّ الْفَضِيلَةِ لِأَنَّ تَرْتِيبَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةِ فِي
النَّفْسِ ثُمَّ تَرْتِيبَ الْأَلْفَاظِ فِي النُّطْقِ عَلَى حَذْوِهَا عَلَى وَجْهِ يَنْتَقِلُ مِنْهَا
الذَّهْنُ بِتَوَسُّطِهَا إِلَى الْخَوَاصِ فِي الْإِفَادَةِ بِلَا إِخْلَالٍ وَلَا تَعْقُدٍ

الْبَلَاغَةُ. فَيَكُونُ تَرْتِيبُ الْمَعَانِي الْأَوَّلِ عَلَى الْوَجْهِ الْخَصُوصِ مَنَشَأً
الْفَضِيلَةَ وَمَنَاطَ الْبَرَاةِ بِلا شَكٍّ . قَالَ الشَّيْخُ : وَلَمَّا كَانَتْ الْمَعَانِي
تَتَبَيَّنُ بِالْأَلْفَاظِ وَلَمْ يَكُنْ لِتَرْتِيبِ الْمَعَانِي سَبِيلٌ إِلَّا بِتَرْتِيبِ الْأَلْفَاظِ
فِي الْأَنْطِقِ تَجَوَّزُوا فَعَبَّرُوا عَنْ تَرْتِيبِ الْمَعَانِي بِتَرْتِيبِ الْأَلْفَاظِ ثُمَّ
بِالْأَلْفَاظِ بِحَذْفِ التَّرْتِيبِ . وَإِذَا وَضَعُوا اللَّفْظَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى تَخْيِيمِهِ
كَانَ يُقَالُ الْبَلَاغَةُ رَلِجَةً إِلَى اللَّفْظِ . أَوْ هُوَ مَحَلُّ الْفَضِيلَةِ الَّتِي بِهَا
يَسْتَحِقُّ الْإِتِّصَافَ بِالْفَصَاحَةِ وَتَحْوِهَا لَمْ يُرِيدُوا اللَّفْظَ الْمَنْطُوقَ وَلَكِنْ
أَرَادُوا مَعْنَى اللَّفْظِ الَّذِي دَلَّ عَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي

البحث الثاني

في صحة المعاني

(عن ادب الدنيا والدين للماوردي)

(راجع صفحة ١١١ من علم الادب)

أَمَّا صِحَّةُ الْمَعَانِي فَتَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ : (أَحَدُهَا) إِضَاحُ
تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا تَكُونَ مُشْكِلَةً وَلَا مُجْمَلَةً . (وَالثَّانِي) اسْتِيفَاءُ تَقْسِيمِهَا
حَتَّى لَا يَنْخُلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا وَلَا يَخْرُجَ عَنْهَا مَا هُوَ فِيهَا . (وَالثَّلَاثُ)
صِحَّةُ مُقَابَلَتِهَا . وَالْمُقَابَلَةُ تَكُونُ مِنْ وَجْهَيْنِ : (أَحَدُهُمَا) مُقَابَلَةُ الْمَعْنَى بِمَا
يُوَافِقُهُ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْمُقَابَرَةِ لِأَنَّ الْمَعَانِي تَصِيرُ مُتَشَابِكَةً . وَالثَّانِي
مُقَابَلَتُهُ بِمَا يُضَادُّهُ وَهُوَ حَقِيقَةُ الْمُقَابَلَةِ . وَلَيْسَ لِلْمُقَابَلَةِ إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ
الْوَجْهَيْنِ : الْمَوَافَقَةُ فِي الْإِتِّصَافِ وَالْمُضَادَّةُ مَعَ الْإِخْتِلَافِ . فَأَمَّا فَصَاحَةُ

الْأَلْفَاظِ فَتَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ : (أَحَدُهَا) مُجَانِبَةُ الْغَرِيبِ الْوَحْشِيِّ
 حَتَّى لَا يَجِبَ سَمْعٌ وَلَا يَنْفِرَ مِنْهُ طَبْعٌ . (وَالثَّانِي) تَنَكُّبُ اللَّفْظِ الْمُتَبَذَّلِ
 وَالْعُدُولُ عَنِ الْكَلَامِ الْمُسْتَرْدَلِ حَتَّى لَا يَسْتَسْقِطَ خَاصِيٌّ وَلَا يَذْبُو
 عَنْهُ فَهْمٌ عَامِيٌّ . كَمَا قَالَ الْجَلِيزُ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ : أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَرِ
 قَوْمًا أَمِلَ طَرِيقَةً فِي الْبَلَاغَةِ مِنْ الْكُتَّابِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ اتَّسَعُوا
 مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعَّرًا وَحْشِيًّا وَلَا سَاقِطًا عَامِيًّا . (وَالثَّالِثُ)
 أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَمَعَانِيهَا مُنَاسَبَةٌ وَمُطَابَقَةٌ . أَمَّا الْمُطَابَقَةُ
 فَهِيَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ كَالْقَوَالِبِ لِمَعَانِيهَا فَلَا تَرِيدُ عَلَيْهَا وَلَا
 تَنْقُصُ عَنْهَا . وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ فِي وَصِيَّتِهِ فِي الْبَلَاغَةِ : إِذَا لَمْ
 تَحِدِ اللَّفْظَةَ وَاقِعَةً مَوْقِعَهَا وَلَا صَايِرَةً إِلَى مُسْتَقَرِّهَا وَلَا حَالَةً فِي
 مَرْكَزِهَا بَلْ وَجَدْتَهَا قَلِقَةً فِي مَكَانِهَا نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى
 الْقَرَارِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرْضَ الشَّعْرِ الْمَوْزُونِ
 وَلَمْ تَتَكَلَّفِ اخْتِيَارَ الْمَشُورِ لَمْ يَعْيبَكَ بِتَرْكِ ذَلِكَ أَحَدٌ وَإِذَا أَنْتَ
 تَكَلَّفْتَهُمَا وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا فِيهِمَا عَابَكَ مَنْ أَنْتَ أَقْلُ عِيَا مِنْهُ
 وَآذَرَى عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ فَوْقَهُ . وَأَمَّا الْمُنَاسَبَةُ فَهِيَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى
 يَلِيْقُ بِبَعْضِ الْأَلْفَاظِ إِمَّا لِعُرْفٍ مُسْتَعْمَلٍ أَوْ لِاتِّفَاقٍ مُسْتَحْسَنٍ حَتَّى
 إِذَا ذَكَرْتَ تِلْكَ الْمَعْنَى بِغَيْرِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا وَإِنْ
 كَانَتْ أَفْضَحَ وَأَوْضَحَ لِإِعْتْيَادِ مَا سِوَاهَا . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ :
 لَا يَكُونُ الْبَلِيغُ بَلِيغًا حَتَّى يَكُونَ مَعْنَى كَلَامِهِ آتِيقًا إِلَى فَهْمِكَ مِنْ
 لَفْظِهِ إِلَى سَمْعِكَ . وَأَمَّا مُعَاطَاةُ الْأَعْرَابِ وَتَجَنُّبُ اللَّحْنِ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ

صِفَاتِ الصَّوَابِ . وَالْبَلَاغَةُ أَعْلَى مِنْهُ رُتَبَةً وَأَشْرَفُ مَنَازِلَةٍ وَلَيْسَ لِمَنْ
لَحَنَ فِي كَلَامِهِ مَدْخَلٌ فِي الْأَدْبَاءِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ فِي عِدَادِ
الْبُلَغَاءِ

البحث الثالث

في انواع المعاني

(ملخص عن زهر الاداب للقيرواني)

(راجع صفحة ١٢ من علم الادب)

قَالَ أَبُو عُمَانَ عَمْرُو بْنُ بَجْرٍ الْجَلِيزِيُّ : قَالَ بَعْضُ جَهَا بِذَةِ الْأَلْفَاظِ
وَنُقَادِ الْمَعَانِي : الْمَعَانِي الْقَائِمَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ الْمُتَصَوِّرَةِ فِي أَذْهَانِهِمْ
الْمُخْتَلِفَةِ فِي قُوسِهِمْ الْمُتَّصِلَةِ بِمُخَوِّطِهِمْ وَالْحَادِثَةِ عَنْ فِكْرِهِمْ
مَشْتُورَةٌ خَفِيَّةٌ وَبَعِيدَةٌ وَخَشِيَّةٌ وَمَسْجُوبَةٌ مَكْنُونَةٌ وَمَوْجُودَةٌ فِي مَعْنَى
مَعْدُومَةٌ لَا يَعْرِفُ إِلَّا نَسَانُ ضَمِيرِ صَاحِبِهِ وَلَا حَاجَةُ أَخِيهِ وَخَلِيطِهِ وَلَا
مَعْنَى شَرِيكِهِ وَالْمُعَاوِنِ لَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَعَلَى مَا لَا يَبْلُغُهُ مِنْ حَاجَاتِ نَفْسِهِ
إِلَّا بِغَيْرِهِ . وَإِنَّمَا يُنْجِي تِلْكَ الْمَعَانِي ذِكْرُهُمْ لَهَا وَإِخْبَارُهُمْ عَنْهَا
وَأَسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهَا . وَهَذِهِ الْخِصَالُ هِيَ الَّتِي تُقَرِّبُهَا مِنَ الْفَهْمِ وَتَجَلُّوهَا
لِلْعَقْلِ وَتَجْعَلُ الْخَفِيَّ مِنْهَا ظَاهِرًا وَأَنْعَابَ شَاهِدًا وَأَلْبَعِيدَ قَرِيبًا . وَهِيَ
الَّتِي تُلْخِصُ الْمُتَبَسِّسَ وَتَحُلُّ الْمُتَعَقِّدَ وَتَجْعَلُ الْهَمَلَ مُقَيَّدًا وَالْمُقَيَّدَ مُطْلَقًا
وَالْجَهُولَ مَعْرُوفًا وَالْوَحْشِيَّ مَأْلُوفًا . وَعَلَى قَدْرِ وُضُوحِ الدَّلَالَةِ وَصَوَابِ
الْإِشَارَةِ وَحُسْنِ الْإِخْتِصَارِ وَرِقَّةِ الْمَدْخَلِ يَكُونُ ظُهُورُ الْمَعْنَى . وَكُلَّمَا

كَانَتْ الدَّلَالَةُ أَوْضَحَ وَأَفْصَحَ وَكَانَتْ الْإِشَارَةُ أَيْنَ وَأَنُورَ كَانَتْ
 أَنْفَعَ وَأَنْجَعَ فِي الْبَيَانِ . ثُمَّ أَعْلَمَ حِفْظَكَ اللَّهُ أَنَّ حُكْمَ الْمَعَانِي خِلَافُ
 حُكْمِ الْأَلْفَافِ لِأَنَّ الْمَعَانِي مَبْسُوطَةٌ إِلَى غَايَةٍ وَمُتَمِّدَةٌ إِلَى غَيْرِهَا وَلَسَاءَ
 الْمَعَانِي مَحْصُورَةٌ مَعْدُودَةٌ وَمُحْصَلَةٌ مُخَدَّودَةٌ . وَجَمِيعُ أَصْنَافِ الدَّلَالَةِ عَلَى
 الْمَعَانِي مِنْ لَفْظٍ أَوْ غَيْرِ لَفْظٍ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ لَا تَنْقُصُ وَلَا تَزِيدُ : أَوَّلُهَا
 اللَّفْظُ . ثُمَّ الْإِشَارَةُ . ثُمَّ الْعَقْدُ . ثُمَّ الْخَطُّ . ثُمَّ الْحَالُ الَّتِي تُسَمَّى نَصْبَةً . وَالنَّصْبَةُ
 هِيَ الْحَالُ الدَّالَّةُ الَّتِي تَقُومُ مَقَامَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ وَلَا تُقَصِّرُ عَنْ تِلْكَ
 الدَّلَالَاتِ . وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الدَّلَالَاتِ الْخَمْسَةِ صُورَةٌ بَاطِنَةٌ مِنْ
 صُورَةٍ صَاحِبَتِهَا وَحِلِيَّةٌ مُخَالِفَةٌ لِحِلِيَّةِ أُخْتِهَا . وَهِيَ الَّتِي تُكْشِفُ لَكَ عَنْ
 أَعْيَانِ الْمَعَانِي فِي الْجُمْلَةِ وَعَنْ حَقَائِقِهَا فِي التَّفْسِيرِ وَعَنْ أَجْنَاسِهَا
 وَأَقْدَارِهَا وَعَنْ خَاصِّهَا وَعَامِّهَا وَعَنْ طَبَقَاتِهَا فِي السَّارِ وَالْخَافِ وَعَمَّا
 يَكُونُ مِنْهَا لَهَوًا مَبْهَرَجًا وَسَاقِطًا مَطْرَحًا . وَفِي تَحْوِيلِ قَوْلِ أَبِي عُثْمَانَ
 (إِنْ الْمَعَانِي غَيْرُ مَقْصُودَةٍ وَلَا مَحْصُورَةٍ) يَقُولُ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ لِأَبِي
 دَلْفِ بْنِ عَيْسَى الْعِجْلِيِّ :

وَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشَّعْرُ أَفْنَتُهُمَا قَرَّتْ حَيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الذَّوَاهِبِ
 وَلَكِنَّهُ فَيْضُ الْعُقُولِ إِذَا لُجِلَتْ سَحَابٌ مِنْهُ أُغْبِتَ بِسَحَابِ
 وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُعْتَرِ : لَحْظَةُ الْقَلْبِ أَسْرَعُ مِنْ لَحْظَةِ
 الْبَصَرِ وَابْعَدُ مَجَالًا وَهِيَ الْغَائِصَةُ فِي أَعْمَاقِ أَوْدِيَةِ الْفِكْرِ وَالْمَتَامَةِ
 لَوُجُوهِ الْوَقَائِبِ وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ مَا غَابَ وَحَضَرَ وَالْمِيزَانُ الشَّاهِدُ عَلَى
 مَا نَقَعَ وَضَرَ . وَالْقَلْبُ كَالْمِلْبِيِّ لِلْكَلَامِ عَلَى اللِّسَانِ إِذَا نَطَقَ وَالْيَدُ

إِذَا كَتَبْتُ . وَالْعَاقِلُ يَكْسُو الْمَعَانِي وَشِي الْكَلَامِ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ
يُنْدِيهَا بِالْفَاطِ كِرَاسٍ فِي أَحْسَنِ زِينَةٍ . وَالتَّجَاهِلُ يَسْتَعْجِلُ بِإِظْهَارِ
الْمَعَانِي قَبْلَ الْعِنَايَةِ بِزَيْنِ مَعَارِضِهَا وَاسْتِكْمَالِ مَحَاسِنِهَا . قِيلَ لِبَشَارِ
أَنْ بَرْدٌ : مَا قُتَّتْ أَهْلُ عُمْرِكَ وَسَبَّحْتَ أَهْلَ عَصْرِكَ فِي حَسَنِ مَعَانِي
الشَّعْرِ وَتَهْدِيبِ الْفَاطَةِ . فَقَالَ : لِأَنِّي لَمْ أَقْبَلْ كُلَّ مَا تُورِدُهُ عَلَيَّ
فَرِيحَتِي وَيُنَاجِيَنِي بِهِ طَبْعِي وَيَعْتَهُ فِكْرِي . وَنَظَرْتُ إِلَى مَعَارِسِ
الْفُطْنِ وَمَعَادِنِ الْحَقَائِقِ وَلَطَائِفِ التَّشْبِيهِاتِ فَسَدْتُ إِلَيْهَا بِفَهْمِ
جَيْدٍ وَغَرِيزَةٍ قَوِيَّةٍ فَأَحْكَمْتُ سَيْرَهَا وَأَتَقَيْتُ حُرْمَهَا وَكَشَفْتُ عَنْ حَقَائِقِهَا
وَأَحْتَرَزْتُ مِنْ مَتَكَلِّفِهَا وَمَا مَلَكَ قِيَادِي قَطُّ إِلَّا عَجَابُ شَيْءٍ مِمَّا
آتَى بِهِ

البحث الرابع

في الحكم على المعاني

(من المثل السائر لاس الاثير باختصار وتصرف)

فَائِدَةٌ هَذَا الْفَصْلِ الْإِحَاطَةُ بِأَسَالِيِبِ الْمَعَانِي عَلَى اخْتِلَافِهَا
وَتَبَيُّانُهَا . وَصَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مُفْتَقِرٌ إِلَى هَذَا الْفَصْلِ وَالَّذِي يَلِيهِ
بِخِلَافٍ غَيْرِهِمَا مِنْ هَذِهِ الْفُصُولِ الْمَذْكُورَةِ لَا سِيَّامَا مُفَسِّرِي الْأَشْعَارِ
فَانَّهُمْ بِهِ أَغْنَى . وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْمَعْنَى أَنَّ يُحْمَلَ عَلَى ظَاهِرِ
لَفْظِهِ وَمَنْ يَذْهَبُ إِلَى التَّأْوِيلِ يَفْتَقِرُ إِلَى دَلِيلٍ كَقَوْلِ الْقَائِلِ :
وَيْثَابَكَ فَطَهَّرَ . فَالظَّاهِرُ مِنْ لَفْظِ (الْيَابِ) هُوَ مَا يُلْبَسُ وَمَنْ تَأَوَّلَ
ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ الْقَلْبُ لَا الْمَلْبُوسُ . وَهَذَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ

دَلِيلُ لَانَّهُ عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ الْفِظِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ عَنْ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُعَلِّيَ فَأَدْخُلْ بَيْتَكَ وَاغْلِقْ بَابَكَ . فَالظَّاهِرُ مِنْ هَذَا هُوَ أَلَيْتُ وَالْبَابُ . وَمَنْ تَأَوَّلَ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّكَ تَجْمَعُ عَلَيْكَ هَمَّ قَلْبِكَ وَتَمْنَعُ أَنْ يَخْطُرَ بِهِ سِوَى أَمْرِ الصَّلَاةِ . فَعَبَّرَ عَنْ أَلْقَلْبِ أَلَيْتَ وَعَنْ مَنَعَ الْخَوَاطِرِ أَلَتِي تَخْطُرُ أَنَّهُ بِإِغْلَاقِ الْبَابِ . وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ لَانَّهُ عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ الْفِظِ . فَالْمَعْنَى الْحَاقِلُ عَلَى ظَاهِرِهِ لَا يَقَعُ فِي تَفْسِيرِهِ خِلَافٌ وَالْمَعْنَى الْمَعْدُولُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى التَّأْوِيلِ يَقَعُ فِيهِ الْخِلَافُ إِذَا بَابُ التَّأْوِيلِ غَيْرُ مَحْضُورٍ وَالْعُلَمَاءُ مُتَّفِقُونَ فِي هَذَا فَإِنَّهُ قَدْ يَأْخُذُ بَعْضُهُمْ وَجْهًا ضَعِيفًا مِنَ التَّأْوِيلِ فَيَكْسُوهُ بِعِبَارَتِهِ قُوَّةً تُمَيِّزُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْوُجُوهِ الْقَوِيَّةِ فَإِنَّ السَّيْفَ بِضَارِبِهِ

إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِهِمْ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ تَلَقَّى الْحَسَامَ عَلَى جَرَاءَةٍ حَدِهِ مِثْلَ الْجَبَانِ يَكْفُ كُلُّ جَبَانٍ وَهَذَا الْفَضْلُ الَّذِي تَحْنُ بِصَدْدِ ذِكْرِهِ هَاهُنَا يَرْجِعُ أَكْثَرُهُ إِلَى التَّأْوِيلِ لَانَّهُ أَدْوُّ وَلَا يَخْلُو تَأْوِيلُ الْمَعْنَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يُحْتَمَلُ غَيْرُهُ . وَإِمَّا أَنْ يُحْتَمَلَ الشَّيْءُ وَغَيْرُهُ . وَتِلْكَ الْغَيْرِيَّةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ ضِدًّا أَوْ لَا تَكُونَ ضِدًّا وَلَيْسَ لَنَا قِسْمٌ رَابِعٌ . (فَالْأَوَّلُ) يَقَعُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَشْعَارِ وَلَا يَجْرِي فِي الدَّقَّةِ وَاللِّطَاقَةِ مَجْرَى الْقِسْمَيْنِ الْآخَرَيْنِ . (وَآمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي) فَإِنَّهُ قَلِيلُ الْوُقُوعِ جَدًّا وَهُوَ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ . لِأَنَّ

دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى وَضَدُو أَعْرَبُ مِنْ دَلَالَتِهِ عَلَى الْمَعْنَى وَغَيْرِهِ .
فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَأَضَعْ مَا شِئْتَ . وَهَذَا يَشْتَبِلُ عَلَى
مَعْنَيْنِ ضِدَّيْنِ : (أَحَدُهُمَا) أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِذَا لَمْ تَفْعَلْ فَعَلًا تَسْتَحِي
مِنْهُ فَأَفْعَلْ مَا شِئْتَ . (وَالْآخَرُ) أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ
حَيَاءٌ يَذَرُكَ عَنْ فِعْلٍ مَا يُسْتَحَى مِنْهُ فَأَفْعَلْ مَا شِئْتَ . وَهَذَانِ
مَعْنَيَانِ ضِدَّانِ أَحَدُهُمَا مَذْحُ وَالْآخَرُ ذَمٌّ . وَيَجْرِي عَلَى هَذَا التَّفْهِيمِ مِنْ
الشَّعْرِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا كَافُورًا :

وَإِظْلَمَ أَهْلُ الظُّلَمِ مِنْ بَاتٍ حَاسِدًا لَنْ بَاتَ فِي نَعْمَانِهِ يَتَقَلَّبُ
وَهَذَا آيَاتُ يُسْتَخْرِجُ مِنْهُ مَعْنَيَانِ ضِدَّانِ : (أَحَدُهُمَا) أَنَّ الْمُنْعَمَ
عَلَيْهِ يُحْسِدُ الْمُنْعَمَ . (وَالْآخَرُ) أَنَّ الْمُنْعَمَ يُحْسِدُ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ . وَكَذَاكَ
وَرَدَّ قَوْلُهُ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُهُ :

فَإِنْ ثَلُتُ مَا أَمَلْتُ مِنْكَ فَرَبًّا شَرِبْتُ بِمَا يُغْزِي الطَّيْرَ وَرَدُّهُ
فَإِنَّ هَذَا الْبَيْتَ يَحْتَمِلُ مَذْحًا وَذَمًّا وَإِذَا أُخِذَ بِمَعْنَى غَيْرِ
نُظِرَ إِلَى مَا قَبْلَهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ بِالذَّمِّ أَوَّلَى مِنْهُ بِالْمَذْحِ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ
وَصْفَ نَوَائِهِ بِالْبُعْدِ وَالشَّدْوِ . وَصَدْرُ الْبَيْتِ مُفْتَحٌ (بِإِنْ) الشَّرْطِيَّةِ وَقَدْ
لَجِبَ بِالْفُظَّةِ (رَبِّ) الَّتِي مَعْنَاهَا التَّغْلِيلُ أَيْ : لَسْتُ مِنْ نَوَالِكَ عَلَى
يَقِينٍ فَإِنْ ثَلُتُ فَرَبًّا وَصَلْتُ إِلَى مَوْرَدٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ الطَّيْرُ أَبْعَدِهِ .
وَإِذَا نُظِرَ إِلَى مَا قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ دَلَّ عَلَى الْمَذْحِ خَاصَّةً لِأَرْتِبَاطِهِ
بِالْمَعْنَى الَّتِي قَبْلَهُ . وَكَثِيرًا مَا كَانَ يُقْصَدُ الْمُسْتَحَى هَذَا الْقِسْمُ فِي شِعْرِهِ
كَقَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

عَذُوكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمْرَانِ
وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُسْلَاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعِدَى ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ
ثُمَّ قَالَ :

فَمَا لَكَ تَعْنِي بِالْأَنَسَةِ وَالْقَنَا وَجَدَّكَ طَعَانٌ بَغِيرِ سِنَانٍ
فَإِنَّ هَذَا بِالذَّمِّ أَشْبَهُ مِنْهُ بِالْمَدْحِ لِأَنَّهُ يَقُولُ : لَمْ تَبْلُغْ مَا بَلَغْتَهُ
بِسُغْيِكَ وَاهْتِمَامِكَ بَلْ بِجِدِّ وَسَعَادَةٍ . وَهَذَا لَأَفْضَلُ فِيهِ لِأَنَّ السَّعَادَةَ
تَنَالُ الْخَامِلُ وَالْجَاهِدَ وَمَنْ لَا يَسْتَحْقُّهَا . وَأَكْثَرُ مَا كَانَ الْمُتَنَتِي
يَسْتَعِيلُ هَذَا الْقِسْمَ فِي قَصَائِدِهِ الْكَافُورِيَّاتِ وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ
الْكَلَامِ يُسَمَّى الْمَوْجَهَ أَيُّ لَهُ وَجْهَانِ وَهُوَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى بَرَاعَةِ الشَّاعِرِ
وَحُسْنِ تَأْتِيهِ . (وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ) فَإِنَّهُ يَكُونُ أَكْثَرَ وَقُوعًا مِنْ
الْقِسْمِ الثَّانِي وَهُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ . لِأَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ كَثِيرُ
الْوُقُوعِ . وَالْقِسْمَ الثَّانِي قَلِيلُ الْوُقُوعِ . وَهَذَا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ وَسَطٌ
بَيْنَهُمَا فِيمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ . فَإِنَّ هَذَا لَهُ وَجْهَانِ
وَمِنْ التَّأْوِيلِ أَحَدُهُمَا الْقَتْلُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي هُوَ مَعْرُوفٌ وَالْآخَرُ هُوَ
الْقَتْلُ الْحِجَازِيُّ وَهُوَ الْإِكْبَابُ عَلَى الْمَعَاصِي فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَكَبَّ
عَلَى الْمَعَاصِي قَتَلَ نَفْسَهُ فِي الْآخِرَةِ وَمِمَّا يَجْرِي عَلَى هَذَا التَّفْهِيمِ
مَا يُنْحَكِي عَنْ أَفْلَاطُونَ أَنَّهُ قَالَ : تَرَكُ الدَّوَاءَ دَوَاءً . فَذَهَبَ بَعْضُ
الْأَطِبَّاءِ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ : إِنْ لَطَفَ الْمَزَاجُ وَأَتَتْهُ إِلَى غَايَةِ لَا يَحْتَمِلُ
الدَّوَاءَ فَتَرَكُهُ حِينَئِذٍ وَالْإِضْرَابُ عَنْهُ دَوَاءً . وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ
أَرَادَ بِالْتَّرَكِ الْوَضْعَ أَيُّ : وَضَعَ الدَّوَاءَ عَلَى الدَّاءِ دَوَاءً . يُشِيرُ بِذَلِكَ

إلى جذق الطيب في أوقاتِ علاجِهِ . ومثلهُ في الشعرِ قولُ الفرزدقِ :
 إِذَا جَعَفَرُ مَرَّتْ عَلَى هَضْبَةِ لَحْمَى قَدْ لَخَذَ الْأَحْيَاءُ وَنَهَكَ قُبُورَهَا
 وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ : (أَحَدُهُمَا) ذَمُّ الْأَحْيَاءِ وَالْآخِرُ ذَمُّ الْأَمْوَاتِ .
 أَمَّا (ذَمُّ الْأَحْيَاءِ) فَهُوَ أَنَّهُمْ خَذَلُوا الْأَمْوَاتَ يُرِيدُ أَنَّهُمْ تَلَاقُوا قَتْلَهُمْ
 وَقَوْمًا آخَرِينَ قَفَرُوا الْأَحْيَاءَ عَنْهُمْ وَأَسَدَهُمْ أَوْ إِنَّهُمْ اسْتَجَدُّوهُمْ فَلَمْ
 يُجِدُوهُمْ . وَأَمَّا (ذَمُّ الْأَمْوَاتِ) فَهُوَ أَنَّ لَهُمْ مَخَارِي وَفَضَائِحَ تُوجِبُ عَارًا
 وَشَنَارًا فَهُمْ يَعُدُّونَ بِهَا الْأَحْيَاءَ وَيُلِصِقُونَهَا بِهِمْ . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ
 أَبِي تَمَامٍ :

بِالشَّعْرِ طُولٌ إِذَا أَصْطَكْتَ قَصَائِدَهُ

فِي مَعْشَرٍ وَبِهِ عَنْ مَعْشَرٍ قِصْرُ
 فَهَذَا أَلْبَيْتُ يُحْتَمِلُ تَأْوِيلَيْنِ . (أَحَدُهُمَا) أَنَّ الشَّعْرَ يَتَّسِعُ مَجَالَهُ
 بِمَدْحِكَ وَيَضِيقُ بِمَدْحِ غَيْرِكَ . يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ مَآثِرَهُ كَثِيرَةٌ وَمَآثِرُ
 غَيْرِهِ قَلِيلَةٌ . (وَالْآخَرُ) أَنَّ الشَّعْرَ يَكُونُ ذَا فَخْرٍ وَنَبَاهَةٍ بِمَدْحِكَ وَذَا
 حَوْلٍ بِمَدْحِ غَيْرِكَ . فَلَنُظَنُّ الطُّولُ : يَفْهَمُ مِنْهَا ضِدُّ الْقِصْرِ وَيُفْهَمُ مِنْهَا
 الْفَخْرُ مِنْ قَوْلِنَا : طَالَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ أَيْ فَخَّرَ عَلَيْهِ . وَمِمَّا يَنْتَظِمُ
 بِهَذَا السِّلَكِ قَوْلُ أَبِي كَبِيرٍ الْهَنْدَلِيِّ :

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا أَتَقَضَى مَا يَتَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
 وَهَذَا يُحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ مِنَ التَّأْوِيلِ . (أَحَدُهُمَا) أَنَّهُ أَرَادَ بِسَعْيِ
 الدَّهْرِ سُرْعَةَ تَقْضِي الْأَوْقَاتِ مُدَّةَ الْوَصَالِ . فَلَمَّا أَتَقَضَى الْوَصْلُ عَادَ
 الدَّهْرُ إِلَى حَالَتِهِ فِي السُّكُونِ وَالْبَطْ . (وَالْآخَرُ) أَنَّهُ أَرَادَ بِسَعْيِ

الدَّهْرُ بِالْتَّمَامِ وَالْوَشَايَاتِ فَلَمَّا انْقَضَى مَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْوَصْلِ
سَكَنُوا أَوْ تَرَكَوا السَّعَايَةَ . وَهَذَا مِنْ بَابِ وَضْعِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَكَانَ
الْمُضَافِ كَقَوْلِهِ : وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ أَيَّ أَهْلِ الْقَرْيَةِ . وَمِنْ الدَّقِيقِ
الْمَعْنَى فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمَتْسِيِّ فِي عَزْدِ الدَّوْلَةِ مِنْ
جُمْلَةِ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا (اذْهَبْ بِدِيلٍ مِنْ قَوْلِي وَاهَا) فَقَالَ :

لَوْ فَطَنْتُ خَيْلَهُ لَنَانِيهِ لَمْ يَرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا
وَهَذَا يُسْتَبْطَأُ مِنْهُ مَعْنِيَانِ . (أَحَدُهُمَا) أَنْ خَيْلَهُ لَوْ عَلِمَتْ
وَقَدَارَ عَطَايَاهُ النَّفِيسَةَ لَمَا رَضِيَتْ لَهُ بِأَنْ تَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ عَطَايَاهُ لِأَنَّ
عَطَايَاهُ أَتَقَسُّ مِنْهَا . (الْآخَرُ) أَنَّ خَيْلَهُ لَوْ عَلِمَتْ أَنَّ يَهْبِيهَا مِنْ جُمْلَةِ
عَطَايَاهُ لَمَا رَضِيَتْ ذَلِكَ إِذْ تَكْرَهُ خُرُوجَهَا عَنْ مَلِكِهِ . وَهَذَانِ الْوَجْهَانِ
أَنَا ذَكَرْتُهُمَا وَإِنَّا الْمَذْكُورُ مِنْهُمَا أَحَدُهُمَا . وَهَذَا الَّذِي أَشَرْتُ إِلَيْهِ
مِنْ الْكَلَامِ عَلَى الْمَعَانِي وَتَأْوِيلَاتِهَا كَافٍ لِمَنْ عِنْدَهُ ذَوْقٌ وَهُوَ قُوَّةٌ
عَلَى حَمَلِهَا عَلَى أَشْبَاهِهَا وَظَاهِرِهَا

البحث الخامس

في الترجيح بين المعاني

(عن المثل السائر باختصار)

هَذَا الْفَضْلُ هُوَ وَيَزَانُ الْخَوَاطِرُ الَّذِي يُوزَنُ بِهِ نَقْدُ دِرْهَمِيهَا
وَدِينَارِهَا بَلِ الْحَكُّ الَّذِي يَعْلَمُ مِنْهُ مِقْدَارُ عِيَارِهَا وَلَا يَزَنُ بِهِ إِلَّا ذُو
فِكْرَةٍ مُتَقَدِّدَةٍ وَلِخَمَةِ مُتَقَدِّدَةٍ . فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ حَمَلَ مِيزَانًا سَتِي صَرَفًا .

وَلَا كُلُّ مَنْ وَزَنَ بِهِ سُتِيَ عَرَفًا . وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا التَّرْجِيحِ وَالتَّرْجِيحِ
الْفِقْهِيِّ أَنَّ هُنَاكَ يُرْجَحُ بَيْنَ دَلِيلِي الْخَصْمَيْنِ فِي حُكْمٍ شَرْعِيٍّ وَهَهُنَا
يُرْجَحُ بَيْنَ جَانِبِي فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ فِي الْقَاطِرِ وَمَعَانٍ خَطَابِيَّةٍ . وَيَبَانَ
ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ التَّرْجِيحِ الْفِقْهِيِّ يُرْجَحُ بَيْنَ خَبَرِ التَّوَاتُرِ مَثَلًا وَبَيْنَ
خَبَرِ الْإِحَادِ أَوْ بَيْنَ الْمُسْنَدِ وَالْمُرْسَلِ أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْجَرَى . وَهَذَا
لَا يُعْرَضُ إِلَيْهِ صَاحِبُ عِلْمِ الْبَيَانِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ وَلَكِنَّ الَّذِي
هُوَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُرْجَحَ بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ أَوْ بَيْنَ حَقِيقَتَيْنِ أَوْ بَيْنَ
مَجَازَيْنِ وَيَكُونُ نَظَرًا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى الصَّنَاعَةِ الْخَطَابِيَّةِ . وَلَرُبَّمَا
اتَّفَقَ هُوَ وَصَاحِبُ التَّرْجِيحِ الْفِقْهِيِّ فِي بَعْضِ الْمَرَاضِعِ كَالْتَّرْجِيحِ بَيْنَ
عَامٍ وَخَاصٍّ أَوْ مَا شَابَهُ ذَلِكَ . وَكُنَّا قَدْ قَدَّمْنَا الْقَوْلَ فِي الْحُكْمِ
عَلَى الْمَعَانِي وَأَنْقَسَامِهَا . وَلَتَبَيَّنَ فِي هَذَا الْقُصْلِ وَاضِعَ التَّرْجِيحِ بَيْنَ
وُجُوهِ تَأْوِيلَاتِهَا فَنَقُولُ : (أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ) مِنْ الْمَعَانِي فَلَا تَعْلُقُ
لِلتَّرْجِيحِ بِهِ إِذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا
فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي شَيْءٍ . وَالتَّرْجِيحُ إِنَّمَا يَقَعُ بَيْنَ مَعْنَيْنِ يَدُلُّ
عَلَيْهِمَا لَفْظٌ وَاحِدٌ وَلَا يَحْتَلُو التَّرْجِيحُ بَيْنَهُمَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ إِمَّا أَنْ
يَكُونَ اللَّفْظُ حَقِيقَةً فِي أَحَدِهِمَا مَجَازًا فِي الْآخَرِ . أَوْ حَقِيقَةً فِيهِمَا جَمِيعًا
أَوْ مَجَازًا فِيهِمَا جَمِيعًا وَلَيْسَ لَنَا قِسْمٌ رَابِعٌ . وَالتَّرْجِيحُ بَيْنَ الْحَقِيقَتَيْنِ أَوْ
بَيْنَ الْمَجَازَيْنِ يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ . (وَأَمَّا التَّرْجِيحُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ)
فَأَنَّهُ يُعْلَمُ بِبَدِيهِهِ النَّظَرُ لِمَكَانِ الْإِخْتِلَافِ بَيْنَهُمَا . وَالشَّيْئَانِ الْمُخْتَلِفَانِ
يُظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا بِخِلَافٍ مَا يَظْهَرُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ الْمَشْبَهَيْنِ

(وَاَمَّا مِثَالُ الْمُعْنَيْنِ) اِذَا كَانَا حَقِيقَتَيْنِ فَقَوْلُهُ : اَلْتَمِسُوا الرِّزْقَ فِي
خَبَايَا الْاَرْضِ وَلِخَبَايَا حَيَّةٍ وَهُوَ كُلُّ مَا يُخْبَأُ كَانًا مَا كَانَ . وَهَذَا
يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ : (اَحَدُهُمَا) اَلْكُنُوزُ اَلْمُخْبُوءَةُ فِي بُطُونِ
الْاَرْضِ . (وَالْآخَرُ) اَلْحَرُثُ وَالْعِرَاسُ . وَجَانِبُ الْحَرُثِ وَالْعِرَاسِ اَرْجَحُ
لَاَنَّ مَا وَضَعَ الْكُنُوزَ لَا تَعْلَمُ حَتَّى تُتَمَسَّ وَهُوَ لَا يَأْمُرُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ
شَيْءٌ مَجْهُولٌ غَيْرُ مَعْلُومٍ فَبَقِيَ الْمُرَادُ بِخَبَايَا الْاَرْضِ مَا يُحْرَثُ وَيَعْرَسُ .
(وَاَمَّا مِثَالُ اَلْمَجَازَيْنِ) فَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

قَدْ بَلَوْنَا اَبَا سَعِيدٍ حَدِيثًا وَبَلَوْنَا اَبَا سَعِيدٍ قَدِيمًا
وَوَرَدَنَاهُ سَاحِلًا وَقَلْبِيًا وَرَعَيْنَاكَ بَارِضًا وَجَمِيًا
فَعَلِمْنَا اِنْ لَيْسَ اِلَّا بِشَقِيمٍ اَلنَّفْسُ صَارَ الْكَرِيمُ يَدْعَى كَرِيمًا
فَالسَّاحِلُ وَالْقَلْبُ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُمَا تَأْوِيلَانِ مُجَازِيَانِ : (اَحَدُهُمَا)
أَنَّهُ ارَادَ بِهِمَا الْكَثِيرَ وَالْقَلِيلَ بِالنِّسْبَةِ اِلَى السَّاحِلِ وَالْقَلْبِ .
(وَالْآخَرُ) أَنَّهُ ارَادَ بِهِمَا السَّبَبَ وَغَيْرَ السَّبَبِ . فَإِنَّ السَّاحِلَ
لَا يُنْتَاجُ فِي وَرْدِهِ اِلَى سَبَبٍ وَالْقَلْبُ يُنْتَاجُ فِي وَرْدِهِ اِلَى سَبَبٍ .
وَكَلا هَذَيْنِ الْمُعْنَيْنِ مُجَازٌ . فَإِنَّ حَقِيقَةَ السَّاحِلِ وَالْقَلْبِ غَيْرُهُمَا
وَالْوَجْهُ هُوَ الثَّانِي لِأَنَّهُ هُوَ اَدْلُ عَلَى بَلَاغَةِ الْقَائِلِ وَمَدْحِ الْمَقُولِ فِيهِ .
أَمَّا بَلَاغَةُ الْقَائِلِ فَالسَّلَامَةُ مِنْ هِجَةِ التَّكْذِيبِ بِالتَّخَالُفِ بَيْنَ صَدْرِ
الْبَيْتِ وَعَجْزِهِ . فَإِنَّ عَجْزَهُ يَدُلُّ عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ لِأَنَّ الْبَارِضَ
هُوَ اَوَّلُ اَلْتَّبَتِ حِينَ يَبْدُو فَاذَا كَثُرَ وَتَكَاثَفَ سُمِّيَ حَمِيًا . فَكَأَنَّهُ
قَالَ : أَخَذْنَا مِنْهُ تَبَرُّعًا وَمَسْئَلَةً وَقَلِيلًا وَكَثِيرًا . وَآمَّا مَدْحُ الْمَقُولِ

فِيهِ فَلْتَعَدَادِ حَالَاتِهِ الْأَرْبَعِ فِي تَبَرُّعِهِ وَسُوءِ إِلِهِ وَإِكْثَارِهِ وَإِقْلَالِهِ وَمَا فِي مُعَانَاةِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْمَشَاقِّ . فَهَذَا إِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالتَّرْجِيمِ الْبَلَاغِيِّ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ وَبَيْنَ الْحِجَازِ وَالْحِجَازِ وَبَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْحِجَازِ

البحث السادس

في الفصل والوصل

(عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار)

(راجع صفحة ١٨ من علم الادب)

الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ هُوَ الْعِلْمُ بِمَوَاضِعِ الْعَطْفِ وَالْإِسْتِثْنَانِ وَالتَّهْدِي إِلَى كَيْفِيَّةِ إِيقَاعِ حُرُوفِ الْعَطْفِ فِي مَوَاضِعِهَا . وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَزْكَانِ الْبَلَاغَةِ حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ حَدَّ الْبَلَاغَةَ بِأَنَّهَا مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ . وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنَّهُ لَا يَكْمُلُ لِإِحْرَازِ الْفَضِيلَةِ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا كَمَلَ لِسَائِرِ مَعَانِي الْبَلَاغَةِ . إِنْ عَلِمَ أَنَّ فَائِدَةَ الْعَطْفِ التَّشْرِيكَ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ . ثُمَّ مِنْ الْحُرُوفِ الْعَاطِفَةِ مَا لَا يُفِيدُ إِلَّا هَذَا الْقَدْرَ وَهُوَ الْوَاوُ . وَمِنْهَا مَا يُفِيدُ فَائِدَةً زَائِدَةً كَالْفَاءِ وَثُمَّ وَاءُ . وَغَرَضُنَا هَاهُنَا تَعَلُّقُ مَا لَا يُفِيدُ إِلَّا الْإِشْتِرَاكَ فَقَوْلُ : الْعَطْفُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْفُرْدَاتِ كَقَوْلِكَ : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ خَلَقَهُ حَسَنٌ وَخَلَقَهُ قَبِيحٌ . فَقَدْ اشْرَكَتَ بَيْنَهُمَا فِي الْإِعْرَابِ وَالْمَعْنَى لِإِشْتِرَاكِهِمَا فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ نَهْمًا مُقْتَدًا لِلْمَوْصُوفِ . وَلَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَعْنَى يَقَعُ ذَلِكَ الْإِشْتِرَاكُ فِيهِ وَحَتَّى يَكُونَا كَالنَّظِيرَيْنِ وَالشَّرِيكَيْنِ بِحَيْثُ إِذَا عَرَفَ

السَّامِعُ حَالَةَ الْأَوَّلِ عَسَادُ يَعْرِفُ حَالَةَ الثَّانِي . يَذْكُرُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا عَطَفْتَ عَلَى الْأَوَّلِ شَيْئًا لَيْسَ وَثَّةً سَبَبٌ وَلَا هُوَ مِمَّا يَذْكُرُ بِذِكْرِهِ لَمْ يَسْتَقِم . فَلَوْ قُلْتَ : (خَرَجْتُ الْيَوْمَ مِنْ دَارِي وَأَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ بَيْتَ كَذَا) قُلْتَ مَا يُضْحِكُ وَثَّةً . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قُوَّةِ الْمَفْرَدِ فَهُوَ عَلَى قَسَمَيْنِ : (الْأَوَّلُ) أَنْ يَكُونَ مَعْنَى أَحَدَى الْجُمْلَتَيْنِ لِدَاثِهِ مُتَعَلِّقًا بِمَعْنَى الْأُخْرَى كَمَا إِذَا كَانَتْ كَالْتَوْكِيدِ لَهَا أَوْ كَالصِّفَةِ فَلَا يَجُوزُ إِدْخَالُ الْعَاطِفِ عَلَيْهِ لِأَنَّ التَّوْكِيدَ وَالصِّفَةَ مُتَعَلِّقَانِ بِالْمَوْكَّدِ وَالْمَوْصُوفِ لِدَاثِيهِمَا . وَالتَّعَلُّقُ الدَّائِي يُغْنِي عَنْ لَفْظِ يَذْكُرُ عَلَى التَّعَلُّقِ . فَمِثَالُ التَّوْكِيدِ قَوْلُهُ : وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ . وَلَمْ يَقُلْ : (وَيُخَادِعُونَ) لِأَنَّ الْخُدَاعَةَ لَيْسَتْ شَيْئًا غَيْرَ قَوْلِهِمْ : آمَنَّا مَعَ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ . وَمِمَّا جَاءَ فِيهِ الْإِثْبَاتُ (بَانَ وَإِلَّا) عَلَى هَذَا أَحَدِ قَوْلَيْهِ : إِنْ هُوَ الْإِخْوِيُّ يُوحَى . فَالْإِثْبَاتُ فِي قَوْلِهِ تَأْكِيدٌ لِنَفْيِ مَا يُنْفَى . (الْقِسْمُ الثَّانِي) أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ تَعَلُّقٌ دَائِيٌّ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ فَجِبَّ تَرْكُ الْعَاطِفِ أَيْضًا لِأَنَّ الْعَاطِفَ لِلتَّشْرِيكِ وَلَا تَشْرِيكَ . وَمِنْ هَاهُنَا عَابُوا عَلَى أَبِي تَمَامٍ قَوْلَهُ :

لَا وَالَّذِي عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى مُرٌّ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ
إِذَا لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ مَرَادَةِ النَّوَى وَبَيْنَ كَرَمِ أَبِي الْحُسَيْنِ . وَلِذَلِكَ لَمْ يُحْسِنْ جَوَازَ الْعَاطِفِ . وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ فَمَا أَنْ يَكُونَ بِالَّذِي أَخْبَرَ بِهِمَا أَوْ بِالَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُمَا أَوْ بِهِمَا كِلَيْهِمَا . وَهَذَا الْآخِرُ

هو الْمُعْتَبَرُ فِي الْعَاطِفِ وَمَعْنَى الْمُنَاسَبَةِ أَنْ يَكُونَا مُتَشَابِهَيْنِ كَقَوْلِكَ :
 زَيْدٌ كَاتِبٌ وَعَمْرُو. أَوْ مُتَضَادَّيْنِ تَضَادًّا عَلَى الْخُصُوصِ كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ
 طَوِيلٌ وَعَمْرُو قَصِيرٌ . وَكَقَوْلِكَ : الْعَالَمُ حَسَنٌ وَالْجَهْلُ قَبِيحٌ . فَلَوْ
 قُلْتَ : زَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرُو شَاعِرٌ لَخِلَّ إِذَا لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ طُولِ الْقَامَةِ
 وَالشِّعْرِ . وَإِنْ كَانَ أَلْحَدُ عَنِ الْجَمَاتَيْنِ شَيْئًا وَاحِدًا كَقَوْلِكَ :
 فُلَانٌ يَقُولُ وَيَفْعَلُ وَيَضُرُّ وَيَنْفَعُ وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُسِيئُ وَيُحْسِنُ . يَجِبُ
 إِدْخَالُ الْعَاطِفِ فَإِنَّ الْغَرَضَ جَعْلُهُ فَأَيْلًا لِلأَمْرَيْنِ . فَلَوْ قُلْتَ : يَقُولُ
 يَفْعَلُ بِلَا عَاطِفٍ لَتَوَهَّمَ أَنَّ الثَّانِي رَجُوعٌ عَنِ الْأَوَّلِ . وَإِذَا أَفَادَ
 الْعَاطِفُ الْاجْتِمَاعَ أَزْدَادَ الْإِسْتِرَاكِ كَقَوْلِكَ : الْعَجَبُ مِنْ أَنَّكَ أَحْسَنْتَ
 وَأَسَأْتَ . وَالْعَجَبُ مِنْ أَنَّكَ تَهَى عَنْ شَيْءٍ تَأْتِي وَثَلَهُ . وَكَقَوْلِهِ :
 لَا تَطْمَعُوا أَنْ تَهِينُونَا وَتُكْرِمَكُمُ . وَأَنْ نَكْفُ الْأَذَى عَنْكُمُ وَتُؤْذُونَا
 فَإِنَّ الْمَعْنَى جَعَلَ الْفَعْلَيْنِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ أَيْ لَا تَطْمَعُوا أَنْ
 تَرَوْا إِكْرَامَنَا إِيَّاكُمْ يُوجِذُ مَعَ إِهَانَتِكُمْ إِيَّانَا . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يَجِبُ
 انْقِطَاعُ الْعَاطِفِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ لِاخْتِلَالِ الْمَعْنَى عِنْدَ اتِّبَاعِهِ
 كَقَوْلِهِ : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا : إِنَّا نَحْنُ
 مُصْلِحُونَ إِلَّا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ . فَقَوْلُهُ : (إِلَّا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) كَلَامٌ
 مُسْتَأْتَفٌ وَهُوَ إِخْبَارٌ بِهِ . فَلَوْ أَتَى بِالْوَاوِ لَكَانَ إِخْبَارًا عَنِ الْيَهُودِ
 بِأَنَّهُمْ وَصَفُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُفْسِدُونَ فَيَحْتَلِ الْمَعْنَى . قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ :
 وَإِذَا اسْتَقْرَيْتَ وَجَدْتَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ تَثْرِيهِمُ الْكَلَامَ
 إِذَا جَاءَ بِعَقَبٍ مَا يَقْتَضِي سُؤَالَ تَثْرِيَّتِهِ إِذَا ضَرَحَ بِذَلِكَ السُّؤَالَ

كثيرا. فمن لطيف ذلك قوله :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ صَدَّقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَجْلِي
لَا حِكْيَ عَنْ الْعَوَازِلِ قَوْلُهُمْ إِنَّهُ فِي غَمْرَةٍ وَكَانَ ذَلِكَ بِمَا يُحْرِكُ
السَّامِعَ عَلَى أَنْ يَسْأَلَهُ : فَمَا جَوَابُكَ عَنْ ذَلِكَ . أَخْرَجَ الْكَلَامَ مُخْرَجَهُ
إِذَا كَانَ قَدْ قِيلَ فَقَالَ : أَقُولُ صَدَّقُوا . أَنَا كَمَا قَالُوا وَلَكِنْ لَا مَطْمَعَ
لَهُمْ فِي فَلَاحِي . وَلَوْ قَالَ : وَصَدَّقُوا لَكِنْ لَمْ يَضَعْ نَفْسَهُ فِي أَنَّهُ
مَسْئُولٌ . وَأَمثال ذلك كثيرة . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى
الْعَاطْفِ بِخِلَافِ قَوْلِهِ : يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ . وَمَكْرُوا وَمَكَرَ
اللَّهُ : فَإِنْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْجَمْعَيْنِ خَبَرٌ

(وَمَا يَجِبُ) ذِكْرُهُ هَاهُنَا الْجُمْلَةُ إِذَا وَقَعَتْ حَالًا فَانْهَاجِي : مَعَ الْوَاوِ
تَارَةً وَبِدُونِهَا أُخْرَى . فَنَقُولُ الْجُمْلَةُ إِذَا وَقَعَتْ حَالًا فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ
خَبَرِيَّةً تَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ وَهُوَ عَلَى قَسَمَيْنِ : (الْأَوَّلُ) وَلَهُ
أَحْوَالٌ : (الْأَوَّلَى) أَنْ يُجْمَعَ لَهَا بَيْنَ الْوَاوِ وَضَمِيرِ صَاحِبِ الْحَالِ كَقَوْلِكَ :
جَاءَ زَيْدٌ وَمَعَهُ غُلَامُهُ وَلَقِيتُ زَيْدًا وَفَرَسُهُ سَابِقُهُ . وَهَذِهِ الْوَاوُ تُسَمَّى
وَإِوَالِحًا . (الثَّانِيَّةُ) أَنْ تَجِيءَ بِالضَّمِيرِ مِنْ غَيْرِ وَإِوَالِحِكَ :
كَلِمَتُهُ قُوَّةٌ إِلَى فِي . وَهُوَ فِي مَعْنَى مُشَافِهَا وَالرَّابِطُ الضَّمِيرُ . (الثَّالِثَةُ)
أَنْ تَجِيءَ بِالْوَاوِ مِنْ غَيْرِ ضَمِيرٍ وَهُوَ كَثِيرٌ كَقَوْلِكَ : لَقِيتُكَ وَالْخَيْشُ
قَادِمٌ . وَذَرَرَتْنَا وَالشِّتَاءُ خَارِجٌ . قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا يُجْجَرُ قَيْدِ الْوَاوِ هَيْصُ كُلِّ
وَيَجُوزُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ حَالَيْنِ : مُفْرَدٌ وَجُمْلَةٌ . إِذَا أَجَزْنَا وَقُوعَ حَالَيْنِ

كَقَوْلِكَ : لَقَيْتُكَ رَاكِبًا وَالْحَسَنُ قَادِمٌ . فَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنَ الثَّاءِ أَوْ
مِنَ الْكَافِ وَالْعَامِلُ فِيهَا (لَقَيْتُ) أَوْ مِنْ ضَمِيرِ (رَاكِبٍ) وَرَاكِبٌ
هُوَ الْعَامِلُ فِيهَا . (الْقِسْمُ الثَّانِي) الْجُمْلَةُ الْفَعْلِيَّةُ . وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ
مَاضِيًا أَوْ مُضَارِعًا . أَمَّا الْمَاضِي فَلَا بُدَّ مَعَهُ مِنَ الْإِثْنَانِ بِالْوَاوِ وَقَدْ
أَوْ بِأَحَدِهِمَا كَقَوْلِكَ : نَكَلَمْتُ وَقَدْ عَجَلْتُ . وَجَاءَ زَيْدٌ قَدْ ضَرَبَ
عَمْرًا . وَجِئْتُ وَأَسْرَعْتُ فِي الْعَجِيِّ . وَلَمْ يُجْزِ الْبَصَرِيُّونَ خُلُوهُ عَنْهُمَا
وَقَالُوا فِي قَوْلِ أَبِي صَخْرٍ الْهَذَلِيِّ :

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لَذِكْرَاكَ هِرَّةٌ كَمَا اتَّقَضَ الْعَصْفُورُ بِلَلَّهُ الْقَطْرُ
إِنَّ (قَدْ) مُقَدَّرَةٌ فِيهَا فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا عُرِفَ مَوْضِعُهُ جَازَ حَذْفُهُ .
وَأَمَّا الْمُضَارِعُ فَإِنْ كَانَ مُوجِبًا فَلَا يُوْتَى مَعَهُ بِالْوَاوِ تَقُولُ : جَاءَ نِي زَيْدٌ
يَضْحَكُ وَجَاءَ عَمْرٌو يُسْرِعُ وَجَلَسَ يُحَدِّثُنَا (بِالرَّفْعِ) أَيِ مُحَمَّدًا لَنَا
بِتَجَرُّدِهِ عَمَّا يُغَيِّرُ مَعْنَاهُ أَشْبَهَ اسْمَ الْفَاعِلِ إِذَا وَقَعَ حَالًا . وَإِنْ كَانَ
مَنْفِيًا جَازَ حَذْفُ الْوَاوِ مُرَاعَاةً لِأَصْلِ الْفِعْلِ الَّذِي هُوَ الْإِيجَابُ وَجَازَ
إِثْبَاتُهَا لِأَنَّ الْفِعْلَ لَيْسَ هُوَ الْحَالُ . فَإِنَّ مَعْنَى قَوْلِكَ : (جَلَسَ زَيْدٌ
وَلَمْ يَتَكَلَّمْ) جَلَسَ زَيْدٌ غَيْرَهُ تَكَلَّمَ . فَجَرَى مَجْرَى الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ .
فَالْحَذْفُ كَقَوْلِكَ : جَاءَ زَيْدٌ مَا يَفُوهُ بِنْتِ شَقَةٍ . وَكَقَوْلِهِ : أَحَلَّنَا
دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمِئْتُنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمِئْتُنَا فِيهَا نُعُوبٌ . قَقَوْلُهُ :
(لَا يَمِئْتُنَا) فِي تَوْضِعِ نَصَبٍ عَلَى الْحَالِ مِنْ ضَمِيرِ الْمَرْفُوعِ فِي أَحَلَّنَا .
وَالْإِثْبَاتُ كَقَوْلِكَ : جَلَسَ زَيْدٌ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ . وَقَالَ : أَفَلَا يَرَوْنَ
أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا . وَشَبَّهُوا بِهِ الْفِعْلَ

الْمَاضِي فَقَالُوا : جَاءَ زَيْدٌ مَا ضَرَبَ عَمْرًا . وَجَاءَ زَيْدٌ وَمَا ضَرَبَ عَمْرًا

البحث السابع

في تأكيد الكلام وقصره وتعزيزه بانً وانما

(عن صناعة الترسل ايضاً)

(راجع صفحة ١٩ من علم الادب)

أَمَّا (إِنْ) فَلَهَا فَوَائِدُ : (الْأُولَى) أَنَّهَا تَرْبِطُ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَةَ
بِالْأُولَى وَبَسْبِهَا يَحْصُلُ التَّأْلِيفُ بَيْنَهُمَا حَتَّى كَانَ الْكَلَامَيْنِ أَفْرَغًا
أَفْرَاغًا وَاحِدًا وَلَوْ أَسْقَطْتُهَا كَانَ الثَّانِي نَائِبًا عَنِ الْأَوَّلِ كَقَوْلِهِ :
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . (الثَّانِيَةُ)
أَنَّكَ تَرَى لِضَمِيرِ الشَّانِ وَالْقِصَةِ فِي الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ مَعَ (إِنْ) وَنِ
الْحُسْنِ وَاللُّطْفِ مَا لَا تَرَاهُ إِذَا هِيَ لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا كَقَوْلِهِ : إِنَّهُ
مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ . (الثَّالِثَةُ) أَنَّهَا
تُهَيِّئُ النِّكَرَةَ وَتُضَلِّحُهَا لِأَنَّهُ يُحَدِّثُ عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ النِّكَرَةُ مَوْضُوعَةً
جَازَ حَذْفُهَا وَلَكِنْ دَخُولُهَا أَصْلَحُ كَقَوْلِ حَسَّانٍ :

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِجَمَلٍ لَوْ مَانَ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ
(الرَّابِعَةُ) أَنَّهَا تُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ كَمَا إِذَا قِيلَ لَكَ : النَّاسُ
الْبُؤَاءُ عَلَيْكُمْ فَهَلْ لَكُمْ أَحَدٌ . فَقُلْتُ : إِنْ زَيْدًا أَوْ إِنْ عَمْرًا .
أَيُّ لَنَا . قَالَ الْأَعَشَى :

إِنْ مَحَلًا وَإِنْ مُرْتَحَلًا وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًا

(الْخَامِسَةُ) قَالَ الْمُرَدُّ إِذَا قُلْتَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ . فَهُوَ
 جَوَابٌ عَنْ سُوءِ السَّائِلِ . فَإِذَا قُلْتَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ . فَهُوَ جَوَابٌ
 عَنْ انْكَارِ نُسْكِ لِقِيَامِهِ سِوَاهُ . كَانَ الْنُسْكِ هُوَ السَّائِلُ أَوِ الْخَاضِرِينَ
 (وَأَمَّا إِنَّمَا) فَتَارَةٌ تَحْيِي لِلتَّخَصُّرِ بِمَعْنَى أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ لَا يُوجَدُ فِي
 سِوِ الْمَذْكُورِ وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ (لَيْسَ إِلَّا) كَقَوْلِهِ : إِنَّمَا يَسْتَحْيِبُ الَّذِينَ
 يَسْمَعُونَ . وَقَوْلِهِ : إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنْ أَتْبَعَ الذِّكْرَ . وَقَوْلِهِ : إِنَّمَا أَنْتَ
 مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا . وَتَارَةٌ تَحْيِي لِيَبَانَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ ظَاهِرٌ عِنْدَ كُلِّ
 أَحَدٍ سِوَاهُ . كَانَ كَذَلِكَ أَوْ فِي زَعْمِ الْمُتَكَلِّمِ . وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
 إِنَّمَا مَضَعَبٌ شَرَابٌ مِنْ اللَّهِ م تَجَلَّتْ مِنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
 مَدْعِيًا أَنَّ ذَلِكَ بِمَا لَا يَنْكُرُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ . (فَائِدَةٌ) إِذَا
 دَخَلَ (مَا وَإِلَّا) عَلَى الْجُمْلَةِ الْمَشْتَرِكَةِ عَلَى الْمَنْصُوبِ كَانَ الْمَقْصُودُ بِالذِّكْرِ
 مَا أَتَّصَلَ (بِإِلَّا) مُتَأَخِّرًا عَنْهُ . فَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ عَمْرًا إِلَّا زَيْدٌ .
 فَأَلْمَقْصُودُ الْمَرْفُوعُ . وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا . فَأَلْمَقْصُودُ
 الْمَنْصُوبُ . وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا . فَأَلِاخْتِصَاصُ بِالضَّارِبِ .
 وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ إِلَّا زَيْدًا عَمْرًا . فَأَلِاخْتِصَاصُ بِالْمَضْرُوبِ . وَإِذَا
 قُلْتَ : لَمْ أَكُنْ إِلَّا زَيْدًا جَبَةً . فَأَلْمَعْنَى تَحْصِيصُ سُسُوقِ الْجَبَةِ بَيْنَ
 النَّاسِ بِزَيْدٍ . وَكَذَلِكَ الْحُكْمُ حَيْثُ يَكُونُ يَدُلُّ أَحَدُ الْمَفْعُولَيْنِ جَارًا
 وَتَحْزُورًا كَقَوْلِ السَّيِّدِ الْخَمِيرِيِّ :

لَوْ خَيْرَ الْمَنْسَبِ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسًا
 وَكَذَلِكَ حُكْمُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ وَالْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ كَقَوْلِكَ : مَا

زَيْدٌ إِلَّا قَاتِمٌ وَمَا قَاتِمٌ إِلَّا زَيْدٌ . وَأَمَّا (إِنَّمَا) فَلِإِخْتِصَاصٍ فِيهَا يَقَعُ مَعَ
الْمُتَأَخِّرِ . فَإِذَا قُلْتَ : إِنَّمَا ضَرَبَ زَيْدًا عَمْرُو . فَلِإِخْتِصَاصٍ فِي الضَّارِبِ .
وَقَوْلُهُ : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) فَالْفَرْعُ يَبَيِّنُ الْمَرْفُوعَ
وَهُوَ أَنَّ الْخَاشِينَ هُمُ الْعُلَمَاءُ . وَلَوْ قُدِّمَ الْمَرْفُوعُ لَصَارَ الْمَقْصُودُ يَبَيِّنُ
الْخَشْيَةَ . وَنَهْ فَالْأَوَّلُ أَتَمُّ . وَمِنْهُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

أَنَا الرَّائِدُ الْحَامِي الدَّمَارُ وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي
فَإِنَّ غَرَضَهُ أَنْ يَحْصُرَ الْمُدَافِعَ بِأَنَّهُ هُوَ لَا الْمُدَافِعَ عَنْهُ . وَلَوْ قَالَ :
إِنَّمَا أَنَا أَدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ . تَوَجَّهَ التَّخْصِصُ إِلَى الْمُدَافِعِ عَنْهُ . إِذَا
أَدْخَلْتَ عَلَيْهِمَا (إِنَّمَا) فَإِنَّ قَدَمَتَ الْخَبَرِ فَلِإِخْتِصَاصٍ لِلْمُبْتَدِئِ . وَإِنْ
لَمْ تُقَدِّمَهُ فَلِلْخَبَرِ . فَإِذَا قُلْتَ : إِنَّمَا هَذَا لَكَ فَلِإِخْتِصَاصٍ فِي (لَكَ)
بِدَلِيلِ أَنَّكَ تَقُولُ بَعْدَهُ : لَا لغيرِكَ . وَإِنْ قُلْتَ : إِنَّمَا لَكَ هَذَا .
فَلِإِخْتِصَاصٍ فِي هَذَا بِدَلِيلِ أَنَّكَ تَقُولُ بَعْدَهُ لِذَاكَ . ثُمَّ قَدْ يَجْتَمِعُ
مَعَهُ حَرْفُ النِّفْيِ إِمَّا مُتَأَخِّرًا كَقَوْلِكَ : إِنَّمَا يَجِي زَيْدٌ لَا عَمْرُو . وَقَالَ
أَبِيْدٌ :

وَإِذَا جُوزِيَتْ قَرْضًا فَاجْرِهِ إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْحَمَلُ
وَأَمَّا مُقَدِّمًا عَلَيْهِ كَقَوْلِكَ : مَا جَاءَنِي زَيْدٌ وَإِنَّمَا جَاءَنِي عَمْرُو .
فَهَا هُنَا لَوْ لَمْ تَقُلْ : (إِنَّمَا) . وَقُلْتَ : مَا جَاءَنِي زَيْدٌ وَجَاءَنِي عَمْرُو .
لَكَانَ الْكَلَامُ مَعَ مَنْ ظَنَّ أَنَّهَا جَاءَ أَجْمِيعًا . وَإِذَا أَدْخَلْتَهَا كَانَ
الْكَلَامُ مَعَ مَنْ غَلِطَ فِي الْجَائِي أَنَّهُ زَيْدٌ لَا عَمْرُو . وَأَعْلَمُ أَنَّ أَقْوَى مَا
يَكُونُ إِنَّمَا إِذَا كَانَ لَا يَرَادُ بِالْكَلَامِ الَّذِي بَعْدَهَا نَفْسُ مَعْنَاهَا

وَلَكِنَّ التَّعْرِيضَ بِأَمْرٍ هُوَ مُقْتَضَاهُ . وَهَذَا التَّعْرِضُ لَا يَحْصُلُ بِدُونِ
(إِنَّمَا) لِأَنَّ مِنْ إِثْبَاتِهَا تَضْمِينَ الْكَلَامِ مَعْنَى النُّفْيِ بَعْدَ الْإِثْبَاتِ .
فَإِذَا أَسْقَطْتَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا إِثْبَاتُ الْحُكْمِ لِلْمَذْكُورِينَ فَلَا يَسْدُلُ
عَلَى قَهْرٍ غَيْرِهِمْ إِلَّا أَنْ يُذْكَرَ فِي مَعْرِضٍ يَدَّحِ الْإِنْسَانَ بِالتَّيَقُّظِ
وَالْكَرَمِ وَأَمْثَالِهِمَا كَمَا يُقَالُ : كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْعَاقِلُ وَهَكَذَا يَفْعَلُ
الْكَرِيمُ

البحث الثامن

في التقديم والتأخير

(عن صناعة الترسل ايضاً)

(راجع علم الادب صفحة ١٩)

إِذَا قُدِّمَ الشَّيْءُ عَلَى غَيْرِهِ قَالِمَا أَنْ يَكُونَ فِي نِيَّةِ التَّأْخِيرِ كَمَا
إِذَا قُدِّمَ الْخَبَرُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ . وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ فِي نِيَّةِ التَّأْخِيرِ وَلَكِنْ
أَنْتَقَلَ الشَّيْءُ مِنْ حُكْمٍ إِلَى آخَرٍ . كَمَا إِذَا جِئْتَ إِلَى أَسْمَيْنِ جَازَ أَنْ
يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُبْتَدَأً فَجَعَلْتَ أَحَدَهُمَا مُبْتَدَأً كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ
الْمُنْطَلِقُ وَالْمُنْطَلِقُ زَيْدٌ . قَالَ الْجَرَجَانِيُّ : كَانَتْهُمْ يُقْتَمُونَ الَّذِي بَيَّانُهُ
لَهُمْ لَمْ يَكُنْ وَهُمْ بَيَّانُهُ أَعْنَى وَإِنْ كَانَا جَمِيعًا يَهْمَانِهِمْ وَيَعْنِيَانِهِمْ . وَمِثَالُهُ
إِنَّ النَّاسَ إِذَا تَعَلَّقَ غَرَضُهُمْ بِقَتْلِ خَارِجِيٍّ مُفْسِدٍ وَلَا يَعْلَمُونَ مَنْ
صَدَرَ الْقَتْلُ مِنْهُ وَأَرَادَ مُرِيدُ الْأَخْبَارِ بِذَلِكَ قَاتَهُ يُقَدِّمُ ذِكْرَ الْخَارِجِيِّ
فَيَقُولُ : قَتَلَ الْخَارِجِيَّ زَيْدٌ . وَلَا يَقُولُ : قَتَلَ زَيْدٌ الْخَارِجِيَّ . لِأَنَّهُ يَعْلَمُ

أَنَّ قَتْلَ الْخَارِجِيِّ هُوَ الَّذِي يَعْصِيهِمْ . وَإِنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ قَتْلُ مَنْ
رَجُلٍ يَبْعُدُ فِي اعْتِقَادِ النَّاسِ وَقُوعُ الْقَتْلِ مِنْ مِثْلِهِ قَدْ أَمَّ الْخَبَرَ ذَكَرَ
الْفَاعِلِ فَيَقُولُ : قَتَلَ زَيْدٌ رَجُلًا . لِاعْتِقَادِ النَّاسِ فِي الْمَذْكُورِ خِلَافَ
ذَلِكَ (اهـ) . وَلَنْذَكْرُ مِنْهُ ثَلَاثَةٌ : مَوَاضِعُ يَعْرِفُ بِهَا مَا لَمْ يَذْكُرْ :
(الْأَوَّلُ الْإِسْتِفْهَامُ) فَإِذَا ادْخَلْتَهُ عَلَى الْفِعْلِ وَقُلْتَ : اضْرَبْتَ
زَيْدًا . كَانَ الشَّكُّ فِي وَجُودِ الْفِعْلِ مُحَقَّقًا وَالشَّكُّ فِي تَعْيِينِ الْفَاعِلِ
وَهَكَذَا حُكْمُ النِّكَرَةِ . فَإِذَا قُلْتَ : أَجَاءَكَ رَجُلٌ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ
هَلْ وَجَدَ الْحَيَّ مِنْ رَجُلٍ . فَإِذَا قُلْتَ : ارْجُلٌ جَاءَكَ كَانَ ذَلِكَ
سُوءًا إِلَّا عَنْ جِنْسٍ مَنْ جَاءَ بَعْدَ الْحُكْمِ بِوُجُودِ الْحَيِّ مِنْ إِنْسَانٍ .
وَقَسْ عَلَيْهِ الْخَبَرَ فِي قَوْلِكَ : ضَرَبْتَ زَيْدًا وَزَيْدًا ضَرَبْتَ . وَجَاءَ نِي
رَجُلٌ تَمَيُّي . وَرَجُلٌ تَمَيُّي جَاءَ نِي . ثُمَّ الْإِسْتِفْهَامُ قَدْ يَحْيِي لِلْإِنْكَارِ :
وَهُوَ إِمَّا لِلتَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيحِ وَعَلَيْهِ قَوَاهُ : أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَلِهَتِنَا . وَإِمَّا
لِلإِنْكَارِ أَنَّهُ الْفَاعِلُ مَعَ تَحْقِيقِ الْفِعْلِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ أَتَحُلُّ شَعْرًا :
أَنْتَ قُلْتَ هَذَا . وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ مُضَارِعًا فَإِنْ ادْخَلْتَ حَرْفَ
الْإِسْتِفْهَامِ عَلَيْهِ كَانَ إِمَّا لِلإِنْكَارِ وَوُجُودِهِ كَقَوْلِهِ : انْزِمِكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا
كَارِهُونَ . أَوْ لِلإِنْكَارِ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى الْفِعْلِ كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
أَيَقْتُلْنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ
أَوْ لِإِزَالَةِ طَمَعٍ مِنْ طَمِعٍ فِي أَمْرٍ لَا يَكُونُ فَيَجْهَأُ فِي طَمَعِهِ
كَقَوْلِكَ : أَيْرَضِي عَنْكَ فُلَانٌ وَأَنْتَ عَلَى مَا يَكْرَهُ . أَوْ لِتَعْظِيمِ مَنْ
يُضِيعُ الْحَقَّ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

أَتَرَكَ إِنْ قَاتَ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَارَتَهُ إِيَّايَ إِذَا لَلَيْمُ
 أَوْ لِتَقْدِيمِ الْفِعْلِ كَمَا تَقُولُ لَنْ يَرْكَبَ الْخَطَرَ : أَتَرَكَ فِي هَذَا
 الْوَقْتِ . وَإِنْ أَدْخَلْتَهُ عَلَى الْإِسْمِ فَهُوَ لِانْكَارِ صُدُورِ الْفِعْلِ مِنْ
 ذَلِكَ الْفَاعِلِ إِمَّا لِاسْتِحْقَارِ كَقَوْلِكَ : أَأَنْتَ تُمْغِي . أَوْ لِتَعْظِيمِ
 كَقَوْلِكَ : أَهْوَى يَسَالُ النَّاسَ . أَوْ لِلْمُبَالَغَةِ إِمَّا فِي كَرَمِهِ كَقَوْلِكَ :
 أَهْوَى يَمْنَعُ مَائِلُهُ . وَإِمَّا فِي خَسَاسَتِهِ كَقَوْلِكَ : أَهْوَى يَسْمَعُ بِمِثْلِ هَذَا .
 وَقَدْ يَكُونُ لِبَيَانِ اسْتِحْجَالِ فِعْلٍ ظَنُّ مُمْكِنًا كَقَوْلِهِ : أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ
 أَلْعَمَّ أَوْ تَهْدِي أَلْعَمَى . وَكَذَلِكَ إِذَا أَدْخَلْتَهُ عَلَى الْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ :
 أَغَيَّرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا وَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ . وَأَبْشَرْنَا مِنَّا وَاحِدًا تَبِعُهُ .

بَنُوا كَفَرَهُمْ عَلَى أَنَّ الْبَشْرَ لَيْسَ بِمَثَابَةٍ أَنْ يَتَّبِعَ وَيُطَاعَ

(فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِي التَّنْفِي) إِذَا أَدْخَلْتَ التَّنْفِيَّ عَلَى الْفِعْلِ
 قُلْتَ : مَا ضَرَبْتُ زَيْدًا . فَقَدْ تَقَيَّتْ عَنْ زَيْدٍ ضَرْبًا وَاقْعَا بِزَيْدٍ وَهَذَا
 لَا يَقْتَضِي كَوْنَ زَيْدٍ مَضْرُوبًا . وَإِذَا أَدْخَلْتَهُ عَلَى الْإِسْمِ قُلْتَ : مَا
 أَنَا ضَرَبْتُ زَيْدًا . أَقْتَضِي مِنْ بَابِ دَلِيلِ الْخُطَابِ كَوْنَ زَيْدٍ مَضْرُوبًا
 وَعَلَيْهِ قَوْلُ الْمَلْتَنِيِّ :

وَمَا أَمَا وَحْدِي قُلْتَ ذَا الشَّعْرِ كُلَّهُ وَلَكِنْ لِشَعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شَعْرٌ
 وَكَذَلِكَ (حَكَمَ الْجَارَ وَالْمَجْرُورَ وَحَكَمَ الْمَفْعُولَ) . فَاذَا قُلْتَ : مَا
 أَمَرْتُكَ بِهَذَا . لَمْ يَقْتَضِ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَمَرْتُ بِشَيْءٍ غَيْرِ هَذَا . وَإِذَا
 قُلْتَ : مَا بِهَذَا أَمَرْتُكَ . أَقْتَضَاهُ . وَإِذَا قَدِمْتَ صِفَةَ الْعُمُومِ عَلَى
 السَّابِ وَقُلْتَ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ أَفْعَلْهُ بِرَفْعٍ (كُلٌّ) كَانَ تَقِيًّا عَامًّا

وَيُنَاقِضُهُ الْإِثْبَاتُ الْخَاصُّ . فَلَوْ فَعَلْتَ بَعْضَهُ كُنْتَ كَاذِبًا . وَإِنْ قَدِمْتَ
الْسَّلْبَ وَقُلْتَ : لَمْ أَفْعَلْ كُلَّ ذَلِكَ . كَانَ هَئِذَا لِلْعُمُومِ وَلَا يَنُكَاسِي
الْإِثْبَاتُ الْخَاصُّ فَلَوْ فَعَلْتَ بَعْضَهُ لَمْ تَكُنْ كَاذِبًا . (الثَّالِثُ فِي التَّقْدِيمِ
وَالْتَأْخِيرِ فِي الْخَبَرِ الْمَثْبُوتِ) مَا تَقَدَّمَ فِي الْإِسْتِفْهَامِ وَالنَّفْيِ قَائِمٌ هَاهُنَا
فَإِذَا قَدِمْتَ الْأَسْمَ وَقُلْتَ : زَيْدٌ فَعَلَ وَأَنَا فَعَلْتُ . فَالْقَصْدُ أَنْ
الْفَاعِلَ إِمَّا لِلتَّخْصِصِ ذَلِكَ الْفِعْلَ بِهِ كَقَوْلِكَ : أَنَا شَفَعْتُ فِي شَأْنِهِ
مَذْهَبًا الْإِثْبَادَ بِذَلِكَ . أَوْ لِلتَّكْثِيرِ إِثْبَاتَ الْفِعْلِ لَهُ لَا لِلتَّحْصِرِ
كَقَوْلِكَ : هُوَ يُعْطِي الْجَزِيلَ . ائْتِمَنَّ فِي هَسِ السَّامِعِ أَنْ ذَلِكَ
دَابَّةٌ دُونَ نَفْسِهِ عَنْ غَيْرِهِ كَقَوْلِ دُرَّةَا بِنْتِ عَشَّاشَةٍ :

هُمَا يَلْبَسَانِ أَحْمَدَ أَحْسَنَ لَيْسَةَ شَحِيحَانِ مَا أَسْطَاعَا عَلَيْهِ كَلَاهُمَا
وَالسَّبَبُ فِي هَذَا التَّكْثِيرِ إِذَا قُلْتَ : مِثْلًا : (زَيْدٌ) . فَقَدْ أَشْعَرْتَ
بِأَنَّكَ تُرِيدُ الْحَدِيثَ عَنْهُ فَتَحْصُلُ لِلسَّامِعِ تَشْرِيقٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ . فَإِذَا
ذَكَرْتَهُ قَبْلَهُ النَّفْسُ قَوْلَ الصَّدِيقِ صَدِيقَةٍ فَيَكُونُ ذَلِكَ إِبْلَاغًا فِي
التَّحْقِيقِ وَتَقْيِ الشَّكِّ وَالشُّبْهِ . وَلِهَذَا تَقُولُ لِمَنْ تَعْدُهُ : أَنَا أَنْعِطُكَ .
أَنَا أَكْفِيكَ . أَنَا أَقُومُ بِهَذَا الْأَمْرِ . وَذَلِكَ إِذَا كَانَ مِنْ شَأْنٍ مَنْ
سَبَقَ لَهُ وَعَدَ أَنْ يَعْتَزَّضَهُ الشَّكُّ فِي وَفَائِهِ . وَلِذَلِكَ يُقَالُ فِي الْمَدْحِ :
أَنْتَ تُعْطِي الْجَزِيلَ . أَنْتَ تَجُودُ حِينَ لَا يَجُودُ أَحَدٌ . وَمِنْ هَاهُنَا
تَعْرِفُ الْفَتَاةَ فِي الْجَمَلِ الَّتِي فِيهَا ضَمِيرُ الشَّأْنِ وَالْقِصَّةِ كَقَوْلِهِ : فَإِنِهَا
لَا تَعْنِي الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْنِي الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ . وَكَقَوْلِهِ :
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ . (وَانْهَاهَا) فِيهَا مَا لَيْسَ فِي قَوْلِكَ : فَإِنْ

أَلَا بَصَارَ لَا تَعْمَى وَإِنَّ الْكَافِرِينَ لَا يُفْلِحُونَ . وَهَذَا الْكَلَامُ فِي الْخَبَرِ
الْمُنْفِيِّ . فَإِذَا قُلْتَ . أَنْتَ لَا تُحْسِنُ هَذَا . كَانَ أَبْلَغَ مِنْ أَنْ تَقُولَ :
لَا تُحْسِنُ هَذَا . فَالْأَوَّلُ لِمَنْ هُوَ أَشَدُّ إِعْجَابًا بِنَفْسِهِ وَأَكْثَرُ دَعْوَى
بِأَنَّهُ يُحْسِنُ . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ تَقْدِيمُ الْإِسْمِ كَاللَّازِمِ وَهُوَ :
(كَمَثَلِ) فِي تَحْوِيلِ قَوْلِهِ :

يَا عَائِلِي دَعْنِي مِنْ عَذْلِكَ مِثْلِي لَا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَ
وَقَوْلِ الْمُسْتَبِيِّ :

مِثْلَكَ يَشْنِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَدُّ الدَّمْعَ عَنْ غُرْبِهِ
وَقَوْلِ النَّاسِ : مِثْلَكَ يَرْمَى لِحَقِّ وَالْحَرَمَةِ . وَمَا أَشَبَّ ذَلِكَ مِمَّا
لَا يَقْصِدُ فِيهِ الْإِنْسَانُ سِوَى الَّذِي أُضِيفَ إِلَيْهِ وَجِيءَ بِهِ لِلْمُبَالَغَةِ .
وَالْمَعْنَى أَنَّ مَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي الْحَالِ وَالصِّفَةِ كَانَ مِنْ مَقْتَضَى الْقِيَاسِ
أَنْ يَفْعَلَ مَا ذَكَرَ فَكَيْفَ بِهِ . وَقَدْ عَبَّرَ الْمُسْتَبِيُّ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :
وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أَعْنِي بِهِ سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشَبِّهٍ

وَكَذَلِكَ لِحُكْمِ (غَيْرِ) إِذَا سَاكَ فِيهِ هَذَا الْمَسْلُوكُ كَقَوْلِ الْمُسْتَبِيِّ :
غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَتَخَدَّعُ إِنْ قَاتَلُوا جَبَّنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا
أَيُّ لَسْتُ مِمَّنْ يَتَخَدَّعُ وَيَغْتَرُّ . وَلَوْ لَمْ يُقَدِّمُ (مِثْلًا وَغَيْرًا) فِي
هَذِهِ الصُّورِ لَمْ يُرِدْ هَذَا الْمَعْنَى

(أَمَّا مَوَاضِعُ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ) فَقَدْ يُحْسِنُ التَّقْدِيمُ فِي مَوَاضِعَ :
(الْأَوَّلُ) أَنْ تَكُونَ الْحَاجَةُ إِلَى ذِكْرِهِ أَشَدَّ كَقَوْلِكَ : قَطَعَ الْأَصَّ
الْأَمِيرُ . (الثَّانِي) أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَلْيَقَ بِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكَلَامِ أَوْ

بِمَا بَعْدَهُ كَقَوْلِهِ : وَتُغْشِي وَجُوهَهُمُ النَّارُ . فَإِنَّهُ أَشْكَلُ بِمَا بَعْدَهُ .
وَهُوَ قَوْلُهُ : إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . وَبِمَا قَبْلَهُ وَهُوَ : مُقَرَّنِينَ فِي
الْأَصْفَادِ . (الثَّالِثُ) أَنْ يَكُونَ اعْرِفَ أَوْ أَشَدَّ تَعَلُّقًا بِمَا بَعْدَهُ
كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ قَامَ . وَقَامَ زَيْدٌ . وَزَيْدٌ الطَّوِيلُ . (الرَّابِعُ) أَنْ
يَكُونَ مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي لَهَا صَدْرُ الْكَلَامِ كَحُرُوفِ الِاسْتِفْهَامِ وَالنَّفْيِ
فَإِنَّ الِاسْتِفْهَامَ طَلَبُ فَهْمِ الشَّيْءِ وَهُوَ حَالَةٌ إِضَافِيَّةٌ فَلَا تَسْتَقِلُّ
بِالْمَفْهُومِيَّةِ فَيَشْتَدُّ اتِّصَالُهُ بِمَا بَعْدَهُ . (الْخَامِسُ) تَقْدِيمُ الْكَلِمَةِ
عَلَى جُزْئِيَّاتِهِ . فَإِنَّ الشَّيْءَ كُلَّمَا كَانَ أَكْثَرَ عُمُومًا كَانَ أَعْرِفَ فَإِنْ
الْوُجُودَ لَمَّا كَانَ أَعَمَّ الْأُمُورِ كَانَ أَعْرِفَهَا عِنْدَ الْعَقْلِ . (السَّادِسُ)
تَقْدِيمُ الدَّلِيلِ عَلَى الْمَذْذُولِ

وَأَمَّا التَّأْخِيرُ فَيَحْسُنُ فِي مَوَاضِعَ : (الْأَوَّلُ) تَمَامُ الْإِسْمِ كَالصِّلَةِ
وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ . (الثَّانِي) تَوَابِعُ الْأَسْمَاءِ . (الثَّالِثُ) الْفَاعِلُ .
(الرَّابِعُ) الْمَضَرُّ وَهُوَ أَنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا لَفْظًا وَتَقْدِيرًا كَقَوْلِكَ :
ضَرَبَ زَيْدٌ غُلَامَهُ . أَوْ مُتَأَخِّرًا فِي اللفظ مُقَدِّمًا فِي الْمَعْنَى كَقَوْلِهِ : وَإِذَا
أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ . أَوْ بِأَعْكَسِ كَقَوْلِكَ : ضَرَبَ غُلَامُهُ زَيْدٌ . جَازَ .
وَأَنْ تَقَدَّمَ لَفْظًا وَمَعْنَى لَمْ يَجْزُ كَقَوْلِكَ : ضَرَبَ غُلَامُهُ زَيْدًا .
(الْخَامِسُ) مَا يُفْضِي إِلَى اللَّبْسِ كَقَوْلِكَ : ضَرَبَ مُوسَى عِيسَى . وَأَكْرَمَ
هَذَا هَذَا . فَيَجِبُ فِيهِ تَقْدِيمُ الْفَاعِلِ . (السَّادِسُ) الْعَامِلُ الَّذِي يَضَعُ
عَمَلَهُ كَالصِّفَةِ الْمَشَبِّهَةِ وَالتَّمْيِيزِ وَاعْمَلْ فِيهِ حَرْفٌ أَوْ مَعْنَى كَقَوْلِكَ : هُوَ
حَسَنٌ وَجْهًا . وَكَرِيمٌ أَبًا . وَتَصَبَّبَ عَرَقًا . وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا وَإِنْ

زَيْدًا قَائِمًا . وَفِي الدَّارِ سَعْدٌ جَالِسٌ . وَلَا يَجُوزُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْعَاوِلِ
وَالْمَعْمُولِ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ فَلَا تَقُولُ : كَانَتْ زَيْدًا الْحُمَى تَأْخُذُ . إِذَا
رَفَعْتَ الْحُمَى بِكَانَتْ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْعَاوِلِ وَمَا عَمِلَ فِيهِ . فَإِنْ
اَضْمَرْتَ الْحُمَى فِي كَانَتْ صَحَّتِ الْمُسْتَلْةُ

البحث التاسع

في الحذف والاضمار

(عن صاعقة الترسلا ايضا)

(راجع صفحة ٢٠ من علم الادب)

إِغْلَامُ أَنَّ الْأَفْعَالَ الْمُتَعَدِّيَّةَ الَّتِي يَتْرُكُ ذِكْرَ مَفْعُولَاتِهَا عَلَى قَسْمَيْنِ :
(الْأَوَّلُ) أَنَّ لَا يَكُونُ لَهُ مَفْعُولٌ مُعَيَّنٌ فَقَدْ يَتْرُكُ مَفْعُولُهُ لِفِظًا
وَتَقْدِيرًا وَيُجْعَلُ حَالُهُ كَحَالِ غَيْرِ الْمُتَعَدِّي كَقَوْلِهِمْ : فَلَانِ يَحُلُّ وَيَعْقُدُ
وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيَضُرُّ وَيَنْفَعُ . وَالْمَقْصُودُ إِثْبَاتُ الْمَعْنَى فِي نَفْسِهِ الشَّيْءِ
مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِحَدِيثِ الْمَفْعُولِ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ : بِحَيْثُ يَكُونُ مِنْهُ
حَلٌّ وَعَقْدٌ وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ وَضَرْ وَشَع . وَبِالْجُمْلَةِ مَتَى كَانَ الْغَرَضُ بَيَانِ
حَالِ الْفَاعِلِ فَنُطِ قَلَّا تُعَدُّ الْفِعْلُ فَإِنْ تَعَدِّيَتْهُ تَنْقُصُ الْغَرَضُ . إِلَّا
تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : فَلَانِ يُعْطَى الدَّانِيَرُ كَانَ الْمَقْصُودُ بَيَانِ
جِنْسِ مَا تَنَاوَلَهُ الْإِعْطَاءُ لَا بَيَانِ حَالِ كَوْنِهِ مُعْطِيًا . (الثَّانِي) أَنَّ
يَكُونُ لَهُ مَفْعُولٌ مَعْلُومٌ إِلَّا أَنَّهُ يُحْذَفُ مِنَ اللَّفْظِ لِأَغْرَاضٍ : (الْأَوَّلُ)
أَنَّ يَكُونَ الْمُرَادُ بَيَانِ حَالِ الْفَاعِلِ وَأَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلُ دَائِبُهُ لَا يَبَانُ

الْمَفْعُولُ كَقَوْلِ طَفِيلٍ :

جَزَى اللَّهُ عَنَا جَعْفَرًا حِينَ أَزَلَّتْ بَنَا نَعْلَانَا فِي الْوَاطِئِينَ فَرَلَتْ
أَبَوَا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنْ أَمَّنَا تَلَا فِي الَّذِي لَأَقْوَهُ مِنَّا لَمَّتْ
هُمْ خَلَطُونَا بِالنُّفُوسِ وَأَجْلَاوَا إِلَى حُجَرَاتِ أَذْفَاتٍ وَأَظَلَّتْ

وَالْأَصْلُ أَنْ يَقُولَ : لَمَلْنَا وَأَجْلَاوْنَا وَأَذْفَاتُنَا وَأَظَلَّتْنَا فَحَذَفَ

الْمَفْعُولَ الْمُعَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْأَرْبَعَةِ وَكَأَنَّهُ قَدْ أَنِمْ وَلَمْ يُقْصَدِ

قَصْدُ شَيْءٍ يَقَعُ عَلَيْهِ كَمَا تَقُولُ : قَدْ مَلَ فُلَانٌ . تُرِيدُ قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ

الْمَلَالُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَخْصَّ شَيْئًا بَلْ لَا تُرِيدُ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ الْمَلَالَ مِنْ

صِفَتِهِ . فَكَذَلِكَ الشَّاعِرُ جَعَلَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مِنْ ذَاتِهِمْ وَلَوْ أَضَافَ

إِلَى مَفْعُولٍ مُعَيَّنٍ لَبَطَلَ هَذَا الْفَرَضُ . (الثَّانِي) أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ ذِكْرُهُ

إِلَّا إِنَّكَ لَا تَذْكُرُهُ إِسْمًا لِأَنَّكَ لَا تَقْصِدُ ذِكْرَهُ كَقَوْلِ الْبُخْتَرِيِّ :

شَجَوُ حَسَادِهِ وَغَيْظُ عِدَاةِ أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ وَاعٍ

الْمَعْنَى أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ مُحَاسِنُهُ وَأَنْ يَسْمَعَ وَاعٍ أَخْبَارَهُ . وَلَكِنَّهُ

تَغَافَلَ عَنْ ذَلِكَ إِذَا نَا بِأَنْ فَضَائِلُهُ يَكْفِي فِيهَا أَنْ يَقَعَ عَلَيْهَا بَصَرٌ

وَيَعِيهَا سَمْعٌ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْفَضَائِلِ فَلَيْسَ لِحَسَادِهِ وَعِدَاةِ

أَشْجَى مِنْ عَلَيْهِمْ بِأَنْ هَاهُنَا مُبْصِرٌ وَسَامِعٌ . (الثَّالِثُ) أَنْ يُحْذَفَ

لِكَوْنِهِ بَيْنَا كَقَوْلِهِمْ : أَضَعَيْتُ إِلَيْكَ . أَيِ أَدْنِي . وَأَغَضَيْتُ عَلَيْكَ .

أَيِ جَفَنِي

(فَضْلٌ فِي حَذْفِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ) قَدْ يُحْسَنُ حَذْفُ الْمُبْتَدَأِ حَيْثُ

يَكُونُ الْفَرَضُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ فِي اسْتِحْقَاقِ الْوَصْفِ بِمَا جُعِلَ وَضْفًا لَهُ

إِنِّي حَيْثُ يُعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا لَهُ سَوَاءٌ كَانَ فِي نَفْسِهِ
كَذَلِكَ أَوْ بِحَسَبِ دَعْوَى الشَّاعِرِ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ فَذِكْرُهُ يُطْلُ
هَذَا الْقَرَضَ . وَلِهَذَا قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : مَا مِنْ أَسْمٍ يُحْذَفُ فِي الْحَالَةِ
يَنْبَغِي أَنْ يُحْذَفَ فِيهَا إِلَّا وَحْدُهُ أَحْسَنُ مِنْ ذِكْرِهِ فَمَنْ حَذَفَ
الْمُبْتَدَأَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَا يُعِيدُ اللَّهُ التَّائِبَ م وَالْعَارَاتِ إِذْ قَالَ الْحَمِيسُ نَعَمْ
أَيُّ هَذِهِ نَعَمْ . قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : وَمِنْ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَطْرُدُ
فِيهَا حَذْفُ الْمُبْتَدَأِ بِالنَّقْطِ وَالْإِسْتِنَافِ إِنَّهُمْ يَبْدَأُونَ بِذِكْرِ الرَّجُلِ
وَيَقْدَهُونَ بَعْضَ أَمْرِهِ ثُمَّ يَدْعُونَ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ فَيَسْتَأْنِفُونَ كَلَامًا
آخَرَ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَتَوْا فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ بِجَهْرٍ مِنْ غَيْرِ مُبْتَدَأٍ مِثَالُ ذَلِكَ :
وَعَلَيْتُ أَيُّ يَوْمَ ذَا لِكَ مُنَازِلٌ كَعْبًا وَنَهْدًا
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ م تَنَمَّرُوا حَلْفًا وَقَدًّا
وَقَوْلُ الْخَطِيبَةِ :

هُمْ حَلَّوْا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى وَمِنْ حَسَبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا
أَسَاءَةُ مَكَارِمٍ وَأَسَاءَةُ كَلَمٍ دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ
وَأَمِثْلُهُ كَثِيرَةٌ . وَمِنْ حَذْفِ الْخَبَرِ قَوْلُهُ : لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا
هُوَ بَيْنَ أَيِّ لَوْلَا أَنْتُمْ مُضِلُّونَا . وَقَوْلُ عُمَرَ : لَوْلَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ عُمَرُ . أَيُّ
لَوْلَا عَلِيٌّ حَاضِرٌ أَوْ مُغْتَبِ . وَمِمَّا يَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ قَوْلُهُ : طَاعَةٌ وَقَوْلُ
مَعْرُوفٍ . وَقَوْلُهُ : فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

الْإِضْمَارُ عَلَى شَرِيطَةِ التَّفْسِيرِ كَقَوْلِكَ : أَكْرَمَنِي وَأَكْرَمْتَ عَبْدَ اللَّهِ أَيُّ

أَكْرَمَنِي عَبْدُ اللَّهِ وَأَكْرَمْتُ عَبْدَ اللَّهِ. وَمِمَّا يُشَبِّهُ ذَلِكَ مَفْعُولُ الْمَشِيئَةِ إِذَا جَاءَتْ بَعْدَ (لَوْ). فَإِنْ كَانَ مَفْعُولَهَا عَظِيمًا أَوْ غَرِيبًا فَأَلَاوَلِي ذِكْرُهُ كَقَوْلِهِ : وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاعَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ فَإِنْ بُكَاءُ الْإِنْسَانِ دَمًا عَجِيبٌ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَأَلَاوَلِي حَذْفُهُ كَقَوْلِهِ : وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى. وَالتَّقْدِيرُ : وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى لَجَمَعَهُمْ. وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ تَرَكْتُ الْكِنَايَةَ إِلَى التَّصْرِيحِ لِأَنَّ فِيهِ مِنْ زِيَادَةِ التَّخَامَةِ كَقَوْلِ الْجُبَّارِيِّ :

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّودِ دُودَ وَالْحَجْدِ وَالْمَصَّارِمِ مِثْلًا
الْمَعْنَى قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا. ثُمَّ حُذِفَ لِأَنَّ هَذَا الْمَذْحَ إِذَا يَتِمُّ بِنَفْيِ
الْمِثْلِ فَلَوْ قَالَ : قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا فِي السُّودِ وَالْحَجْدِ فَلَمْ نَجِدْ
لَكَ مِثْلًا قَدْ أَوْقَعَ نَفْيَ الْوُجُودِ عَلَى ضَمِيرِ (الْمِثْلِ) فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ
الْمُبَالَغَةِ مَا إِذَا أَوْقَعَهُ عَلَى صَرِيحِ الْمِثْلِ. فَإِنَّ الْكِنَايَةَ لَا تَبْلُغُ مَبْلَغَ
الصَّرِيحِ. وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَقَصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

البحث العاشر

في جوامع الكلم

(عن المثل السائر لابن الاثير باختصار)

إِنَّ الْكَلِمَ جَمْعُ كَلِمَةٍ. وَالْجَوَامِعُ جَمْعُ جَامِعَةٍ. وَالْجَامِعَةُ اسْمُ
فَاعِلَةٍ مِنْ حَمَمَتْ فَهِيَ جَامِعَةٌ. كَمَا يُقَالُ فِي الْمَذْكُورِ جَمْعٌ فَهُوَ جَامِعٌ

وَالْمُرَادُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ الْجَوَامِعُ لِلْمَعَانِي. وَهُوَ عِنْدِي يَتَقَسِمُ
قِسْمَيْنِ : (الْقِسْمُ الْأَوَّلُ) مِنْهُمَا هُوَ مَا اسْتُخْرِجَتْهُ وَنَبِهَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ
يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيهِ قَوْلٌ سَابِقٌ وَهُوَ أَنَّ لَنَا أَلْفَاظًا تَتَضَمَّنُ مِنَ الْمَعْنَى
مَا لَا تَتَضَمَّنُهُ أَخَوَاتُهَا بِمَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي مَكَانِهَا . فَمِنْ
ذَلِكَ مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحِجَازِ . وَمِنْهُ مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحَقِيقَةِ .
وَقَدْ وَرَدَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ الْفَلَقِيِّينَ . وَقَدْ تَصَفَّحْتُ
الْأَشْعَارَ قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا وَحَفِظْتُ مَا حَفِظْتُ مِنْهَا وَكُنْتُ إِذَا مَرَرْتُ
بِنَظَرِي فِي دِيْوَانِ مِنَ الدَّوَاوِينِ وَيُلَوِّحُ لِي فِيهِ مِثْلُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ أَجَدُ
لَهَا نَشْوَةً كَنَشْوَةِ الْحَمْرِ وَطَرَبًا كَطَرَبِ الْأَلْحَانِ . وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاطِقِينَ
وَالنَّائِثِينَ يَمُرُّ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَتَفَتَّنُ لَهُ سِوَى أَنَّهُ يَسْتَحْسِنُهُ مِنْ غَيْرِ
نَظَرٍ فِيمَا نَظَرْتُ أَنَا فِيهِ وَيَظُنُّهُ كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسِنَةِ .
فَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

كَمْ صَارِمٍ عَضِبَ أَنْفَ عَلَى قَفَا مِنْهُمْ لِأَعْبَاءِ الْوَعَى حِمَالِ
سَبَقَ الْمَشِيبَ إِلَيْهِ حَتَّى أَبْتَدَهُ وَطَنُ النَّهْيِ مِنْ مَفْرِقٍ وَقَدَالِ
فَقَوْلُهُ : (وَطَنُ النَّهْيِ) مِنَ الْكَلِمَاتِ الْجَلَامَةِ وَهِيَ عِبَارَةٌ
عَنِ الرَّأْسِ وَلَا يُجَاءُ بِمِثْلِهَا فِي مَعْنَاهَا بِمَا يَسُدُّ مَسَدَهَا . وَكَذَلِكَ وَرَدَ
قَوْلُ الْبُخْتَرِيِّ :

قَلْبٌ يُطِلُّ عَلَى أَفْكَارِهِ وَيَدُّ تَمْضِي الْأُورِ وَتَقْسُّ لَهَا التَّعَبُ
فَقَوْلُهُ : (قَلْبٌ يُطِلُّ عَلَى أَفْكَارِهِ) مِنَ الْكَلِمَاتِ الْجَوَامِعِ .
وَمُرَادُهُ بِذَلِكَ أَنَّ قَلْبَهُ لَا تَمْلَأُهُ الْأَفْكَارُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ عَالٍ

عَلَيْهَا يَصِفُ بِذَلِكَ عَدَمَ اخْتِفَالِهِ بِالْفَوَادِحِ وَقِلَّةَ مُبَالَاتِهِ بِالْخُطُوبِ
الَّتِي تُحَدِّثُ افْكَارًا تَسْتَقِرُّ الْقُلُوبُ وَهَذِهِ عِبَارَةٌ عَجِيبَةٌ لَا يُؤْتِي بِمِثْلِهَا
بِمَا يَسُدُّ مَسَلَّتَهَا . (وَأَمَّا) مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحَقِيقَةِ فَكَقَوْلِ ابْنِ
الرُّومِيِّ :

سَقَى اللَّهُ أَوْطَارًا لَنَا وَمَارِبًا تَقَطَّعَ مِنْ أَقْرَانِهَا مَا تَقَطَّعًا
إِيَالٍ تُنَسِّينِي الْإِيَالِي حِسَابَهَا بُلْهَنِيَّةٌ أَقْضِي بِهَا الْحَوْلَ أَجْمَعًا
سَوَى عِزَّةٍ لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ بِأَسْمِهِ وَأَعْمَلُ فِيهِ اللَّهُ مَرَايَ وَمَسْمَعًا
قَوْلُهُ : (لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ بِأَسْمِهِ) وَنَ الْكَلِمَاتِ الْجَامِعَةِ أَيِ
إِنِّي قَدْ شَغَلْتُ بِاللذَّاتِ عَنْ مَعْرِقَةِ الْإِيَالِي وَالْأَيَّامِ وَكَوْ وَصَفَ
اشْتِغَالَهُ بِاللذَّاتِ مَهْمَا وَصَفَ لَمْ يَأْتِ بِمِثْلِ قَوْلِهِ : (لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ
بِأَسْمِهِ) . (وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي) وَنَ جَوَامِعِ الْكَلِمِ فَأَلْمَرَادُ بِهِ الْإِيحَازُ
الَّذِي يَدُلُّ بِهِ بِالْأَلْفَافِ الْقَلِيلَةِ عَلَى الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ أَيِ تَكُونُ
الْأَلْفَافُ جَامِعَةً الْمَعَانِي الْمَقْصُودَةِ عَلَى إِيجَازِهَا وَلِخْتِصَارِهَا . وَسَيَأْتِي
فِي بَابِ الْإِيحَازِ مَثَلُهُ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَمَشْعُ . (فَإِنْ قِيلَ) : فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ
هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ الَّذِينَ ذَكَرْتَهُمَا فَإِنَّهُمَا بِالنَّظَرِ سَوَاءٌ . (قُلْتُ فِي
الْجَوَابِ) : إِنْ الْإِيحَازُ هُوَ أَنْ يُؤْتَى بِالْأَلْفَافِ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى وَنَ غَيْرِ
أَنْ تَرِيدَ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى وَلَا يُشْتَرَطُ فِي تِلْكَ الْأَلْفَافِ أَنَّهَا لَا تَظِيرُ
لَهَا فَإِنَّهَا تَكُونُ قَدْ اتَّصَفَتْ بِوَصْفِ آخَرٍ خَارِجٍ عَنْ وَصْفِ الْإِيحَازِ .
وَحِينَئِذٍ يَكُونُ إِيجَازًا أَوْ زِيَادَةً . وَأَمَّا هَذَا الْقِسْمُ الْآخَرُ فَإِنَّهُ الْأَلْفَافُ
أَفْرَادٌ فِي حُسْنِهَا لَا تَظِيرُ لَهَا . فَتَارَةً تَكُونُ مُوجِزَةً وَتَارَةً لَا تَكُونُ

مَوْجَزَةٌ . وَلَيْسَ الْفَرْضُ مِنْهَا الْإِيجَازُ وَإِنَّمَا الْفَرْضُ مَكَانُهَا مِنْ الْحُسْنِ
الَّذِي لَا تَخِيرُ لَهَا فِيهِ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ : (وَطَنَ الْتُّهَى)
فَإِنَّ ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنِ الرَّأْسِ وَلَا شَكَّ أَنَّ الرَّأْسَ أَوْجَزُ لِأَنَّ الرَّأْسَ
لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ . وَوَطَنَ الْتُّهَى لَفْظَتَانِ . إِلَّا إِنْ (وَطَنَ الْتُّهَى) أَحْسَنُ فِي
التَّعْيِيرِ عَنِ الرَّأْسِ . فَإِنَّ يَهَذَا أَنَّ أَحَدَ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ غَيْرُ الْآخَرِ

البحث الحادي عشر

في الانسجام

(عن شرح بديعة البيان لابن جابر وبديعة الحموي)

(راجع صفحة ٢١ من علم الادب)

الْإِنْجَامُ لُغَةٌ جَرَيَانُ الْمَاءِ وَعِنْدَ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ هُوَ أَنْ يَأْتِيَ
النَّاطِقُ أَوْ النَّاتِرُ بِكَلَامٍ خَالٍ مِنَ التَّعْقِيدِ اللَّفْظِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ بَسِيطًا
مَفْهُومًا دَقِيقًا أَلْفَاظًا جَلِيلًا أَلْفَنًى لَا تَكْلُفُ فِيهِ وَلَا تَعَسُفُ يَتَحَدَّرُ
كَمَحَدَّرِ الْمَاءِ الْمُنْتَسِجِمِ فَيَكَادُ لِسُهُوْلَةٍ تَرْكِيْبُهُ وَعَذُوْبَةٍ أَلْفَاظِهِ أَنْ يَسِيلَ
رِقَّةً . وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي مَنْ هُوَ مَطْبُوعٌ عَلَى سَلَامَةِ الذَّوْقِ
وَتَوْقُدِ الْفِكْرَةَ وَبَرَاعَةِ الْإِنْشَاءِ وَحُسْنِ الْأَسَالِيْبِ . فَإِنْ كَانَ
صَنُوعًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِيهِ غَالِبًا مَا يُظْهِرُ صِنَاعَتَهُ مَعَ مُقَابَلَتِهِ بِغَيْرِهِ
مِنْ نَفْسِ صَانِعِهِ . وَإِنْ قُحِّلَ هَذَا الْمِيدَانُ مَا أَثَقَلُوا كَاهِلَ سُهُوْلَتِهِ
بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ .
وَعَلَى هَذَا أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْبَدِيعِ فِي حَدِّ هَذَا النَّوعِ فَإِنَّهُمْ قَرَرُوا : أَنْ
يَكُونَ بَعِيدًا فِي التَّصْنُوعِ خَالِيًا مِنَ الْأَنْوَاعِ الْبَدِيعِيَّةِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ

فِي ضَمْنِ السُّهُولَةِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ . وَإِنْ كَانَ الْإِتْسَاجُ فِي النَّثْرِ تَكُونُ
غَالِبَ قَرَأَتِهِ مَوْذُوتَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لِقُوَّةِ اتِّسَاجِهِ . وَإِنْ كَانَ فِي
النَّظْمِ فَتَكَادُ الْآيَاتُ أَنْ تَسِيلَ رَقَّةً وَعُدُوبَةً . وَرَبَّمَا دَخَلَتْ فِي
الْمُطَرِّبِ وَالْمُرْقِصِ

البحث الثاني عشر

في القول في النظم

(عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار)

(راجع صفحة ٢٤ من علم الادب)

النَّظْمُ عِبَارَةٌ عَنْ تَوَاحِي مَعَانِي النَّحْوِ فِيمَا بَيْنَ الْكَلَامِ . وَذَلِكَ
أَنْ تَضَعَ كَلَامَكَ الْوَضْعَ الَّذِي يَشْتَضِيهِ عِلْمُ النَّحْوِ بَأَنْ تَنْظُرَ فِي
كُلِّ نَابٍ إِلَى قَوَائِنِهِ وَالْفُرُوقِ أَيْ بَيْنَ مَعَانِي اخْتِلَافِ صِيغِهِ وَتَضَعَ
لِلْحُرُوفِ مَوَاضِعَهَا وَتُرَاعِي شَرَائِطَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ وَمَوَاضِعَ الْفَصْلِ
وَالْوَصْلِ وَمَوَاضِعَ حُرُوفِ الْعَطْفِ عَلَى اخْتِلَافِ مَعَانِيهَا وَتَقْتَسِرَ
الْإِصَابَةَ فِي طَرِيقِ التَّشْبِيهِ وَالتَّشْيِيلِ . وَقَدْ أَطَبَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَعْظِيمِ
شَأْنِ النَّظْمِ وَأَنْ لَا فَضْلَ مَعَ عَدَمِهِ وَلَوْ بَلَغَ الْكَلَامُ فِي غَرَابَةِ مَعْنَاهُ
إِلَى مَا بَلَغَ . وَإِنْ سَبَبَ فُسَادِهِ تَرْكُ الْعَمَلِ بِقَرَائِنِ النَّحْوِ وَاسْتِعْمَالُ
شَيْءٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . ثُمَّ لَجَلُّ الْكَبِيرَةِ إِذَا تُظِمَّتْ نَظْمًا وَاحِدًا
فَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ : (الْأَوَّلُ) أَنْ يَتَعَلَّقَ الْبَعْضُ بِالْبَعْضِ فَلَا يَحْتَاجُ
وَاضِعُهُ إِلَى فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ فِي اسْتِخْرَاجِهِ بَلْ هُوَ كَمَنْ عَمَدَ إِلَى اللَّاحِظِ

يَنْظِمُهَا فِي سِلْكٍ . وَمِثَالُهُ قَوْلُ الْجَالِظِ : جَنَّبَكَ اللَّهُ الشُّبُهَةَ وَعَصَمَكَ
 مِنَ الْخِيَرَةِ وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَعْرُوفِ نَسَبًا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ الصِّدْقِ
 سَبِيلًا . وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ النُّعْمَانِ : يُفَاخِرُكَ ابْنُ أَبِي جَفْنَةَ وَإِنَّ لِقَفَاكَ
 خَيْرٌ مِنْ وَجْهِهِ وَلِشِمَالِكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِهِ وَلَا تَخْصُصْ خَيْرٌ مِنْ رَأْسِهِ
 وَلِخَطَاكَ خَيْرٌ مِنْ صَوَابِهِ وَلِخِدْمِكَ خَيْرٌ مِنْ قَوْمِهِ . وَهَذَا النَّظْمُ لَا يَسْتَحِقُّ
 الْفَضْلَ إِلَّا بِسَلَامَةِ مَعْنَاهُ وَسَلَامَةِ الْفَاطِظِ إِذْ لَيْسَ فِيهِ مَعْنَى دَقِيقٌ
 لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِثَاقِبِ الْفِكْرِ . وَرَبَّمَا ظَنَّ بِالْكَلَامِ آتَهُ مِنْ هَذَا
 الْجِنْسِ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُ . (الثَّانِي) أَنْ تَكُونَ الْجَمْلُ الْمَذْكُورَةُ
 يَتَعَلَّقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَهَنَّاكَ تَطْهَرُ قُوَّةُ الطَّبْعِ وَجُودَةُ الْقَرِيحَةِ وَاسْتِقَامَةُ
 الذَّهْنِ . ثُمَّ لَيْسَ لِهَذَا أَلْبَابُ قَانُونٌ يُحْفَظُ فَإِنَّمَا يَجِيءُ عَلَى وَجْهِهِ شَيْءٌ :
 (فَمِنْهَا الْإِيحَازُ) وَهُوَ التَّعْيِيرُ عَنِ الْغَرَضِ بِأَقْلٍ مَا يُمَكِّنُ مِنَ
 الْحُرُوفِ وَهُوَ عَلَى ضَرِيئَيْنِ : (أَحَدُهُمَا) إِيحَازُ قَصْرِ وَهُوَ تَقْلِيلُ اللَّفْظِ
 وَتَكْثِيرُ الْمَعْنَى . (وَالثَّانِي) إِيحَازُ حَذْفٍ وَهُوَ الْأَسْتِغْنَاءُ بِالْمَذْكُورِ
 عَمَّا لَمْ يُذَكَّرْ . (وَمِنْهَا التَّأَكِيدُ) وَهُوَ تَقْوِيَةُ الْمَعْنَى وَتَقْرِيرُهُ أَمَّا
 بِإِظْهَارِ الدِّهَانِ كَقَوْلِ قَابُوسَ :

يَا ذَا الَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيْنَانَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ الْإِمْنَ لَهُ خَطَرُ
 أَمَا تَرَى الْجُرَّ يَغْلُو فَوْقَهُ جِيفُ وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرُ
 وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ غَيْرُ ذِي عَدَدٍ وَلَيْسَ يُكْسِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 (أَوْ بِالْعَزِيمَةِ) كَقَوْلِهِ : فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ .

(أَوْ بِالتَّكْرَارِ) كَقَوْلِهِمْ : اللَّهُ اللَّهُ وَالْأَسَدَ الْأَسَدَ

الفصل الرابع

في البيان

البحث الاول

في تحديد البيان على وجه الاجمال

(من كتاب البيان والبيان للباحظ وغرر الخصائص للوطواط بتصرف)

(راجع صفحة ٢٢٧ و ٢٢٨ من علم الادب)

البيان اسم لكل شيء كشف لك على بيان المعنى ومقتك
لك الخجب دون الضمير حتى يفني السامع الى حقيقته ويفهم على
مخصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل .
لان مدار الامر والغاية التي تجري اليها القائل والسامع انما هو
الفهم والافهام فباي شيء بانته الافهام واوضحت عن المعنى
فذلك هو البيان في ذلك الموضع . وقيل لجعفر بن يحيى البرمكي :
ما البيان . قال : ان يكون الاسم يحيط بمعناك ويكشف عن
معناك ويخرجه من الشبهة ولا يستعان عليه بالفكرة ويكون سليما
ون التكلف بعيدا من الصنع بريئا من التعقيد غنيا عن التأويل .
وقالوا : البيان بصر والعي عي كما ان العلم بصر والجهل عي
والبيان من نتائج العلم والعي من نتائج الجهل . وقالوا : حياة
المروءة الصدق حياة الروح العفاف حياة الحلم العلم حياة العلم

أَلْيَانُ . وَقَالَ ابْنُ النَّوَّامِ : أَلُرُّوحُ عِمَادُ أَلْبَدَنِ وَأَلْعِلْمُ عِمَادُ أَلرُّوحِ
وَأَلْيَانُ عِمَادُ أَلْعِلْمِ . وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ أَلْكَلَامَ إِذَا كَثُرَ
عَنْ قَدْرِ أَلْحَاجَةِ وَزَادَ عَلَى حَدِّ أَلْكِفَايَةِ وَكَانَ صَوَابًا لَا يَشُوبُهُ خَطْلٌ
وَسَلِيمًا لَا يَنْقُصُهُ زَلَلٌ فَهُوَ أَلْيَانٌ وَأَلْسِحْرُ أَلْحِلَالِ . (وَفِي كُتُبِ
أَلْحُكَمَاءِ) : أَلْيَانٌ هُوَ أَنْ يُجَسِّنَ أَلْعِبَارَةَ عَنْ أَلْمَعَانِي أَلَّتِي تَهْجِسُ
فِي أَلضَّمِيرِ فَيُجْتَاجُ إِلَى نَقْلِ صُورِهَا أَلنَّحْوِيَّةَ أَوْ أَلْمَعْقُولَةَ إِلَى ضَمِيرٍ مَنْ
يُخَاطَبُهُ . وَقَالَ آخَرُ : خِذْ أَلْيَانَ مَا كَانَ مُصَرَّحًا عَنْ أَلْمَعْنَى لِيَسْرَعَ
إِلَى أَلْفَهْمِ تَلَقُّنُهُ وَمَوْجَزَ أَلْيَجْفَ عَلَى أَللِّسَانِ تَعَاهُدُهُ . قَالَ ابْنُ أَلْمُعْتَرِ :
أَلْيَانٌ تَرْجَمَانُ أَلْقُلُوبِ وَعَمِيقُ أَلْعُقُولِ . وَقَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ :
أَلْيَانٌ تَرْجَمَانُ أَللِّسَانِ وَرَوْضُ أَلْقُلُوبِ

البحث الثاني

في تعريف علم البيان

(عن الكتاف للتهانوي وكشف الطنون للحاج خلعا)

(راجع صفحة ٢٧ من علم الادب)

أَلْيَانٌ لُقَّةُ أَلْكَشْفِ وَأَلتَّوَضُّيْعِ وَأَلظُّهُورِ وَهُوَ فِي أَلِأَصْطِلَاحِ
عِبَارَةٌ عَنْ أَلْمَنْطِقِ أَلْقَصِيحِ أَلْمُعْتَرِعِ مَا فِي أَلضَّمِيرِ . وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ
بِمَعْنَى أَلْإِبْثَاتِ بِأَلدَّلِيلِ . وَقِيلَ : أَلْفَرْقُ بَيْنَ أَلْيَانٍ وَأَلتَّيَّانِ بِأَنَّ
أَلْيَانَ هُوَ أَظْهَرُ أَلْمُرَادِ . وَأَلتَّيَّانُ يَحْتَوِي عَلَى كَدِّ أَلخَالِطِ وَأَعْمَالِ
أَلْقَلْبِ . وَقَرِيبٌ مِنْهُ مَا قِيلَ : أَلتَّيَّانُ يَبَيِّنُ مَعَ دَلِيلِ وَبُرْهَانِ .

وَالْيَبَانُ عِنْدَ الْبَلْغَاءِ : هُوَ عِلْمٌ يَعْرِفُ بِهِ إِيرَادُ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ
بِتَرَاكُيبٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي وَضُوحِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ بِأَنْ يَكُونَ دَلَالَةً
بَعْضُهَا أَجْلَى مِنْ بَعْضٍ . وَهُوَ وَضُوعُ اللَّفْظِ الْبَلِغِ مِنْ حَيْثُ وَضُوحُ
الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ . وَغَرَضُهُ تَحْصِيلُ مَلَكَهَ الْإِفَادَةِ بِالدَّلَالَةِ
الْعَقْلِيَّةِ وَفَهْمِ مَذَلُولَاتِهَا . وَغَايَتُهُ الْإِحْتِرَازُ عَنِ الْخَطَا فِي تَعْيِينِ الْمَعْنَى
الْمُرَادِ . وَمَبَادِئُهُ بَعْضُهَا عَقْلِيَّةٌ كَأَقْسَامِ الدَّلَالَةِ وَالتَّشْبِيهَاتِ وَالْعِلَاقَاتِ .
وَبَعْضُهَا وَجْدَانِيَّةٌ ذَوْقِيَّةٌ كَوُجُوهِ التَّشْبِيهَاتِ وَأَقْسَامِ الْإِسْتِعَارَاتِ
وَكَيْفِيَّةِ حُسْنِهَا . وَإِنَّمَا اخْتَارُوا فِي عِلْمِ الْيَبَانِ وَضُوحَ الدَّلَالَةِ لِأَنَّ
بَحْثَهُمْ لَمَّا اقْتَصَرَ عَلَى الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَغْنَى التَّضَمُّنِيَّةَ وَالْإِسْرَافِيَّةَ
وَكَانَتْ تِلْكَ الدَّلَالَةُ خَفِيَّةً سِيَّيَا إِذَا كَانَ اللُّزُومُ بِحَسَبِ الْعَادَاتِ
وَالطَّبَائِعِ فَوَجَبَ التَّعْيِيرُ عَنْهَا بِلَفْظٍ أَوْضَحَ . سَلَا : إِذَا كَانَ الْمُرْتَبِيُّ
دَقِيقًا فِي الْغَايَةِ تَحْتَاجُ الْحَاسَّةُ فِي إِبْصَارِهَا إِلَى شُعَاعٍ قَوِيٍّ بِخِلَافِ
الْمُرْتَبِيِّ إِذَا كَانَ جَلِيلًا . وَكَذَا الْحَالُ فِي الرُّوْيَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَغْنَى الْفَهْمَ
وَالْإِدْرَاكَ . وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمُعْتَرِ فِي عِلْمِ الْيَبَانِ دِقَّةُ الْمَعَانِي الْمُعْتَبَرَةِ
فِيهَا مِنَ الْإِسْتِعَارَاتِ وَالْكِنَايَاتِ مَعَ وَضُوحِ الْأَلْفَافِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهَا



البحث الثالث

في الحقيقة والمجاز

(من المثل السائر لابن الاثير)

(راجع صفحة ٢٩ من علم الادب)

هَذَا الْقَصْلُ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْ مُهِمَّاتِ عِلْمِ الْبَيَانِ لَا بَلْ هُوَ عِلْمُ
الْبَيَانِ بِأَجْمَعِهِ . فَإِنَّ فِي تَصْرِيفِ الْعِبَارَاتِ عَلَى الْأَسْلُوبِ الْحَجَازِيِّ
فَوَائِدَ كَثِيرَةً . وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى جِهَتَيْهَا دُونَ تَفْصِيلِهَا .
فَأَمَّا الْحَقِيقَةُ فَهِيَ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى مَوْضُوعِهِ الْأَصْلِيِّ . وَأَمَّا الْحَجَازُ
فَهُوَ مَا أُريدَ بِهِ غَيْرُ الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ لَهُ مِنْ أَصْلِ اللُّغَةِ وَهُوَ مَا خُوذَ
مِنْ جَازٍ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ إِذَا تَخَطَّاهُ إِلَيْهِ . فَأَحْجَازُ
إِذَا أُنِمْ لِلْمَكَانِ الَّذِي يُحَازُ فِيهِ كَالْمَلْعَاجِ وَالْمَزَارِ وَأَشْبَاهِهِمَا . وَحَقِيقَتُهُ
هِيَ الْإِنْتِقَالُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ . فَجَعَلَ ذَلِكَ لِنَقْلِ الْأَلْفَازِ مِنْ
مَحَلٍّ إِلَى مَحَلٍّ كَقَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . فَإِنَّ زَيْدًا إِنْسَانٌ وَالْأَسَدُ هُوَ
هَذَا الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ . وَقَدْ جُزْنَا مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى الْأَسَدِيَّةِ . أَيْ
عَبَرْنَا مِنْ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ لَوْضَلَةٍ بَيْنَهُمَا وَتِلْكَ الْوَضْعَةُ هِيَ صِفَةُ الشَّجَاعَةِ .
وَقَدْ يَكُونُ الْعُبُورُ لِعَبْرٍ وَضَلَةٍ . وَذَلِكَ هُوَ الْإِتْسَاعُ كَقَوْلِهِمْ فِي كِتَابِ
كَلِيَّةٍ وَدِمْنَةٍ : قَالَ الْأَسَدُ . قَالَ الثَّعْلَبُ . فَإِنَّ الْقَوْلَ لَا وَضْعَةَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَيْنِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ . وَإِنَّمَا أُجْرِيَ عَلَيْهِمَا اتِّسَاعًا مُخَضًّا
لَا غَيْرُ وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ كُلَّهُ حَقِيقَةٌ لَا حَجَازَ
فِيهِ . وَذَهَبَ آخَرُونَ : إِلَى أَنَّهُ كُلُّهُ حَجَازٌ لِاحْتِقَاقِهِ فِيهِ . وَكِلَا هَذَيْنِ

الْمَنْهَيْنِ فَاِسِدْ عِنْدِي . وَسَاجِبُ الْحُصْمِ عَمَّا أَدَّعَاهُ فِيهِمَا فَأَقُولُ : مَحَلُّ
الِزَّاعِ هُوَ إِنْ أَلْفَعَهُ كُلُّهَا حَقِيقَةً أَوْ إِنَّمَا كُلُّهَا مَجَازٌ . وَلَا فَرْقَ عِنْدِي
بَيْنَ قَوْلِكَ إِنَّمَا كُلُّهَا حَقِيقَةً أَوْ إِنَّمَا مَجَازٌ . فَإِنْ كِلَا الطَّرَفَيْنِ عِنْدِي
سَوَاءٌ . لِأَنَّ مُسَكَّرَهُمَا غَيْرُ مُسْلِمٍ لَهَا . وَأَنَا بِصَدَدٍ أَنْ أُبَيِّنَ أَنَّ فِي
أَلْفَعِهِ حَقِيقَةً وَمَجَازًا . وَالْحَقِيقَةُ أَلْفَعِيَّةٌ هِيَ حَقِيقَةُ الْأَلْفَاطِ فِي دَلَالَتِهَا
عَلَى الْمَعْنَى وَلَيْسَتْ بِالْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ ذَاتُ الشَّيْءِ أَيِ نَفْسِهِ وَعَيْنِهِ .
فَالْحَقِيقَةُ أَلْفَعِيَّةٌ إِذَا هِيَ دَلَالَةٌ أَلْفَعِيَّةٌ عَلَى الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ لَهُ فِي أَصْلِ
أَلْفَعِهِ . وَالْمَجَازُ هُوَ نَقْلُ الْمَعْنَى عَنِ أَلْفَعِهِ الْمَوْضُوعِ لَهُ إِلَى لَفْظٍ آخَرَ
غَيْرِهِ . وَتَقْرِيرُ ذَلِكَ بِأَنْ أَقُولَ : الْمَحْذُوقَاتُ كُلُّهَا تَفْتَقِرُ إِلَى أَسْمَاءٍ
يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَيْهَا لِيُعْرَفَ كُلُّ مِمَّنَا بِأَسْمَاءِ مِنْ أَجْلِ اتِّفَاهِمِ بَيْنَ
النَّاسِ . وَهَذَا يَقَعُ ضَرُورَةً لَا بُدَّ مِنْهَا . فَالْأَسْمَاءُ الْمَوْضُوعِ بِأَزَاءِ الْمُسَمَّى
هُوَ حَقِيقَةٌ لَهُ فَإِذَا نُقِلَ إِلَى غَيْرِهِ صَارَ مَجَازًا . وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَا إِذَا
قُلْنَا : شَمْسٌ . أَرَدْنَا بِهِ هَذَا الْكَوْكَبَ الْعَظِيمَ الْكَثِيرَ الضَّوْءِ .
وَهَذَا الْأَسْمُ لَهُ حَقِيقَةٌ لِأَنَّهُ وَضِعَ بِأَزَائِهِ . وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْنَا : بَحْرٌ .
أَرَدْنَا بِهِ هَذَا الْمَاءَ الْعَظِيمَ الْجَمِيعَ الَّذِي طَعْمُهُ مِلْحٌ . وَهَذَا الْأَسْمُ
أَهُ حَقِيقَةٌ لِأَنَّهُ وَضِعَ بِأَزَائِهِ . فَإِذَا قُلْنَا الشَّمْسَ إِلَى الْوَجْهِ الْمَلِيحِ
أَسْتِعَارَةً كَانَ لَهُ ذَلِكَ مَجَازًا لِحَقِيقَتِهِ . وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْنَا الْبَحْرَ إِلَى
الرَّجْلِ الْجَوَادِ أَسْتِعَارَةً كَانَ ذَلِكَ لَهُ مَجَازًا لِحَقِيقَتِهِ . (فَإِنْ قِيلَ) :
إِنَّ الْوَجْهَ الْمَلِيحَ يُقَالُ لَهُ شَمْسٌ وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِ . وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلرَّجْلِ
الْجَوَادِ بَحْرٌ وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِ . (فَالْجَوَابُ) عَنْ ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ : (أَحَدُهُمَا)

نَظَرِي وَالْآخِرُ وَضَعِي. (أَمَّا النَّظَرِي) فَهُوَ أَنَّ الْأَلْفَاظَ إِنَّمَا جُعِلَتْ
أَدِلَّةً عَلَى إِفْهَامِ الْمَعْنَى وَلَوْ كَانَ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ صَحِيحًا لَكَانَ
الْبَحْرُ يُطْلَقُ عَلَى هَذَا الْمَاءِ الْعَظِيمِ الْمَلْحِ وَعَلَى الرَّجُلِ الْجَوَادِ بِالِاشْتِرَاكِ.
وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ أَيْضًا فَإِنَّهَا كَانَتْ تُطْلَقُ عَلَى هَذَا الْكَوْكَبِ الْعَظِيمِ
الكَثِيرِ الضَّوِّ وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْمَلِيحِ بِالِاشْتِرَاكِ. وَحِينَئِذٍ فَإِذَا وَرَدَ
أَحَدُ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ مُطْلَقًا بِغَيْرِ قَرِينَةٍ تُخَصِّصُهُ فَلَا يُفْهَمُ الْمُرَادُ بِهِ مَا
هُوَ مِنْ أَحَدِ الْمَعْنَيْنِ الْمُشْتَرَكَيْنِ الْمُنْدَرِجَيْنِ تَحْتَهُ وَتَحْنُ نَرَى الْأَمْرَ
بِمُخْتَلَفٍ ذَلِكَ فَإِنَّا إِذَا قُلْنَا: شَمْسٌ أَوْ بَحْرٌ. وَأَطْلَقْنَا الْقَوْلَ لَا يُفْهَمُ
مِنْ ذَلِكَ وَجْهٌ مَلِيحٌ وَلَا رَجُلٌ جَوَادٌ. وَإِنَّمَا يُفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ الْكَوْكَبُ
الْمَعْنُومُ وَذَلِكَ الْمَاءُ الْمَعْلُومُ لَا غَيْرُ فَبَطَلَ إِذَا مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ بِمَا بَيَّنَّاهُ
وَأَوْضَحْنَاهُ. (فَإِنْ قُلْتَ): إِنْ الْعَرَفَ يُخَالِفُ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ فَإِنْ مِنْ
أَلْفَاظٍ مَا إِذَا أُطْلِقَ لَمْ يَذْهَبِ إِلَيْهِ مِنْهُ إِلَّا إِلَى الْحَاجِزِ دُونَ
الْحَقِيقَةِ. (قُلْتُ فِي الْجَوَابِ): هَذَا شَيْءٌ ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ وَلَيْسَ
الْأَمْرُ كَمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِطْلَاقُ اللَّفْظِ فِيهِ بَيْنَ عَامَةٍ
لِلنَّاسِ فَهَؤُلَاءِ لَا يَفْهَمُونَ إِلَّا الْمَعْنَى الْحَاجِزِيَّ. لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَصْلَ
وَضْعِ الْكَلِمَةِ. وَأَمَّا خَاصَّةُ النَّاسِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَصْلَ الْوَضْعِ
فَانَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ عِنْدَ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ إِلَّا الْحَقِيقَةَ لَا غَيْرُ. . . . (وَأَمَّا
الْوَجْهُ الْوَضْعِي) فَهُوَ أَنَّ الْمَرْجِعَ فِي هَذَا وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ إِلَى أَصْلِ
اللُّغَةِ الَّتِي هِيَ وَضْعُ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْمُسَمَّيَاتِ وَلَمْ يُوجَدْ فِيهَا أَنَّ الْوَجْهَ
الْمَلِيحَ يُسَمَّى شَمْسًا وَلَا أَنَّ الرَّجُلَ الْجَوَادَ يُسَمَّى بَحْرًا. وَإِنَّمَا أَهْلُ

الخطابة والشعر توسعوا في الأساليب المعنوية فنقلوا الحقيقة إلى المجاز ولم يكن ذلك من واضع اللغة في أصل الوضع ولهذا اختص كل منهم بشيء اخترعه في التوسعات المجازية . هذا أمرؤ القيس قد اخترع شيئاً لم يكن قبله . فمن ذلك أنه أول من عبّر عن الفرس بقوله : (قيد الأوابد) . ولم يسع ذلك لاحد من قبله . . .
وواضع اللغة ما ذكر شيئاً من ذلك فعلينا حينئذ أن من اللغة حقيقة موضعه ومجازاً بتوسعات أهل الخطابة والشعر . وفي زماننا هذا قد يكثرعون أشياء من المجاز على حكم الاستعارة لم تكن من قبل . ولو كان هذا موقوفاً من جهة واضع اللغة لما اخترعه أحد من بعده ولا ريد فيه ولا نقص منه . وأما الفرق بينه وبين الحقيقة فهو أن الحقيقة جارية على العموم في ظاهرها . ألا ترى إذا قلنا : فلان عالم . صدق على كل ذي علم . بخلاف (وأسأل القرية) . لأنه لا يصح إلا في بعض الجبادات دون بعض إذ المراد أهل القرية لأنهم ممن يصح السؤال لهم . ولا يجوز أن يقال : وأسأل الحجر والأتراب . وقد يحسن أن يقال : وأسأل الربيع والطلل . (وأعلم)
أن كل مجاز فله حقيقة لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا عن حقيقة موضوعة له إذ المجاز هو اسم للموضوع الذي ينتقل فيه من مكان إلى مكان فجعل ذلك لنقل الألفاظ من الحقيقة إلى غيرها . وإذا كان كل مجاز لا بد له من حقيقة نقل عنها إلى حالة المجازية فكذلك ليس من ضرورته كل حقيقة أن يكون لها مجاز . فإن

مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا لَا حَاجَازَ لَهُ كَأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ لِأَنَّهَا وَضِعَتْ لِلْفَرْقِ بَيْنَ
الذَّوَاتِ لَا لِلْفَرْقِ بَيْنَ الصِّفَاتِ

وَكَذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْحَاجَازَ أَوَّلَى بِالْإِسْتِعْمَالِ مِنَ الْحَقِيقَةِ فِي بَابِ
الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَكَانَتْ الْحَقِيقَةُ الَّتِي هِيَ
الْأَصْلُ أَوَّلَى مِنْهُ حَيْثُ هُوَ فَرْعٌ عَلَيْهَا . وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ
ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ أَنَّ فَائِدَةَ الْكَلَامِ الْخَطَّائِي هُوَ إِثْبَاتُ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ
فِي نَفْسِ السَّامِعِ بِالتَّخْيِيلِ وَالتَّصْوِيرِ حَتَّى يَكَادَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ عَيْنَانَا . أَلَا
تَرَى أَنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . هِيَ قَوْلُنَا : زَيْدٌ شَجَاعٌ . لَكِنْ
فُوقَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فِي التَّصْوِيرِ وَالتَّخْيِيلِ وَإِثْبَاتِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ فِي
نَفْسِ السَّامِعِ . لِأَنَّ قَوْلَنَا : زَيْدٌ شَجَاعٌ . لَا يَتَخَيَّلُ مِنْهُ السَّامِعُ سِوَى
أَنَّهُ رَجُلٌ جَرِيءٌ مُقْدَامٌ . فَإِذَا قُلْنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . يُخَيَّلُ عِنْدَ ذَلِكَ
صُورَةُ الْأَسَدِ وَهَيْئَتُهُ وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الْبَطْشِ وَالْقُوَّةِ وَدَقِّ الْفَرَاسِ .
وَقَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي الْفَرَسِ : (قَيْدُ الْأَوَابِدِ) هُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ
لَوْ قَالَ : مَا نَعُ الْأَوَابِدُ عَنْ الذِّهَابِ وَالْإِفْلَاتِ . وَالتَّيْدُ مِنْ أَعْلَى
مَرَاتِبِ الْمَنَعِ عَنِ التَّحَرُّفِ لِأَنَّكَ تُشَاهِدُ مَا فِي التَّيْدِ مِنَ الْمَنَعِ فَلَا
تَشْكُ فِيهِ . وَكَقَوْلِهِمْ : هَذَا مِيزَانُ الْقِيَاسِ أَيُّ تَعْدِيلِهِ . وَالْحَاجَازُ
أَبْلَغُ لِأَنَّ الْمِيزَانَ يَصُورُ لَكَ التَّعْدِيلَ حَتَّى تَعَايَنَهُ وَلِلْعَيْنِ فَضْلٌ عَلَى
مَا سِوَاهُ . وَكَذَلِكَ : الْغَرُوضُ مِيزَانُ الشَّعْرِ أَيُّ حَقِيقَةِ تَقْوِيهِ . وَهَذَا
لَا يَزَاعُ فِيهِ . وَاعْجَبُ مَا فِي الْعِبَارَةِ الْحَاجَازِيَةِ أَنَّهَا تَنْقُلُ السَّامِعَ
عَنْ خُلُقِهِ الطَّبِيعِيِّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ حَتَّى إِنَّهَا يَنْسَمَحُ بِهَا التَّخْيِيلُ

وَيُشَجِّعُ بِهَا الْجَبَانَ وَيُحْكَمُ بِهَا الطَّائِشُ الْمُسْرِعُ وَيَجِدُ الْمُخَاطَبُ بِهَا
عِنْدَ سَمَاعِهَا نَشْوَةً كَنَشْوَةِ الْخَمْرِ حَتَّى إِذَا قُطِعَ عِنْدَ ذَلِكَ الْكَلَامِ
أَفَاقَ وَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ بَذْلِ مَالٍ . أَوْ تَرْكِ عَقُوبَةٍ . أَوْ
إِقْدَامٍ عَلَى أَمْرٍ مَهُولٍ وَهَذَا هُوَ فَخْوَى السِّحْرِ الْخَلَالِ الْمُسْتَعْنِي مِنْ
إِلْقَاءِ الْأَعْصَا وَالْحِبَالِ . (وَأَعْلَمَ) أَهْ . إِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كَلَامٌ . يَجُوزُ أَنْ
يُحْمَلَ مَعْنَاهُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ وَعَلَى طَرِيقِ الْجَزَائِرِ بِاخْتِلَافِ لَفْظِهِ
فَأَنْظُرْ فَإِنْ كَانَ لَا مَزِيَّةَ لِمَعْنَاهُ فِي حَمْلِهِ عَلَى طَرِيقِ الْجَزَائِرِ فَلَا يَتَّبِعِي
أَنْ يُحْمَلَ إِلَّا عَلَى طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ لِأَنَّهَا هِيَ الْأَصْلُ وَالْجَزَائِرُ هِيَ الْفَرْعُ
وَلَا يُعْدَلُ عَنِ الْأَصْلِ إِلَى الْفَرْعِ إِلَّا الْفَائِدَةُ

البحث الرابع

في الاستعارة

(عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار)

(راجع صفحة ٢٩ من علم الادب)

هِيَ أَدْعَاءُ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ فِي الشَّيْءِ لِلْمُبَالَاةِ فِي الشَّيْءِ مَعَ طَرَحِ
ذِكْرِ الْمَشَبِّهِ وَنَ الْبَيْنِ لَفْظًا وَتَقْدِيرًا . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : هُوَ جَعَلَ
الشَّيْءَ لِلشَّيْءِ . لِأَجْلِ الْمُبَالَاةِ فِي الشَّيْءِ . فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِكَ : لَقِيتُ
أَسَدًا نَمِنِي الرَّجُلَ الشُّجَاعَ . وَالثَّانِي كَقَوْلِ لَيْدٍ :
إِذَا أَضْبَحْتَ يَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

اثبت أليد الشمال مبالغة في تشبيهها بالقادر في التصرف فيه .
 وحد الرماني الاستعارة فقال : هي تعليق العبارة على غير ما وضعت
 له في أصل اللغة على سبيل النقل للإبانة . وقال ابن المعتز : هي
 استعارة الكلمة من شيء قد عرف بها إلى شيء لم يعرف بها .
 وذكر الحفاجي كلام الرماني وقال : وتفسير هذه الجملة أن قوله مثلاً :
 (وأشتعل الرأس شيباً) . استعارة لأن الاشتعال للنار ولم توضع في أصل
 اللغة للشيب فلما نقل إليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه .
 لأن الشيب لما كان نافذاً في الرأس شيئاً فشيئاً حتى يحمله إلى غير
 لونه الأول كان بمنزلة النار التي تسري في الخشب حتى تحمله إلى
 غير حالته المتقدمة . فهذا من نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع
 للبيان ولا بد أن يكون أوضح من الحقيقة لأجل التشبيه العارض
 فيها . لأن الحقيقة لو قلت مقامها لكانت أولى بها لأنها الأصل
 وليس يخفى على المتأمل أن قوله : (وأشتعل الرأس شيباً) . أبلغ من :
 كثر شيب الرأس . وهو حقيقة هذا المعنى . وقوله : (يوم يكشف عن
 ساق) . أحسن وأبلغ في ما قصد له من قوله لو قال : يوم يكشف
 عن شدة الأمر . وإن كان المعنيان واحداً . ألا ترى أنك تقول
 لمن يحتاج إلى الجدة في أمره : شير عن ساقك . فيكون هذا القول
 منك أذكز في نفسه من قولك : جد في أمرك . وقال دريد بن
 الصمة :

كبت الأزار خارج نصف ساقه صبور على الذراء طلاع أنجد

وَقَالَ أَهْذِي :

وَكُنْتُ إِذَا جَارُ دَعَا بِعُذُومِهِ أَشْرَحَتِي يَنْصِفُ السَّاقَ بِثَرِي
وَلَا بُدَّ لِلْإِسْتِعَارَةِ مِنْ حَقِيقَةٍ هِيَ أَصْلُهَا وَهِيَ : مُسْتَعَارٌ مِنْهُ .
وَمُسْتَعَارٌ بِهِ . وَمُسْتَعَارٌ لَهُ . فَالنَّارُ فِي قَوْلِهِ : (أَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا) .
مُسْتَعَارٌ مِنْهَا . وَالْإِشْتِعَالُ مُسْتَعَارٌ . وَالشَّيْبُ مُسْتَعَارٌ لَهُ . وَأَمَّا قَوْلُنَا : (مَعَ
طَرَحِ ذِكْرِ الْمَشَبِّهِ) . فَأَعْلَمَ أَنَّنَا إِذَا طَرَحْنَاهُ كَقَوْلِنَا : رَأَيْتُ أَسَدًا .
وَأَرَدْنَا الرَّجُلَ الشَّجَاعَ فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ بِالِاتِّفَاقِ وَإِنْ ذَكَرْنَا مَعَهُ الْمَشَبِّهَ
وَقُلْنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . فَالْمُخْتَارُ أَنَّهُ لَيْسَ بِاسْتِعَارَةٍ إِذْ فِي اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ
عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِأَسَدٍ فَلَمْ تَحْصُلِ الْمُبَالِغَةُ . وَإِذَا قُلْتَ : زَيْدٌ الْأَسَدُ .
فَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ الْإِسْتِعَارَةِ فَإِنَّ الْأَوَّلَ خَرَجَ بِالتَّشْكِيرِ مِنْ أَنْ يَحْسُنَ
فِيهِ كَافُ التَّشْبِيهِ . فَإِنَّ قَوْلَكَ : زَيْدٌ كَأَسَدٍ . كَلَامٌ نَازِلٌ بِخِلَافِ
الثَّانِي . قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ : وَهَذَا التَّشْبِيهُ الْمُضَرُّ الْأَدَاةُ
قَدْ خَلَطُوهُ بِالْإِسْتِعَارَةِ وَلَمْ يَفْرِقُوا بَيْنَهُمَا وَذَلِكَ خَطَأٌ مُحْضٌ . وَسَأَوْضِحُ وَجْهَ
الْخَطَأِ فِيهِ وَأُحَقِّقُ الْقَوْلَ فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا فَأَقُولُ : إِنَّ التَّشْبِيهَ
الْمُظْهَرَ الْأَدَاةُ فَلَا حَاجَةَ لِيَّانِ ذِكْرِهِ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ فِيهِ وَلَكِنْ
نَذَكُرُ التَّشْبِيهَ الْمُضَرَّ الْأَدَاةَ فَنَقُولُ : إِذَا ذُكِرَ الْمَنْقُولُ وَالْمَنْقُولُ
إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ تَشْبِيهُ الْمُضَرِّ الْأَدَاةُ قِيلَ فِيهِ : زَيْدٌ أَسَدٌ . أَيْ كَأَلَسَدِ .
فَأَدَاةُ التَّشْبِيهِ فِيهِ مُضَرَّةٌ مُقَدَّرَةٌ . وَإِذَا أُظْهِرَتْ حُسْنُ ظُهُورِهَا
وَلَمْ تَقْدَحْ فِي الْكَلَامِ الَّذِي أُظْهِرَتْ فِيهِ وَلَمْ يُرَلَّ عَنْهُ فَصَاحَتُهُ وَبَلَاغَتُهُ
وَهَذَا بِخِلَافِ مَا إِذَا ذُكِرَ الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ دُونَ الْمَنْقُولِ فَإِنَّهُ لَا يَحْسُنُ

فِيهِ ظُهُورُ آدَاةِ التَّشْبِيهِ وَإِذَا أُظْهِرَتْ أَزَالَتْ عَنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ مَا
كَانَ مُتَّصِفًا بِهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْقَصَاحَةِ... فَأَلْفَرْقُ إِذَا بَيْنَ التَّشْبِيهِ
الْمُضَرِّ الْأَدَاةِ وَبَيْنَ الْأِسْتِعَارَةِ أَنَّ التَّشْبِيهِ الْمُضَرَّ الْأَدَاةِ يَحْسُنُ
إِظْهَارُ آدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ وَالْإِسْتِعَارَةُ لَا يَحْسُنُ ذَلِكَ فِيهَا . وَالْإِسْتِعَارَةُ
أَخْصٌ مِنَ الْحَجَازِ إِذَا قُصِدَ الْمُبَالَغَةُ شَرْطٌ فِي الْإِسْتِعَارَةِ دُونَ الْحَجَازِ .
وَأَيْضًا فَكُلُّ اسْتِعَارَةٍ مِنَ الْبَدِيعِ وَلَيْسَ كُلُّ حَجَازٍ مِنْهُ وَالْحَقُّ أَنَّ
الْمَعْنَى يُعَارَى أَوَّلًا ثُمَّ بِوَاسِطَتِهِ يُعَارَى اللَّفْظُ . وَلَا تَحْسُنُ الْإِسْتِعَارَةُ إِلَّا
حَيْثُ كَانَ التَّشْبِيهُ مُقَرَّرًا بَيْنَهُمَا ظَاهِرٌ أَوْ لَا فَلَا بُدَّ مِنَ التَّضَرُّيْحِ
بِالتَّشْبِيهِ . فَلَوْ قُلْتَ : رَأَيْتُ نَحْلَةً أَوْ خَامَةً . وَأَنْتَ تُرِيدُ مُوَدَّنًا إِيَّاهُ
إِلَى قَوْلِهِ : مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَوْ مَثَلِ الْخَامَةِ . لَكُنْتَ
كَالْمُغْرِ التَّارِكِ لِمَا يُفْهَمُ وَكَلَّمَا زَادَ التَّشْبِيهُ خَفَا . زَادَتْ الْإِسْتِعَارَةُ
حُسْنَ بَحْثٍ يَكُونُ الطَّفُّ مِنَ التَّضَرُّيْحِ بِالتَّشْبِيهِ . وَرَبَّمَا جُمِعَ بَيْنَ عِدَّةٍ
اسْتِعَارَاتٍ إِحْقَاقًا لِلشَّكْلِ بِالشَّكْلِ لِإِتْمَامِ التَّشْبِيهِ فَتُرِيدُ الْإِسْتِعَارَةَ
بِهِ حُسْنَ كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي صِفَةِ الْمَيْلِ :

قُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَى بِصُلْبِهِ وَارْدَفَ أَنْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّ كَلٍ
وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَيْضًا مِنْ مَعْنَى يَشْتَرِكُ بَيْنَ الْمُسْتَعَارِ وَالْمُسْتَعَارِ
مِنْهُ . فَأَلْفَعْنَى الْمَشْتَرَكُ بَيْنَ قَيْدِ الْأَوَابِدِ مَثَلًا وَمَانِعِ الْأَوَابِدِ هُوَ
الْحُسْنُ وَعَدَمُ الْإِفْلَاتِ . وَبَيْنَ مِيزَانِ الْقِيَاسِ وَتَعْدِيلِ حُصُولِ الْإِسْتِقَامَةِ
هُوَ ارْتِفَاعُ الْحَيْفِ وَالْمَيْلِ إِلَى أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ . وَهَكَذَا جَمِيعُ
الْإِسْتِعَارَاتِ وَالْحَجَازَاتِ

البحث الخامس

فيما تدخله الاستعارة وما لا تدخله

(عن صناعة الترميل ايضاً)

الْأَعْلَامُ لَا يَدْخُلُهَا الْإِسْتِعَارَةُ لِمَا تَقَدَّمَ فِي الْحِجَازِ . وَأَمَّا الْفِعْلُ
وَالْإِسْتِعَارَةُ تَقَعُ أَوَّلًا فِي الْمَصْدَرِ ثُمَّ تَقَعُ بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ فِي الْفِعْلِ .
فَإِذَا قُلْتَ : نَطَقْتَ الْحَالَ بِكَذَا . فَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ لِأَنَّكَ وَجَدْتَ الْحَالَ
: شَاطِئَةً لِلنُّطْقِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الشَّيْءِ فَلَا جَرَمَ اسْتَعَرْتَ الْأَطْلُقَ لِتِلْكَ
الْحَالَةِ ثُمَّ نَقَلْتَهُ إِلَى الْفِعْلِ . وَالْأَنَّمَا : الْمَشْتَقَّةُ فِي ذَلِكَ كَالْفِعْلِ . فَظَهَرَ
أَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ إِنَّمَا تَقَعُ وَقُوعًا أَوَّلِيًّا فِي أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ . ثُمَّ الْفِعْلُ
إِذَا كَانَ مُسْتَعَارًا فَاسْتِعَارَتُهُ إِمَّا مِنْ جِهَةِ فَاعِلِهِ كَقَوْلِهِ : نَطَقْتَ الْحَالَ
بِكَذَا أَوْ لِمَبْتِ بِهِ الْهَمُومُ . وَكَقَوْلِ جَرِيرَ :

يَخْشَى الرُّوَامِسَ رَبِّهَا فَجِدَّةٌ بَعْدَ أَلْيَى وَثَمِثُهُ الْأَمْطَارُ

أَوْ مِنْ جِهَةِ مَفْعُولِهِ كَقَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ قَتَلَ الْجُورَ وَأَحْيَا السَّمَا

أَوْ مِنْ جِهَةِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ : يَكَاذُ الْمَبْرَقُ يَخْطِفُ

أَبْصَارَهُمْ . وَيَتَّصِلُ بِهَذَا تَرْشِيحُ الْإِسْتِعَارَةِ وَتَجْرِيدُهَا . أَمَّا تَرْشِيحُهَا فَهُوَ

أَنْ تَنْظُرَ فِيهَا إِلَى الْمُسْتَعَارِ وَثَرَايِ جَانِبِهِ وَتَوَلِيهِ مَا تَسْتَدْعِيهِ وَتَضُمُّ

إِلَيْهِ مَا تَقْتَضِيهِ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَصَدَرَ أَزَاحَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَتِهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

الْمُسْتَعَارُ فِيهِ وَهُوَ الْإِزَاحَةُ مَنْظُورٌ إِلَيْهِ فِي لَفْظِ الْعَازِبِ . وَأَمَّا
تَجْرِيدُهَا فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَعَارُ لَهُ مَنْظُورًا إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ : فَأَذَاقَهَا اللَّهُ
لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ . فَإِنَّ الْأَذَاقَةَ وَقَعَتْ عِبَارَةً عَمَّا يُدْرِكُ مِنْ
أَثَرِ الضَّرَرِ وَالْأَلَمِ تَشْبِيهَا لَهُ بِمَا يُدْرِكُ مِنْ طَعْمِ الْمَرْ . الشَّبَعُ وَاللِّبَاسُ
عِبَارَةٌ عَمَّا يَغْشَى مِنْهَا وَيَلْبَسُ فَكَأَنَّهُ قَالَ : فَأَذَاقَهَا مَا غَشِيَهَا مِنْ
أَلَمِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ . وَكَقَوْلِ زُهَيْرٍ :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ السَّلَاحِ مُقَدَّفٍ لَهُ لَبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ
فَلَوْ نَظَرَ إِلَى الْمُسْتَعَارِ لَقَالَ : لَدَى أَسَدٍ دَائِمِي أَوْ دَائِمِي الْبَرَاثِنِ
ثَلَاثًا . وَنَظَرَ زُهَيْرٌ فِي آخِرِ الْبَيْتِ إِلَى الْمُسْتَعَارِ . وَمِنْهُ قَوْلُ كَثِيرٍ :
غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقَتْ لِبْحَمَكِهِ رِقَابُ الْمَالِ
إِسْتِعَارَ الرِّدَاءِ لِلْمَعْرُوفِ لِأَنَّهُ يَصُونُ عِرْضَ صَاحِبِهِ صَوْنَ الرِّدَاءِ
لَمَّا يَلْقَى عَلَيْهِ . وَوَصَفَهُ بِالتَّعَرُّفِ الَّذِي هُوَ وَصْفُ الْمَعْرُوفِ وَالتَّوَالٍ لَا
وَصْفُ الرِّدَاءِ

وَيَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْإِسْتِعَارَةُ بِالْكِنَايَةِ وَهُوَ أَنْ لَا يُصْرَحَ بِذِكْرِ
الْمُسْتَعَارِ بَلْ يَذْكُرُ بَعْضَ لَوَازِيهِ تَنْبِيْهَا بِهِ كَقَوْلِهِ : شُجَاعٌ يَفْتَرِسُ
أَقْرَانَهُ وَعَالِمٌ يَتَعَرَّفُ مِنْهُ النَّاسُ . وَكَقَوْلِ أَبِي ذُوَيْبٍ :
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ انْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْقَيْتُ كُلَّ نَمِيَّةٍ لَا تَنْفَعُ
تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ الشُّجَاعَ أَسَدٌ وَالْعَالِمُ بَحْرٌ وَالْمَنِيَّةُ سَبْعٌ . وَهَذَا
وَإِنْ كَانَ يُشَبِّهُ الْإِسْتِعَارَةَ الْحُرْدَةَ إِلَّا أَنَّهُ أَغْرَبُ وَأَعْجَبُ . وَيَقْرَبُ
مِنْهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّمَاحِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رَكِبَتْ كُلُّ لَهْذَمٍ
 أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : مَنْ لَمْ يَرْضَ بِأَحْكَامِ الصُّلَحِ رَضِيَ بِأَحْكَامِ
 الْحَرْبِ أَيْ أَشْرَعُوا الْأَسِنَّةَ وَآخَرُوا الزَّمَاحَ . وَقَدْ يُسَمَّى هَذَا النَّوعُ
 الْمُمَاتَّةَ أَيْضًا . وَقَدْ يُنْزَلُونَ الْإِسْتِعَارَةَ مَثَرَةً الْحَقِيقَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ
 يَسْتَعِيرُونَ الْوَصْفَ الْحَسُوسَ لِلشَّيْءِ الْمَعْقُولِ . وَيَجْعَلُونَ كَأَنَّ تِلْكَ
 الصِّفَةَ ثَابِتَةٌ لِذَلِكَ الشَّيْءِ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ لَمْ تُوجَدْ اتِّسَالًا .
 مِثَالُهُ اسْتِعَارَتُهُمُ الْعُلَاوَ لِزِيَادَةِ أَرْجُلٍ عَلَى غَيْرِهِ فِي الْفَضْلِ وَالْقَدْرِ
 وَالسُّلْطَانِ ثُمَّ وَضَعَهُمُ الْكَلَامَ وَضَعَهُ مَنْ يَذْكُرُ عُلوًّا مَكَانِيًّا .
 كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَيَضَعُ حَتَّى يَظُنَّ الْحُسُودُ بَانَ لَهُ حَاجَةٌ فِي السَّمَاءِ
 وَكَقَوْلِهِ أَيْضًا :

مَكَارِمُ لَجَتْ فِي عُلوِّ كَأَنَّمَا تُحَاوِلُ تَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ

البحث السادس

في اقسام الاستعارة

(عن صناعة الترسيل ايضاً)

(راجع صفحة ٣٢ من علم الادب)

هِيَ عَلَى نَوْعَيْنِ : (الْأَوَّلُ) أَنْ يُعْتَمَدَ نَفْسُ التَّشْبِيهِ وَهُوَ أَنْ
 يَشْتَرِكَ شَيْئَانِ فِي وَصْفٍ وَاحِدٍ مَّا أَنْقَصُ مِنَ الْآخِرِ . فَيُعْطَى النَّاقِصُ

أَنَّمِ الزَّائِدُ مُبَالَغَةً فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ الْوَصْفِ لَهُ كَقَوْلِكَ : رَأَيْتُ أَسَدًا .
وَأَنْتَ تَعْنِي رَجُلًا شَجَاعًا . (وَالثَّانِي) تُعْتَمِدُ لَوَازِمُهُ عِنْدَمَا يَكُونُ جِهَةً
الِاشْتِرَاكِ وَصِفًا وَإِنَّمَا ثَبَتَ كَمَالُهُ فِي الْمُسْتَعَارِ فِي وَاسِطَةِ شَيْءٍ آخَرَ
فَثَبِتُ ذَلِكَ الشَّيْءَ لِلْمُسْتَعَارِ لَهُ مُبَالَغَةً فِي إِثْبَاتِ الْمَشْتَرَكِ . كَقَوْلِ
تَابِطِ شَرَا :

إِذَا هَزَّةٌ فِي عَظْمٍ قَرْنٍ تَهَلَّتْ نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ الْمَنَايَا الضَّوَاجِكُ
لَمَّا شَبَّهَ الْمَنَايَا عِنْدَ هَزَّةِ السَّيْفِ بِالسُّرُورِ وَكَمَالِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ
إِنَّمَا يَظْهَرُ بِالصَّحِيحِ الَّذِي يَتَهَاسَلُ بِهِ النَّوَاجِذُ أَثْبَتَهُ تَحْقِيقًا لِلْوَصْفِ
الْمَقْصُودِ وَالْأَفْلَسُ لِلْمَنَايَا مَا يَنْقَلُ إِلَيْهِ أُنْمُ النَّوَاجِذِ . وَهَكَذَا
الْكَلَامُ فِي قَوْلِ الْحَمَاسِيِّ :

سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إِذَا سَلَ أَوَمَضَتْ إِلَيْهِ مَنَايَا أَلْمُوتِ مِنْ كُلِّ مَرْقَبٍ
وَمِنْ هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِهِمْ : فُلَانٌ مُرْخَى الْعَيْنَانِ وَمَلَقَى الزَّمَامِ .
وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْقِسْمَيْنِ أَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ فِي الْأَوَّلِ إِلَى التَّشْبِيهِ الَّذِي
هُوَ الْمَقْصِدُ مِنْ كُلِّ اسْتِعَارَةٍ مُقَيَّدَةٌ وَجَدْتَهُ يَأْتِيكَ عَفْوًا كَقَوْلِكَ :
رَأَيْتُ رَجُلًا كَالْأَسَدِ أَوْ مِثْلَهُ أَوْ شِبْهَهُ . وَإِنْ رُدُّتَهُ فِي الثَّانِي لَيُؤَاتِيكَ
تِلْكَ الْمَوَاقِفُ إِذَا لَاحَظْتَ أَنَّهُ يَقُولُ : شَيْءٌ مِثْلُ الْيَدِ لِلشِّمَالِ . وَإِنَّمَا
تَهَيَّأَ لَكَ التَّشْبِيهُ بَعْدَ أَنْ تَحْرُقَ إِلَيْهِ سِتْرًا أَوْ تَعْمَلَ تَأْثُلًا وَفِكْرًا .
وَفِي اغْفَالِ هَذَا الْأَصْلِ وَقُوعٌ فِي التَّشْبِيهِ . وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ وَضَعَ فِي
نَفْسِهِ أَنَّ كُلَّ أُنْمٍ يُسْتَعَارُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ شَيْءٌ يُمْكِنُ
الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ تَتَنَاوَلُهُ فِي حَالِهِ الْعَجَازِ كَمَا تَتَنَاوَلُ مُسْمَاهُ فِي حَالِهِ

الْحَقِيقَةُ . ثُمَّ نَظَرَ إِلَى قَوْلِهِ : وَلَتَضَعَنَّ عَلَى عَيْنِي . وَقَوْلِهِ : تَجْرِي بَأَعْيُنِنَا .
 أَرَبْتَكَ فِي الشَّكِّ وَحَامَ حَوْلَ الظَّاهِرِ وَوَقَعَ فِي التَّشْبِيهِ الَّذِي هُوَ
 الضَّلَالُ الْبَعِيدُ . فَقِي مَعْرِفَةَ هَذَا اخْلَاصٌ مِنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ وَيَسَمَّى
 هَذَا النَّوعَ اسْتِعَارَةً تَخِيلِيَّةً وَهُوَ كَأَنَّ ثَبَاتَ الْجَنَاحِ لِلذَّلِّ فِي قَوْلِهِ :
 وَأَخْفَضَ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ . إِذَا عُرِفَ هَذَا فَالنَّوعُ الْأَوَّلُ
 عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : (الْأَوَّلُ) أَنْ يَسْتَعَارَ الْمُخْشَوْسُ لِلْمُخْشِئِ .
 وَذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَشْتَرِكَ فِي الذَّاتِ وَيَخْتَلِفَا فِي الصِّفَاتِ كَاسْتِعَارَةِ
 الطَّيْرَانِ لِغَيْرِ ذِي جَنَاحٍ فِي السَّرْعَةِ . فَإِنَّ الطَّيْرَانِ وَالْعَذُوَّ يَشْتَرِكَانِ
 فِي الْحَقِيقَةِ وَهِيَ الْحَرَكَةُ الْمَكَايِدَةُ إِلَّا أَنَّ الطَّيْرَانِ أَسْرَعُ . أَوْ بِأَنْ
 يَخْتَلِفَا فِي الذَّاتِ وَيَشْتَرِكََا فِي صِفَةٍ إِمَّا مُحْشُوسَةٍ كَقَوْلِهِمْ : رَأَيْتُ شَمْسًا .
 وَيُرِيدُونَ إِنْسَانًا يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ . وَكَقَوْلِهِ : وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا .
 فَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ النَّارُ وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ الشَّيْبُ . وَالْجَامِعُ الْإِنْسِاطُ وَلَكِنَّهُ
 فِي النَّارِ أَقْوَى . وَإِمَّا غَيْرَ مُحْشُوسَةٍ كَقَوْلِهِ : إِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ
 الْعَقِيمَ . الْمُسْتَعَارُ لَهُ الرِّيحُ وَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ الْمَرْءُ وَالْجَامِعُ الْمَنْعُ مِنْ ظُهُورِ
 النَّتِيجَةِ . (الثَّانِي) أَنْ يَسْتَعَارَ شَيْءٌ مَعْقُولٌ لَشَيْءٍ مَعْقُولٍ لِاشْتِرَاكِهِمَا
 فِي وَصْفٍ عَدَمِيٍّ أَوْ ثُبُوتِيٍّ وَاحِدُهُمَا أَكْمَلُ مِنْ ذَلِكَ الْوَصْفِ
 فَيُذَلُّ النَّاقِصُ مَثَرَةً الْكَامِلِ كَاسْتِعَارَةِ لِسَمِ الْعَدَمِ لِلْوُجُودِ إِذَا
 اشْتَرَكََا فِي عَدَمِ الْفَائِدَةِ أَوْ اسْتِعَارَةِ أَسْمِ الْوُجُودِ لِلْعَدَمِ إِذَا بَقِيَتْ
 آثَرُهُ الْمَطْلُوبَةُ مِنْهُ كَتَشْبِيهِ الْجَهْلِ بِالْمَوْتِ لِاشْتِرَاكِ الْمَوْصُوفِ بِهِمَا فِي
 عَدَمِ الْإِذْرَاكِ وَالْعَقْلِ . وَكَقَوْلِهِمْ : فُلَانٌ لَقِيَ الْمَوْتَ إِذَا لَقِيَ

الشَّدَائِدَ لِأَشْتَرَاكِهَمَا فِي الْمَكْرُوهِيَّةِ . وَقَوْلُهُ : وَلَا سَكَتَ عَنْ مُوسَى
الْغَضَبُ . وَالسُّكُوتُ وَالزَّوَالُ أَمْرَانِ مَعْقُولَانِ . (الثَّلَاثُ) أَنْ
يُسْتَعَارَ الْحَسُّوسُ لِلْمَعْقُولِ كَاسْتِعَارَةِ النَّورِ الَّذِي هُوَ مُحْسُوسٌ
وَاسْتِعَارَةِ الْقِسْطَاسِ لِلْعَدْلِ . وَكَقَوْلِهِ : بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
فَيَدْمَغُهُ . فَالْقَذْفُ وَالِدَمَغُ مُسْتَعَارَانِ . وَقَوْلُهُ : فَبَذَرَهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ .
وَقَوْلُهُ : أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . الْوَادِي وَالْهَيْمَانُ
مُسْتَعَارَانِ . (الرَّابِعُ) أَنْ يُسْتَعَارَ أَمُّ الْمَعْقُولِ لِلْحَسُّوسِ عَلَى التَّأْوِيلِ
الْمَذْكُورِ فِي التَّشْبِيهِ كَقَوْلِهِ : إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ
تَكَادُ تَمُزُّ مِنْ أَفْئِظٍ . فَالشَّهِيقُ وَالْأَفْئِظُ مُسْتَعَارَانِ . وَقَوْلُهُ : حَتَّى
تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا

البحث السابع

في جيد الاستعارة ورديتها ومتوسطها

(عن كتاب الصناعتين وصناعة الترمز)

قَالَ مُحَمَّدٌ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ الْحَفَاجِيُّ : وَقَدْ اخْتَارَ أَبُو الْقَاسِمِ
أَبْنُ بَشِيرٍ الْأَمْدِيُّ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْتِعَارَةِ قَوْلَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
قُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَلَّى بِصُلْبِهِ وَارْدَفَ أَنْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّكَلٍ
وَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْأَسْتِعَارَةَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ . لِأَنَّهُ إِنَّمَا قَصَدَ
وَصَفَ أَحْوَالَ اللَّيْلِ فَذَكَرَ امْتِدَادَ وَسْطِهِ وَتَنَاوُلَ صَدْرِهِ لِلذَّهَابِ
وَالْأَنْبَاطِ وَتَرَادُفَ أَنْجَازِهِ وَأَوَاخِرُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا . وَقَالَ الْحَفَاجِيُّ :

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ لَا أَرْضَى بِهِ غَايَةَ الرِّضَى وَلَوْ كُنْتُ
أَسْكُنُ إِلَى تَقْلِيدِ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لَقَلَّدْتُهُ لِحُسْنِ
نَظَرِهِ وَصِحَّةِ فِكْرِهِ وَهُوَ عِنْدِي مِنَ الْوَسْطِ لَيْسَ مِنْ جَيْدِ الْأِسْتِعَارَةِ
وَلَا مِنْ رَدِيئِهَا . وَإِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ لِأَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ أَفْضَحَ بِأَنَّ
أَمْرَ الْقَيْسِ لَمَّا جَعَلَ لِلَّيْلِ وَسْطًا وَعَجَزَا اسْتِعَارَ لَهُ اسْمَ الصُّلْبِ
وَجَعَلَهُ تَشْطِيًا مِنْ أَجْلِ اتِّدَادِهِ وَجَعَلَ الْكَلْكَلَ مِنْ أَجْلِ
نُحُوضِهِ وَكُلُّ هَذَا إِنَّمَا يَحْسُنُ بَعْضُهُ لِأَجْلِ بَعْضٍ . قَدْ ذَكَرَ الصُّلْبُ إِنَّمَا
حَسُنَ لِأَجْلِ الْعَجْرِ . وَالتَّشْطِي لِأَجْلِ الصُّلْبِ . وَالْكَلْكَلُ لِيَجْمُوعَ
ذَلِكَ . وَهَذِهِ الْأِسْتِعَارَةُ الْمَبْنِيَّةُ عَلَى غَيْرِهَا فَلِذَلِكَ لَمْ أَرِ أَنْ تَجْعَلَ مِنْ
أَبْلَغِ الْأِسْتِعَارَاتِ وَكَانَتْ اسْتِعَارَةُ طُفِيلِ الْغُرَيِّ فِي قَوْلِهِ :

وَجَعَلْتُ رَحْلِي فَوْقَ نَاحِيهِ يَثْقَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ
أَوْفَقَ وَأَوْضَحَ . لِأَنَّهَا غَنِيَّةٌ بِنَفْسِهَا غَيْرَ مُفْتَقِرَةٍ إِلَى مُقَدِّمَةِ حَلِيَّتِهَا .
(وَقَالَ) وَقَدْ كُنْتُ مَثَلْتُ فِي بَعْضِ مَوَاضِعِ الْأِسْتِعَارَةِ الْحَمُودَةَ
وَالْمَذْمُومَةَ بَيْنَتَيْنِ أَحَدُهُمَا قَوْلُ ابْنِ نَبَاتَةَ :

حَتَّى إِذَا بَهَرُوا الْآبَاطِحَ وَالْأَثَرَى نَظَرُوا إِلَيْكَ بِأَعْيُنِ الثُّوَارِ
فَنَظَرُ أَعْيُنِ الثُّوَارِ مِنْ أَشْبِهِ الْأِسْتِعَارَاتِ وَالْيَقِيهَا . لِأَنَّ الثُّوَارَ
يُشَبِّهُ الْعُيُونَ إِذَا كَانَ مُقَابِلًا لِمَنْ يُعْرِضُ بِهِ كَأَنَّهُ مُنَاطِرٌ إِلَيْهِ . وَالْبَيْتُ
الثَّانِي بَيْتُ أَبِي نَعْمَانَ :

قَرَّتْ بِفَرَّانِ عَيْنِ الدِّينِ وَأَسْتَرَتْ بِالْأَشْرَيْنِ عُيُونََ الشِّرْكِ فَاصْطَلَحَا
وَقُرَّةُ عَيْنِ الدِّينِ وَأَسْتَارُ عُيُونََ الشِّرْكِ مِنْ أَقْبَحِ الْأِسْتِعَارَاتِ

لَعَدَمِ الشَّيْءِ الَّذِي لَا إِلَهَ جَعَلَ لِلشِّرْكِ عُيُونًا. وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ
لَا يَفْهَمُ مَعْنَى الْأَسْتِعَارَةِ لِأَنَّ النُّوَّارَ وَالشِّرْكَ لَا عُيُونَ لَهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ.
وَقَدْ قُبِحتْ أَسْتِعَارَةُ الْعُيُونِ لِأَحَدِهِمَا وَحَسُنَتْ لِلْآخَرِ. وَالْعِلَّةُ فِيهِ أَنَّ
النُّوَّارَ يُشَبَّهُ الْعُيُونَ. وَالَّذِينَ وَالشِّرْكَ لَيْسَ فِيهِمَا مَا يُشَبِّهُهَا وَلَا يُقَارِبُهَا.
وَمِنْ أَحْسَنِ الْأَسْتِعَارَاتِ كَقَوْلِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ :

رَمَا النَّسِيمُ بِوَادِيكُمْ وَلَا بَرِحَتْ حَوَامِلُ الْمِزْنِ فِي أَجْدَاثِكُمْ تَضَعُ
وَلَا يَزَالُ جَنِينُ النَّبْتِ بُرْضُهُ عَلَى قُبُورِكُمْ الْعَرَّاصَةُ أَهْمُ
لِأَنَّ الْمِزْنَ تَحْمِلُ الْمَاءَ وَإِذَا حَمَلَتْ تَضَعُهُ فَاسْتِعَارَةُ الْحَمْلِ لَهَا
وَالْوَضْعُ الْمَعْرُوفَيْنِ مِنْ أَقْرَبِ شَيْءٍ وَاشْبَهُهُ. وَكَذَلِكَ جَنِينُ النَّبْتِ
لِأَنَّ الْجَنِينَ الْمُسْتَوْرَ أَخُودٌ مِنَ الْجَنَّةِ. وَإِذَا كَانَ النَّبْتُ مُسْتَوْرًا
وَأَلْعَيْتُ يَسْقِيهِ كَانَ ذَلِكَ بَعَثَ الرِّغَاعَ

وَأَمْثَالُ الْحَاسِنِ فِي ذَلِكَ وَالْمَسَاوِي كَثِيرَةٌ وَقَدْ أَخَذَ الْقَوْلُ
فِي هَذَا الْبَابِ حَقَّهُ. مَعَ أَنَّ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا الْفَنِّ فِيهِ أَكْثَرُ
وَمِنْ ذَلِكَ

مِنْ مَثَلِ الْفَنِّ

البحث الثامن

في ما جاء من الاستعارات في كلام العرب

(عن كتاب الصناعتين للعسكري وصر العربية للتعالي)

وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الْعَرَبِ مِنَ الْأِسْتِعَارَاتِ فَكَثِيرٌ مِنْهُ
قَوْلُهُمْ : هَذَا رَأْسُ الْأَمْرِ وَوَجْهُهُ وَرَأْسُ الْمَالِ . وَهَذَا الْأَمْرُ فِي جَنْبِ
غَيْرِهِ يَسِيرٌ . وَيَقُولُونَ : هَذَا جَنَاحُ الْحَرْبِ وَقَلْبُهَا وَجَنَاحُ الطَّرِيقِ .
وَهَؤُلَاءِ رُؤُوسُ الْقَوْمِ وَحِمَا جُهِمَ وَعُيُونُهُمْ . وَقُلَانٌ ظَهَرَ فُلَانٌ وَلِسَانُ
قَوْمِهِ وَنَابَهُمْ وَعَضُّهُمْ . وَهَذَا كَلَامٌ أَهْ ظَهَرَ وَبَطْنٌ . وَفِي الْعَرَبِ :
الْجَمَاجِمُ . وَالْقَبَائِلُ . وَالْأَفْحَاذُ . وَالْبُطُونُ . وَخَرَجَ عَلَيْنَا عُتْقٌ مِنْ النَّاسِ
وَأَهْ عِنْدِي يَدٌ يَبِضَاءُ . وَهَذِهِ عَيْنُ الْمَاءِ . وَحَاجِبُ الشَّمْسِ . وَلِسَانُ
النَّارِ . وَهَذَا أَنْفُ الْجَبَلِ . وَبَطْنُ الْوَادِي . وَكَبِدُ السَّمَاءِ . وَسَاقُ
الشَّجَرَةِ . وَيَقُولُونَ فِي التَّفَرُّقِ : أَنْشَقَتْ عَصَاهُمْ . وَشَالَتْ نَعَامَتُهُمْ .
وَمَرُّوا بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا . وَكَقَوْلِهِمْ فِي أَشْتِدَادِ الْأَمْرِ :
كَشَفَتْ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِيهَا . أَبْدَى الشَّرُّ نَاجِدِيهِ . حَمَى الْوَطَيْسُ .
دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ . وَكَقَوْلِهِمْ فِي ذِكْرِ الْآثَارِ الْعُلَوِيَّةِ : أَقَرَّ الضُّبْحُ
عَنْ نَوَاجِدِهِ . ضَرَبَ بِسُودِهِ . سُلَّ سَيْفُ الضُّبْحِ مِنْ غَمْدِ الظَّلَامِ .
نَعَرَ الضُّبْحُ فِي قَعَا اللَّيْلِ . بَاحَ الصَّبَاحُ بِسِرِّهِ . وَهِيَ نِطَاقُ الْجَوَزَاءِ .
إِنْحَطَّ قَنْدِيلُ الثَّرْيَا . ذَرَّتْ رَنُ الشَّمْسِ . إِرْتَفَعَ النَّهَارُ . تَرَجَلَتْ
الشَّمْسُ بِجِمَرَاتِ الظَّهِيرَةِ . بَقَلَ وَجْهُ النَّهَارِ . خَفَقَتْ رَايَاتُ الظَّلَامِ .

نَوَّرَتْ حَدَائِقُ الْجَوِّ . شَابَ رَأْسُ اللَّيْلِ . لَبَسَتْ الشَّمْسُ جِلْبَابَهَا . قَامَ
خَطِيبُ الرَّعْدِ . خَفَقَ قَلْبُ الْبَرْقِ . لَحَلَ عِشْدُ السَّمَاءِ . وَهِيَ عِشْدُ
الْأَنْدَاءِ . انْقَطَعَ شِرْيَانُ الْقَمَامِ . تَنَفَّسَ الرَّيِّعُ . تَعَطَّرَ النَّسِيمُ .
تَبَرَّجَتِ الْأَرْضُ . قَوِيَ سُلْطَانُ الْحَرِّ . أَنْ أَنْ يَحْيِشَ مِرْجَلُهُ . وَيُثَوِّرَ
قَسْطَلُهُ . انْتَحَصَرَ قِنَاعُ الصَّيْفِ . جَاشَتْ جُيُوشُ الْحَرْيفِ . حَلَّتِ الشَّمْسُ
أَلْمِيزَانَ . وَعَدَلَ الزَّمَانُ . دَبَّتْ عَقَارِبُ الْبَرْدِ . أَقْدَمَ الشِّتَاءُ كَلْكَلَهُ .
شَابَتْ مَفَارِقُ الْجِبَالِ . يَوْمَ عَبُوسٍ قَطَرِيٍّ . كَثُرَ عَنْ نَابِ الزَّهْرِيِّ .
وَكَثُرَ لَهُمْ فِي مَحَاسِنِ الْكَلَامِ : الْأَدَبُ غِذَاءُ الرُّوحِ . الشَّبَابُ
بَاكُورَةُ الْحَيَاةِ . النَّارُ فَاكِمَةُ الشِّتَاءِ . الْعِيَالُ سُوسُ الْمَالِ . الْبَيْدُ كَيْمِيَاءُ
الْفَرْحِ . الْوَحْدَةُ قَبْرُ الْحَيِّ . الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الْفَرْجِ . الدِّينُ دَاءُ الْكِرَامِ .
النَّمَامُ جِسْرُ الشَّرِّ . الْإِرْجَافُ زَنْدُ الْفِتْنَةِ . الشُّكْرُ نَسِيمُ النَّعِيمِ .
الرَّيِّعُ شَبَابُ الزَّمَانِ . الْوَلَدُ رِيحَانَةُ الرُّوحِ . الشَّمْسُ قَطِيفَةُ الْمَسَاكِينِ .
الطِّيبُ لِسَانُ الْمُرُوءَةِ . وَيَسُونُ النَّبَاتِ نَوًّا . قَالَ : وَجَفَّ أَنْوَاءُ
السَّحَابِ . أَيَّ جَفَّ الْبَقْلُ . وَيَقُولُونَ لِلْمَطَرِ سَمَاءُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاكَهَا وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا
وَيَقُولُونَ : ضَحِكْتَ الْأَرْضُ إِذَا أَنْبَتَتْ لِأَنَّهَا تُبْدِي عَنْ حُسْنِ
النَّبَاتِ كَمَا يَقْتَرُ الضَّاحِكُ عَنْ الثَّغْرِ . وَيُقَالُ : ضَحِكْتَ الظُّلْمَةُ .
وَالنَّوْرُ يُضَاحِكُ الشَّمْسَ . قَالَ الْأَعَشَى :

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهُ كَوْكَبٌ مُشْرِقٌ

مُؤَزَّرٌ لِعِمِّمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلٌ

وَيَقُولُونَ : ضَحِكَ السَّحَابُ بِالْبَرَقِ وَحَنَّ بِالرَّعْدِ وَبَكَى بِالْقَطْرِ .
وَيَقُولُونَ : لَقِيتُ مِنْ فُلَانٍ عَرَقَ الْقُرْبَةِ أَيْ شِدَّةَ وَمَشَقَّةَ . (وَأَصْلُ
هَذَا أَنَّ حَامِلَ الْقُرْبَةِ يَتَعَبُ مِنْ ثِقَلِهَا حَتَّى يَغْرَقَ) . وَيَقُولُونَ أَيْضًا :
لَقِيتُ مِنْهُ عَرَقَ الْحَبِينِ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : بِأَرْضِ فُلَانٍ شَجَرٌ قَدْ صَاحَ .
وَذَلِكَ إِذَا طَالَ قَتْنٌ لِلنَّازِلِ بِطُولِهِ وَدَلَّ عَلَى نَفْسِهِ لِأَنَّ الصَّائِحَ
يَدُلُّ عَلَى نَفْسِهِ بِصَوْتِهِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْحَاجِّ :

كَالْكَرَمِ إِذَا نَادَى مِنَ الْكَافُورِ

وَمِمَّا جَاءَ أَيْضًا فِي هَذَا الْبَابِ فِي الْقُرْآنِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ
وغيرِهِمْ مَا نَصَّهُ : الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالنَّطِقِ . وَقَوْلُهُ : أَذْكَرُوا هَادِمَ
الذَّاتِ . وَقَوْلُهُ : اخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ . وَقَوْلُهُ :
أَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ . وَقَوْلُهُ : أَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا . وَقَوْلُهُ :
وَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ الْعَذَابِ . وَقَوْلُهُ : لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ .
وَقَالَ عَلِيٌّ : السَّفَرُ مِيزَانُ الْقَوْمِ . وَقَالَ : وَأَمَّا وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُ
الْإِسْلَامِ . وَلَهُ قَوْلُهُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : أَرِغِبْ رَاغِبُهُمْ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ
عَنْهُمْ . وَقَوْلُهُ : الْعِلْمُ قُفْلٌ مِفْتَاحُهُ الْمُسْتَلَّةُ . وَقَوْلُهُ : الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ
تَوَآمَانِ يَنْتَجِمَا عُلُوَّ الْإِهْمَةِ . وَقَالَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ يَصِفُ الدُّنْيَا :
إِنَّ أَمْرَهَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي فَرَحَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا تَرَحُّةٌ وَلَمْ يَلْقَ مِنْ
مَرَايِبِهَا بَطْنًا إِلَّا أَمْنَحَتْهُ مِنْ قُرَاطِهَا ظَهْرًا . وَلَمْ تُظْلَأْ فِيهَا غَايَةُ رَخَاءٍ إِلَّا
هَبَّتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ بَلَاءٍ . وَلَمْ يَمْسِ مِنْهَا فِي جَنَاحِ آمِنٍ إِلَّا أَضْحَجَ مِنْهَا
عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا مَلَكَ زَهَدَهُ اللَّهُ

فِي مَالِهِ وَرَغْبَةٍ فِيمَا فِي يَدِ غَيْرِهِ . وَأَشْرَبَ قَلْبُهُ إِلَّا شَفَاقَ . فَهُوَ يَحْسَدُ عَلَى الْقَلِيلِ وَيَسْخَطُ عَلَى الْكَثِيرِ جَزَلَ الظَّاهِرِ حَزِينَ الْبَاطِلِ . فَاذَا وَجِبَتْ نَفْسُهُ وَتَقَرَّ عَمْرُهُ وَضَحِيَ ظِلُّهُ حَاسِبُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَاشْدَّ حِسَابَهُ وَأَقْلَعَ عَقْرَهُ . وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى مَرَاذِبَةَ فَارِسَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَصَرَ خِدْمَتَكُمْ وَفَرَّقَ كَلِمَتَكُمْ . وَقَالَ الْحِجَّاجُ : دُلُونِي عَلَى رَجُلٍ سَيِّئِ الْأَمَانَةِ أَنْجَفَ الْحَيَاةِ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ : الرَّأْيُ لِأَصْحَابِهِ لِأَخِيرٍ فِي الرَّأْيِ الْفَطِيرِ وَالْكَلَامِ الْقَضِيبِ . فَلَمَّا بَايَعُوهُ قَالَ : دَعُوا الرَّأْيَ يَغِبْ فَإِنَّ غُيُوبَهُ يَكْشِفُ لَكُمْ عَنْ مَحَلِّهِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : إِنَّكَ لِحَسَنُ الْكُدْيَةِ . قَالَ : عِنْدَ مَنْ نَعِمَةُ اللَّهِ عِنْدِي . وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : الْحِلْمُ دَعَاءُ الْعَقْلِ . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِرَجُلٍ : رَحِمَ اللَّهُ آتَاكَ قَاتَةٌ كَانَ يَقْرِي الْعَيْنَ جَمَالًا وَالْأُذُنَ بَيَانًا . وَقِيلَ لِرُؤْبَةٍ : كَيْفَ تَرَكْتَ مَا وَرَاكَ . قَالَ : التُّرَابُ يَا بَسَ وَالْمَالُ عَابِسٌ . وَقَالَ الْمَنْصُورُ لِبَعْضِهِمْ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ بَخِيلٌ . قَالَ : مَا أَجْمَدُ فِي حَقِّ وَلَا أَذُوبُ فِي بَاطِلٍ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ : قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ ابْنِ الْحُسَيْنِ : إِنِّي لِأُحِبُّكَ . قَالَ : رَأَيْتُ ذَلِكَ عِنْدِي . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْإِسْطِطَاةُ لِسَانَ الْجَهَالَةِ . وَقَالَ يُحْيَى بْنُ خَالِدٍ : الشُّكْرُ كَفُّو النِّعَمَةِ . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : خَرَجْتُ فِي لَيْلَةٍ خُنْدَسٍ قَدْ آلَقْتُ عَلَى الْأَرْضِ أَذْرَاعَهَا فَفَحَتْ صُورَةَ الْأَبْدَانِ فَأَكُنَّا نَتَعَارَفُ إِلَّا بِالْأَذَانِ . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ لِأَخْرٍ : يَسَارُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ يَسَارِ الْمَالِ وَرُبَّ شَبْعَانَ مِنْ التَّعَمِّ غَرْقَانَ مِنْ الْكَرَمِ . وَقَالَ آخَرُ فِي حَرْبٍ : جَعَلُوا الْحَرْبَ

أَرْشِيَةَ الْمَوْتِ وَأَسْتَقْوَاهَا أَرْوَاحَ الْعَدُوِّ . وَقَالَ آخَرُ : فُلَانٌ أَمْلَسُ لَيْسَ
فِيهِ مُسْتَقَرٌّ بِحَيْرٍ وَلَا شَرٌّ . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ وَقَدْ شَتَّمَهُ رَجُلٌ بَيْنَ
يَدَيِ الْمَأْمُونِ : رَأَيْتُهُ يَسْتَمْلِي مَا يَلْقَانِي بِهِ مِنْ عَيْنِكَ . وَقِيلَ لِأَعْرَاطِي :
أَيُّ طَعَامٍ أَطِيبُ . قَالَ : الْجُوعُ أَبْصَرُ . وَمَدَحَ أَعْرَاطِي رَجُلًا قَالَ :
كَانَ يَقْتَحُ مِنَ الرَّأْيِ أَبْوَابًا مُنْسَدَّةً وَيَغْفِلُ مِنَ الْغَارِ وَجُوهًا مُسْوَدَّةً .
إِذَا عَرَضَتْ لَهُ زِينَةُ الدُّنْيَا هَجَّتْهَا صُورَةُ الْحَمْدِ عِنْدَهُ وَإِنْ لِلْمَصَانِعِ
لَغَارَةٌ عَلَى أَمْوَالِهِ كَغَارَةُ سُيُوفِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ . وَمَدَحَ أَعْرَاطِي قَوْمًا
فَقَالَ : أُولَئِكَ غُرٌّ تُخَيُّ فِي ظُلْمِ الْأُمُورِ الْمَشْكِلَةِ قَدْ صَفَتْ
أَذَانُ الْحَجْدِ إِلَيْهِمْ . وَقَالَ أَعْرَاطِي يَمْدَحُ رَجُلًا : إِنَّهُ لِيُعْطِيَ عَطَاءَ
مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَادَّتُهُ . وَمَدَحَ أَعْرَاطِي رَجُلًا فَقَالَ : لِسَانُهُ أَخْلَى
مِنْ الشَّهْدِ وَقَلْبُهُ سَجْنُ الْحَقْدِ . إِنْ آسَأْتَ إِلَيْهِ أَحْسَنَ وَكَأَنَّهُ أَلْسِي .
وَإِذَا أَجْرَمْتَ غَفَرَ وَكَأَنَّهُ الْحَجْرُ . إِشْرَى بِالْمَعْرُوفِ عَرْضَهُ مِنَ الْأَذَى
فَهُوَ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا فَوَهَبَهَا رَأَى بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ
حُقُوقًا لَا يَسْتَعْذِبُ الْخَنَى وَلَا يَسْتَحْسِنُ غَيْرَ الْوَفَاءِ . وَقَالَ أَعْرَاطِي لِرَجُلٍ :
لَا تُدَسِّسْ شِعْرَكَ بِعَرَضِ فُلَانٍ فَإِنَّهُ سَحِينُ أَلْمَالٍ مَهْزُولُ الْمَعْرُوفِ مِنْ
الْمَرْزُوقِينَ فَجَاءَهُ قَصِيرُ عُمَرِ الْغَنَى طَوِيلُ حَيَاةِ الْفَقْرِ . وَسَالَ أَعْرَاطِي
فَقِيلَ لَهُ : عَلَيْكَ بِالْحَيَارِفِ . فَقَالَ : هُنَاكَ قَرَارَةُ اللَّوْمِ . وَذَكَرَ
أَعْرَاطِي قَوْمًا فَقَالَ : أُولَئِكَ قَوْمٌ قَدْ سَلَحَتْ أَقْفَاءُهُمْ بِأَنْهَجَاءٍ وَدَبَّغَتْ
جُلُودُهُمْ بِاللَّوْمِ . فَلَبَّاسُهُمْ فِي الدُّنْيَا أَلَمَامَةٌ وَزَادَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
الْئِدَامَةُ . وَذَمَّ أَعْرَاطِي قَوْمًا فَقَالَ : هُمْ أَقَلُّ ذُنُوبًا إِلَى أَعْدَائِهِمْ

وَأَكْثَرُ تَجَرُّهًا عَلَى أَصْدِقَائِهِمْ . يَصُومُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيُفْطِرُونَ عَلَى
 الْفَحْشَاءِ . وَذَمَّ اَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ تَغْدُو إِلَيْهِ مَوَاقِبُ
 الضَّلَالَةِ وَتَرْجِعُ مِنْ عِنْدِهِ بِذُورٍ إِلَّا تَامَ مُعْدَمٌ مِمَّا يُحِبُّ مَثَرِ مِمَّا يُكْرَهُ .
 وَقَالَ آخَرُ : مَا رَأَيْتُ دَمْعَةً تَرَقُّقُ فِي عَيْنٍ وَتَجْرِي عَلَى خَدِّ آخَرٍ مِنْ
 غَيْرَةِ أَمْطَرَتَهَا عَيْنَاهُ وَأَعْشَبَ لَهَا قَلْبِي . وَقَالَ اَعْرَابِيٌّ وَذَكَرَ زُهَادًا :
 فَازَ قَوْمٌ إِذْ بَتَّهِمُ الْحِكْمَةَ وَأَحْكَمَتَهُمُ التَّجَارِبُ وَلَمْ تَغْرِزْهُمْ السَّلَامَةُ
 الْمُنْطَوِيَّةُ عَلَى الْهَلَكَةِ . وَرَحَلَ عَنْهُمْ التَّسْوِيفُ الَّذِي قَطَعَ بِهِ النَّاسُ
 مَسَاقَةَ آجَالِهِمْ وَأَحْسَنُوا الْقَالَ وَشَفَعُوهُ بِالْفِعَالِ تَرَكُوا النِّعَمَ لِيَتَنَعَّمُوا .
 لَهُمْ عِبَرَاتٌ مُتَدَاغَةٌ لَا يَرَاهُمْ إِلَّا فِي وَجْهِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهٌ . وَوَصَفَ
 اَعْرَابِيٌّ وَالِيَا فَقَالَ : كَانَ إِذَا وُلِّيَ لَمْ يَطَاقِ بَيْنَ جُفُوفِهِ وَإِرْسَالِ
 الْعُيُونِ عَلَى غُيُوبِهِ . فَهُوَ شَاهِدٌ مَعَهُمْ غَائِبٌ عَنْهُمْ فَالْحَسَنُ آوَنٌ وَالْمُسِيءُ
 خَائِفٌ . وَذَكَرَ اَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ أَلْفُهُمْ مِنْهُ ذَا أُذُنَيْنِ وَالْجَوَابُ
 مِنْهُ ذَا لِسَانَيْنِ . لَمْ أَرَ أَحَدًا كَانَ أَرْتَقَ لِحَالِ السَّرَاءِ مِنْهُ كَانَ بَعِيدَ
 مَسَاقَةِ الرَّأْيِ يَرْمِي بِطَرْفِهِ حَيْثُ أَشَارَ الْكَرَمُ . وَمَا زَالُ يُتَحَسَّى مَرَارَةً
 الْإِخْوَانِ وَيُسَيِّفُهُمُ الْعَذَبُ . وَوَصَفَ اَعْرَابِيٌّ قُوَّةً فَقَالَ : إِذَا أَضْطَقُوا
 تَحْتَ الْقَتَامِ سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السِّهَامُ بِوُقُوفِ الْحِمَامِ . وَإِذَا تَصَكَّحُوا
 بِالسُّيُوفِ قَفَرَتْ أَلْمَنِيَا بِأَفْوَاهِهَا . فَكَمْ مِنْ يَوْمٍ عَارِمٍ قَدْ أَحْسَنُوا
 آدَبَهُ وَحَرَبَ عُبُوسٍ قَدْ ضَاكَّتْهَا أَسِنَّتُهُمْ وَخَطَبَ قَدْ ذَلُّوا مَنَاكِبَهُ .
 إِنَّمَا كَانُوا كَالْبَحْرِ الَّذِي لَا يَنْكَبِشُ غِمَارُهُ وَلَا يُنْهَنُ تَيَّارُهُ . وَقِيلَ
 لِأَعْرَابِيٍّ : لِمَ لَا تَشْرَبُ الْبَيْدَ . فَقَالَ : لَا أَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ عَقْلِي .

وَقَالَ آخَرُ : أَخْطُ مَرْكَبُ الْبَيَانِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : أَلْقَلَمُ لِسَانُ الْبَيَانِ .
وَسَمِعْتُ بَعْضَ الْأَطِبَّاءِ يَقُولُ : أَلْمَاءُ . مَطِيَّةُ الطَّعَامِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ
وَهْبٍ لِكَاتِبِهِ : لَا تُكَدِّرْ مَاءَ مَعْرُوفِي بِالْمِنْ فَإِنَّ أَعْتِدَادَكَ بِالْمَعْرُوفِ
يَعْقِلُ لِسَانَ الشُّكْرِ . وَأَمْثَالُ هَذَا كَثِيرٌ فِي مَشْرِعِ الْكَلَامِ وَفِي مَا أوردناه
كِفَايَةً . وَأَمَّا الْأَسْتِعَارَةُ فِي أَشْعَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى

البحث التاسع

في مراعاة النظر

(من شرح بديعية العبيان لابن جابر الاندلسي باختصار)

(راجع صفحة ٣١ من علم الادب)

يُسْنَى أَيْضًا هَذَا النَّوعُ التَّنَاسُبَ وَالْإِتْلَافَ وَالتَّوْفِيقَ وَالْمَوْلُخَاةَ .
وَهُوَ فِي اضْطِلَاحِ الْبَدِيعِيِّينَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ شَيْءٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لَا عَلَى
جِهَةِ التَّضَادِّ . وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ . (الْأَوَّلُ) يُذَكَّرُ فِيهِ الشَّيْءُ
مَعَ مَا يُنَاسِبُهُ فَقَطُّ كَقَوْلِ ابْنِ الْحَشَابِ لِلْخَلِيقَةِ الْمُسْتَضِيَّةِ :
وَرَدَا لَوْرِي سَأَسَالُ جُودَكَ فَأَرْتَوْا وَوَقَفْتُ دُونَ الْوَرْدِ وَفَقَّةَ حَالِمٍ
ظَلَمَانَ أَطْلُبُ ضَفَّةً مِنْ رَحْمَةٍ وَالْوَرْدُ لَا يَزْدَادُ غَيْرَ تَرَاخُمٍ
فَأَنْظُرُ حُسْنَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ كَيْفَ جَرِيََا كَالْمَاءِ فِي طَلَاوِثِهِ . وَوَقَعَا
مِنْ الْقُلُوبِ كَالشَّهْدِ فِي حَلَاوَةِ . . . مِمَّا أَنَّ نَظْمَهُمَا مَا خَرَجَ عَنْ وَصْفِ
أَلْمَاءِ كَلَامُهُ . وَلَا تَعْدَى ذَلِكَ الْمَعْنَى ظَلَامُهُ . فَأَوْدَعَهُمَا فِي عَشْرِ مَوَاضِعَ
مُرَآةِ النَّظِيرِ . فِيهَا مِنَ الْحُسْنِ مَا لَيْسَ لَهُ مِنْ تَطْيِيرٍ . لَكِنَّهُ مَا سَلِمَ

مَلِيحٌ مِنْ عَيْبٍ . وَلَا خَلَا مِنْ مَرْفُوعٍ رَيْبٌ . فَمَعَ هَذِهِ الْحَاسِنِ الظَّرِيفَةِ
 نَا سَلِمَ الْبَيْتَانِ مِنْ عَيْبِ الْقَافِيَةِ . فَقَدْ غَيَّرَ النَّاطِمُ كَسْرَةَ الدَّخِيلِ عَلَى
 الضَّمَّةِ . وَجَاءَ فِي ذَلِكَ بِمَا عَابَهُ كُلُّ أَدِيبٍ وَذَمَّهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ السَّلَامِيِّ :
 وَالْتَقَى ثَوْبٌ بِالثُّوْبِ مُطَرِّزٌ وَالْأَرْضُ فَرَشٌ بِالْحِيَادِ مُحْمَلٌ
 وَسُطُورُ خَيْلِكَ إِنَّمَا الْفَاتِمَا سُرٌّ تُنْقِطُ بِالِدِمَاءِ وَتُشَكِّلُ
 نَاسَبَ بَيْنَ الثَّوْبِ وَالتَّطْرِيزِ وَالتَّحْمِلِ وَبَيْنَ السُّطُورِ وَالْأَلِفَاتِ
 وَالنِّقْطِ وَالشَّكْلِ

(تَنْبِيْهٌ) وَلَوْ ذَكَرَ الشَّيْءُ مَعَ مَا لَا يُنَاسِبُهُ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ
 عَيْبًا . كَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

وَقَدْ حَلَفْتُ عَيْنًا مَبْرُورَةٌ لَا تُكَذِّبُ
 بِرَبِّ ذَمِّمِ وَالْحَوْضُ ضِ وَالصَّفَا وَالْمُحْصَبُ
 عَابُوا عَلَيْهِ ذِكْرَ الْحَوْضِ مَعَ ذَمِّمِ وَالصَّفَا وَالْمُحْصَبِ . وَإِنَّهُ غَيْرُ
 مُنَاسِبٍ ذِكْرُهُ مَعَهَا . وَإِنَّمَا يُنَاسِبُ ذِكْرُ الْحَوْضِ مَعَ الْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ
 وَشِبْهَيْهَا بِمَا هُوَ مَنْوُطٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(تَنْبِيْهٌ ثَانٍ) لَوْ جَاءَ الْكَاتِبُ بِمُتَنَاسِبَيْنِ فَأَفْرَدَ أَحَدَهُمَا وَتَنَّى
 الْآخَرَ أَوْ جَمَعَهُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ كَانَ عَيْبًا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

أَلَا يَا ابْنَ الْذِينَ قُنُوا وَمَاتُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لِيَبْقَى
 وَمَا لَكَ فَأَعْلَمَنْ فِيهَا بَقَاءً إِذَا أَسْتَكْمَلْتَ أَجَالًا وَرِزْقًا
 فَجَمَعَ (الْأَجَلَ) وَأَفْرَدَ (الرِّزْقَ) مَعَ أَنَّهَا مُتَنَاسِبَانِ . (الثَّانِي) أَنْ
 يُذَكَّرَ شَيْءٌ أَوْ أَشْيَاءُ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ مَا يُنَاسِبُهُ فِي جُمْلٍ مُسْتَوِيَةٍ

الْمَقْدَارِ . وَيُسَمَّى هَذَا النَّوعُ التَّفْوِيفُ إِشْبَاهُ بِالْتَّوْبِ الْمَقْوِفِ وَهُوَ
الَّذِي فِيهِ خُطُوطٌ مُسْتَوِيَةٌ وَتَشْبِيهُ الْجَمَلِ بِاسْتِوَاءِ تِلْكَ الْخُطُوطِ .
وَتَكُونُ هَذِهِ الْجَمَلُ طَوَالًا كُلُّهَا أَوْ مُتَوَسِّطَةً . وَكُلُّهَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ
آخِرُهَا فِي بَعْضِ جُزْءِ التَّفْعِيلِ وَهِيَ الْمُدْجَعَةُ . وَإِمَّا أَنْ يُوَافِقَ آخِرُهَا
آخِرَ جُزْءِ التَّفْعِيلِ وَهِيَ الْغَيْرُ الْمُدْجَعَةُ وَهُوَ الْأَحْسَنُ . فَمِنْ قَوْلِ ابْنِ
عَيْنٍ :

دَعَتْ فِي آعَالِي السُّغْدِ يَوْمًا حَمَامَةً عَلَى فَنَيْنٍ مِنْ كُلِّ رِيَانٍ كَالْيَمِّ
فَهَاجَتْ مَشُوقًا وَاسْتَفْرَتْ مُتِيًّا وَأَبَكَتْ غَرِيبًا وَأَسْتَحَفَّتْ أَخَا عِلْمٍ
(السُّغْدُ : وَضِعُ بِسَرْقَنْدَ قَدْ أَخَذَ لِلزَّاهَةِ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي
الْحُسْنِ) . وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي مَذْحِجٍ :

وَالدَّهْرُ يُقْبِلُ أَنْ تُثْقِلَ وَيَعْرِضُ أَنْ تُعْرِضَ وَغَيْرَ الَّذِي قَدْ رَمْتُمْ يَوْمَ
أَنْ قُلْتَ يَسْمَعُ وَإِنْ تَأْمُرُ يَطْعُ وَمَتَى فَعَلْتَ تُسَعِدُ وَإِنْ لَاحَظْتَ تُحْزِمُ
وَقَدْ بَلَغَ بِهَا الْمُسْتَشْيَ إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةِ جُمْلَةٍ لَكِنْ بِغَيْرِ حَرْفٍ
عَطْفٍ فَثَقُلَتْ وَخَرَجَتْ عَنْ سَبِيلِ الْبَلَاغَةِ . وَهِيَ قَوْلُهُ :

أَقْلَ أَيْلٍ أَقْطَعَ أَجْمَلٍ عَلَى سَلٍّ أَعْدَ زِدْ هَشَّ بَشٍّ تَفَضَّلَ أَدْنِ سُرَّصِلٍ
(الثَّالِثُ) مِنْ مُرَاعَاةِ الظَّيْرِ أَنْ تَذْكُرَ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ وَيُجْتَمِعُ
الْكَلَامُ بِشَيْئَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُلَاحِظُ وَاحِدًا بِمَا تَقَدَّمَ . وَالْآخَرُ يُلَاحِظُ
الْآخَرَ . وَيُسَمَّى هَذَا النَّوعُ تَنَاسُبَ الْأَطْرَافِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ : لَا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ . وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيْرُ . فَالْلطيفُ يُنَاسِبُ
مَا لَا يُدْرِكُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْخَفَاءِ . وَالْخَيْرُ يُنَاسِبُ مَنْ هُوَ مُدْرِكُ اللَّطَائِفِ

الْأَشْيَاءُ . (الرَّابِعُ) أَنْ تَذْكُرَ الشَّيْءَ ثُمَّ تَذْكُرَ مَعَهُ لَفْظًا مُشْتَرَكًا
بَيْنَ أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُلَاحِظُ الْأَوَّلَ وَالْآخِرُ لَا يُلَاحِظُهُ فَيَتَوَهَّمُ السَّامِعُ
أَنَّهُ مُرَادِفُ الْمُلَاحِظِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ . وَيُسَمَّى هَذَا النَّوعُ إِيهَامَ النَّظِيرِ .
كَقَوْلِ الْقَائِلِ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ .
فَيَتَوَهَّمُ مُرَاعَاةَ النَّظِيرِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّجْمِ الثَّبَاتُ لَا
الْكَوْكَبُ لِعَطْفِ الشَّجَرِ عَلَيْهِ

البحث العاشر

في المجاز المرسل

(من السكاكي والدسوقي والتعالبي باختصار)

(راجع صفحة ٣٣ من علم الادب)

إِنَّ عِلَاقَةَ الْمَجَازِ الْمُصَحَّحَةِ لَهُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُشَابِهَةً لِمَنْقُولٍ
إِلَيْهِ بِالْمَنْقُولِ عَنْهُ فِي شَيْءٍ فَيُسَمَّى الْمَجَازُ اسْتِعَارَةً كَمَا مَرَّ . وَإِمَّا أَنْ
تَكُونَ عِلَاقَةُ الْمَجَازِ غَيْرَ الْمُشَابِهَةِ فَيُسَمَّى مُرْسَلًا كَلَفْظِ الْيَدِ إِذَا
اسْتَعْمِلَ فِي النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ كَمَا يُقَالُ : جَلَّتْ أَيْدِيهِ عِنْدِي . أَيْ
كَثُرَتْ نِعْمَتُهُ لَدَيَّ . وَأَتَّسَعَتْ أَيْدِي فِي الْبَلَدِ . وَأَلْيَدُ فِي اللُّغَةِ الْغَضَبُ
الْمَخْصُوصُ وَالْعِلَاقَةُ كَوْنُ ذَلِكَ الْغَضَبِ مَصْدَرًا لِلنِّعْمَةِ فَإِنَّهَا تَصِلُ
إِلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ مِنْ أَلْيَدٍ فَتَكُونُ لِمَجَارِحَةِ الْمَخْصُوصَةِ بِمَثَرَةِ الْعِلَّةِ
الْفَاعِلِيَّةِ لَهَا . وَأَيْضًا بِأَلْيَدٍ تَظْهَرُ النِّعْمَةُ فَتَكُونُ بِمَثَرَةِ الْعِلَّةِ الصُّورِيَّةِ
لَهَا . وَإِذَا اسْتَعْمِلَتْ لِلْقُدْرَةِ فَلِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَظْهَرُ سُلْطَانُ الْقُدْرَةِ فِي
أَلْيَدٍ وَبِهَا تَكُونُ الْأَفْعَالُ الدَّالَّةُ عَلَى الْقُدْرَةِ مِنَ الْبَطْشِ وَالضَّرْبِ

وَالْقَطْعُ وَالْأَخْذُ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَأَنْوَاعُ الْعَلَاقَةِ الْمُعْتَبَرَةِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا عَائِدَةٌ إِلَى (التَّضَمِّنِ) وَهِيَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ أَوْ نُقْصَانٍ . (فَمِنْ النُّقْصَانِ) تَسْيِئَةُ الشَّيْءِ بِأَنَّهُمْ جُزئِهِ وَإِطْلَاقُ الْخَاصِّ لِلْعَامِّ . وَهَذَا مِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ فَإِنَّهُمْ يَتَصَرُّونَ عَلَى بَعْضِ الشَّيْءِ وَهُمْ يُرِيدُونَ كُلَّهُ فَيَقُولُونَ : قَعَدَ عَلَى ظَهْرِ رَاحِلَتِهِ . وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

الْوَاطِنِينَ عَلَى صُدُورِ غَالِهِمْ

وَكَقَوْلِ لَبِيدٍ :

أَوْ يَرِيطُ بَعْضَ النَّفُوسِ حَمَاهَا
وَفِي الْقُرْآنِ : قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ . وَالْمُرَادُ يَغْضُوا أَبْصَارَهُمْ كُلَّهَا . (وَكَذَلِكَ) يَصِفُونَ أَلْبَعْضَ بِصِفَةِ الْكُلِّ كَقَوْلِهِ : نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ . فَالْخَطَأُ صِفَةُ الْكُلِّ وَصَفَ بِهِ النَّاصِيَةَ . وَمِثْلُ ذَلِكَ إِطْلَاقُهُمْ لَفْظَ (بَعْضٍ) مُرَادًا بِهِ الْكُلَّ كَقَوْلِهِ : لَا بَيْنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أَيْ كُلَّهُ . وَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ أَنْ تُقِيمَ الْوَاحِدَ قَامَ الْجَمْعِ فَيَقُولُونَ : قَرَرْنَا بِهِ عَيْنًا . أَيْ أَعَيْنَا . وَكَقَوْلِهِ : لَا تُفْرِقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ . وَالتَّفْرِيقُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ أَثْنَيْنِ . وَالتَّقْدِيرُ : لَا تُفْرِقْ بَيْنَهُمْ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ سُنَّةُ الْعَرَبِ أَنْ يَقُولُوا لِلرَّجُلِ الْعَظِيمِ وَالْمَلِكِ الْكَبِيرِ : أَنْظِرُوا فِي أَمْرِي . وَلِأَنَّ السَّادَةَ وَالْمُلُوكَ يَقُولُونَ : نَحْنُ فَعَلْنَا وَإِنَّا أَمَرْنَا . فَعَلَى تَضْيِيقِ هَذَا الْإِتِّدَاءِ يُخَاطَبُونَ فِي الْجَوَابِ . (وَمِنْ الزِّيَادَةِ) وَهُوَ عَكْسُ مَا قَبْلَهُ إِطْلَاقُ أَسْمِ الْعَامِّ لِخَاصٍّ وَمِنْهُ بَابُ التَّخْصِيسِ بِأَسْرِهِ وَإِطْلَاقُ أَسْمِ الْكُلِّ عَلَى الْجُزْءِ نَحْوُ : يَجْعَلُونَ

أَصَابِعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّرَاعِقِ . يُرِيدُ الْأَنْغَمَةَ وَهِيَ جُزْءٌ مِنَ
الْأَصَابِعِ . وَأَلْفَرَضُ وَهُوَ الْمَبَالغةُ كَأَنَّهُ جَعَلَ جَمِيعَ الْأَصَابِعِ فِي الْأُذُنِ
لِتَلَّا يَسْمَعَ شَيْئًا مِنَ الصَّاعِقَةِ . (وَمِنْ سُنَنِهِمْ) أَيْضًا الْإِتْيَانُ بِالْجَمْعِ
وَيُرِيدُونَ بِهِ الْوَاحِدَ كَقَوْلِهِ : مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَغْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ .
وَإِنَّمَا أَرَادَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : أَفْعَلًا ذَلِكَ . وَالْمُخَاطَبُ
وَاحِدٌ . وَكَقَوْلِهِ : أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ . وَهُوَ خِطَابٌ لِلْحَازِنِ
النَّارِ وَحْدَهُ . وَكَمَا قَالَ الْأَعشى :

وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصُّحَى وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهُ فَاعْبُدَا
وَيُقَالُ إِنَّهُ أَرَادَ : وَاللَّهُ فَاعْبُدْنِ . فَقَلْبُ الثُّنْوَ الْخَفِيفَةُ الْقَلَا .
وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ : أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ . (وَمِنْ أَنْوَاعِ) الْعَلَاقَةِ الْمَعْتَبَرَةِ فِي
الْحِجَازِ الْمُرْسَلِ مَا يَقُودُ إِلَى (الِاسْتِزَامِ) وَهُوَ مَا أَقْتَضَى مَعْنَاهُ مَعْنَى آخَرَ
لِأَجْلِ عِلَاقَتِهِ . (فَمِنْ ذَلِكَ) إِطْلَاقُ اسْمِ الْمَلْزُومِ عَلَى اللَّازِمِ وَاللَّازِمِ
عَلَى الْمَلْزُومِ نَحْوُ : هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ . أَيْ هَلْ يَفْعَلُ . أَطْلَقَ الْإِسْطِطَاعَةَ
عَلَى الْفِعْلِ لِأَنَّهَا لَازِمَةٌ لَهُ . وَكَقَوْلِهِ : يُرْسِلُ السَّمَاءُ مِذْرَارًا . أَيْ
الْمَطَرَ . لِأَنَّهُ مِنْهَا يَنْزِلُ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ سَبَبِهِ . كَقَوْلِهِ : مَا كَانُوا
يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ . أَيْ الْقَبُولَ وَالْعَمَلَ بِهِ لِأَنَّهُ يَنْسَبُّ عَنِ السَّمْعِ .
وَكَقَوْلِهِ : رَعَيْنَا الْغَيْثَ . أَيْ النَّبَاتَ الَّذِي سَبَبُهُ الْغَيْثُ . (وَعَكْسُهُ)
تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ مُسَبِّبِهِ نَحْوُ : أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا . أَيْ غَيْثًا
يَكُونُ النَّبَاتُ مُسَبِّبًا عَنْهُ . وَكَقَوْلِهِ : يُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا .
أَيْ مَطَرًا وَهُوَ مِنْ تَوَابِعِهِ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ مَا كَانَ

عَلَيْهِ تَحَوُّ : اَتُوا اَلْيَتَامَى اَمْوَالَهُمْ . اَيِ اَلَّذِينَ كَانُوا يَتَامَى لِاَنَّهُمْ لَا يُؤْتُونَ اَمْوَالَهُمْ حَتَّى يَبْلُغُوا وَلَا يَتِمَّ بَعْدُ اَلْبُلُوغُ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ مَا يُوَلُّ اِلَيْهِ تَحَوُّ : اِنِّي اَرَانِي اَعَصِرُ خَمْرًا اَيِ عِنَبًا . يُعَصَرُ فَيُوَلُّ اِلَى اَلْخَمْرِ . وَكَقَوْلِهِ : وَلَا يَلِدُوا اِلَّا كُفَّارًا . اَيِ صَاوِرًا اِلَى اَلْكُفْرِ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ مَحَلِّهِ تَحَوُّ : فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ اَيِ اَهْلَ نَادِيِهِ . اَيِ مَجْلِسِهِ . وَكَقَوْلِهِ : اَسْأَلُ اَلْقَرْيَةَ اَلَّتِي كُنَّا فِيهَا . اَيِ اَهْلِهَا . (وَمِنْهُ عَكْسُهُ) اَيِ اِطْلَاقِ اسْمِ اَلْحَالِ عَلَى اَلْحَلِّ . تَحَوُّ : حَلُّوا فِي رَحْمَةِ اَللّٰهِ اَيِ فِي اَلْجَنَّةِ لِاَنَّهَا مَحَلُّ اَلرَّحْمَةِ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ اَلَّتِي تَحَوُّ : وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ . اَيِ اجْعَلْ لِي ثَنَاءً حَسَنًا وَاَللِّسَانَ آتَهُ اَلصِّدْقُ وَاَلثَّنَاءُ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ ضِدِّهِ تَحَوُّ : فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيمٍ . اَيِ اَنْذِرْهُمْ وَهَدِّدْهُمْ . وَتَقُولُ اَلْعَرَبُ لِلرَّجُلِ تَسْتَجْهَلُهُ : يَاعَاقِلُ . وَاَلْمَرْأَةَ تَسْتَجْجِهَا : يَاقَرُّ . (وَكَذَلِكَ) يَقْلِبُونَ اَلْمَعْنَى تَحَوُّ : عَرَضَتْ اَلنَّاقَةُ عَلَى اَلْحَوْضِ . يُرِيدُونَ اَلْحَوْضَ عَلَى اَلنَّاقَةِ . (وَمِنْهُ) وَصْفُ الشَّيْءِ بِمَا يَقَعُ فِيهِ اَوْ يَكُونُ فِيهِ تَحَوُّ : يَوْمٌ عَاصِفٌ . اَيِ عَاصِفُ الرِّيحِ . وَلَيْلٌ نَائِمٌ وَسَاهِرٌ وَصَائِمٌ اَيِ يُنَامُ فِيهِ وَيُسَهِّرُ وَيَصَامُ . (وَمِنْهُ) اِضَاقَةُ اَلْفِعْلِ اِلَى مَا لَا يَضِلُّ اِلَيْهِ تَشْبِيهَاً . كَقَوْلِهِ : جِدَارٌ يُرِيدُ اَنْ يَنْقُضَ . وَلَا اِرَادَةَ لِلْجِدَارِ . وَلَكِنَّهُ تَوَسَّعَ اَلْعَرَبُ فِي اَلْحِجَازِ فَعَبَّدُوا عَنْ اَلْجَمَادِ فِعْلًا اِلَّا نَسَانِ كَمَا قَالَ الرَّاجِزُ :

اِمْتَلَأَ اَلْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي

أَي كَفَانِي وَلَيْسَ لِحَوْضِ قَوْلٍ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الرَّاعِي الشَّاعِرِ النَّصْرَانِي :
 فِي مَهْمَةٍ فَلَقْتُ بِهِ هَامَاتَهَا فَلَقَ الْفُؤُوسِ إِذَا أَرَدَنَ تَصُولَا
 وَالْعَرَبُ تُسَمِّي التَّهْيِئَةَ لِلْفِعْلِ وَالْإِحْتِيَاجَ إِلَيْهِ إِرَادَةً. وَكَذَلِكَ يَأْتُونَ
 بِلَفْظِ الْمَاضِي وَهُوَ مُسْتَقْبَلٌ وَبِلَفْظِ الْمُسْتَقْبَلِ وَهُوَ مَاضٍ كَقَوْلِهِ : لَمْ
 تَقْتُلُونِ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ أَي لَمْ قَتَلْتُمْ . وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
 فَأَذْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدَعْ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْقَصَائِدِ مُضِيفًا
 أَي لِمَنْ يَكُونُ بَعْدِي . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ : وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا . أَي
 كَانَ وَيَكُونُ وَهُوَ كَأَنَّ الْآنَ جَلَّ ثَنَاءُهُ . وَكَذَلِكَ يَأْتُونَ بِالْمَفْعُولِ
 بِلَفْظِ الْفَاعِلِ فَيَقُولُونَ : سِرُّ كَاتِمٍ أَي مَكْتُومٍ . وَمَكَانٌ عَائِرٌ أَي
 مَعُورٌ . وَمَاءٌ دَافِقٌ أَي مَدْفُوقٌ . وَعَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ أَي مَرْضِيَّةٌ . وَحَرَمٌ
 آمِنٌ أَي مَأْمُونٌ . وَقَالَ جَرِيرٌ :

إِنَّ الْبَلِيَّةَ مَنْ تَمَلُّ كَلَامَهُ فَأَنْقَعُ فُؤَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَاقِعِ
 أَي مِنْ حَدِيثِ الْمُتَوَقِّعِ . وَيَعْكِسُونَ هَذَا الْعَمَلَ وَيَسْتَعْمِلُونَ
 الْفَاعِلَ بِلَفْظِ الْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ : كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا أَي آتِيًا . وَكَقَوْلِهِ :
 حِجَابٌ مَسْتُورٌ أَي سَاتِرٌ . وَيَقِيمُونَ الْأَسْمَ وَالْمَصْدَرَ مَقَامَ الْفَاعِلِ
 وَالْمَفْعُولِ . فَتَقُولُ الْعَرَبُ : رَجُلٌ عَدْلٌ أَي عَادِلٌ . وَرِضَى أَي مَرْضِيٌّ .
 وَبَنُو فُلَانٍ لَنَا سِلْمٌ أَي مُسَالِمُونَ . وَحَرْبٌ أَي مُحَارِبُونَ . (وَكَذَلِكَ)
 يَحْمِلُونَ اللَّفْظَ عَلَى الْمَعْنَى فِي تَذْكِيرِ الْمُؤَنَّثِ وَتَأْنِيثِ الْمَذْكَرِ
 فَيَتَرَكُونَ حُكْمَ ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَيَحْمِلُونَهُ عَلَى مَعْنَاهُ كَمَا يَقُولُونَ : ثَلَاثَةٌ
 أَنْفُسٍ . وَالنَّفْسُ مُؤَنَّثَةٌ وَإِنَّمَا حَمَلُوهُ عَلَى مَعْنَى الْإِنْسَانِ أَوْ مَعْنَى الشَّخْصِ

قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا عِنْدَنَا إِلَّا ثَلَاثَةٌ أَقْسَمُ بِشَلِّ النُّجُومِ ثَلَاثَاتٍ فِي الْخُنْدِ
وَكَمَا ذَكَرَ بَعْضُهُمُ الْكَفَّ وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ فِي قَوْلِهِ :
أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَانَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحِهِ كَفًا مُحْضَبًا
فَحَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى الْغَضْرِ وَهُوَ مُذَكَّرٌ . وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ :
يَا أَيُّهَا الرَّائِبُ الْمَرْجِي مَطِيئَةٌ سَأَلُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ
أَيَّ مَا هَذِهِ الْجَلْبَةُ . وَفِي الْقُرْآنِ : وَاحِينَا بِهِ بَلَدَةٌ مَيْتَةٌ .
وَلَمْ يَقُلْ : مَيْتَةٌ لِأَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى الْمَكَانِ . وَقَالَ : السَّمَاءُ مُنْفَطِرَةٌ بِهِ .
فَذَكَرَ السَّمَاءَ وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ لِأَنَّهُ حَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى السَّقْفِ . وَكُلُّ مَا
عَلَكَ وَأَظْلَكَ فَهُوَ سَمَاءٌ .

البحث الحادي عشر

في القول عن الكناية

(عن كتاب صاعقة الترسيل والمثل السائر)

(راجع صفحة ٢٨ من علم الادب)

اللفظة إِذَا أُطْلِقَتْ وَكَانَ الْغَرَضُ الْأَصْلِيُّ غَيْرَ مَعْنَاهَا فَلَا يَحْتَوِ
إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهَا مَقْصُودًا أَيْضًا لِيَكُونَ دَالًّا عَلَى ذَلِكَ الْغَرَضِ
الْأَصْلِيِّ . وَإِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ كَذَلِكَ . فَالْأَوَّلُ هُوَ الْكِنَايَةُ وَيُقَالُ
لَهُ : الْإِرْدَافُ . وَالثَّانِي الْحِجَازُ . فَالْكِنَايَةُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَلَدِ أَنْ
يُرِيدَ الْمُسْكِلَةُ إِثْبَاتَ مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى فَلَا يَذْكُرُهَا بِالْفِظِ الْمَوْضُوعِ
لَهُ فِي اللَّفْظِ وَلَكِنْ يَجِيءُ إِلَى مَعْنَى هُوَ قَائِلٌ بِهِ وَرِدْقُهُ فِي الْوُجُودِ

فِيَوْمِي بِهِ إِلَيْهِ وَيَجْعَلُهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكِنَايَةَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ السِّرِّ . يُقَالُ : كُنَيْتُ الشَّيْءَ إِذَا سَرَّتهُ . وَاجْرِي هَذَا الْحُكْمُ فِي الْأَلْفَافِ الَّتِي يُسَرُّ فِيهَا الْحِجَازُ بِالْحَقِيقَةِ فَتَكُونُ دَلَالَةً عَلَى السَّائِرِ وَعَلَى الْمَسْتُورِ مَعًا . وَذَلِكَ أَنَّ الْمَسْتُورَ فِيهَا هُوَ الْحِجَازُ لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ تُفْهَمُ أَوَّلًا وَيَتَسَارَعُ الْفَهْمُ إِلَيْهَا قَبْلَ الْحِجَازِ . لِأَنَّ دَلَالََةَ اللَّفْظِ عَلَيْهَا دَلَالَةٌ وَضَعِيَّةٌ . وَأَمَّا الْحِجَازُ فَإِنَّهُ يُفْهَمُ مِنْهُ بَعْدَ فَهْمِ الْحَقِيقَةِ وَأَنَّمَا يُفْهَمُ بِالنَّظَرِ وَالْفِكْرَةِ وَبِهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ لِأَنَّهُ عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ . فَالْحَقِيقَةُ أَظْهَرَ وَالْحِجَازُ أَخْفَى وَهُوَ مَسْتُورٌ بِالْحَقِيقَةِ . وَقَدْ تَأَوَّلْتُ الْكِنَايَةَ بِغَيْرِ هَذَا وَهِيَ أَنَّمَا تَأْخُذُ مِنَ الْكُنْيَةِ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا : أَبُو فُلَانٍ . فَإِنَّا إِذَا نَادَيْنَا رَجُلًا أَسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَلَهُ وَلَدٌ أَسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَقُلْنَا : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . كَانَ ذَلِكَ مِثْلَ قَوْلِنَا : يَا عَبْدَ اللَّهِ . فَإِنْ شِئْنَا نَادَيْنَاهُ بِهَذَا وَإِنْ شِئْنَا نَادَيْنَاهُ بِهَذَا وَكِلَاهُمَا وَاقِعٌ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي الْكِنَايَةِ فَإِنَّا إِذَا شِئْنَا حَمَلْنَاهَا عَلَى جَانِبِ الْحِجَازِ . وَإِنْ شِئْنَا حَمَلْنَاهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ . إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْوَصْفِ الْجَامِعِ بَيْنَهُمَا لِئَلَّا يَلْحَقَ بِالْكِنَايَةِ مَا لَيْسَ مِنْهَا وَمِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : هُوَ طَوِيلُ النِّجَادِ وَكَثِيرُ رَمَادِ الْقَدْرِ . يَعْنُونَ بِهِ أَنَّهُ طَوِيلُ الْقَامَةِ كَثِيرُ الْقَرَى فَلَمْ يَذْكُرِ الْمُرَادَ بِلَفْظِهِ الْخَاصِّ بِهِ وَالْكَنْ تَوَصَّلُوا إِلَيْهِ بِذِكْرِ مَعْنَى آخِرِهِ هُوَ رِذْقُهُ فِي الْوُجُودِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَامَةَ إِذَا طَالَتْ طَالَ النِّجَادُ . وَإِذَا كَثُرَ الْقَرَى كَثُرَ رَمَادُ الْقَدْرِ . وَكَقَوْلِ الْخَضْرَمِيِّ :

قَدْ كَانَ يُغِيبُ بَعْضَهُنَّ بِرَاعِي حَتَّى رَأَيْنَ تَتَخَفِي وَسُعَالِي
كُنِيَ عَنْ كِبَرِ السِّنِّ بِتَوَابِعِهِ وَهِيَ التَّخَفُّعُ وَالسُّعَالُ. وَالْكِنَايَةُ
تَكُونُ فِي الْمَثَبِ كَمَا ذَكَرْنَا وَقَدْ تَكُونُ فِي الْإِثْبَاتِ. وَهِيَ مَا إِذَا
حَاوَلُوا إِثْبَاتَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي لِشَيْءٍ فَيَذْكُرُونَ التَّصْرِيحَ بِإِثْبَاتِهِ لَهُ
وَيُثْبِتُونَهُ لِمَا لَهُ بِهِ تَعَلُّقٌ كَقَوْلِهِمْ : الْحَجْدُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ وَالْكَرَمُ بَيْنَ
بُرْدَيْهِ . وَقَوْلُهُ :

إِنَّ الْمُرُوءَةَ وَالسَّمَاحَةَ وَاللَّدَى فِي قُبَّةٍ ضَرَبْتُ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ
وَنَظِيرُهُ قَوْلُ يَزِيدَ بْنِ الْحَكَمِ يَمْدَحُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَهُوَ فِي
حَسْبِ الْحَجَّاجِ :

أَصْبَحَ فِي قَيْدِكَ السَّمَاحَةُ وَالْحَجْدُ وَفَضْلُ الصَّلَاحِ وَالْحَسْبُ
وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ : مَكَانُ الْقَيْدِ هُنَا هُوَ مَكَانُ الْقُبَّةِ فِي الْبَيْتِ
الْمُقَدَّمِ . وَقَدْ يَجْتَمِعُ بِالْبَيْتِ الْوَاحِدِ كِنَايَاتَانِ : أَلْعَرَضُ مِنْهُمَا وَاحِدٌ
وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَصْلٌ بِنَفْسِهَا كَقَوْلِهِ :

وَمَا يَكُ فِي مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ مَزُولُ الْفَصِيلِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكِنَايَةَ جُزْءٌ مِنَ الْأِسْتِعَارَةِ وَلَا تَأْتِي إِلَّا عَلَى حُكْمِ
الْإِسْتِعَارَةِ خَاصَّةً لِأَنَّ الْأِسْتِعَارَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِحَيْثُ يُطَوَّى ذِكْرُ
الْمُسْتَعَارِ لَهُ . وَكَذَلِكَ الْكِنَايَةُ فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا بِحَيْثُ يُطَوَّى
ذِكْرُ الْمَكْنِيِّ عَنْهُ وَنِسْبَتُهَا إِلَى الْأِسْتِعَارَةِ نِسْبَةٌ خَاصَّةٌ إِلَى عَامٍ .
فَيُقَالُ : كُلُّ كِنَايَةٍ أِسْتِعَارَةٌ . وَلَيْسَ كُلُّ أِسْتِعَارَةٍ كِنَايَةً . وَيُفْرَقُ
بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهِ آخَرَ وَهُوَ : أَنَّ الْأِسْتِعَارَةَ لَفْظُهَا صَرِيحٌ . وَالصَّرِيحُ

هُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ وَالْكِنَايَةُ ضِدُّ الصَّرِيحِ لِأَنَّهَا عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ . وَهَذِهِ ثَلَاثَةُ فُرُوقٍ أَحَدُهَا : الْخُصُوصُ وَالْعُمُومُ . وَالْآخَرُ الصَّرِيحُ . وَالْآخَرُ الْحَمْلُ عَلَى جَانِبِ الْحَقِيقَةِ وَالْحِجَازِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي بَابِ الْإِسْتِعَارَةِ أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْحِجَازِ . وَعَلَى ذَلِكَ فَتَكُونُ نِسْبَةُ الْكِنَايَةِ إِلَى الْحِجَازِ نِسْبَةَ جُزْءٍ إِلَى جُزْءٍ وَخَاصٍّ إِلَى خَاصٍّ . وَقَدْ يَأْتِي فِي الْكَلَامِ مَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتِعَارَةً . وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النَّظَرِ إِلَيْهِ فِي مُفْرَدِهِ وَالنَّظَرِ إِلَى مَا بَعْدَهُ كَقَوْلِ نَصْرَبْنِ سَيَّارَ فِي آيَاتِهِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي يُجَرِّضُ بِهَا بَنِي أُمَيَّةٍ عِنْدَ خُرُوجِ أَبِي مُسْلِمٍ :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَوَيْضَ جَمْرٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ

البحث الثاني عشر

في التعريض

(من المثل السائر لابن الاثير تصرف)

(راجع صفحة ٣٧ من علم الادب)

قَدْ تَكَلَّمَ عُلَمَاءُ الْبَيَانِ فِي التَّعْرِيزِ فَوَجَدَتْهُمْ قَدْ خَلَطُوا التَّعْرِيزَ بِالْكِنَايَةِ وَلَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَهُمَا وَلَا أَحَدُوا كِلَا وَنَهَمَا بِحَدِّ يَفْصِلُهُ عَنْ صَاحِبِهِ . بَلْ أَوْرَدُوا لَهَا أَمْثِلَةً مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَأَدْخَلُوا أَحَدَهُمَا فِي الْآخَرِ . فَذَكَرُوا لِلْكِنَايَةِ أَمْثِلَةً مِنَ التَّعْرِيزِ وَالتَّعْرِيزِ أَمْثِلَةً مِنَ الْكِنَايَةِ . فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ الْغَانِمِيُّ وَأَبْنُ سِنَانٍ وَالْخَفَاجِيُّ وَالْمُسْكِرِيُّ . وَسَاءَ ذِكْرُ مَا عِنْدِي فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا وَأَمِيزُ أَحَدَهُمَا

عَنِ الْآخِرِ لِيُعرفَ كُلُّ مَنَّهُمَا عَلَى اقْتِرَادِهِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْكِتَابَةَ إِذَا
وَرَدَتْ تَجَازِيهَا جَانِبًا حَقِيقَةً وَتَجَازٍ . وَجَازَ حَمْلُهَا عَلَى الْجَانِبَيْنِ مَعَ فَيُصَحُّ
بِكُلِّ مَنَّهُمَا الْمَعْنَى وَلَا يَخْتَلُ . وَالْأَدْلَى عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْكِتَابَةَ فِي
أَصْلِ الْوَضْعِ أَنَّ تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَثَرِيدَ غَيْرِهِ . يُقَالُ كُنَيْتُ بِكَذَا
عَنْ كَذَا . فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ وَعَلَى مَا أَرَدْتَهُ مِنْ غَيْرِهِ .
وَأَمَّا التَّعْرِيزُ فَهُوَ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى الشَّيْءِ مِنْ طَرِيقِ الْمَفْهُومِ
لَا بِالْوَضْعِ الْحَقِيقِيِّ وَلَا الْجَازِيِّ . فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ لِمَنْ تَتَوَقَّعُ
صِلَتُهُ وَمَعْرُوفُهُ بِغَيْرِ طَلَبٍ : إِنِّي أَسْتَخْتِجُ وَلَيْسَ فِي يَدَيَّ شَيْءٌ وَأَنَا
عَرِيَانٌ وَالْبَرْدُ قَدْ آذَانِي . فَإِنَّ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ تَعْرِيزٌ بِالطَّلَبِ وَلَيْسَ
هَذَا اللَّفْظُ مَوْضُوعًا فِي مُقَابَلَةِ الطَّلَبِ لِاحْتِقَاقِهِ بِمَجَازٍ . إِنَّمَا دُلَّ
عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْمَفْهُومِ بِخِلَافِ دَلَالَةِ الْكِتَابَةِ فَإِنَّهَا لَفْظِيَّةٌ وَضَعِيَّةٌ
مِنْ جِهَةِ الْجَازِ . وَإِنَّمَا سَتِيَ التَّعْرِيزُ تَعْرِيزًا لِأَنَّ الْمَعْنَى فِيهِ يُفْهَمُ
مِنْ عَرَضِهِ أَيْ مِنْ جَانِبِهِ . وَمِنْ لَطِيفِ التَّعْرِيزَاتِ الْأَدَبِيَّةِ مَا
يُرَوَّى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : أَنَّهُ كَانَ يُخْطَبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَدَخَلَ عُثْمَانُ
ابْنُ عَفَّانَ . فَقَالَ عُمَرُ : آيَةُ سَاعَةِ هَذِهِ . يُرِيدُ التَّعْرِيزُ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ
إِتْمَانَهُ عَنِ الْحَيِّ إِلَى الصَّلَاةِ . وَهُوَ مِنَ التَّعْرِيزِ الْمَرْبِ عَنْ
الْأَدَبِ . وَمِنْ أَمْثَلِهِ الشَّعْرِيَّةُ قَوْلُ الْحَجَّاجِ يَعْرِضُ بَيْنَ نَقْدَمَةٍ
مِنَ الْأَمْرَاءِ :

أَنْتَ بِرَأْيِ إِبْلِ وَلَا غَمٍّ وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمٍّ

البحث الثالث عشر

في ما ورد من الكنايات عن العرب

(عن كتاب الكناية للتعالي وكتاب الصناعتين للمسكري)

اعلم أن العرب يلجئون إلى الكناية إذا ما أرادوا التعريض
عما يستشجع ذكره فيكونون عن الأعرور بالمتع . وعن الذي في عينه
نكتة يياض بالكوكب . وعن في وجهه أثر ضربة بالمشطب .
ولبعضهم في أبرص :

لحوم أعارك ونه ثوبا هينا بالقيص المستجد
أراد بأخي لحم جذية الأبرص . وللصاحب في الجرب :
أبا العلاء هلال الهزل والجبد كيف النجوم التي تطلع في الجلد
ويمكن عن الحول بالتأخر . قال الدؤلي :
ييض المطايخ لا تشكو إمامهم طنج القذور ولا غسل الماديل
قال آخر :

يثاب طباخ إذا أتسخت أنقى يياضا من القراطيس
وقال أبو بكر الخوارزمي :

فتي مختصر المأكول ل والمشروب والعطر
هي الكأس والقصة م والمديل والقدر
ويكونون عن الجاهل بأنه من المستريحين . ويروى أن خلافا
وقع بين بعض الخلفاء وبين نديم له في مسألة . فاتفقا على رأي
بعض أهل العلم فأحضر . فوجد الخليفة مخطئا فقال : القائلون

يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرُ (يُرِيدُ الْجَهَالَ) . وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ أَحَقَّ
 قِيلَ : نَعْتُهُ لَا يَنْصَرِفُ . وَكَانَ قَابُوسُ بْنُ وَشْمِكِرٍ إِذَا وَصَفَ
 رَجُلًا بِأَبْلَهٍ قَالَ : هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَيَقُولُونَ : فُلَانٌ خَفِيفٌ
 عَلَى الْقَلْبِ يُرِيدُونَ مَقْلُوبًا وَهُوَ الثَّقِيلُ . وَكَانَ النَّاصِرُ أَلْعَلَوِيُّ
 الْأَطْرُوشُ إِذَا خَاطَبَهُ أَحَدٌ فَلَمْ يَسْمَعْ قَالَ لَهُ : أَرْفَعُ صَوْتَكَ فَإِنَّ بِأُذُنِي
 بَعْضَ مَا يَرْوِحُكَ . وَنَظَرَ الْبَدِيعُ الْهَمْدَانِيُّ إِلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ بَارِدٍ
 فَقَالَ : قَدْ أَقْبَلَ لَيْلُ الشِّتَاءِ . وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ وَقَدْ
 أَقْشَرَ . فَقَالَ : مَا تَجِدُ فَدَيْتُكَ . قَالَ : لَجْدُكَ (يَعْنِي الْبَرْدَ) .
 وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ كَذُوبًا قِيلَ : الْفَاحِشَةُ عِنْدَهُ أَبُو ذَرٍّ (يُضْرَبُ
 الْمَثَلُ بِالْفَاحِشَةِ فِي الْكَذِبِ وَبِأَيِّ ذَرٍّ فِي الصِّدْقِ) . وَيَقُولُونَ أَيْضًا :
 فُلَانٌ يَلْطُمُ عَيْنَ مِيزَانٍ . (وَمِيزَانُ رَجُلٍ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْكَذِبِ) .
 وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ مَلُولا قِيلَ : هُوَ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ مُوسَى . وَإِذَا كَانَ
 مُلْجِدًا قِيلَ : قَدْ عَبَرَ (يُرِيدُونَ جِسْرَ الْإِيَّانِ) . قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : هَلْ
 عَبَرْتَ . قَالَ : فِي ذَلِكَ أَجَانِبٍ وَلِدْتُ . وَإِنْ كَانَ يُسِيءُ الْأَدَبَ
 فِي الْمُواكَلَةِ قِيلَ : تُسَافِرُ يَدُهُ عَلَى الْحَوَانِ وَيَرْعَى أَرْضَ الْجِيرَانِ .
 فَإِنْ كَانَ خَفِيفَ الْيَدِ فِي الطَّرِيقِ وَالسَّرِقَةِ . قَالُوا : هُوَ أَحَدُ يَدِ
 الْقَمِيصِ (وَيَدُ الْقَمِيصِ الْكُمُّ وَالسَّارِقُ يُقْتَرَهُ لِيَكُونَ أَقْدَرُ عَلَى
 مَا يُرِيدُ مِنْ سَرِقَةٍ) . فَإِذَا كَانَ قَلَّ الثَّوْبُ قِيلَ : فُلَانٌ يَغْرُضُ
 الصَّيْدَ . قَالَ الصَّاحِبُ :

وَحَوْشُهُ تَرْتَعُ فِي جَنْبِهِ وَظَفَرُهُ يَرْكَبُ لِلصَّيْدِ

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ يَتَشَاعِرُ وَلَيْسَ يُجِيدُ قَالُوا: هُوَ نَبِيٌّ فِي الشِّعْرِ.
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي الشِّعْرِ م وَيَا مَنْ فِيهِ يَكْرَمُ
أَنْتَ مِنْ أَشْعَرَ خَلَقِ اللَّهِ م مَا لَمْ تَتَّصِلْ
وَيُقَالُ : فَلَانٌ رَابِعُ الشُّعْرَاءِ . إِذَا كَانَ مُتَخَلِّفًا مُنْخَطًا الطَّبَقَةَ
لِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

الشُّعْرَاءُ فَأَعْلَمَنَّ أَرْبَعَهُ فَشَاعِرٌ يَجْرِي وَلَا يُجْرِي مَعَهُ
وَشَاعِرٌ يُنْشِدُ وَسَطَ التَّجَمُّعَةِ وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَسْمَعَهُ
وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَصْنَعَهُ

وَسُئِلَ حَائِكٌ عَنْ صِنَاعَتِهِ فَقَالَ : كُنُوزُ الْأَحْيَاءِ وَجَهَازُ الْمَوْتَى .
وَيَكُونُونَ عَنِ الْقُرُوبِ بِاخْضَرِ الْإِنْسَانِ مِنْ كَثَرَةِ أَكْلِ الْبَقْلِ .
وَسُئِلَ حَجَّامٌ عَنْ صِنَاعَتِهِ . فَقَالَ : أَكْتُبُ بِالْحَدِيدِ وَأَخْتِمُ بِالزُّجَاجِ .
وَفِيهِ قِيلَ :

يَا ابْنَ الَّذِي عَاشَ غَيْرَ مُضْطَهَدٍ بِرَحْمَةِ اللَّهِ أَيُّمَا رَجُلٍ
أَبُوكَ أَوْهَى التَّجَادُ عَاتِقَهُ كَمْ مِنْ كَيْفٍ أَدْمَى وَكَمْ بَطَلَ
لَهُ رِقَابُ الْمُلُوكِ خَاضِعَةٌ مِنْ بَيْنِ حَافٍ وَبَيْنِ مُتَعَلِّ
يَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ دَمِهِ لَمْ يُسِرْ مِنْ تَأْيِزٍ عَلَى وَجَلٍ (١)
وَيُقَالُ عَنْ يَكْرُ الْأَسْفَارِ : فَلَانٌ لَا يَضَعُ أَلْعَصَا عَنْ عَاتِقِهِ .
وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ : أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ . فَإِنَّهُ

كُنِيَ عَنِ الْغَيْبَةِ بِأَكْلِ الْإِنْسَانِ لَحْمَ الْإِنْسَانِ . وَهَذَا شَدِيدُ
الْمُنَاسَبَةِ لِأَنَّ الْغَيْبَةَ إِنَّمَا هِيَ ذِكْرُ مَثَالِ النَّاسِ وَتَمْزِيقُ أَعْرَاضِهِمْ
وَتَمْزِيقُ الْعَرَضِ مُمَازِلٌ لِأَكْلِ الْإِنْسَانِ لَحْمَ مَنْ يَتَّبَعُهُ . وَمِنْ
أَمْثَالِ الْعَرَبِ قَوْلُهُمْ : لَيْسَ لِفُلَانٍ جِلْدُ الثَّيْرِ وَجِلْدُ الْآرَقَمِ . كِنَايَةٌ
عَنِ الْعَدَاوَةِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : قَلْبَ لَهُ ظَهَرَ الْحِجْنِ كِنَايَةٌ عَنِ
نَغْيِيرِ الْمَوَدَّةِ . وَمِنْ ظَرِيفِ الْكِنَايَاتِ مَا جَاءَ عَنِ الْجَمَازِ وَقَدْ قِيلَ
لَهُ : أَيُّ الْبُقُولِ أَحَبُّ إِلَيْكَ . فَقَالَ : بَقَّةُ الذَّنْبِ (يَعْنِي اللَّحْمَ) .
وَرَأَى رَجُلٌ مِنْ أَصَافِهِ يُطِيلُونَ الْعَنَاءَ وَلَا يَأْتُونَ بِالْأَكْلِ فَقَالَ :

خَلِيلِي دَاوِيَّتَا ظَاهِرًا فَمَنْ ذَا يُدَاوِي جَوِي بَاطِنًا
فَعَلِمُوا أَنَّهُ جَانِعٌ . وَأُخْبِرَ عَنِ الْجَلِيزِ أَنَّهُ أَكَلَ مَعَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ
الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ فَالْوَدَجَةُ فَأَمَرَ ابْنُ الزِّيَّاتِ أَنْ يُجْعَلَ بَيْنَ يَدَيْ الْجَلِيزِ
مَا رَقَّ مِنَ الْجَمَامِ . فَاسْرَعَ فِي الْأَكْلِ حَتَّى نَظَفَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ
أَبُو مُحَمَّدٍ : يَا أَبَا عُثْمَانَ قَدْ تَقَشَّشْتَ سَمَاؤَكَ . فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ
لِأَنَّ غَيْبَهَا كَانَ رَقِيقًا . وَكَذَلِكَ يُقِيمُونَ وَصْفَ الشَّيْءِ مَقَامَ اسْمِهِ
كَمَا قَالَ : حَمَلَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِ وَدُسِرَ . يَعْنِي السَّفِينَةَ فَوَضَعَ
صِفَتَهَا مَوْضِعَ تَسْمِيَّتِهَا . وَقَالَ : إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ
الْجِيَادُ . يَعْنِي الْخَيْلَ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ :

سَأَلْتُ قُتَيْبَةَ عَنْ آيَةٍ صَحَبَهُ فِي الرُّوحِ هَلْ رَكِبَ الْأَغْرَ الْأَشْقَرَا
يَعْنِي هَلْ قُتِلَ . وَالْأَغْرُ الْأَشْقَرُ وَصْفُ الدَّمِ فَأَقَامَهُ مَقَامَ اسْمِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

شِمْتُ بَرْقَ الْوَزِيرِ فَأَنْهَلَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَهْرَبًا إِلَى الْأَقْدَامِ
 فَكَأَنِّي وَقَدْ تَقَاعَصَرْتُ بِأَعْيُنِي خَاطِبُ فِي عُبَابِ أَخْضَرِ طَائِي
 يَعْنِي النَّجْرَ. وَقَالَ الْحَجَّاجُ لِابْنِ الْقَبَائِرِيِّ: لَا حِيلَتُكَ عَلَى الْأَذْهَمِ.
 يَعْنِي الْقَتْلَ. فَتَجَاهَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ: مِثْلُ الْأَمِيرِ يَحْمِلُ عَلَى الْأَذْهَمِ
 وَالْأَشْهَبِ. يُرِيدُ الْخَيْلَ. وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ الْمَنْصُورَ كَانَ فِي بُسْتَانٍ
 لَهُ وَهُوَ فِي أَيَّامِ مُحَارَبَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ وَنَظَرَ إِلَى
 شَجَرَةٍ خِلَافِ قَعَالٍ لِلرَّيِّعِ: تَاهَذِهِ الشَّجَرَةُ. فَقَالَ: طَاعَةٌ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الْمَنْصُورُ بِهِ وَعَجِبَ مِنْ ذِكَاثِهِ. وَمِثْلُ ذَلِكَ: أَنَّ
 رَجُلًا مَرَّ فِي صَحْنِ دَارِ الرَّشِيدِ وَمَعَهُ حُرْمَةٌ خَيْرْدَانٍ. فَقَالَ الرَّشِيدُ
 لِلْفَضْلِ بْنِ الرَّيِّعِ: مَا ذَاكَ. فَقَالَ: عُرُوقُ الرَّمَاحِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.
 وَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ الْخَيْرْدَانُ لِمُؤَافَقَتِهِ أَسْمَ وَالِدَةِ الرَّشِيدِ. وَمِنْ كَلَامِ
 الْعَرَبِ أَيْضًا فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِهِمْ: فُلَانٌ نَقِي الثُّوبِ. يُرِيدُونَ بِهِ
 أَنَّهُ لَا عَيْبَ فِيهِ وَلَيْسَ بِمَوْضُوعٍ نَقَاءِ الثُّوبِ الْبَرَاءِ مِنَ الْعَيْبِ وَإِنَّمَا
 اسْتُعْجِلَ فِيهِ تَمْثِيلًا. وَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:
 ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ وَأَوَجُّهُمْ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غَرَاتُ
 وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: فُلَانٌ طَاهِرُ الثُّوبِ. يُرِيدُونَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُخَانِنٍ
 وَلَا غَادِرٍ. وَفُلَانٌ دَنَسُ الثُّوبِ إِذَا كَانَ غَادِرًا فَاجِرًا. وَقَوْلُهُمْ: طَيْبُ
 الْخُجْزَةِ أَيْ عَفِيفٌ. قَالَ النَّابِغَةُ يَمْدَحُ بَنِي غَسَّانَ النَّصَارَى:
 رِقَاقُ التَّعَالِ طَيْبٌ حُجْرَاتُهُمْ يَحْيِثُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ
 وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: إِذَا قَالَتِ الْعَرَبُ: الثُّوبُ وَالْإِزَارُ. فَانْتَهَمَ

يُرِيدُونَ أَلْبَدْنَ . وَيَقُولُونَ : فُلَانٌ أَوْسَعُ بَنِي أُمَيَّةَ ثَوْبًا . أَيِ أَكْثَرَهُمْ
مَعْرُوفًا . وَفُلَانٌ غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ . قَالَ كَثِيرٌ :
غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غُلِقَتْ لِفْطَحَتِهِ رِقَابُ أَلْمَالِ
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : فُلَانٌ رَحْبُ الذِّرَاعِ . وَمِنْ الْكِنَايَاتِ
اللطيفة مَا ذَكَرَهَا الْأُدَبَاءُ فِي الشَّيْبِ وَالْكِبَرِ . فَيَقُولُونَ : عَرَضَتْ
إِفْلَانٍ قَتَرَةٌ . عَرَضَ لَهُ مَا يَخْوِذُنُوهُ وَيُكْفِرُ سَيِّئَاتِهِ . أَقْرَ لَيْلُهُ نَوْرَ
غُصْنٍ شَبَابِهِ . فَضَضَ الزَّمَانُ أَبْنُسَهُ . وَجَاءَهُ النَّذِيرُ . وَقَرَعَ نَاجِدَ
الْحَلَمِ . وَارْتَاضَ بِلِجَامِ النَّهْرِ . أَدْرَكَ زَمَانَ الْحُسْكَةِ . رَفَضَ غِرَّةَ
الضِّيِّ وَلَبَّى دَاعِيَ الْحَيِّ . وَمِنْ كِنَايَاتِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ : اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ .
أَسْعَدَهُ اللَّهُ بِجَوَارِهِ . نَقَلَهُ إِلَى دَارِ رِضْوَانِهِ . وَمَحَلَّ غُفْرَانِهِ . انْتَقَلَ إِلَى
جَوَارِ رَبِّهِ وَأَقْلَبَ إِلَى مَحَلِّ عَفْوِهِ . اخْتَارَ لَهُ الثَّقَلَةُ مِنْ دَارِ الْبَوَارِ
إِلَى دَارِ الْآبَارِ

البحث الرابع عشر

في المبالغة

(عن بديعة الحموي وكتاب الصناعتين للعسكري)

(راجع صفحة ٣٩ من علم الادب)

الْمَبَالِغَةُ نَوْعٌ مَعْدُودٌ مِنْ مَحَاسِنِ فَنِّ الْكِتَابَةِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَأَسْتَدَلُّوا
عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ مَنْ قَالَ : أَحْسَنُ الشِّعْرِ كَذِبُهُ . وَبِقَوْلِ التَّابِغَةِ
الذُّبْيَانِي : أَشْعَرُ النَّاسِ مَنْ اسْتَحْيَدَ كَذِبُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُعَدَّ

الْمُبَالَغَةُ مِنْ حَسَنَاتِ الْكَلَامِ وَمَشَى فِي ذَلِكَ عَلَى مَذْهَبِ حَسَّانِ
ابْنِ نَابِتٍ فَإِنَّهُ قَالَ :

وَأَنَا الشَّعْرُ عَقْلُ الْمَرْءِ يَعْزِضُهُ عَلَى الْأَنَامِ فَإِنْ كَيْسًا وَإِنْ حَقًّا
وَأَنْ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدَتْهُ صَدَقًا

وَعِنْدَ أَهْلِ هَذَا الْمَذْهَبِ أَنَّ الْمُبَالَغَةَ لَمْ تُسْفِرْ عَنْ غَيْرِ التَّهْوِيلِ

عَلَى السَّامِعِ وَلَمْ يَفِرَّ النَّازِلُ إِلَى التَّخْيِيمِ عَلَيْهَا إِلَّا بِعَجْزِهِ وَقُصُورِ هِمَّتِهِ

عَنْ أَخْدَاعِ الْمَعَانِي الْمُبْتَكِرَةِ . لِأَنَّهَا فِي صِنَاعَةِ الشَّعْرِ كَالِاسْتِرَاحَةِ مِنَ

الشَّاعِرِ إِذَا أَعْيَاهُ إِرَادُ الْمَعَانِي الْقَرِيبَةِ فَيَشْغُلُ الْأَنْمَاعَ بِمَا هُوَ مُحَالٌ

وَتَهْوِيلٌ . وَقَالُوا : رَبَّمَا إِنَّهَا أَحَالَتْ الْمَعَانِي فَأَخْرَجَتْهَا عَنْ حَدِّ الْكَلَامِ

الْمُمْكِنِ إِلَى حَدِّ الْإِمْتِنَاعِ . وَالْمُبَالَغَةُ تُعَابُ فِي بَابِهَا إِذَا خَرَجَتْ عَنْ

حَدِّ الْإِمْكَانِ إِلَى الْإِسْتِحْجَالَةِ وَآتَى الْكَلَامُ عَلَى حَدِّهَا فِي مَوْضِعِهِ .

وَالَّذِي أَقُولُهُ : إِنَّ الْمُبَالَغَةَ مِنْ مَحَاسِنِ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ وَلَمْ يَسْتَطِرِدْ

فِي حَلَبَاتِ سَبْقِهَا إِلَّا لِقُحُولِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ . وَلَوْ سَلَسْنَا إِلَى مَنْ يَهْضُمُ

جَانِبَهَا وَلَمْ يَعْنَهَا مِنْ حَسَنَاتِ الْكَلَامِ بَطَلَتْ بِلَاغَةُ الْإِسْتِعْكَارَةِ

وَأَلْحَقْتُ رُتَبَةَ التَّشْبِيهِ . وَتَسْمِيَةُ الْمُبَالَغَةِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى قُدَامَةِ . وَمِنْهُمْ

مَنْ سَمَّى هَذَا النَّوعَ التَّيْلِيعَ . وَسَمَّاهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْإِفْرَاطَ فِي الصِّفَةِ .

وَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ طَابَقَتْ الْمُسَمَّى . وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ رَغَبُوا فِي تَسْمِيَةِ

قُدَامَةِ لِحَقَّتِهَا . وَهَذَا النَّوعُ أَعْنِي الْمُبَالَغَةَ شَرَكُهُ قَوْمٌ مَعَ الْإِغْرَاقِ

وَالْعُلُوِّ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ الْفَرْقِ وَهُوَ مِثْلُ الصُّنْجِ ظَاهِرٌ . (وَالْمُبَالَغَةُ)

فِي الْإِصْطِلَاحِ هِيَ إِفْرَاطُ وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُمْكِنِ الْقَرِيبِ وَقُوْعُهُ

عَادَةً . (وَالْإِغْرَاقُ) وَصْفُ الشَّيْءِ بِالْمُمْكِنِ الْبَعِيدِ وَقُوَّةُ عَادَةٍ .
 (وَالْعُلُوُّ) وَصْفُهُ بِمَا يَسْتَحِيلُ وَقُوَّةُ وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ
 الثَّلَاثَةِ فِي مَوْضِعِهِ . وَقَدْ تَقَرَّرَ أَوَّلًا أَنَّ الْمُبَالَغَةَ نَوْعًا مَبْنِيٌّ عَلَى
 وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُمْكِنِ الْقَرِيبِ وَقُوَّةُ . وَحَدُّ قُدَامَةِ الْمُبَالَغَةِ فَقَالَ :
 هِيَ أَنْ يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ حَالًا مِنَ الْأَحْوَالِ لَوْ وَقَفَ عِنْدَهَا لِأَجْزَاتِ
 فَلَا يَقِفُ حَتَّى يَزِيدَ فِي مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ مَا يَكُونُ أَبْلَغَ مِنْ مَعْنَى قَصْدِهِ
 كَقَوْلِ عُمَيْرِ بْنِ كَرِيمٍ التَّغْلِي :
 وَنُكْرُمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنُثْبَعُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَا لَا

وَقَالَ : إِنَّ هَذَا أَلْبَيْتَ مِنْ أَحْسَنِ الْمُبَالَغَةِ عِنْدَ الْخُذَاقِ . فَإِنَّ
 الشَّاعِرَ بَلَغَ فِيهِ إِلَى أَقْصَى مَا يُمْكِنُ مِنْ وَصْفِ الشَّيْءِ وَتَوَصَّلَ إِلَى
 أَكْثَرِ مَا يَشْدُرُ عَلَيْهِ قَطْعَاهُ . وَلَخَّصَ بَعْضُهُمْ عِبَارَةَ الْخَذِ الَّذِي حَدَّهُ
 قُدَامَةُ وَقَالَ : الْمَعْنَى إِذَا زَادَ عَلَى التَّمَامِ سُتَيَّ مُبَالَغَةً . وَقَالَ ابْنُ
 رَشِيْقٍ فِي الْعُمْدَةِ : الْمُبَالَغَةُ بُلُوغُ الشَّاعِرِ أَقْصَى مَا يُمْكِنُ فِي وَصْفِ
 الشَّيْءِ . قُلْتُ عَلَى هَذَا التَّقْرِيرِ : قَجَلُ الْقَصْدِ فِي الْمُبَالَغَةِ الْإِمْكَانُ
 وَالْخُرُوجُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ . وَالْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ فِيهَا أَنَّهَا ضَرْبٌ مِنَ
 الْحَاسِنِ إِذَا بَعُدَتْ عَنِ الْإِغْرَاقِ وَالْعُلُوِّ . وَإِنْ كَانَ الْإِغْرَاقُ
 وَالْعُلُوُّ ضَرِيئَيْنِ مِنَ الْحَاسِنِ وَنَوْعَيْنِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ . فَقَدْ شَرَطَ
 عُلَمَاؤُهُ أَنَّ النَّوعَ لَا يَتَجَاوَزُ حَدَّهُ بِحَيْثُ يَزُولُ الْإِلْتِيَّاسُ وَيُغْجِبُنِي مِنْ
 أَمْثَلَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْمَدِيحِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دَجَى اللَّيْلِ حَتَّى ظَلَمَ الْجَزَعُ نَاقِبُهُ

فَالْمَعْنَى تَمَّ لِلنَّاطِمِ لَمَّا أَنْتَهَى فِي بَيْتِهِ إِلَى قَوْلِهِ : دَجَى اللَّيْلِ
وَلَكِنْ زَادَ بِمَا هُوَ أَبْلَغُ وَأَبْدَعُ وَأَغْرَبُ فِي قَوْلِهِ : حَتَّى تَقْلَمَ الْجَزَعُ
تَأْقِبُهُ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُسْتَسِي فِي وَصْفِ جَوَادٍ :

وَأَصْرَعُ أَيُّ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ وَأَتَرِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَزْكَبُ
قَالَ ذَكِيُّ الدِّينِ بْنُ أَبِي الْأَصْبَعِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَيِّ بِتَخْرِيرِ
الْتَّحْيِيرِ : أَبْلَغُ شِعْرِ سَمِيعَتُهُ فِي بَابِ الْمُبَالَغَةِ قَوْلُ شَاعِرٍ لِلْحَاسَةِ إِذَا
بَالَغَ فِي مَدْحٍ مَمْدُوحِهِ بِقَوْلِهِ :

رَهَنْتُ يَدَيَّ بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بَرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكْرِ مَزِيدُ
وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتِطَاعَتُهُ وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ
فَأَنْظُرْ مَا أَحَلَّى أَحَدِيَّاسَهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : وَمَا فَوْقَ شُكْرِي
لِلشُّكْرِ مَزِيدُ . وَأَنْظُرْ كَيْفَ أَظْهَرَ عُذْرَهُ فِي عَجْزِهِ مَعَ قُدْرَتِهِ
بِأَنَّهُ قَالَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتِطَاعَتُهُ . ثُمَّ أَخْرَجَ
بَقِيَّةَ الْبَيْتِ لِلْمُبَالَغَةِ مُخْرَجَ الْمَثَلِ السَّائِرِ حَيْثُ قَالَ : وَلَكِنْ مَا لَا
يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ . وَمِنْ هُنَا قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

لَا تُسَدِّينَ إِلَيَّ عَارِقَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا
وَمِنْ حَسَنِ الْمُبَالَغَةِ قَوْلُ الْحَكَمِ الْحَضَرَمِيِّ :

وَأَقْبَحُ مِنْ قُرْدٍ وَأَنْجَلُ بِالْقُرَى

مِنْ الْكَلْبِ أَمْسَى وَهُوَ غَرَّانُ أَعْجَفُ

فَالْكَلْبُ بَخِيلٌ عَلَى مَا ظَهَرَ بِهِ وَهُوَ أَشَدُّ بُخْلًا إِذَا كَانَ جَائِعًا أَعْجَفُ
أَمَّا (الْأَغْرَاقُ) فَهُوَ فَوْقَ الْمُبَالَغَةِ وَلَكِنَّهُ دُونَ الْغُلُوِّ . وَهُوَ

فِي الْأَصْطِلَاحِ افْرَاطُ وَصَفِ الشَّيْءِ بِأَلَمْ يَكُنِ الْبَيْدِ وَقُوْعُهُ عَادَةً
وَقَلَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا . وَغَالِبُ النَّاسِ يَنْدَهُمُ الْمُبَالَغَةُ وَالْإِغْرَاقُ
وَالْغُلُوُّ نَوْعٌ وَاحِدٌ مَعَ أَنَّهَا تَخْتَلِفُ كَمَا سَبَقَ . وَكُلٌّ مِنَ الْإِغْرَاقِ وَالْغُلُوِّ
لَا يُعَدُّ مِنَ الْحَاسِنِ إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ بِمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى الْقَبُولِ (كَقَدْ)
لِلْإِحْتِمَالِ . (وَلَوْ لَا) لِلْإِمْتِنَاعِ . (وَكَأَدَ) لِلْمُقَارَبَةِ . وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ التَّقْرِيبِ . وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُ مِنَ الْإِغْرَاقِ وَالْغُلُوِّ فِي
الْكَلَامِ الصَّحِيحِ إِلَّا مَقْرُونًا بِمَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَابِ الْإِسْتِحَالَةِ وَيُدْخِلُهُ
فِي بَابِ الْإِمْكَانِ مِثْلُ : (كَادَ وَلَوْ) وَمَا يُجْرِي مَجْرَاهُمَا كَقَوْلِهِ :
يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يُذْهِبُ الْآبْصَارَ . إِذَا لَا يَسْتَحِيلُ فِي الْعَقْلِ أَنَّ
الْبَرْقَ يَخْطَفُ الْآبْصَارَ وَلَكِنَّهُ يَتَّبِعُ عَادَةً . وَمَا زَادَ عَلَى وَجْهِ الْإِغْرَاقِ
هَذَا جَمَالًا إِلَّا بِتَقْرِيبِهِ (بَكَادَ) . وَأَقْتَرَانُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ بِهَا هُوَ الَّذِي
صَرَفَهُ إِلَى الْحَقِيقَةِ فَقَالَتْ مِنْ الْإِمْتِنَاعِ إِلَى الْإِمْكَانِ . وَمِنْ شَوَاهِدِ
تَقْرِيبِ نَوْعِ الْإِغْرَاقِ (بَلَوْ) قَوْلُ زُهَيْرٍ :

لَوْ كَانَ يَقَعُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ

قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

فَأَقْتَرَانُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَيْضًا بِإِمْتِنَاعِ قُعُودِ الْقَوْمِ فَوْقَ الشَّمْسِ

الْمُسْتَفَادِ (بَلَوْ) هُوَ الَّذِي أَظْهَرَ بَهْجَةً شَمْسِيًّا فِي بَابِ الْإِغْرَاقِ

وَرُبَّمَا جَاءَ دُونَ ذَلِكَ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي رَجُلٍ طَوِيلِ الْأَنْفِ :

لَكَ أَنْفٌ يَا ابْنَ حَرْبٍ أَقْتَتْ مِنْهُ الْأَنْفُوفُ

أَنْتَ فِي الْبَيْتِ وَعِزِّيُنْكَ مِ فِي السُّوقِ يَطُوفُ

وَكَقَوْلِ الطَّرِمَاحِ يَهْجُو نَيْمًا :

نَيْمٌ بِطُرُقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكَتُ سُبُلَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتِ
 وَلَوْ أَنَّ بَرْغُوثًا عَلَى ظَهْرِ نَمْلَةٍ يَكُرُّ عَلَى صَفِّي نَيْمٍ لَوَلَّتِ
 وَلَوْ أَنَّ أُمَّ الْمَكْبُوتِ بَنَتْ لَهَا مَظَلَّتَهَا يَوْمَ الْبَدَى لَأَسْتَظَلَّتِ
 وَلَوْ جَمَعْتُ يَوْمًا نَيْمٌ حَمُوعَهَا عَلَى ذُرْوَةِ سَحَابَةٍ لَأَسْتَقَلَّتِ
 أَمَّا (الْغُلُو) فَهُوَ فَوْقَ الْمَبَالِغَةِ وَالْإِغْرَاقِ فَإِنَّهُ الْإِفْرَاطُ فِي
 وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُسْتَحِيلِ وَقُوْعُهُ عَقْلًا وَعَادَةً وَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسَمَيْنِ :
 مَقْبُولٍ وَغَيْرِ مَقْبُولٍ . فَالْمَقْبُولُ لَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّبَهُ النَّازِلُ إِلَى الْقَبُولِ
 بِأَدَاةِ التَّقْرِيبِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْغُلُوُّ فِي مَدِيحِ نَبِيِّ فَلَا غُلُوَّ .
 وَيَحِبُّ عَلَى صَاحِبِ الْغُلُوِّ أَنْ يَسْبِكُهُ فِي قَوَالِبِ التَّخِيلَاتِ الْحَسَنَةِ
 الَّتِي يَدْعُو الْعَقْلُ إِلَى قَبُولِهَا فِي أَوَّلِ رَهْلَةٍ كَقَوْلِهِ : يَكَاذُ زَيْتُهَا يُضِيئُ
 وَلَوْ لَمْ تَمْسُهُ نَارٌ . فَإِنَّ إِضَاءَةَ الزَّيْتِ مِنْ غَيْرِ مَسِّ نَارٍ مُسْتَحِيلَةٌ عَقْلًا
 وَلَكِنْ لَفْظَةٌ (يَكَاذُ) قَرَّبَتْهُ فَصَارَ مَقْبُولًا . وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ
 الْمَعْرِيِّ :

تَكَاذُ قِسِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ تَمَكَّنَ فِي قُلُوبِهِمُ اتِّبَالًا
 تَكَاذُ سَيُوفَةٍ مِنْ غَيْرِ سَلٍّ تَجَدُّ إِلَى رِقَابِهِمْ أَنْسَالًا
 وَيُغْنِيْنِي هُنَا قَوْلُ ابْنِ حَمْدِيسَ الصَّقِيلِيِّ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :
 وَيَكَاذُ يَنْزُجُ سُرْعَةً مِنْ ظِلِّهِ لَوْ كَانَ يَرْغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقِهِ
 وَمِنْهُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ فِي عَالِي بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :
 يَكَاذُ يُمَسِّكُهُ عِرْقَانِ رَاحَتِهِ ذُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

وَرِنَ الْغُلُوَ الْمَقْبُولِ بِغَيْرِ آدَاءِ التَّغْرِيبِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ أَلْتَسَّيَ
فِي مَمْدُوحِهِ :

عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهِ عَثِيرًا لَوْ تَبَتَّعِي عَنَقًا عَلَيْهِ لَأَمَكَّنَا *
وَأَنْعَقَادُ الْغُبَارِ فِي الْهَوَاءِ حَتَّى يُمَكِّنَ الْمَشْيُ عَلَيْهِ مُسْتَحِيلٌ عَقْلًا
وَعَادَةً إِلَّا أَنَّهُ تَحِيلٌ مَقْبُولٌ

وَكَقَوْلِ الْجُحْرِيِّ فِي الْخَلِيفَةِ الْمَمْلُوكِ :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَذَبُ
وَأَمَّا الَّذِي هُوَ غَيْرُ مَقْبُولٍ فَكَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ فِي الْخَمْرَةِ :

فَلَمَّا شَرِبْنَاهَا وَدَبَّ دَيْبُهَا إِلَى مَوْضِعِ الْأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا قِيعِي
مَخَافَةً أَنْ يَسْطُو عَلَيَّ شُعَائُهَا فَيَطْلُعَ نَدْمَانِي عَلَى سِرِّي الْخَفِيِّ

قَالُوا : إِنَّ سَطْوَةَ شُعَاعِ الْخَمْرِ بِحَيْثُ يَصِيرُ جِسْمُهُ شَفَافًا يُظْهِرُ
لِنَدِيمِهِ مَا فِي بَاطِنِهِ لَا يُمَكِّنُ عَقْلًا وَلَا عَادَةً . قُلْتُ : وَمَرَاتِبُ الْغُلُوِّ

تَتَفَاوَتْ إِلَى أَنْ تَوُولَ بِهَائِلِهَا إِلَى الْكُفْرِ كَقَوْلِ أَلْتَسَّيَ :

تَتَقَاصِرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ مِثْلَ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالْأَلْدُنَى

وَكَقَوْلِهِ :

كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خَيْرِ تِي بِهَا كَأَنِّي بَنَيْتُ الْأَسْكَندَرَ السَّدْمَ مِنْ عَزْمِي

فَهَذَا الْغُلُوُّ يُؤَدِّي إِلَى سَخَافَةِ الْعَقْلِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ قُبْحِ الْأَتْرَافِ وَلَوْ لَا
الْإِطَالَةُ لَأُورِدَتْ كَثِيرًا مِنْ نَظْمِ الَّذِينَ يَتَسَاهَلُونَ فِي هَذَا النَّوعِ كَأَنِّي

* معنى هذا البيت ان سنايك الخيل وهي اطراف الحوافر عقدت على هذا

المدح عثيرًا وهو الغبار حتى لو اراد ان يمتشي عليه عنقا لامكن . والعنق هو

المشي السريع

نُؤاسِ وَأَبْنِ هَانِي الْأَنْدَلُسِيِّ وَالْمُسْتَبِيِّ وَأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ وَغَيْرِهِمْ
مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ كَأَبْنِ النَّبِيِّ وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُ . وَفِي مَا قَدَّمْنَا كِفَايَةً

البحث الخامس عشر

في التكرير

(عن المثل السائر لابن الاثير باختصار)

(راجع صفحة ٤٢ من علم الادب)

إِعْلَمْ أَنَّ هَذَا التَّنَوُّعَ مِنْ مَقَاتِلِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَهُوَ دَقِيقُ الْمَأْخِذِ
وَحَدُّهُ هُوَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مُرَدِّدًا . وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ :
أَحَدُهُمَا يُوجَدُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَالْآخَرُ يُوجَدُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ .
فَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فَكَقَوْلُكَ لِمَنْ تَسْتَدْعِيهِ : أَسْرِعْ
أَسْرِعْ . وَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ فَكَقَوْلُكَ : أَطْعِمْنِي وَلَا
تَعْصِنِي . فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالطَّاعَةِ نَهْيٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ . وَكُلٌّ مِنْ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ
يَنْقَسِمُ إِلَى مُفِيدٍ وَغَيْرِ مُفِيدٍ . وَمَقْصُودِي مِنَ الْمَفِيدِ أَنْ يَأْتِيَ بِمَعْنَى .
وَالْغَيْرِ الْمَفِيدِ أَنْ يَأْتِيَ لِغَيْرِ مَعْنَى . وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَفِيدَ مِنَ التَّكْرِيرِ
يَأْتِي فِي الْكَلَامِ تَأْكِيدًا وَتَشْدِيدًا مِنْ أَمْرِهِ . وَأَمَّا يُفْعَلُ ذَلِكَ
لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعِنَايَةِ بِالشَّيْءِ الَّذِي كُرِّرَتْ فِيهِ كَلَامُكَ إِمَّا مُبَالَغَةً فِي
مَدْحِهِ أَوْ فِي ذَمِّهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . وَلَا يَأْتِي إِلَّا فِي أَحَدِ طَرَفَيْ الشَّيْءِ الْمَقْصُودِ
بِالذِّكْرِ . وَالْوَسْطُ عَارٌ مِنْهُ لِأَنَّ أَحَدَ الطَّرَفَيْنِ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالْمُبَالَغَةِ
إِمَّا بِمَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا وَالْوَسْطُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْمُبَالَغَةِ . وَغَيْرُ
الْمَفِيدِ لَا يَأْتِي فِي الْكَلَامِ إِلَّا عِيًّا وَخَطَلًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ

(فَاَمَّا الْاَوَّلُ وَهُوَ الَّذِي يُوجَدُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى) فَانَّهُ يَنْقَسِمُ
إِلَى ضَرِيَيْنِ : مُفِيدٍ وَغَيْرِ مُفِيدٍ . (فَالْاَوَّلُ الْمَفِيدُ) وَهُوَ فَرَعَانِ :
(الْاَوَّلُ) اِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ
وَالْمَقْصُودُ بِهِ غَرَضَانِ مُخْتَلِفَانِ . فَمِمَّا يَجْرِي هَذَا التَّجَرُّى قَوْلُهُ : بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَا لَكَ يَوْمَ
الَّذِينَ . فَكَّرَ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) مَرَّتَيْنِ . وَآلِفَانِدَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْاَوَّلَ
يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الدُّنْيَا كَالْخَلْقِ وَالْعِمَايَةِ . وَالثَّانِي يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ
إِشَارَةً لِرَحْمَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . (الْفَرْعُ الثَّانِي مِنْ الضَّرْبِ الْاَوَّلِ)
اِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَالْمُرَادُ بِهِ
غَرَضٌ وَاحِدٌ كَقَوْلِهِ : قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ .
وَالْتَّكْرِيرُ دَلَالَةٌ التَّعْجُّبِ مِنْ تَقْرِيرِهِ وَإِعْصَاتِهِ الْغَرَضُ . وَهَذَا كَمَا
يُقَالُ : قَتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْجَعَهُ أَوْ مَا أَشْجَعَهُ . وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَلَا يَا أَسْلِي ثُمَّ أَسْلِي ثُمَّ أَسْلِي

وَهَذَا مُبَالَغَةٌ فِي الدُّعَاءِ لَهَا بِالسَّلَامَةِ . وَكُلُّ هَذَا يُجَاءُ بِهِ لِتَقْرِيرِ
الْمَعْنَى الْمُرَادِ وَاثْبَاتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنْ هَذَا النَّوعِ قِسْمَانِ الْمَعْنَى
مُضَافًا إِلَى نَفْسِهِ مَعَ اخْتِلَافِ اللَّفْظِ . وَذَلِكَ يَأْتِي فِي الْأَلْفَاظِ
الْمُرَادِقَةِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَأَسْتَعِيلَ فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ فِيهِ
قَوْلُهُ : وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ
آلِيمٍ . وَالرِّجْزُ هُوَ الْعَذَابُ . وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :
نَهْوُضُ يَثْقُلُ الْعَبْدُ مُضْطَلِّمٌ بِهِ وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ

وَالثِقَلُ هُوَ الْعِيبُ وَالْعِيبُ هُوَ الثِقَلُ . وَرُبَّمَا أَشْكَلَ هَذَا الْمَوْضِعُ
عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ يَتَعَاطَى هَذِهِ الصَّنَاعَةَ وَظَنُّهُ مِمَّا لَا فَايِدَةَ فِيهِ . وَلَيْسَ
كَذَاكَ بَلِ الْفَايِدَةُ فِيهِ هِيَ التَّأْكِيدُ لِلْمَعْنَى الْمَقْصُودِ وَالْمُبَالَغَةُ فِيهِ .
أَمَّا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : (عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ) أَيِ عَذَابٍ مُضَاعَفٌ مِنْ عَذَابٍ .
وَأَمَّا يَتُّ أَيِ تَمَامٍ فَإِنَّهُ تَضَمَّنَ الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِ الْمُنْدُوحِ بِجَمَلِهِ
لِلْإِنْفَالِ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ لَمْ يُنَبِّهْ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَايَ . وَكَرَّرْنَا أُدْخِلَ فِي
التَّكْرِيرِ مِنْ هَذَا النَّوعِ مَا لَيْسَ مِنْهُ . فَمِنْهُ قَوْلُهُ : ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ
عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ . فَلَمَّا تَكَرَّرَ إِنَّ رَبَّكَ مَرَّتَيْنِ عُلِمَ أَنَّ ذَلِكَ آدَلُّ عَلَى
الْمَغْفِرَةِ وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ يُظَنُّ أَنَّهَا مِنْ بَابِ التَّكْرِيرِ وَلَيْسَتْ
كَذَلِكَ . وَقَدْ أَنْعَمْتُ فَطَرِي فِيهَا فَرَائِثَهَا خَارِجَةً عَنْ حُكْمِ التَّكْرِيرِ
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا طَالَ الْفَصْلُ مِنَ الْكَلَامِ وَكَانَ أَوَّلُهُ يَنْتَقِرُ إِلَى
تَمَامٍ وَلَا يُفْهَمُ إِلَّا بِهِ فَالْأَوَّلَى فِي بَابِ الْفَصَاحَةِ أَنْ يُعَادَ اللَّفْظُ الْأَوَّلُ
مَرَّةً ثَانِيَةً لِيَكُونَ مُقَارِنًا لِتَمَامِ الْفَصْلِ كَمَا لَا يَحِييُ الْكَلَامُ مَشُورًا
لَا سِيَّاسِي (إِنَّ وَآخَوَاتِهَا) . فَإِذَا وَرَدَتْ (إِنَّ) وَكَانَ بَيْنَ أَسْمَاهَا
وَخَبَرِهَا فَسْخَةٌ طَوِيلَةٌ مِنَ الْكَلَامِ فَاعَادَةُ (إِنَّ) أَحْسَنُ فِي حُكْمِ
الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ كَمَا تَقَدَّمَ . وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مِنْ شُعَرَاءِ
الْحِمَاةِ :

أَبْجَنًا وَقِيدًا وَأَشْيَاقًا وَغُرَبَةً وَنَائِي حَبِيبٍ إِنَّ ذَا لَعَظِيمُ
وَإِنْ أَمْرٌ أَدَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ مَا قَاسَيْتُهُ لَكَرِيمُ

فَإِنَّهُ لَمَّا طَالَ الْكَلَامُ بَيْنَ أَسْمِ (إِنَّ) وَخَبَرِهَا أُعِيدَتْ (إِنَّ) مَرَّةً ثَانِيَةً لِأَنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ : وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِفُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْكَرِيمِ . لَكِنْ بَيْنَ الْإِسْمِ وَالْخَبَرِ مَدَى طَوِيلٌ فَإِذَا لَمْ تُعَدَّ (إِنَّ) مَرَّةً ثَانِيَةً لَمْ يَأْتِ عَلَى الْكَلَامِ بَهْجَةٌ . وَهَذَا لَا يَتَنَبَّهُ لِمُسْتَعْمَالِهِ إِلَّا الْفَصَحَاءُ أَمَّا طَبَعًا وَأَمَّا عِلْمًا . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْأَمْرُ إِذَا كَانَ خَبَرٌ (إِنَّ) عَامِلًا فِي مَعْمُولٍ يَطُولُ ذِكْرُهُ فَإِنَّ إِعَادَةَ الْخَبَرِ ثَانِيَةً هُوَ الْأَحْسَنُ . وَعَلَى هَذَا جَاءَ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيُّوبَ : يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . فَلَمَّا قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ ثُمَّ طَالَ الْفَصْلُ كَانَ الْأَحْسَنُ أَنْ يُعِيدَ لَفْظُ (الرُّؤْيَا) فَيَقُولَ : رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . وَمِنْ بَابِ (التَّكْرِيرِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى) الدَّالُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ قَوْلُهُ : وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ . فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَرَّرَ بَدَأَ قَوْمِهِ هَاهُنَا لِزِيَادَةِ التَّنْبِيهِ لَهُمْ وَالْإِيقَاطِ عَنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَلِأَنَّهُمْ قَوْمُهُ وَعَشِيرَتُهُ فَيَحْزَنُ لَهُمْ وَيَتَلَطَّفُ بِهِمْ فَيَسْتَدْعِي بِذَلِكَ أَنْ يَتَرَلُّوا عَلَى نَصِيحَتِهِ . وَهَذَا فِي التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِيحَازِ وَأَشَدُّ تَوَقُّعًا مِنَ الْإِخْتِصَارِ . وَمِمَّا وَرَدَ مِنْ هَذَا التَّنْوِيعِ شِعْرًا قَوْلُ بَعْضِ شُعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ :

إِلَى سَعْدِ بْنِ الْعِرِّ الْمُوَثَّلِ وَالنَّدَى هُنَاكَ هُنَاكَ الْفَضْلُ وَلِلْخَلْقِ الْجَزْلُ
قَوْلُهُ : هُنَاكَ هُنَاكَ مِنَ التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِيحَازِ

لِأَنَّهُ فِي مَعْرِضِ مَدْحٍ فَهُوَ يُقَرَّرُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ مَا عِنْدَ الْمَذُوحِ
مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ مُشِيرًا إِلَيْهَا كَأَنَّهُ قَالَ : أَدُلُّكُمْ عَلَى
مَعْدِنِ كَذَا وَكَذَا وَمَقَرِّهِ وَمَقَادِرِهِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْمَسَاوِيرِ
أَبْنِ هِنْدٍ :

جَزَى اللَّهُ عَنِّي غَالِبًا مِنْ عَشِيرَةٍ إِذَا حَدَّثَانُ اللَّهْرَ نَابَتْ نَوَابُهُ
فَكَمْ دَفَعُوا مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ تَلَاَحَمَتْ عَلَيَّ وَمَوْجٍ قَدْ عَلَتْنِي غَوَارِبُهُ
فَصَدْرُ الْبَيْتِ الثَّانِي وَعَجْزُهُ يَدُلُّانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لِأَنَّ تَلَاَحُمَ
الْكُرْبِ عَلَيْهِ كَتَعَالَى الْمَوْجِ مِنْ فَوْقِهِ . وَإِنَّمَا نَوْعُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَقَامُ
مَدْحٍ وَإِطْرَاءٍ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَصِفُ إِحْسَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عِنْدَ
حَدَّثَانِ دَهْرِهِ فِي التَّكْرِيرِ . وَفِي قُبَالَتِهِ لَوْ كَانَ الْقَائِلُ هَاجِيًا فَإِنَّ
الْهَجَاءَ فِي هَذَا كَالْمَدْحِ . (الضَّرْبُ الثَّانِي مِنَ التَّكْرِيرِ فِي اللَّفْظِ
وَالْمَعْنَى) وَهُوَ غَيْرُ الْمَفِيدِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مَرْوَانَ الْأَصْفَرِ :

سَقَى اللَّهُ تَجْدًا وَالسَّلَامُ عَلَى تَجْدٍ وَيَا حَبْدًا تَجْدُ عَلَى الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ
نَظَرْتُ إِلَى تَجْدٍ وَبَعْدَادُ دُونَهَا لَعَلِّي أَرَى تَجْدًا وَهَيْهَاتُ مِنْ تَجْدٍ
وَهَذَا مِنَ الْعَمَى الضَّعِيفِ فَإِنَّهُ كَرَّرَ ذِكْرَ تَجْدٍ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ
ثَلَاثًا . وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي ثَلَاثًا . وَمُرَادُهُ فِي الْأَوَّلِ الثَّنَاءُ عَلَى تَجْدٍ .
وَفِي الثَّانِي أَنَّهُ تَلَقَّتْ إِلَيْهِ نَاطِرًا مِنْ بَعْدَادَ وَذَلِكَ مَرْمَى بَعِيدٌ .
الْمَعْنَى لَا يَحْتَاجُ إِلَى مِثْلِ هَذَا التَّكْرِيرِ . أَمَّا الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَيَحْتَمِلُ
عَلَى الْجَائِزِ مِنَ التَّكْرِيرِ لِأَنَّهُ مَقَامُ تَشْوِيقٍ وَتَحْرِيقٍ وَمَوْجِدَةٍ بِفِرَاقِ تَجْدٍ .
وَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ أُجِيزَ فِيهِ التَّكْرِيرُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ يُمَكِّنُهُ أَنْ

يُسَوِّغُ هَذَا الْمَعْنَى الْوَارِدَ فِي الْبَيْتَيْنِ مَعًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِيَ بِهَذَا التَّكْرِيرِ الْمَتَابِعِ سِتَّ مَرَّاتٍ . وَعَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

أَقْنَأَ بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَلَاثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَّحُّلِ خَامِسُ
وَمَرَادُهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَقَامُوا بِهَا أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ . وَيَعْجَبُ لَهُ بِمِثْلِ
هَذَا أَلَيْتِ السَّخِيفِ الدَّالِّ عَلَى أَلَمِي الْفَاحِشِ فِي ضَمَنِ آيَاتِ
عَجَبَةِ الْحُسْنِ تَتَقَدَّمُ هَذَا أَلَيْتِ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا قَوْلُ أَبِي
الطَّيِّبِ الْمُسْتَسْتَبِي :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جِرَانِي وَوِثْلِي لِثَلَاثِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامُ
فَهَذَا هُوَ التَّكْرِيرُ الْفَاحِشُ الَّذِي يُؤْثَرُ فِي الْكَلَامِ نَقْصًا .
أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ : لَمْ أَرْ مِثْلَ جِرَانِي فِي سُوءِ الْجَوَارِ وَلَا مِثْلِي فِي
مُصَابَرَتِهِمْ وَمَقَامِي عِنْدَهُمْ . إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى فِي أَلَيْتِ
مَرَّتَيْنِ . وَعَلَى نَحْوِ مَنْ ذَلِكَ جَاءَ قَوْلُهُ :

وَقَلَقْتُ بِأَلَمِ الَّذِي قَلَقَ الْحَشَى قَلَاقِلَ عَيْسٍ كُلُّهُنَّ قَلَاقِلُ
(وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ التَّكْرِيرِ وَهُوَ الَّذِي يُوجَدُ فِي الْمَعْنَى
دُونَ اللَّفْظِ) فَذَلِكَ ضَرْبَانِ : مُغِيدٌ وَغَيْرُ مُغِيدٍ . (الضَّرْبُ الْأَوَّلُ)
الْمُغِيدُ وَهُوَ فَرَعَانِ : (الْأَوَّلُ) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي الْمَعْنَى يَدُلُّ
عَلَى مَعْنَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ وَهُوَ مَوْضِعٌ مِنَ التَّكْرِيرِ مُشْكِلٌ لِأَنَّهُ يَسْبِقُ
إِلَى الْوَهْمِ أَنَّهُ تَكْرِيرٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ . . . بَلْ
يُقْصَدُ بِهِ التَّأْكِيدُ وَالتَّقْرِيرُ وَالتَّنْصُلُ عَمَّا يُرْمَى بِهِ التَّكْلِيمُ . وَمِمَّا

يَنْتَظِمُ بِهَذَا السِّلَكِ أَنْ يَكُونَ التَّكْرِيرُ فِي الْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ أَحَدُهُمَا خَاصٌّ وَالْآخَرُ عَامٌّ كَقَوْلِهِ : وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ . فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ دَاخِلٌ تَحْتَ الدَّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ . لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ خَاصٌّ وَالْخَيْرَ عَامٌّ فَكُلُّ أَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ خَيْرٌ وَلَيْسَ كُلُّ خَيْرٍ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْخَيْرَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ جُمْلَتِهَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ . فَفَائِدَةُ التَّكْرِيرِ هَهُنَا أَنَّهُ ذَكَرَ الْخَاصَّ بَعْدَ الْعَامِّ لِلتَّشْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ . وَكَقَوْلِهِ : حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى . وَكَقَوْلِهِ : فِيهَا فَكِيهَةٌ وَتَحُلُّ وَرَمَانٌ . وَكَقَوْلِهِ : إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا . فَإِنَّ الْجِبَالَ دَاخِلَةً فِي جُمْلَةِ الْأَرْضِ . لَكِنْ لَفْظُ الْأَرْضِ عَامٌّ وَالْجِبَالِ خَاصٌّ . وَفَائِدَتُهُ هَهُنَا تَعْظِيمُ شَأْنِ الْأَمَانَةِ الْمُسَارِ إِلَيْهَا وَتَفْخِيمُ أَمْرِهَا . . . وَهُوَ مَوْضِعٌ يَرُدُّ فِي الْكَلَامِ الْبَلِيغِ وَيُظَنُّ أَنَّ لَا فَائِدَةَ فِيهِ . (الْفَرْعُ الثَّانِي) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي الْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لَا غَيْرَ . وَقَدْ سَقَى مِثَالُ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ كَقَوْلِكَ : أَطْعِمْنِي وَلَا تَعْصِبْنِي . فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالطَّاعَةِ نَهْيٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْفَائِدَةُ فِي ذَلِكَ تَثْبِيتُ الطَّاعَةِ فِي نَفْسِ الْمُخَاطَبِ . وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَالْكَلَامِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ تَكْرِيرِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى إِذَا كَانَ الْغَرَضُ بِهِ شَيْئًا وَاحِدًا . وَلَا نَجْدُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يَأْتِي فِي الْكَلَامِ إِلَّا لِتَأْكِيدِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ بِهِ كَقَوْلِهِ : إِنَّ مِنْ أَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَضَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . فَإِنَّهُ إِنَّمَا كُرِّرَ

الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالْجَمِيعُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ لِلزِّيَادَةِ فِي تَحْسِينِ عَفْوِ
الْوَالِدِ عَنْ وَلَدِهِ . وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ يُنْظَرُ فِي الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ بِهِ . وَهُوَ
مَوْضِعٌ يَكُونُ التَّكْرِيرُ فِيهِ أَوْجَزَ مِنْ نَحْوَةِ الْإِيجَازِ وَأَوَّلَى بِالِاسْتِعْمَالِ .
وَبِمَا وَرَدَ مِنْهُ شِعْرًا قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي آيَاتِ الْحِمَاسَةِ :

تَرَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَاجِرِ شَاتِيًا بَعِيدًا عَنِ الْوَطَانِ فِي زَمَنِ النَّحْلِ
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَأَفْتِقَادُهُمْ وَإِحْسَانُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي
فَإِنَّ الْإِكْرَامَ وَالْإِفْتِقَادَ دَاخِلَانِ تَحْتَ الْإِحْسَانِ وَإِنَّمَا كَرَّرَ ذَلِكَ
لِلتَّنْوِيهِ بِذِكْرِ الصَّنِيعِ وَالْإِيجَابِ لِحَقِّهِ . (الضَّرْبُ الثَّانِي مِنْ الْقِسْمِ
الثَّانِي) فِي تَكْرِيرِ الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ وَهُوَ غَيْرُ الْمَفِيدِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ
أَبِي تَمَامٍ :

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا وَدُبُورِهَا اثْنَلَاثًا
فَإِنَّ رِيحَ الصَّبَا هِيَ رِيحُ الْقَبُولِ يَشْتَبِلُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لَا غَيْرَ .
وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ التَّكْرِيرِ قَدْ خَبِطَ فِيهِ عُلَمَاءُ أَلْيَانٍ خَبِلًا كَثِيرًا
وَالْأَكْثَرُ وَنَتِجَ أَجَازُهُ . فَقَالُوا : إِذَا كَانَتْ الْأَلْفَاظُ مُتَغَايِرَةً وَالْمَعْنَى
الْمَعْبُودُ عَنْهُ وَاحِدًا فَلَيْسَ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ بِمُعِيبٍ . وَهَذَا الْقَوْلُ فِيهِ ظَرْفٌ
وَالَّذِي عُنْدِي فِيهِ أَنَّ النَّائِظَ يُعَابُ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ مُطْلَقًا إِذَا آتَى لِغَيْرِ
قَائِدَةٍ . وَأَمَّا النَّائِظُ فَإِنَّهُ يُعَابُ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعِ . أَمَّا
الْمَوْضِعُ الَّذِي يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ فَهُوَ صُدُورُ الْآيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ وَمَا
وَالَاَهَا . وَأَمَّا الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ فَهُوَ الْأَعْجَازُ مِنَ
الْآيَاتِ لِمَكَانِ الْقَافِيَةِ . وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ عَيًّا لِأَنَّهُ قَافِيَةٌ

وَالشَّاعِرُ مُضْطَرٌّ إِلَيْهَا وَالْمُضْطَرُّ يُحِلُّ لَهُ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ كَقَوْلِ أَمْرِئِ
الْقَيْسِ فِي قَصِيدَتِهِ الْأَلَمِيَّةِ الَّتِي مَطَّلَعُهَا :

أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي

قَالَ :

وَهَلْ يَنْعَمَنَّ إِلَّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ قَلِيلُ الْهَمُومِ لَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ
وَإِذَا كَانَ قَلِيلُ الْهَمُومِ فَإِنَّهُ لَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ . وَهَذَا تَكْرِيرٌ
لِلْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِمُعِيبٍ لِأَنَّهُ قَافِيَةٌ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْخَطِيبَةِ :
قَالَتْ إِمَامَةٌ لَا تَجْزِعُ قَعْلَتُهَا إِنْ الْغَزَاءُ وَإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ غَلَبَا
هَلَّا لَتَمَسْتُ لَنَا أَنْ كُنْتُ صَادِقَةً . مَا لَا نَعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ أَوْ نَشَبَا
فَأَلْبَيْتُ الْأَوَّلُ مُعِيبٌ لِأَنَّهُ كَرَّرَ الْغَزَاءُ وَالصَّبْرَ إِذْ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ
وَلَمْ يَرِدَا قَافِيَةً لِأَنَّ الْقَافِيَةَ هِيَ الْبَاءُ . وَأَمَّا أَلْبَيْتُ الثَّانِي فَلَيْسَ
بِمُعِيبٍ لِأَنَّ التَّكْرِيرَ جَاءَ فِي النَّشْبِ وَهُوَ قَافِيَةٌ

البحث السادس عشر

في حقيقة التشبيه وتحديدِه

(عن خزائن الادب للحموي وعن كتاب الصنائع)

(راجع صفحة ٤٨ من علم الادب)

إِعْلَمَ أَنَّ أَصْحَابَ الْمَعَانِي وَالْيَافِيَّاتِ أَطْلَقُوا أَعْتَةَ الْكَلَامِ فِي
مِيَادِينِ حُدُودِ التَّشْبِيهِ وَتَقَادِيرِهَا وَهُوَ عِنْدَهُمُ الدَّلَالَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمْرٍ
لِأَمْرٍ فِي مَعْنَى . وَقَالَ الرُّمَائِيُّ : التَّشْبِيهُ هُوَ الْعَقْدُ عَلَى أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ

يُسَدُّ أَحَدُهُمَا مَسَدَ الْآخِرِ فِي حَالٍ. وَهَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ الْعَامُّ الَّذِي يَدْخُلُ
تَحْتَهُ التَّشْبِيهُ الْبَلِيغُ وَغَيْرُهُ. وَالتَّشْبِيهُ الْبَلِيغُ هُوَ إِخْرَاجُ الْأَغْمَضِ إِلَى
الْأَوْضَحِ مَعَ حُسْنِ التَّأْلِيفِ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: التَّشْبِيهُ هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى
اشْتِرَاكِ شَيْئَيْنِ فِي وَصْفٍ هُوَ مِنْ أَوْصَافِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ. وَقَالَ ابْنُ
رَشِيْقٍ فِي الْعُمْدَةِ: التَّشْبِيهُ صِفَةُ الشَّيْءِ بِمَا قَارَبَهُ وَشَاكَلَهُ مِنْ جِهَةٍ
وَاحِدَةٍ لِأَنَّهُ لَوْ نَاسَبَهُ مُنَاسَبَةٌ كُلِّيَّةٌ كَانَ إِيَّاهُ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ:
خَذْ كَالْوَرْدِ إِنَّمَا مُرَادُهُمْ إِخْرَاجُ أَوْرَاقِهِ وَطَرَاوُثِهَا لَا مَا سِوَى ذَلِكَ
مِنْ صُفْرَةٍ وَسَطِهِ وَخُضْرَةٍ كَمَا فِيهِ (أه). وَقِيلَ: التَّشْبِيهُ إِحْلَاقُ آدَنَى
الشَّيْئَيْنِ بِأَعْلَاهُمَا فِي صِفَةٍ اشْتَرَكَا فِي أَصْلِهَا وَاخْتَلَفَا فِي كَيْفِيَّتِهَا قُوَّةً
وَضَعْفًا. قُلْتُ: وَهَذَا حَدٌّ مُفِيدٌ. وَأَوْرَدَ ابْنُ أَبِي الْأَصْبَعِ فِي كِتَابِهِ
تَحْرِيرَ التَّخْيِيرِ حَدًّا زَادَ فِي حُسْنِهِ عَلَى الْخَدِّ وَهُوَ: أَنَّ التَّشْبِيهُ تَشْبِيهُانِ
(الْأَوَّلُ) مِنْهُمَا تَشْبِيهُ شَيْئَيْنِ مُتَّفِقَيْنِ بِأَنْفُسِهِمَا كَتَشْبِيهِ الْجَوْهَرِ بِالْجَوْهَرِ
مِثْلُ قَوْلِكَ: مَاءُ النَّيْلِ كَمَاءُ الْفُرَاتِ. وَتَشْبِيهِ الْعَرَضِ بِالْعَرَضِ
كَقَوْلِكَ: حُمْرَةُ الْخَدِّ كَحُمْرَةُ الْوَرْدِ. وَتَشْبِيهِ الْجِسْمِ بِالْجِسْمِ كَقَوْلِكَ:
الزَّبْرَجَدُ مِثْلُ الزُّمُرُدِ. (وَالثَّانِي) تَشْبِيهُ شَيْئَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ بِالذَّاتِ يَجْمَعُهُمَا
مَعْنَى وَاحِدٌ مُشْتَرِكٌ. كَقَوْلِكَ: حَاتِمٌ كَالْعِمَامِ وَعَذْرَةٌ كَالضَّرْغَامِ.
وَتَشْبِيهُ الْإِتْفَاقِ وَهُوَ الْأَوَّلُ تَشْبِيهُ حَقِيقَتَيْنِ. وَتَشْبِيهُ الْإِخْتِلَافِ وَهُوَ
الثَّانِي تَشْبِيهُ مَجَازِيٍّ وَالْمُرَادُ الْمُبَالَغَةُ. وَالتَّشْبِيهُ دُكْنٌ مِنْ أَذْكَانِ ابْلَاغَةٍ
لِإِخْرَاجِهِ لَخْفِيِّ إِلَى الْحَلِيِّ وَإِذْنَاهُ الْبَعِيدُ مِنَ الْقَرِيبِ. وَهُوَ حُكْمٌ
إِنْسَانِيٌّ لَا يُوجَدُ إِلَّا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ بِخِلَافِ الْإِسْتِعَارَةِ وَلَيْسَ الْحُكْمُ

أَنَّهُ إِذَا صَحَّتِ الْإِسْتِعَارَةُ حَسَنَ التَّصْرِيحِ بِالتَّشْبِيهِ فَإِنَّ الْمَشَابَهَةَ إِذَا
قُرِنَتْ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ بِالْإِسْتِعَارَةِ قَبَّحَ التَّصْرِيحُ بِالتَّشْبِيهِ . فَلَا تَقُولُ :
كَأَنَّكَ أَوْقَعْتَنِي فِي ظُلْمَةٍ إِذَا أَوْقَعَكَ فِي شَيْءٍ . وَفَهِمْتَ الْمَنَاسَلَةَ
فَكَأَنَّهُ أَنْشَرَ صَدْرِي أَوْ كَانَ نُورًا حَصَلَ فِي قَلْبِي . لِتَمَكَّنَ هَذِهِ
الْأَشْيَاءُ حَتَّى كَانَهَا صَارَتْ حَقِيقَةً

البحث السابع عشر

في أركان التشبيه ومحاسنه وفوائده

(من المثل السائر لابن الاثير بتصرف)

(راجع صفحة ٤٩ من علم الادب)

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلتَّشْبِيهِ أَدَوَاتَ كَثِيرًا وَكَانَ وَشَبَهُ وَمِثْلًا . فَرُبَّمَا ظَهَرَتْ
وَرُبَّمَا أُضْمِرَتْ . (وَهِيَ الْمَظْهَرُ الْأَدَاةُ) مَا قِيلَ فِي وَصْفِ حَالِ
الْمُنَاقِقِينَ : مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . وَكَقَوْلِ الْبُخَّارِيِّ :
خُلِقُوا مِنْهُمْ تَرَدَّدَ فِيهِمْ وَلَيْتَهُ عِصَابَةٌ عَنْ عِصَابَةٍ
كَالْحَسَامِ الْجَرَّازِ يَتَّقِي عَلَى النَّهْرِ م وَيَفْنِي فِي كُلِّ حِينٍ قِرَابَةً
وَمِنْ اللَّطِيفِ الْبَدِيعِ فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :
لَا جَزَى اللَّهِ دَمْعَ عَيْنِي خَيْرًا وَجَزَى اللَّهِ كُلَّ خَيْرٍ لِسَانِي
نَمْ دَمْعِي فَلَيْسَ بِكُمْ شَيْئًا وَوَجَدْتُ اللِّسَانَ ذَا كُشْمَانٍ
كُنْتُ مِثْلَ الْكِتَابِ أَخْفَاهُ طَيُّ فَاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِالْعُنْوَانِ

(وَمِنَ الْمُضَرِّ الْأَدَاةُ) قُوَّةُ : وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . فَشَبَّهَ اللَّيْلَ بِاللِّبَاسِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ يَسْتُرُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِّمَنْ أَرَادَ هَرَبًا مِنْ عَدُوِّهِ أَوْ ثَبَاتًا لِعَدُوِّهِ أَوْ إِخْفَاءً لِّمَا لَا يُحِبُّ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَمْثَالِ مِثْلُهُ : اللَّيْلُ جُنَّةٌ الْمُهَارِبِ . وَمِمَّا وَرَدَ شِعْرًا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَّبِيِّ :

وَإِذَا أَهْتَرَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا وَإِذَا أَهْتَرَّ لِلوَغَى كَانَ نَضْلًا
وَإِذَا الْأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْسًا وَإِذَا الْأَرْضُ أَفْجَتْ كَانَ وَبْلًا
وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمُضَرِّ الْأَدَاةِ . وَإِنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ أَبْلَغُ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمُظْهِرِ الْأَدَاةِ وَأَوْجَزُ . أَمَّا كَوْنُهُ أَبْلَغَ فَلِجَعْلِ الْمَشْبِيِّ شَيْئًا بِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ أَدَاةٍ فَيَكُونُ هُوَ إِيَّاهُ . فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ : زَيْدٌ أَسَدٌ . كُنْتَ قَدْ جَعَلْتَهُ أَسَدًا مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ . وَأَمَّا كَوْنُهُ أَوْجَزَ فَلِجَعْلِ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ مِثْلَهُ . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْقِسْمَيْنِ مِنَ الْمُظْهِرِ وَالْمُضَرِّ كِلَيْهِمَا فِي فَضِيلَةِ الْبَيَانِ سَوَاءٌ فَإِنَّ الْقَرَضَ الْمَقْصُودَ مِنْ قَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . أَنْ يَبَيِّنَ حَالُ زَيْدٍ فِي اتِّصَافِهِ بِشَهَادَةِ النَّفْسِ وَقُوَّةِ الْبَطْشِ وَجَرَاءَةِ الْإِقْدَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يَجْرِي تَجَرُّدُهُ . إِلَّا أَنَّا لَمْ نَجِدْ شَيْئًا نَدُلُّ بِهِ عَلَيْهِ سِوَى أَنْ جَعَلْنَاهُ شَيْئًا بِالْأَسَدِ حَيْثُ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ مُخْتَصَّةً بِهِ . فَصَارَ مَا قَصَدْنَاهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ اكْتِشَافَ وَآيِنَ مِنْ أَنْ لَوْ قُلْنَا : زَيْدٌ شَهْمٌ شَجَاعٌ قَوِيٌّ الْبَطْشِ جَرِيٌّ الْجَنَانِ وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ . لَمَا قَدْ عُرِفَ وَعُهِدَ مِنْ لَجْتِمَاعِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي الْمَشْبِيِّ بِهِ أَعْنِي الْأَسَدَ . وَأَمَّا زَيْدٌ الَّذِي هُوَ الْمَشْبِيُّ فَلَيْسَ مَعْرُوفًا بِهَا

وَأِنْ كَانَتْ مَوْجُودَةً فِيهِ. وَكِلَا هَذَيْنِ الْقَسَمَيْنِ أَيْضًا يَخْتَصُّ بِفَضِيلَةٍ
الْإِيحَازِ وَإِنْ كَانَ الْمَضَرُّ أَوْجَزَ مِنَ الْمُظْهِرِ لِأَنَّ قَوْلَنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ
أَوْ كَأَلَسَدٍ. يَسُدُّ مَسَدَ قَوْلِنَا : زَيْدٌ مِنْ حَالِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ. وَهُوَ مِنْ
الشَّجَاعَةِ وَالشَّدَّةِ عَلَى كَذَا وَكَذَا مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ. فَالْتَّشْبِيهِ إِذَا تَجَمَّعَ
صِفَاتُ ثَلَاثَةٍ هِيَ : الْمُبَالَغَةُ. وَالْيَبَانُ. وَالْإِيحَازُ كَمَا أَرَيْتُكَ. إِلَّا
أَنَّهُ نَوْعٌ مِنْ بَيْنِ أَنْوَاعِ عِلْمِ الْيَبَانِ مُسْتَوْعِرُ الْمَنْهَبِ وَهُوَ مَقْتُلٌ مِنْ
مَقَاتِلِ الْمُبَالَغَةِ. وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ حَمَلَ الشَّيْءِ بِالْمِثَالَةِ إِمَامُ صُورَةٍ
وَأَمَّا مَعْنَى يِعْزُ صَوَابُهُ وَتَعَسَّرُ الْإِجَادَةُ فِيهِ. وَقَلَّمَا أَكْثَرَ مِنْهُ أَحَدٌ
إِلَّا عَثَرَ كَمَا فَعَلَ ابْنُ الْمُعْتَرِ مِنْ أَدْبَاءِ الْعِرَاقِ وَأَبْنُ وَكَيْعٍ مِنْ أَدْبَاءِ
مِصْرَ. فَإِنَّهُمَا أَكْثَرَا مِنْ ذَلِكَ لَاسِيًّا فِي وَصْفِ الرِّيَاضِ وَالْأَشْجَارِ
وَالْأَزْهَارِ وَالْثَمَرِ. لِأَجْرَمَ أَنَّهَا آتِيَا بِالْعَثِ الْبَارِدِ الَّذِي لَا يَثْبُتُ
عَلَى مَحَكِّ الصَّوَابِ فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَرَقَّى مَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ. وَأَمَّا فَائِدَةُ
الْتَّشْبِيهِ مِنَ الْكَلَامِ فَهِيَ : أَنَّكَ إِذَا أَمَثَلْتَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ فَإِنَّمَا
تَقْصِدُ فِيهِ إِثْبَاتَ الْحَالِ فِي النَّفْسِ بِصُورَةِ الْمَثَلِ بِهِ أَوْ بِمَعْنَاهُ وَذَلِكَ
أَوْكَدُ فِي طَرَفِي التَّرْغِيبِ فِيهِ أَوْ التَّغْيِيرِ عَنْهُ. أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا
أَشْبَهْتَ صُورَةَ بِصُورَةٍ هِيَ أَحْسَنُ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ مُثَبَّتًا فِي النَّفْسِ
خَيَالًا حَسَنًا يَدْعُو إِلَى التَّرْغِيبِ فِيهَا. وَكَذَلِكَ إِذَا أَشْبَهْتَ بِصُورَةٍ شَيْءًا
أَقْبَحَ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ مُثَبَّتًا فِي النَّفْسِ خَيَالًا قَبِيحًا يَدْعُو إِلَى التَّغْيِيرِ
عَنْهَا وَهَذَا لَا تَزَاوُعَ فِيهِ. وَلَنْضَرْبَ لَهُ مِثَالًا يُوضِّحُهُ فَقُولُ : قَدْ وَرَدَ
عَنْ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي مَدْحِ الْعَسَلِ وَذَوِّهِ يَتُّ مِنْ الشَّعْرِ وَهُوَ :

تَقُولُ هَذَا مُحَاجُّ التَّحْلِ مَدَحُهُ وَانْ تَعِبَ قُلْتَ ذَا قِيءَ الزَّائِرِ
 أَلَا تَرَى كَيْفَ مَدَحَ وَدَّمَ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ بِتَضَرُّفِ التَّشْبِيهِ
 الْحَاجِزِي الْمَضَرِّ الْأَدَاةَ الَّذِي خِيلَ بِهِ إِلَى السَّامِعِ خِيَالًا يُحَسِّنُ الشَّيْءَ
 عِنْدَهُ تَارَةً وَيُتَجَبَّهُ أُخْرَى . وَلَوْلَا التَّوَصُّلُ بِطَرِيقِ التَّشْبِيهِ عَلَى هَذَا
 الْوَجْهِ لَمَا آمَكَنَ ذَلِكَ . وَهَذَا الْمِثَالُ كَافٍ فِيمَا أَرَدْنَاهُ . وَاعْلَمْ
 أَنَّ مِنْ مُحَاسِنِ التَّشْبِيهِ أَنْ يُجِيءَ مَصْدَرِيًّا كَقَوْلِنَا : أَقْدَمَ إِقْدَامَ الْأَسَدِ
 وَقَاضَ قِضَ الْبَجَرِ . وَهُوَ أَحْسَنُ مَا اسْتَعْمِلَ فِي بَابِ التَّشْبِيهِ . كَقَوْلِ
 أَبِي نَوَاسٍ فِي وَصْفِ الْحَمْرِ :

وَإِذَا مَا مَزَجُوهَا وَثَبَتْ وَثَبَ الْجَرَادُ
 وَإِذَا مَا شَرِبُوهَا أَخَذَتْ أَخَذَ الرُّقَادُ

وَقِيلَ : إِنَّ مِنْ شَرْطِ بَلَاغَةِ التَّشْبِيهِ أَنْ يُشَبَّ الشَّيْءُ بِمَا هُوَ
 أَكْبَرُ مِنْهُ وَأَعْظَمُ . وَالْقَوْلُ السَّيِّدُ فِي ذَلِكَ هُوَ مَا أَذْكُرُهُ :
 وَهُوَ أَنَّ إِطْلَاقَ مَنْ أَطْلَقَ قَوْلَهُ فِي أَنَّ مِنْ شُرُوطِ بَلَاغَةِ التَّشْبِيهِ
 أَنْ يُشَبَّ الْأَصْغَرُ بِالْأَكْبَرِ قَوْلٌ غَيْرُ حَاصِرٍ لِلْغَرَضِ الْمَقْصُودِ .
 لِأَنَّ التَّشْبِيهِ يَأْتِي تَارَةً فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ وَتَارَةً فِي مَعْرِضِ الذَّمِّ .
 وَتَارَةً فِي غَيْرِ مَعْرِضِ مَدْحٍ وَلَا ذَمٍّ . وَإِنَّمَا يَأْتِي قَصْدًا لِلإِبَاتَةِ
 وَالْإِيضَاحِ . وَلَا يَكُونُ تَشْبِيهُ أَصْغَرٍ بِأَكْبَرٍ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ
 ذَهَبَ . بَلِ الْقَوْلُ الْجَامِعُ فِي ذَلِكَ أَنَّ يُقَالُ : إِنَّ التَّشْبِيهِ لَا يُعَمَدُ
 إِلَيْهِ إِلَّا لِضَرْبٍ مِنَ الْمُبَالَغَةِ قَامًا أَنْ يَكُونَ مَدْحًا أَوْ ذَمًّا أَوْ يَكُنَا
 أَوْ إِيضَاحًا وَلَا يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ

كَذَلِكَ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ تَقْدِيرِ لَفْظَةِ أَفْعَلَ (يُرِيدُ أَفْعَلَ التَّفْضِيلَ) .
فَإِنْ لَمْ تُقَدَّرْ فِيهِ لَفْظَةُ (أَفْعَلَ) فَلَيْسَ بِتَشْبِيهِ بَلِيغٍ . أَلَا تَرَى أَنَا
نَقُولُ فِي التَّشْبِيهِ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةَ : زَيْدٌ أَسَدٌ . فَقَدْ شَبَّهْنَا زَيْدًا بِالْأَسَدِ
الَّذِي هُوَ أَشْجَعُ مِنْهُ . فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمُشَبَّهُ بِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَشْجَعُ مِنْ
زَيْدِ الَّذِي هُوَ الْمُشَبَّهُ وَالْأَلَا كَانَ التَّشْبِيهُ نَاقِصًا إِذَا لَا مُبَالَغَةَ فِيهِ .
وَكَذَلِكَ فِي التَّشْبِيهِ الْمَظْهَرِ الْأَدَاةُ كَقَوْلِهِ : وَهُوَ الْجَوَارِي الْمُنْشَاتُ فِي
الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ . وَهَذَا تَشْبِيهُ كَبِيرٌ بِمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ . لِأَنَّهُ خَلَقَ السُّفُنَ
الْبَحْرِيَّةَ كَبِيرًا وَخَلَقَ الْجِبَالَ أَكْبَرُ مِنْهُ . وَمِثْلُهُ : إِذَا شَبَّهْتُ شَيْئًا بِحَسَنٍ
بِشَيْءٍ حَسَنٍ فَلَا تَنَالُهُ إِذَا لَمْ يُشَبَّهْ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ فَلَيْسَ هُوَ بِوَارِدٍ
عَلَى طَرِيقِ الْبَلَاغَةِ . وَهَكَذَا : إِنْ شَبَّهْتُ قَبِيحًا بِقَبِيحٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
الْمُشَبَّهُ بِهِ أَقْبَحَ وَإِنْ قُصِدَ الْيَسَانُ وَالْإِيضَاحُ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
الْمُشَبَّهُ بِهِ أَتَيْنَ وَأَوْضَحَ . فَتَقْدِيرُ لَفْظَةِ (أَفْعَلَ) لَا بُدَّ مِنْهُ فِيمَا يُقْصَدُ
بِهِ بَلَاغَةُ التَّشْبِيهِ وَالْأَلَا كَانَ التَّشْبِيهُ نَاقِصًا فَأَعْلَمَ ذَلِكَ وَقَسَّ عَلَيْهِ

البحث الثامن العاشر

في اقسام التشبيه

(عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار)

(راجع صفحة ٤٩ من علم الادب)

(التَّشْبِيهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ) : الْأَوَّلُ تَشْبِيهُ مُحْسُوسٍ بِمُحْسُوسٍ
لِأَشْتِرَاكِهِمَا إِمَّا فِي الْحُكُومَاتِ الْأُولَى وَهِيَ مُدْرَكَاتُ السَّمْعِ

وَالْبَصَرِ وَالذَّوْقِ وَالشَّمِّ وَاللَّمْسِ . كَتَشْبِيهِ لَحْدٍ بِالْوَرْدِ . وَالْوَجْهِ
 بِالنَّهَارِ . وَالْقَوَاكِحِ لِحُلُوةٍ بِالسُّكَّرِ وَالْعَسَلِ . وَرَائِحَةِ بَعْضِ الرِّيحِ
 بِالْكَافُورِ وَالْمِسْكِ . وَاللِّينِ النَّاعِمِ بِالْحَرِّ . وَالْحَشَنِ بِالْمَسْحِ . أَوْ فِي
 الْخُشُوسَاتِ الثَّانِيَةِ وَهِيَ : الْأَشْكَالُ الْمُسْتَقِيمَةُ وَالْمُسْتَدِيرَةُ وَالْمَقَادِيرُ
 وَلِحَرَكَاتُ كَتَشْبِيهِ الْمُسْتَوِيِّ الْمُنْتَصِبِ بِالرَّمْحِ . وَالْقَدِّ اللَّطِيفِ
 بِالْعُضْرِ . وَالشَّيْءِ الْمُسْتَدِيرِ بِالْكُرَةِ وَالْحَلَقَةِ . وَعِظَمِ الْجَبَّةِ بِالْجَبَلِ .
 وَالذَّاهِبِ عَلَى الْأَسْتِقَامَةِ بِقُوذِ السَّهْمِ . أَوْ فِي الْكَيْفِيَّاتِ الْجُسَامِيَّةِ
 كَالصَّلَابَةِ وَالرَّخَاوَةِ . أَوْ فِي الْكَيْفِيَّاتِ النَّفْسَانِيَّةِ كَالْعَرَائِزِ وَالْأَخْلَاقِ .
 أَوْ فِي حَالَةِ إِضَافِيَّةِ كَقَوْلِكَ : هَذِهِ حُجَّةٌ كَالشَّمْسِ . وَالْجَامِعُ أَنَّ
 كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُزِيلٌ لِلْحِجَابِ وَكَقَوْلِكَ : الْقَاظَةُ كَالْمَاءِ فِي السَّلَاسَةِ .
 وَكَالْتَسِيمِ فِي الرِّقَّةِ . وَكَالْعَسَلِ فِي الْحَلَاوَةِ . وَالْجَامِعُ سُرْعَةُ وَضُوءِهِ
 إِلَى النَّفْسِ وَأَهْتِرَازُهَا بِهِ . وَرَبَّمَا كَانَ التَّشْبِيهُ بِوَجْهِ عَقْلِيٍّ كَقَوْلِ فَاطِمَةَ
 بِنْتِ الْحَوْشِبِ الْأَنْمَارِيَّةِ حِينَ وَصَفَتْ بَيْنَهَا : هُمْ كَالْحَلَقَةِ الْمَفْرُغَةِ لَا يُدْرَى
 آيُنُ طَرَفَاهَا . فَإِنَّهُ لَا يَفْهَمُ الْمَقْصُودَ الْأَمَنُ لَهُ ذِهْنٌ يَتَرَفَّعُ عَنْ طَبَقَةِ
 الْعَامَّةِ بِخِلَافِ مَا سَبَقَ . وَمِنْ الْفَرْقِ الظَّاهِرِ بَيْنَهُمَا أَنَّ جَعَلَ الْفَرْعَ
 أَصْلًا وَالْأَصْلَ فَرْعًا يُجِيءُ فِيهَا تَقَدُّمٌ مَحِيئًا وَاسِعًا كَقَوْلِهِمْ فِي النُّجُومِ :
 كَانَهُمْ مَصَابِيحُ . وَفِي الْمَصَابِيحِ : كَانَتْهَا نُجُومٌ . وَإِنْ حَاوَلْتَ ذَلِكَ فِي
 الثَّانِي لَمْ يَكُنْ يَتَقَادُ اتِّقَادَ الْأَوَّلِ . (الثَّانِي) تَشْبِيهُ الْمَعْقُولِ بِالْمَعْقُولِ
 كَتَشْبِيهِ الْوُجُودِ الْعَارِي عَنْ الْقَوَائِدِ بِالْعَدَمِ وَتَشْبِيهِ الْقَوَائِدِ الَّتِي
 تَبْقَى بَعْدَ عَدَمِ الشَّيْءِ بِالْوُجُودِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

رُبَّ حَيٍّ كَمَيْتٍ لَيْسَ فِيهِ أَمَلٌ يُرْتَجَى لِنَفْعٍ وَضَرٍ
وَعِظَامٍ تَحْتَ الْأَرَابِ وَفَوْقَ الْأَمِّ رِضٌ مِنْهَا آثَارُ حَمْدٍ وَشُكْرِ
(الثَّالِثُ) تَشْبِيهُ الْمَعْقُولِ بِالْحَسُّوسِ كَقَوْلِهِ : وَالَّذِينَ كَفَرُوا
أَسْمَلُكُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ . وَكَقَوْلِهِ : وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُكُمْ كَرَمَادٍ
أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ . (الرَّابِعُ) تَشْبِيهُ الْحَسُّوسِ بِالْمَعْقُولِ
وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ لِأَنَّ الْعُلُومَ مُسْتَفَادَةً مِنَ الْحَوَاسِ وَمُتَشَبِّهَةً إِلَيْهَا وَلِذَلِكَ
قِيلَ : مَنْ فَقَدَ حِسًّا فَقَدَ عِلْمًا . فَإِذَا كَانَ الْحَسُّوسُ أَضْلًا لِلْمَعْقُولِ فَتَشْبِيهُهُ
بِهِ يَكُونُ جَعْلًا لِلْفَرْعِ أَضْلًا وَالْأَصْلِ فَرْعًا . وَلِذَلِكَ لَوْ حَاوَلَ مُحَاوِلٌ
الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِ الشَّمْسِ بِالظُّهُورِ وَالْمَسْكِ بِالثَّنَاءِ فَقَالَ : الشَّمْسُ
كَالْحُجَّةِ فِي الظُّهُورِ . وَالْمَسْكُ كَالثَّنَاءِ فِي الطَّيِّبِ . كَانَ سَخِيفًا وَنَاقِلًا
الْقَوْلِ . فَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الْأَشْعَارِ مِنْ تَشْبِيهِ الْحَسُّوسِ بِالْمَعْقُولِ فَوَجْهُهُ
أَنَّهُ يُقَدَّرُ الْمَعْقُولُ مُحْسُوسًا وَيُجْعَلُ كَالْأَصْلِ الْحَسُّوسِ عَلَى طَرِيقِ
الْمُبَالَغَةِ فَيَصِحُّ التَّشْبِيهُ جَيِّدًا . وَذَلِكَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَكَانَ النُّجُومُ بَيْنَ دُجَاهَا سُنٌّ لَاحَ يَنْهِنُ ابْتِدَاعُ

فَإِنَّهُ لَمَّا شَاعَ وَصَفُ السُّنَّةِ بِالْيَبَاسِ وَالْإِشْرَاقِ عَلَى مَا قِيلَ :
أَتَشْكُمُ بِالْحَنِيفَةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا . وَأَشْهَرَتِ الْبِدْعَةُ وَكُلُّ مَا
لَيْسَ بِحَقٍّ بِالظُّلْمَةِ تَحْيِلُ الشَّاعِرُ أَنَّ السُّنَّ كَانَتْهَا مِنَ الْأَجْنَاسِ الَّتِي
لَهَا إِشْرَاقٌ وَنُورٌ وَأَنَّ الْبِدْعَ نَوْعٌ مِنَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي لَهَا اخْتِصَاصٌ بِالسَّوَادِ
وَالظُّلْمَةِ . فَصَارَ ذَلِكَ عِنْدَهُ كَتَشْبِيهِ مُحْسُوسٍ بِحَسُّوسٍ فَجَازَ لَهُ التَّشْبِيهُ .
وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا التَّشْبِيهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَحْيِيلِ مَا لَيْسَ بِمُتَلَوِّنٍ مُتَلَوَّنًا . ثُمَّ

يُخَيَّلُ أَصْلًا فِشْبَةً بِهِ. وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي قَوْلِ أَبِي طَالِبٍ الرَّقِّي :
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالظَّلَامُ كَأَنَّهُ يَوْمُ النَّوَى وَفُؤَادُ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ
فَأَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْأَوَقَاتُ الَّتِي تَحْدُثُ فِيهَا الْمَكَارِهِ تُوصَفُ بِالسَّوَادِ
(يُقَالُ : أَسْوَدَّتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِيهِ) . جَعَلَ يَوْمَ النَّوَى كَأَنَّهُ أَشْهُرُ وَأَعْرَفُ
بِالسَّوَادِ مِنَ الظَّلَامِ فَهَرَقَهُ بِهِ وَشَبَّهَهُ . ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ فُؤَادُ مَنْ لَا
يَرْفُقُ تَطَرُّفًا . وَالْقَلْبُ الْقَائِي يُوصَفُ بِشِدَّةِ السَّوَادِ . فَصَارَ هَذَا الْقَلْبُ
أَصْلًا عِنْدَهُ فِي السَّوَادِ قَبَسٌ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ
حِينَ أَهْدَى لِلْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخُرَجَانِي عِطْرًا :
يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ فِي قُرْبِ عَهْدِ لِقَائِهِ مُشْتَاكِهِ
أَهْدَيْتُ عِطْرًا وَثَلَ طِيبِ ثَنَانِهِ فَكَأَنَّا أَهْدَيْتُ لَهُ أَخْلَاقَهُ
وَأَعَادَةً تَشْبِيهِ الثَّنَاءِ بِالْعَطْرِ وَهُوَ عَكْسُ الْأَمْرِ عَلَى جِهَةِ الْمُبَالَغَةِ
كَأَيُّهَا بَيْنَا . وَقُلْتُ فِي تَشْبِيهِ حِضْنِ :

كَأَنَّهُ وَكَأَنَّ الْجَوْ يَكْنِفُهُ وَهُمْ مُثَلَّةٌ فِي طَيْهَا الْفَكْرُ
لَأَنَّهُ لَمَّا أَرْتَفَعَ الْحِضْنُ فِي الْجَوْ حَتَّى صَارَ كَالْوَهْمِ فَيَكُونُ مِنْ تَشْبِيهِ
الْحَسُّوسِ بِمَا تُخَيَّلُ أَنَّهُ مُحْسُوسٌ لِإِظْلَامِهِ فِي الْعَيْنِ أَوْ فُرْضَ لَهُ الْخَفَاءُ
حَتَّى صَارَ يُشَبَّهُ مَعْقُولًا بِمَعْقُولٍ . وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا النَّوعِ تَشْبِيهِ الْوُجُودِ
بِالتَّخَيَّلِ الَّذِي لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْأَعْيَانِ كَتَشْبِيهِ الْجَمْرِ بَيْنَ الرَّمَادِ بِبَحْرِ
وَنَ الْمِسْكِ مَوْجُهُ الذَّهَبُ . وَذَلِكَ إِنَّمَا يَتِمُّ إِذَا فُرِضَ التَّخَيَّلُ أُمُورًا
كُلُّ وَاحِدٍ وَنَهَا مَوْجُودٌ فِي الْأَعْيَانِ . فَحَيْثُ لَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ حَسَنًا
لَطِيفًا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي الرَّجَسِ :

كَانَ عُيُونُ الدُّرِّجِ الْعُضْرِ بَيْنَنَا مَدَاهِنُ دُرٍّ حَشَوْنَهُ عَقِيقُ
وَكَقَوْلٍ آخَرَ فِي تَشْبِيهِ الشَّقَاتِ :

وَكَانَ مُحَرَّرَ الشَّقِيقِ م إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أَعْلَامُ يَأْقُوتِ نُشْرِ نَ عَلَى رِيَّاحٍ مِنْ زَبَرَجَدَ

وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

أَيَقْتُلْنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ ذُرْقٍ كَانِيَابِ أَغْوَالِ

فَانْتَهُمُ لَمْ يُشَاهِدُوا أَنْيَابَ الْأَغْوَالِ بَلْ ائْتَقَدُوا أَنَّهَا فِي غَايَةِ

الْحِدَّةِ فَحَسُنَ التَّشْبِيهُ . وَعَلَيْهِ جَاءَ قَوْلُهُ : طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ .

لِتَنَاهِي رُؤُوسِ الشَّيَاطِينِ فِي الْكَرَاهَةِ وَلِإِعْتِقَادِهِمُ الْغَايَةَ فِي قُبْحِ

الشَّيْطَانِ وَكَرَاهِيَتِهِ يُشْتَبَهُونَ بِهِ الْوَجْهَ الْقَبِيحَ . وَلِإِعْتِقَادِهِمُ الْغَايَةَ فِي

خَيْرِ الْمَلِكِ وَأَنَّهُ لَا شَرَّ فِيهِ يُشْتَبَهُونَ بِهِ الصُّورَ الْحَسَنَةَ كَمَا قَالَ :

مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا بِهِ الْمِثَابَةُ فَذ

يَكُونُ مُقَيَّدًا بِالْإِتْسَابِ إِلَى الشَّيْءِ . وَذَلِكَ إِمَّا إِلَى الْمَقُولِ بِهِ وَهُوَ

لِجَارٍ وَالْحَجَرُورُ كَقَوْلِهِمْ لِمَنْ يَفْعَلُ مَا لَا يُفِيدُ : كَالرَّاقِمِ عَلَى الْمَاءِ .

وَإِمَّا إِلَى أَلْحَالِ كَقَوْلِهِمْ : كَالْحَادِي وَلَيْسَ لَهُ بَعِيرٌ (الْوَاوُ لِلْحَالِ) .

وَإِمَّا إِلَى الْمَفْعُولِ بِهِ وَأَجَارَ وَالْحَجَرُورُ كَقَوْلِهِمْ : هُوَ كَمَنْ يَجْمَعُ

السِّفَتَيْنِ فِي عَمْدٍ وَكَمُبْتَغِي الصَّيْدِ فِي عَرِيْسَةِ الْأَسَدِ . وَكَقَوْلِ لَبِيدٍ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمَ حُلُوهَا وَعَدَدُوا بِسَلَاةِ

فَلَانَهُ لَمْ يُشَبَّهَ النَّاسُ بِالْدِّيَارِ وَأَتَمَّ شَبَّهُهُ وَجُودَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَسُرْعَةَ

زَوَالِهِمْ بِحُلُولِهِمُ الدِّيَارَ وَوَشَكَّ رَحِيلَهُمْ مِنْهَا . وَكَلَّمَا كَانَتْ الْمَقْدَمَاتُ

أَكْثَرَ كَانَ التَّشْبِيهُ أَوْغَلَ فِي كَوْنِهِ عَقْلِيًّا كَقَوْلِهِ : إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا كَمَا أَثَرُ لِنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَلَا تَخْلُطُ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ
النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطْنَ أَهْلِهَا
أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ
تَغْنِ بِالْأَمْسِ . فَإِنَّ التَّشْبِيهَ مُتَرَعٍّ مِنْ مَجْمُوعِ هَذِهِ الْجُمَلِ مِنْ غَيْرِ
أَن يُمْكِنَ فَضْلُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ . فَإِنَّكَ لَوْ حَذَفْتَ مِنْهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً
مِنْ آيٍ مَوْضِعٍ كَانَ اخْلَافٌ ذَلِكَ بِالْمَقْصُودِ مِنَ التَّشْبِيهِ . ثُمَّ مَا بِهِ
الْمُشَابَهَةُ إِنْ كَانَ مُرَكَّبًا فَإِنَّهُ عَلَى قِسْمَيْنِ : (الْأَوَّلُ) مَا لَا يُمْكِنُ
إِفْرَادُ أَحَدِ أَجْزَائِهِ بِالذِّكْرِ كَقَوْلِهِ :

كَانَ سُهَيْلًا وَالْجُومُ وَرَاءَهُ صُفُوفُ صَلَاةٍ قَامَ فِيهَا إِمَامُهَا
فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِفْرَادُ أَجْزَاءِ هَذَا التَّشْبِيهِ إِذْ لَوْ قُلْتُ : كَانَ
سُهَيْلًا إِمَامٌ وَكَانَ الْجُومُ صُفُوفُ صَلَاةٍ . ذَهَبَتْ فَائِدَةُ هَذَا التَّشْبِيهِ .
(الثَّانِي) مَا يُمْكِنُ إِفْرَادُهُ بِالذِّكْرِ وَيَكُونُ إِذَا أُزِيلَ مِنْهُ
الْأَتْرَافُ صَحِيحَ التَّشْبِيهِ فِي طَرَفِهِ إِلَّا إِنْ أَلْفَعَى مُغَيَّرُ كَقَوْلِ أَبِي
طَالِبٍ الرَّقِّي :

وَكَانَ أَجْرَامَ الْجُومِ لَوَائِمًا دُرٌّ يُثَرْنَ عَلَى بَسَاطِ أَرْقٍ
فَلَوْ قُلْتُ : كَانَ الْجُومُ دُرٌّ وَكَانَ السَّمَاءُ بَسَاطٌ أَرْقٍ وَجَدْتُ
التَّشْبِيهَ مَقْبُولًا . وَلَكِنْ الْمَقْصُودُ مِنَ الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا قَدْ زَالَ .
وَرُبَّمَا كَانَ التَّشْبِيهُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَلَا يَتَقَيَّدُ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ . وَإِنَّمَا
يَكُونُ بَعْضُهَا مَضْمُومًا إِلَى الْبَعْضِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُتَقَرِّدٌ بِنَفْسِهِ

كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ كَالْأَسَدِ بِأَسَا وَالْبَجَرِ جُودًا وَالسَّيْفِ مَضَاءً وَالْبَذْرِ بَهَاءً .
وَكَقَوْلِكَ : هُوَ يَصْنُوعُ وَيَكْدُرُ وَيَحْلُو وَيَمُرُّ . وَلَهُ خَاصَّتَانِ (إحداهما)
أَنَّهُ لَا يَجِبُ فِيهِ التَّرْتِيبُ . (وَالثَّانِيَةُ) إِذَا أُسْقِطَ الْبَعْضُ لَا يَتَغَيَّرُ
حُكْمُ الْبَاقِي . وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
وَفِيهِ ظَرْفٌ

البحث التاسع عشر

في التشبيه المستعملة عند العرب

(من كتاب الصناعتين للمصري وعن البديعيات)

أَمَّا الطَّرِيقَةُ الْمَسْلُوكَةُ فِي التَّشْبِيهِ وَالْتَفْعِ الْقَاصِدُ فِي التَّشْبِيلِ
عَنِ الْقَدَمَاءِ وَالْمُخَدِّينَ فَتَشْبِيهُ الْجَوَادِ بِالْبَجَرِ وَالطَّرِيقَةِ بِالشَّجَاعِ بِالْأَسَدِ
وَالْحَسَنِ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ . وَأَتَقَمُّ الْمَاضِي بِالسَّيْفِ . وَالْعَالِي الرَّتَبَةِ
بِالنَّجْمِ . وَالْحَلِيمَ الرَّزِينَ بِالْجَلِيلِ . وَالْحَيَّ بِالْبَكْرِ . ثُمَّ يُشْتَبَهُونَ اللَّيْمَ
بِالْكَلْبِ . وَالْجَبَانَ بِالصَّفَرِ . وَالطَّائِشَ بِالْفَرَّاشِ . وَالذَّلِيلَ بِالنَّقْدِ
وَالْعَلَّ . وَالْتَفْعَ بِالْوَقْدِ . وَالْقَلْبِيَّ بِالْحَدِيدِ وَالصَّخْرَ . وَالْبَلِيدَ بِالْجَمَادِ .
وَشَهَرَ قَوْمٌ بِخَصَالِ مَحْمُودَةٍ فَصَارُوا فِيهَا أَعْلَامًا فَجَرَوْا وَجَرَى مَا قَدَّمَاهُ
كَالسَّمْوَلِ فِي الْوَقَاءِ . وَحَاتِمٍ فِي السَّخَاءِ . وَالْأَخْنَفِ فِي الْحِلْمِ . وَسَحْبَانَ
فِي الْبَلَاغَةِ . وَقُسٍ فِي الْخَطَايَةِ . وَلُقْمَانَ فِي الْحِكْمَةِ . وَشَهَرَ
آخَرُونَ بِأَضْدَادِ هَذِهِ الْخَصَالِ فَشَبَّهَ بِهِمْ فِي حَالِ الذَّمِّ كَبَاقِلَ فِي
الْعِي . وَهَبَنَّةً فِي الْخُبْرِ . وَالْكُسْبِيَّ فِي التَّدَامَةِ . وَمَادِرٍ فِي الْجُلِّ .

وَالْشَّيْءُ يَزِيدُ الْمَعْنَى وَضُوحًا وَيُكْسِبُهُ تَأْكِيدًا . وَقَدْ يَأْتِي تَارَةً
لِيَبَانَ إِسْكَانُ وَجُودِ الشَّيْءِ عِنْدَ ادِّعَاءِ مَا لَا يَكُونُ إِمْكَانُهُ يَتَنَاءً .
كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

فَإِنْ تَفَقَّ الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ أَلْمَسَكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ
وَيَكُونُ لِيَبَانَ مِقْدَارِ الشَّيْءِ كَمَا إِذَا حَاوَلْتَ تَفِي الْقَائِدَةِ مِنْ
فِعْلِ الْإِنْسَانِ قُلْتَ : هُوَ كَالْقَابِضِ عَلَى آتَمَاءٍ . وَقَدْ أَطْبَقَ جَمِيعُ الْمُتَكَلِّمِينَ
مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَى فَوَائِدِ الشَّيْءِ . وَلَمْ يَسْتَعْنِ أَحَدٌ مِنْهُمْ
عَنهُ . وَقَدْ جَاءَ عَنِ الْقُدَمَاءِ وَأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ كُلِّ جِيلٍ مَا يُسْتَدَلُّ
بِهِ عَلَى شَرَفِهِ وَفَضْلِهِ وَمَوْقِعِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ بِكُلِّ لِسَانٍ . مِنْ ذَلِكَ مَا
قَالَ صَاحِبُ كَلِيلَةِ وَدِمْنَةٍ : الدُّنْيَا كَالْمَاءِ كُلَّمَا أَزْدَدْتَ مِنْهُ شُرْبًا
أَزْدَدْتَ مِنْهُ عَطَشًا . وَقَالَ : صُحْبَةُ الْأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ كَالزَّيْجِ إِذَا
مَرَّتْ عَلَى الْمُسْتَقِيمِ لَمْ تَنْتَهِ . وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى الطَّيِّبِ حَمَلَتْ طَيِّبًا .
وَقَالَ : مَنْ أَنْعَمَ لِمَنْ لَا يَشْكُرُ كَانَ كَمَنْ تَرَدَّدَ بَذْرُهُ فِي السِّبَاخِ .
وَقَدْ ظَنَنْتُ هَذَا الْمَعْنَى :

أَلَا إِنَّمَا التَّعْنَى تُجَاوِزُ بِمِثْلِهَا إِذَا كَانَ مُسْدَاهَا إِلَى مَا جِدَّ حَرِي
فَإِمَّا إِذَا كَانَتْ إِلَى غَيْرِ مَا جِدَّ فَقَدْ ذَهَبَتْ فِي غَيْرِ حَمْدٍ وَلَا شُكْرِ
إِذَا الْمَرْءُ أَلْقَى فِي السِّبَاخِ بُذُورَهُ أَضَاعَ فَلَمْ يَرْجِعْ بِزَرْعٍ وَلَا بِذَرٍ
وَقَالَ أَيْضًا : لَا يَنْجَحِي فَضْلُ ذِي الْعِلْمِ وَإِنْ أَخْفَاهُ كَالِإِلْمَسِ
يُجْبَأُ وَيُسَدَّرُ ثُمَّ لَا يَمْنَعُ ذَلِكَ رَائِحَتَهُ أَنْ تَفُوحَ . أَخَذَهُ الصَّاحِبُ فَكَتَبَ :
أَنْتَ آدَامَ اللَّهِ عِزَّكَ . وَإِنْ طَوَيْتَ عَنَّا خَدْرَكَ . وَجَعَلْتَ وَطَنَكَ وَطَرَكَكَ .

فَأَنْبَأُكَ تَأْتِيَا كَمَا وَشَى بِإِلْسَانِكَ رِيَاءُهُ . وَنَمَّ عَلَى الصَّاحِ حَيَّاهُ .
 وَقَالَ : الرَّجُلُ ذُو الْمُرُوءَةِ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالِهِ . كَأَلَّاسِ دِيهَابٍ وَإِنْ
 كَانَ رَافِضًا . وَالرَّجُلُ الَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يَهَانُ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا .
 كَأَلْكَلِبِ يَهُونُ عَلَى النَّاسِ وَإِنْ طُوقَ . وَقَالَ : لَا يَجِبُ لِلْمُذْنِبِ
 أَنْ يُفْحَصَ عَنْ أَمْرِهِ لِقَبْجٍ مَا يَنْكَشِفُ مِنْهُ كَالشَّيْءِ الْمُنْتِنِ كُلَّمَا أُثِيرَ
 أَزْدَادَ نَتَنًا . وَقَالَ أَيْضًا : مَنْ يَضَعِ الْمَعْرُوفَ لِعَاجِلِ الْخِزَاءِ فَهُوَ
 كَمُلْقِي الْحَبِّ لِلطَّيْرِ لَا لِيَنْفَعَهَا بَلْ لِيَصِيدَهَا بِهِ . وَقَالَ أَيْضًا : أَلْمَالُ إِذَا
 اجْتَمَعَ وَلَمْ يُصَرَفْ فِي الْحَقِّوْقِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْهَلَاكُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ كَأَلْمَاءِ
 إِذَا اجْتَمَعَ فِي مَوْضِعٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى التُّفُودِ تَفْجَرُ مِنْ جَوَانِبِهِ
 فَضَاعَ . وَقَالَ أَيْضًا : يَبْقَى الصَّالِحُ مِنَ الرِّجَالِ صَالِحًا حَتَّى يُصَاحِبَ
 قَاسِدًا فَإِذَا صَاحَبَهُ فَسَدَ مِثْلُ مِيَاهِ الْأَنْهَارِ تَكُونُ عَذْبَةً حَتَّى تُخَالِطَ
 مَاءَ الْبَحْرِ فَإِذَا خَالَطَتْهُ مَلَحَتْ . وَمِنْ التَّشَابِيهِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ جَعْفَرِ بْنِ
 مُحَمَّدٍ : الْأَدَبُ عِنْدَ الْأَحْمَقِ كَأَلْمَاءِ الْعَذْبِ فِي أَصُولِ الْخَنْظَلِ كُلَّمَا
 أَزْدَادَ رِيًّا أَزْدَادَ مَرَارَةً . وَمِنْ التَّشَابِيهِ الشَّرْعِيَّةِ الْبَدِيعَةِ قَوْلُ لَيْدٍ :
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْؤُهُ يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ
 وَمَا أَلْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَاعُ
 ثُمَّ قَالَ :

وَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفَنُهُ تَقَادُمُ عَهْدِ الْقَيْنِ وَالنَّضْلُ قَاطِعُ

وَقَوْلِ مَالِكِ بْنِ جَنَاحٍ الْعَبْسِيِّ :

أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ غَمْدٌ لِقَلْبِهِ وَلَا خَيْرَ فِي غَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَضْلُ

وَقَالَ مُتَمِّمٌ :

وَبَعْضُ الرِّجَالِ نَحْلَةٌ لَاجِنَى لَهَا وَلَا ظِلَّ إِلَّا أَنْ يُعَدَّ مِنَ النَّحْلِ
وَقَالَ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِيُّ :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الدُّخَانِ لَمْ تَجِدْ دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ فِي النُّعْمَانِ :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْأَنَامُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبٌ
وَمِنْ بَدِيعِ تَشَابِيهِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلَ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ :

وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلَ يَوْمَ ودَاعِهِ فَكَأَلِغْدِ يَوْمِ الرَّوْعِ فَارَقَهُ النَّصْلُ
وَكَقَوْلِ بَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَذَانِي :

قَدْ كَادَ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا

لَوْ كَانَ طَلَقَ الْحَيَا يُطِرُ الذَّهَبَا

وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخُنْ وَالشَّمْسُ لَوْ فَطَقَتْ

وَاللَّيْثُ لَوْ لَمْ يُصَدِّ وَالْجَرُّ لَوْ عَذَّبَا

وَالْمُسْتَبِي فِي وَصْفِ ظَنِي :

أَغْنَاهُ حُسْنُ الْحَيْدِ عَنْ لُبْسِ الْحُلِيِّ وَعَادَةُ الْعَرِيِّ عَنْ التَّقْضُلِ

كَأَنَّهُ مُضْغٌ بِصَنْدَلٍ

وَكَقَوْلِهِ فِي سُرْعَةِ الْأَوِيَّةِ وَتَقْلِيلِ اللَّبْثِ :

وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ يَبُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ أَمْتَسَاكًا

وَلَهُ قَوْلُهُ :

وَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لَوَاءُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدٌ

وَلَهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنْ جِنْسِ الْإِبْدَاعِ :

مَلِكٌ سِنَانٌ قَنَاطِهِ وَبَنَاطُهُ يَبَارِيَانِ دَمًا وَعَرَفًا سَاكِبًا
كَأَلْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ أَلْتَفَتْ رَأْيَتُهُ يَهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا تَاقِبًا
كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَغَوْهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا
كَالْجَرِّ يَقْدُفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا جُودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَابًا
وَكَثِيرًا مَا يَتَلَطَّفُ الشُّعْرَاءُ بِالنَّشِيبِ فَيُشَبِّهُونَ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ
بِشَيْئَيْنِ وَثَلَاثَةً . وَرُبَّمَا شَبَّهُوا شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ وَثَلَاثَةً بِثَلَاثَةٍ وَآرَبَعَةً
بِآرَبَعَةٍ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي الْفَرَسِ :

لَهُ أَهْلًا ظَلِي وَسَاقًا نَعَامَةً وَارْحَاءَ مِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَثْقُلِ
وَكَقَوْلِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ :

كَانَ مُثَارَ النَّعْرِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
وَلَا بِنِ الْمَعْتَرِ فِي تَشْبِيهِ حُبَابِ الرِّيحِ :
يَجُولُ حُبَابُ الرِّيحِ فِي جَنَابَاتِهَا كَمَا جَالَ دَمْعٌ فَوْقَ خَدِّ مُورِدٍ
وَلَا خَرَقْدَشَبَةَ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِأَرْبَعَةٍ :

لِلَّهِ طَرَسٌ عَنْ سَطُورٍ جَادَهَا م الْفِكْرُ السَّلِيمُ بِصَوْبِ مِنْكَ أَذْفَرِ
فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ أَوْ جَدُولٌ أَوْ سِمَطٌ دُرٌّ أَوْ قِلَادَةٌ غَنِيرِ
وَمِنْ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ التَّمْثِيلُ وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ تَشْبِيهًُا وَاحِدًا
مُقَيَّدًا بِقِيُودٍ وَيُظَنُّ أَنَّهَا تَشْبِيهَاتٌ مُجْمُوعَةٌ كَقَوْلِهِ :

كَأَنَّ أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةً فَلَمَّا رَجَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتِ
فَإِنَّ مُجَرَّدَ قَوْلِهِ : أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةً لَيْسَ تَشْبِيهًُا مُسْتَقِلًّا

بِذَاتِهِ. لِأَنَّ مَقْصُودَ الشَّاعِرِ أَنْ يَصِفَ أَتِدَاءَ مُطِيعٍ آدَى إِلَى أَنْتِهَاءِ
مُؤَيِّسٍ. وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِجُمْلَةٍ فَإِنَّ تَأْدِيَةَ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِهِ حُكْمٌ
زَائِدٌ عَلَى ذَاتِهِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنَ التَّشْبِيهِ ضَرْبًا يُسَمَّى الطَّرْدَ وَالْعَكْسَ. وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ
الْمُشَبَّهُ بِمُشَبِّهٍ وَالْمُشَبَّهُ مُشَبِّهًا بِهِ. وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ: غَلَبَةُ الْفُرُوعِ عَلَى
الْأَصُولِ. وَلَا تُجَدُّ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَاعْرَضُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ. كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:
وَبَدَا الصَّبَاحُ كَانَ غُرَّةً وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يَمْتَدَحُ
فَجَعَلَ الْأَصْلَ فُرْعًا وَالْفُرْعَ أَصْلًا. وَهَذَا أَبْلَغُ وَأَحْسَنُ وَاعْرَضُ
مِنْ تَشْبِيهِ الْوَجْهِ بِالصَّبَاحِ. لِأَنَّ تَشْبِيهِ الْوَجْهِ بِالصَّبَاحِ أَصْلٌ مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ لَا يُنْكَرُ وَلَا يُسْتَنْكَرُ. وَإِنَّمَا الَّذِي يُسْتَنْكَرُ تَشْبِيهُ الصَّبَاحِ
بِالْوَجْهِ

البحث العشرون

في معاييب التشبيه

(من المثل السائر لابن الاثير باختصار ونصرف)

وَإِذَا ذَكَرْنَا أَقْسَامَ التَّشْبِيهِ وَبَيَّنَّا الْحُدُودَ مِنْهَا الَّذِي يَنْبَغِي إِقْتِنَاءُ
آثَرِهِ وَاتِّبَاعُ مَذْهَبِهِ فَلْتَشْبِهُهُ بِضِدِّهِ بِمَا يَنْبَغِي اجْتِنَابُهُ وَالْإِضْرَابُ عَنْهُ.
عَلَى أَنَّهُ قَدْ قَدِّمْنَا الْقَوْلَ بِأَنَّ حَدَّ التَّشْبِيهِ هُوَ أَنْ يُثَبَّتَ لِلْمُشَبَّهِ
حُكْمٌ مِنْ لَحْكَامِ الْمَشَبِّهِ بِهِ. فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَوْ كَانَ
بَيْنَ الْمَشَبِّهِ وَالْمَشَبِّهِ بِهِ بُعْدٌ فَذَلِكَ الَّذِي يُطْرَحُ وَلَا يُسْتَعْمَلُ. وَالَّذِي
يُرَدُّ مِنْهُ مُضَرَّ الْأَدَاةِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي التَّوَسُّعِ. كَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

مَا لِرَجُلٍ أَمَّالٍ أَمَسَتْ تَشْتَكِي مِنْكَ الْكَلاَلَا
فَجَعَلَ لِلْمَالِ رِجَالًا وَذَلِكَ تَشْبِيهُ بَعِيدٌ. وَمِنْ أَقْبَحِ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ
ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نَمَامٍ :

وَتَعَلَّمَ النَّاسُ السَّخَاءَ مُجَزَّآ وَذَهَبَتْ أَنْتَ بِرَأْسِهِ وَسَنَامِهِ
وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الْإِهَابَ وَمَا بَقِيَ مِنْ فَرْثِهِ وَعُرُوقِهِ وَعِظْكَامِهِ
وَأَقْبَحُ الْقَاحِشِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي وَكُلُّ هَذَا التَّعْسُفُ فِي التَّشْبِيهِ
الْبَعِيدِ دَنَدَنَةٌ حَوْلَ مَعْنَى لَيْسَ بِطَائِلٍ. فَإِنَّ غَرَضَهُ أَنْ يَقُولَ : ذَهَبَتْ
بِالْأَعْلَى وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الْآدَتِي. أَوْ : ذَهَبَتْ بِالْحَيْدِ وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الرَّدِيَّ.
وَأَمَّا (التَّشْبِيهُ الْمَظْهَرُ الْآدَاةُ) فَهَذِهِ أَمْثَالٌ أوردتها لِتُسَدِّلَ بِهَا عَلَى
أَشْبَاهِهِ فَإِنَّ لِدِكْرِ الْمِثَالِ قَائِدَةً لَا تَكُونُ لِذِكْرِ الْحَدِّ وَحْدَهُ. فَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

لَا حَاجَتِكَ الشَّيْبُ حَتَّى كَانَهُ طِبَاءُ جَرَتْ مِنْهَا سَانِيحٌ وَبَارِحُ
وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ يَصِفُ الْبِهَامَ فَشَبَّهَا بِأَعْنَاقِ الطِّبَاءِ .
وَذَلِكَ مِنْ أَبْعَدِ التَّشْبِيهَاتِ :

كَسَاهَا رَطِيبُ الرِّيشِ فَأَعْدَكَتْ لَهُ قِدَاحٌ كَأَعْنَاقِ الطِّبَاءِ الْقَوَارِقِ
وَعَلَى نَحْوِ مَنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ جُرْبُ الْجَمَالِ بِهَا الْكُحِيلُ الْمُشْعَلُ
فَشَبَّ الرِّجَالُ فِي دُرُوعِ الزَّرْدِ بِالْجَمَالِ الْجُرْبِ. وَهَذَا مِنْ التَّشْبِيهِ
الْبَعِيدِ السَّخِيفِ فَضْلًا عَنْ أَنْ لَا مُقَارَبَةَ بَيْنَهُمَا فِي اللَّوْنِ. وَمِنْ التَّشْبِيهَاتِ
الْبَارِدَةِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَسَبِي :

وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ الْجَمِيعُ الْقَائِي فَكَأَنَّهُ النَّارُ تَجُّ فِي الْأَغْصَانِ
وَهَذَا تَشْبِيهُ يُكْرَهُ أَهْلُ التَّجْسِيمِ . وَقَدْ عَدُّوا مِنْ التَّشَابِيهِ الَّتِي
هِيَ غَيْرُ بَلِيغَةٍ قَوْلَ الشَّاعِرِ فِي وَصْفِ الرُّوضِ :

كَانَ شَقَاتِي التُّعْمَانِ فِيهِ ثِيَابٌ قَدْ رَوَيْنَ مِنَ الدِّمَاءِ
فَهَذَا وَإِنْ كَانَ تَشْبِيهًا مُضِيئًا فَإِنَّ فِيهِ بَشَاعَةً كَثْرَةُ الدِّمَاءِ
الَّتِي تَعَافُ الْأَنْفُسُ اللَّطِيفَةُ رُؤْيَاهَا . وَفِي أَقْوَالِ الْعَرَبِ تَشَابِيهُ
تَجَمُّهَا الْأَذْوَاقُ الصَّحِيحَةُ وَتَنْفَرُ مِنْهَا الطِّعَامُ السَّالِمَةُ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ
النَّابِغَةِ وَقَدْ عَابَهُ الْأَصْمَعِيُّ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ :

ظَلَمْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا ظَلَمْتُ الْمَرِيضَ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَدْ يُكْرَهُ تَشْبِيهُ الْمَدْحُوحِ بِالْمَرِيضِ . وَمِثْلُهُ
قَوْلُ أَبِي مَخْجَنٍ التَّقِيِّ فِي قِنَتِهِ :

وَتَرْجِعُ الْعُودَ أَحْيَاءًا وَتَحْفَظُهُ كَمَا يَطِيرُ ذُبَابُ الرُّوضَةِ الْعُرْدُ
فَإِنَّ الْقِنَتَةَ لَمْ تَرْضَ أَنْ تُشَبِّهَ نَفْسَهَا بِالذُّبَابِ . وَإِلِذَلِكَ رَغِبَ
الْمَوْلَدُونَ عَنْ تَشَابِيهِ الْعَرَبِ لِأَنَّهَا مَعَ عَقَادَةِ التَّرَكِيبِ لَمْ تُسْفِرْ عَنْ
كَبِيرِ أَمْرِ فَخَالَفُوهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الشِّعْرِ إِلَى مَا هُوَ أَلْيَقُ بِالْوَقْتِ
وَأَمْسُ بِأَهْلِهِ



البحث الحادي والعشرون

في المذهب الكلامي

(من شرح بديعة العيان لابن جابر الاندلسي باختصار)

(راجع صفحة ٢٨ من علم الادب)

الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ عِنْدَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ هُوَ إِرَادُ حُجَّةٍ لِلْمَطْلُوبِ
عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ . وَهُوَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ تَسْلِيمِ الْمَقَدِّمَاتِ
مُقَدِّمَةً مُسْتَلْزِمَةً لِلْمَطْلُوبِ . وَقِيلَ : هُوَ أَنْ يَأْتِيَ الْإِسْلَامُ فِي حُجَّةٍ
دَعَوَاهُ وَإِبْطَالِ دَعْوَى خَصْمِهِ بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ عَقْلِيَّةٍ تَصَحُّ نِسْبَتُهَا إِلَى
عِلْمِ الْكَلَامِ . إِذَا عِلْمُ الْكَلَامِ عِبَادَةٌ عَنْ إِثْبَاتِ أَصُولِ الدِّينِ
بِالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ الْقَاطِعَةِ . وَمِنْ أَوْضَحِ الشُّوَاهِدِ فِي هَذَا النَّوعِ
قَوْلُ الْقُرْآنِ : لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا .
فَهَذَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ . وَتَمَامُ الدَّلِيلِ أَنْ تَقُولَ
لَكِنَّمَا لَمْ تَفْسُدَا فَلَيْسَ إِذَا فِيهِمَا آلِهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ . وَمِنْ آثِمَةِ هَذَا
الْبَابِ قَوْلُ أَغْرَابِيٍّ لِرَجُلٍ : إِنِّي لَمْ أَرِدْ وَجْهِي عَنْ الطَّلَبِ إِلَيْكَ
فَصُنْ نَفْسَكَ عَنْ رَدِّي وَضَعْنِي مِنْ كَرَمِكَ بِحَيْثُ وَضَعْتَ نَفْسِي مِنْ
رَجَائِكَ . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ يَعْتَذِرُ إِلَى النُّعْمَانِ :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً	وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ
لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلِغْتَ عَنِّي خِيَاةً	لَمَّا لَيْلُكَ الْوَاثِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ
وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لِي جَانِبٌ	مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبٌ

مُلُوكُ وَإِخْوَانُ إِذَا مَا مَدَحْتَهُمْ أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ
كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ أَصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرْهَمْ فِي مَدَحِهِمْ لَكَ أَذْنُبُوا
يَقُولُ لِهَذَا أَلَمَّا : أَنْتَ أَحْسَنْتَ إِلَى قَوْمٍ قَدْ حُوكَ . وَأَنَا
أَحْسَنَ إِلَى قَوْمٍ قَدْ حَتُّهُمْ . فَكَمَا أَنْ مَدَحَ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ لَكَ
لَا يُعَدُّ ذَنْبًا فَكَذَا مَدَحِي لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ لَا يُعَدُّ ذَنْبًا . قَالَ ابْنُ أَبِي
الْأَضَمِّ : وَمِنْ شَوَاهِدِ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

لِكُلِّ أَمْرٍ نَفْسَانِ نَفْسٌ كَرِيمَةٌ وَنَفْسٌ يُعَاصِيهَا الْفَتَى وَيُطِيعُهَا
وَنَفْسُكَ مِنْ نَفْسِكَ تَشْفَعُ لِلنَّدَى إِذَا قَلَّ مِنْ أَخْرَارِهِمْ شَفِيعُهَا
يَقُولُ : لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسٌ مُطِيعَةٌ تَأْمُرُ بِالْخَيْرِ . وَنَفْسٌ أَمَارَةٌ
تَأْمُرُ بِالسُّوءِ . وَالْإِنْسَانُ يُعَاصِي الْأَمَارَةَ مَرَّةً وَيُطِيعُهَا أُخْرَى . وَأَنْتَ
إِذَا أَمَرْتَكَ الْأَمَارَةُ بِتَرْكِ النَّدَى شَفَعَتِ الْمُطِيعَةُ إِلَيْهَا فِي النَّدَى
فِي الْحَالَةِ الَّتِي يَقِلُّ فِيهَا الشَّفِيعُ فِي النَّدَى مِنَ النَّفُوسِ . فَأَنْتَ
أَكْرَمُ النَّاسِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ قِيَاسَ الْمَنْهَبِ الْكَلَامِيِّ إِمَّا حَلِّيٌّ . وَإِمَّا شَرْطِيٌّ .
فَالْأَقْسَى الْخَمَلِيَّةُ قَدْ اسْتَبْطُوهَا عَلَى صَوْرٍ : مِنْهَا مَا يُرْوَى أَنَّ أَبَا دُلْفَ
قَصَدَهُ شَاعِرٌ تَمِيزِي . فَقَالَ لَهُ : يَمُنُّ أَنْتَ . فَقَالَ مِنْ تَمِيمٍ . فَقَالَ
أَبُو دُلْفَ :

تَمِيمٌ بِطَرَقِ اللَّوْمِ أَهْدَى مِنْ أَلْطَا وَلَوْ سَلَكَ سُبُلَ الْهَدَايَةِ ضَلَّتْ
فَقَالَ لَهُ التَّمِيزِي : نَعَمْ بِتِلْكَ الْهَدَايَةِ جِئْتُ إِلَيْكَ . فَافْحَهُ بِدَلِيلِ
خَمَلِيَّةِ الزَّهَةِ فِيهِ أَنَّ الْحَيَّ إِلَيْهِ ضَالَالٌ . وَلَعَرِيَّ إِنَّ الْقِيَاسَ الشَّرْطِيَّ

أَوْضَحُ دَلَالَةٍ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ غَيْرِهِ وَأَعَذَبُ فِي الذَّوْقِ وَأَسْهَلُ
فِي التَّرْكِيبِ . فَإِنَّهُ جُمْلَةٌ وَاقِعَةٌ بَعْدَ (لَوْ) وَجَوَابُهَا . وَمَعْنَاهُ الْجُمْلَةُ عَلَى
أَصْطِلَاحِهِمْ مُقَدِّمَةٌ شَرْطِيَّةٌ مُتَّصِلَةٌ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْحُكْمِ
كَمَا جَاءَ : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ (يُرِيدُ أُمُورَ الْآخِرَةِ) لَضَحِكْتُمْ
قَلِيلًا وَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا . وَتَمَّ الدَّلِيلُ أَنْ يُقَالَ : لَكِنَّكُمْ ضَحِكْتُمْ
كَثِيرًا وَبَكَيْتُمْ قَلِيلًا فَلَمْ تَعْلَمُوا مَا أَعْلَمُ

وَلَقَدْ زَادُوا عَلَى هَذَيْنِ الْقِيَاسَيْنِ الْقِيَاسَ الْفِقْهِيَّ وَذَلِكَ أَنْ يُقَاسَ
فَرْعٌ عَلَى أَصْلِ بِجَامِعٍ بَيْنَهُمَا فِيلْزَمُ لِلتَّسَاوِي فِي الْحُكْمِ . كَمَا يُحْكَمُ
أَنَّ الْوَلِيدَ قَالَ لِبَعْضِهِمْ : أَنْشِدْ مِنْ قَوْلِكَ فِي الْخَمْرِ . فَأَنْشَدَهُ :

كُنَيْتَ إِذَا نُحِتَ وَفِي الْكَأْسِ وَرَدُّهَا

لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبُ

ثُرَيْكُ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونُهُ

لَوْجُهُ أَخِيهَا فِي الْإِنَاءِ قُطْرُبُ

فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : ثَمَرِيَّتَهَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ . فَقَالَ : لَيْنٌ كَانَ

وَصَفِي لَهَا رَأَبُكَ لَقَدْ رَأَيْتُ مَعْرِفَتَكَ بِهَا . (يَقُولُ) : كَمَا أَنَّ مَعْرِفَتِي

بِوَضْعِهَا رَأَبُكَ كَذَلِكَ مَعْرِفَتُكَ بِهَا رَأَبِي



الفصل الخامس

في محاسن الانشاء ومعاييه

البحث الاول

في تميز الكلام جيده من رديئه ونادره من بارده

(عن كتاب الصناعتين للعسكري باختصار)

(راجع صفحة ٥١ من علم الادب)

اَلْكَلَامُ اَيْدِكَ اَللهُ يَحْسُنُ بِسَلَاسَتِهِ وَسُهُولَتِهِ وَنَصَاعَتِهِ وَتَحْسِينِ
لَفْظِهِ وَاصَابَةِ مَعْنَاهُ وَجُودَةِ مَقَاطِعِهِ وَلِينِ مَعَاظِهِ وَاسْتِرَآءِ تَقَاسِيْمِهِ
وَتَعَادُلِ اطْرَافِهِ وَتَشْبِيهِ اَعْجَازِهِ بِهَوَادِيهِ وَمُوَافَقَةِ مَا خِيَرَهُ لِمَبَادِيهِ مَعَ
قَلَّةِ ضَرُورَاتِهِ بَلْ عَدَمِهَا اَصْلَاحَتِي لَا يَكُونُ لَهَا فِي اَلْاَلْفَاظِ اَثَرٌ .
فَتَجِدُ اَلْمَنْظُومَ مِثْلَ اَلْمُنْثَوْرِ فِي سُهُولَةِ مَطْلَعِهِ وَجُودَةِ مَقْطَعِهِ وَحُسْنِ
رَضْفِهِ وَتَأْلِيْفِهِ وَكَمَالِ صَوْنِهِ وَتَرْكِيبِهِ . فَاِذَا كَانَ اَلْكَلَامُ كَذَلِكَ
كَانَ بِاَلْقَبُولِ حَقِيْقًا وَبِاَلتَّحْفُظِ خَلِيْقًا كَقَوْلِ الْاَوَّلِ :

هُمْ الْاَوَّلَى وَهَبُوا لِلْحَجْدِ اَنْفُسَهُمْ قَمَا يُيَالُونَ مَا تَالُوا اِذَا حُجِدُوا
وَقَوْلِ مَعْنِ بْنِ اَوْسٍ :

لَعَنُوكَ مَا اَهْدَيْتُ كَفْيِي لِرِيَّةٍ وَلَا حَمَلْتَنِي نَحْوَ فَاِحْشَةٍ رِجْلِي
وَلَا قَادَنِي سَمْعِي وَلَا بَصْرِي لَهَا وَلَا دَلَّنِي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلَا عَقْلِي
وَاَعْلَمُ اَنِّي لَمْ تُصِْبْنِي مُصِيبَةٌ مِنْ الدَّعْرِ اِلَّا قَدْ اَصَابَتْ فِتْنِي قَبْلِي

وَلَسْتُ بِمَا شِ مَا حَيِّتُ لِمُسْكِرٍ مِنْ الْأَمْرِ لَا يَمِشِي إِلَى مِثْلِهِ مِثْلِي
وَلَا مُؤَيِّرٍ نَفْسِي عَلَى ذِي قَرَابَةٍ وَأُوَيِّرُ ضَيْفِي مَا أَقَامَ عَلَى أَهْلِي
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغَنَى إِذَا كَانَتْ أَعْلِيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ
وَقَالَ الْآخِرُ :

ذَرِينِي أَسِيرٌ فِي الْبِلَادِ لَعَلِّي أَصِيبُ غَنًى فِيهِ لَدَى الْحَقِّ مُجْمَلٌ
فَإِنْ تَحَنُّنٌ لَمْ نَسْطِيعْ دَفْعًا لِحَادِثِ تَحِيُّ بِهِ الْأَيَّامُ فَالْصَّبْرُ أَجْمَلٌ
أَلَيْسَ كَثِيرًا أَنْ تُبْلِمَ مُلِمَةً وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحَقِّ مَعْوَلٌ
وَبِمَا هُوَ فَصِيحٌ فِي لَفْظِهِ جَيِّدٌ فِي رَصْفِهِ قَوْلُ الشَّنْفَرِيِّ :

أُطِيلُ وَطَالَ الْجُوعُ حَتَّى أُمِيتَهُ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الْقَلْبَ صَفْحًا فَيَنْتَهَلُ
وَلَوْ لَا اجْتِنَابُ الْعَارِ لَمْ يُلَفَّ مَشْرَبٌ يُمَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيْ وَمَا كُلُّ
وَلَكِنْ نَفْسًا مُرَّةً لَا تُقِيسُنِي عَلَى الضَّمِّ إِلَّا رَيْثًا أَتَحْوَلُ
وَقَوْلِ آخِرِ :

إِذَا أَنْتَ تَشْرَبُ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلِمْتَ وَآيُ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَمَا إِنْ قَتَلْنَاهُمْ بِأَكْثَرِ وَنَهُمُ وَلَكِنْ يَا وَفَى لِلطَّعَانِ وَآكُرَمَا
وَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَرٍّ أَخَا لَا تُلْمُهُ عَلَى شَعَثِ آيِ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ
وَلَيْسَ لِهَذَا أَلَيْتِ تَخْيِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : تَخْيِيرُهُ
قَوْلُ أَوْسِ بْنِ حُجْرٍ :

وَلَسْتُ بِجَائِيٍّ أَبَدًا طَعَامًا حِذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ
وَهَذَا وَإِنْ كَانَ ظَيَرُهُ فِي التَّأْلِيفِ فَإِنَّهُ دُوَّةٌ لِمَا تَكَرَّرَ فِيهِ مِنْ
لَفْظِ غَدٍ . فَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ قَدْ جَمَعَ الْعَذُوبَةَ وَالْجَزَالََّةَ وَالسُّهُوَّةَ
وَالرَّصَاةَ مَعَ السَّلَاسَةِ وَالنَّصَاعَةِ . وَاشْتَمَلَ عَلَى الرُّوتِقِ وَالطَّلَاوَةِ .
وَسَلِمَ مِنْ سَخَفِ التَّأْلِيفِ . وَبَعْدَ مِنْ سَمَاجَةِ التَّرَكِيبِ . وَرَدَّ عَلَى
أَلْفِهِمُ الثَّاقِبِ قَبْلَهُ وَلَمْ يَرُدَّهُ . وَعَلَى السَّمْعِ الْمَصِيبِ أَسْتَوْعَبَهُ وَلَمْ
يُجِبْهُ . وَالنَّفْسُ تَقْبَلُ اللَّطِيفَ وَتَتَّبِعُ عَنِ الْغَلِيزِ وَتَقْلَقُ مِنَ الْجَائِيِّ
أَلْبَشِعِ . وَجَمِيعُ جَوَارِحِ الْبَدَنِ وَحَوَاسِيهِ يَسْكُنُ إِلَى مَا يُوَاقِعُهُ وَيَنْفِرُ
عَمَّا يُضَادُّهُ وَيُخَالِفُهُ . وَالْعَيْنُ تَأْتِي الْحَسَنَ وَتَقْذِي بِالْقَبِيحِ . وَالْأَنْفُ
يَرْتَاحُ لِلطَّيِّبِ وَيَنْضَرُّ لِلْسَّيِّئِ . وَالْفَمُ يَلْتَذُّ بِالْحَلْوِ وَيَسْجُ الْمُرِّ . وَالسَّمْعُ
يَتَشَوَّقُ لِلصَّوَابِ الرَّائِعِ وَيَذْوِي عَنِ الْجَهْرِ الْهَائِلِ . وَالْيَدُ تَنْعَمُ
بِالَّذِينَ وَتَتَأَذَى بِالْحَسَنِ . وَالْقَمُ يَأْنَسُ مِنَ الْكَلَامِ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَسْكُنُ إِلَى الْمَأْلُوفِ وَيُضْغِي إِلَى الصَّوَابِ وَيَهْرُبُ مِنَ الْحَالِ وَيَنْقَبِضُ
عَنِ الْوَحْمِ وَيَتَأَخَّرُ عَنِ الْجَائِيِ الْغَلِيزِ . وَلَا يَقْبَلُ الْكَلَامَ الْمَضْطَرِبَ
إِلَّا أَلْفِهِمُ الْمَضْطَرِبُ وَالرُّوْيَةُ الْقَاسِدَةُ . وَلَيْسَ الشَّانُ فِي إِيرَادِ أَلْمَعَانِي
لِأَنَّ أَلْمَعَانِي يَرِفُهَا الْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ وَالْقُرَوِيُّ وَالْبَدَوِيُّ وَإِنَّمَا هُوَ فِي
جُودَةِ اللَّفْظِ وَصِفَاتِهِ وَحُسْنِهِ وَبِهَانِهِ وَتَرَاهِيهِ وَنَقَائِهِ وَكَثْرَةِ طُلَاوَتِهِ
وَمَانِهِ مَعَ صِحَّةِ السَّبْكِ وَالتَّرَكِيبِ وَالْحُلُوفِ مِنْ أَوْدِ النَّظْمِ وَالتَّأْلِيفِ
وَلَيْسَ يُطْلَبُ مِنَ أَلْمَعْنَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَوَابًا . وَلَا يُشْمَعُ مِنَ اللَّفْظِ
بِذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ نُفُوتِهِ الَّتِي نَقَدَّمْتُ . إِلَّا تَرَى

إلى قول حبيب :

سُتْسَلِمَ لِلَّهِ سَائِسُ أُمَّةٍ بِذَوَى تُجْهَضُهَا لَهُ أَسْتِسْلَامُ
فِيهِ صَوَابُ اللَّفْظِ وَلَيْسَ هُوَ بِحَسَنِ وَلَا مَقْبُولٍ . وَمَنْ الدَّلِيلُ عَلَى
أَنْ مَدَارَ الْبَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ أَنَّ لَخُطْبَ الرَّائِعَةِ وَالْأَشْعَارِ الرَّائِعَةِ
مَا عُمِلَتْ لِإِفْهَامِ الْمَعَانِي فَقَطْ لِأَنَّ الرَّدِّيَّ مِنْ الْأَلْفَازِ يَقُومُ مَقَامُ
جَيِّدِهَا فِي الْإِفْهَامِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ حُسْنُ الْكَلَامِ وَإِحْكَامُ صَنْعَتِهِ
وَرَوَتْهُ الْأَفَازُ وَجُودَةُ مَطَالِعِهِ وَحُسْنُ مَقَاطِعِهِ وَبَدِيعُ مَبَادِيهِ وَغَرِيبُ
مَبَانِيهِ عَلَى فَضْلِ قَائِمِهِ وَفَهْمِ مُنْشِئِهِ . وَاسْكُرْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ تَرْجِعُ
إِلَى الْأَلْفَازِ دُونَ الْمَعَانِي . وَتَوْخِي صَوَابِ الْمَعْنَى أَحْسَنُ مِنْ تَوْخِي
هَذِهِ الْأُمُورِ فِي الْأَلْفَازِ . فَلِهَذَا تَأْتَى الْكَاتِبُ فِي الرِّسَالَةِ وَالْخُطْبِ
فِي الْخُطْبَةِ وَالشَّاعِرُ فِي الْقَصِيدَةِ وَهُمْ يَبَالِغُونَ فِي تَجْوِيدِهَا . وَيَعْلُونَ فِي
تَرْتِيلِهَا لِيَسْدُلُوا عَلَى بَرَاعَتِهِمْ وَحَذَقِهِمْ بِصَنَاعَتِهِمْ . وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ فِي
الْمَعَانِي لَطَرَحُوا أَكْثَرَ ذَلِكَ فَزَجَّجُوا كَذَا كَثِيرًا وَأَسْقَطُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ
تَعْبًا طَوِيلًا . وَلِهَذَا دَلِيلٌ آخَرُ : أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَانَ لَفْظُهُ حُلُوءًا عَذْبًا
وَسَلِسًا سَهْلًا وَمَعْنَاهُ وَسْطًا دَخَلَ فِي جُمْلَةِ الْحَيْدِ وَجَرَى مَعَ الرَّائِعِ النَّادِرِ
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَزْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَارِيِّ رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْقَادِي الَّذِي هُوَ رَانِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَتَنَّا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
وَلَيْسَ تَحْتَ هَذِهِ الْأَلْفَازِ كَيْدٌ غَنَى وَهِيَ رَائِعَةٌ مُخِجَةٌ . وَإِنَّمَا

هِيَ : وَلَمَّا قَضَيْنَا الْحَجَّ وَمَسَحْنَا الْأَرْكَانَ وَشُدَّتْ رِحَالُنَا عَلَى مَهَازِلِ
الْأَيْلِ وَلَمْ يَنْتَظِرْ بَعْضُنَا بَعْضًا جَعَلْنَا نَحْدَثُ وَتَسِيرُ بِنَا الْأَيْلُ فِي
بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ . وَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى صَوَابًا وَاللَّفْظُ بَارِدًا وَفَاتِرًا وَالْقَائِرُ
شَرًّا مِنَ الْبَارِدِ كَانَ مُسْتَهْجَبًا مَلْفُوظًا وَمَذْمُومًا مَرْدُودًا . وَالْبَارِدُ مِنْ
الشَّعْرِ كَقَوْلِ عُمَرَ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ :

قَدْ عَلِمْتَ سَلَمِي وَجَارَاتِهَا مَا قَطَرَ الْفَارِسُ إِلَّا أَنَا
شَكَتُ بِالزُّمَحِ بِرَايِلِهِ وَلِلخَيْلِ تَعْدُوزِيَا حَوْلَنَا
وَقَوْلِ أَبِي الْقَتَاهِيَةِ :

مَاتَ وَاللَّهُ سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ رَجِمَ اللَّهُ سَعِيدَ بْنَ وَهَبٍ
يَا أَبَا عُثْمَانَ أَبَكَيْتَ عَيْنِي يَا أَبَا عُثْمَانَ أَوْجَعْتَ قَلْبِي
وَلَا خَيْرَ فِي الْعَالِي إِذَا اسْتُكْرِهَتْ قَهْرًا وَفِي الْأَلْقَاطِ إِذَا جَرَتْ
قَسْرًا . وَلَا خَيْرَ فِيهَا أُجِيدَ لَفْظُهُ إِذَا سَخِفَ مَعْنَاهُ . وَلَا فِي غَرَابَةِ الْمَعْنَى
إِلَّا إِذَا شُرِفَ لَفْظُهُ مَعَ وَضُوحِ الْمَعْنَى وَظُهُورِ الْمَقْصِدِ . وَقَدْ غَلَبَ
الْجَهْلُ عَلَى قَوْمٍ فَصَارُوا يَسْتَحْيِدُونَ الْكَلَامَ إِذَا لَمْ يَقْتُوا عَلَى مَعْنَاهُ
بِكَدِّ وَيَسْتَفْصِحُونَهُ إِذَا وَجَدُوا الْقَاظَةَ كَرْزَةً غَلِيظَةً وَجَاسَةً غَرِيبَةً .
وَيَسْتَحْقِرُونَ الْكَلَامَ إِذَا رَأَوْهُ سَلِسًا عَذْبًا وَسَهْلًا حُلُومًا . وَلَمْ يَعْلَمُوا
أَنَّ السَّهْلَ أَمْنَعُ جَانِبًا وَأَعَزُّ مَطْلَبًا وَهُوَ أَحْسَنُ سَوَقًا وَأَعَذْبُ مُسْتَمَاعًا
وَلِهَذَا قِيلَ : أَحْوَدُ الْكَلَامِ السَّهْلُ الْمُسْتَعِ . وَصَفَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ عُمَرَ
ابْنَ مَسْعَدَةَ فَقَالَ : هُوَ أَبْلَغُ النَّاسِ . وَمِنْ بَلَغَتِهِ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَظُنُّ
أَن يَكْتُبُ مِثْلَ كُتُبِهِ فَإِذَا رَامَهَا تَعَدَّرَ عَلَيْهِ . حَدَّثَنَا أَحْسَنُ بْنُ

مُخَلِّدٍ قَالَ : أَنَشَدَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ لِخَالِهِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :
 إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ وَإِنْ سُئِلَ لَمْ يَنْدُلْ وَإِنْ عُوتِبَ لَمْ يُعْتَبِ
 صَبٌّ بِعِصْيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي لَا تَشْرَبِ الْبَكَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ
 ثُمَّ قَالَ : هَذَا الشِّعْرُ الْحَسَنُ الْمَعْنَى السَّهْلُ اللَّفْظُ الْعَذْبُ الْمُسْتَعْمَلُ
 الْقَلِيلُ النَّظِيرُ الْغَزِيرُ التَّشْبِيهُ الْمَطْبِعُ الْمُسْتَعْمَلُ الْبَعِيدُ مَعَ قُرْبِهِ الصَّغْبُ
 فِي سُهُولَتِهِ. (قَالَ) فَجَعَلْنَا نَقُولُ : هَذَا الْكَلَامُ لِحَسَنٍ مِنْ شِعْرِهِ . وَمِنْ
 الْكَلَامِ الْمَطْبُوعِ السَّهْلِ مَا وَقَعَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى : قَدْ بَلَّغْتُكَ
 أَقْصَى طَلَبِكَ وَأَتْلُوكَ غَايَةَ بُحَيْثِكَ وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ تَسْتَقِلُّ كَثِيرِي
 لَكَ وَتَسْتَفْجِحُ حَسَنِي فِيكَ . فَأَنْتَ كَمَا قَالَ رُوَيْبَةُ :

كَأَلْهَوْتِ لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهُ يُضِجُ ظَنَانٌ وَفِي الْبَحْرِ قَمَّةٌ
 وَمِنْ الْمَنْظُومِ الْمَطْبُوعِ قَوْلُ الْبُخَّارِيِّ :

أَيُّهَا الرَّائِبُ الَّذِي طَلَبَ الْجَوْ
 رِدَ حِيَاضِ الْإِمَامِ تَلَقَّ نَوَالَا
 هُوَ أُنْدَى مِنَ الْعَمَامِ وَأَوْحَى
 يَتَوَخَّى الْإِحْسَانَ قَوْلًا وَفِعْلًا
 فَضَّلَ اللَّهُ جَعْفَرًا بِجِلَالِ
 وَارَى الْحَجْدَ بَيْنَ عَارِقَةٍ مِنْكَ م تَرْجَى وَعَزَمَةٍ مِنْكَ تَمُضَى
 وَقَوْلُهُ :

خَلَقَ اللَّهُ جَعْفَرًا قِيمَ الدُّنْيَا م سَدَادًا وَقِيمَ الدِّينِ رُشْدًا
 أَكْرَمَ النَّاسُ شَيْئَةً وَأَتَمَّ م النَّاسُ حِلْمًا وَأَكْثَرَ النَّاسِ رِفْدًا

هُوَ بَحْرُ السَّمَاحِ وَالْجُودِ فَازْدَدَ مِنْهُ قُرْبًا تَرَدَّدَ مِنَ الْفَقْرِ بَعْدًا
يَا نَمَالَ الدُّنْيَا عَطَاءٌ وَبَذَلٌ وَكَمَالَ الدُّنْيَا سَنَاءٌ وَمَجْدًا
إِنِّ عُمَرَ الزَّمَانِ حَتَّى تُؤَدِّي شُكْرَ إِحْسَانِكَ الَّذِي لَا يُؤَدِّي
وَأَمَّا الْجَزَلُ الْمُخْتَارُ مِنَ الْكَلَامِ فَهُوَ الَّذِي تَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ إِذَا
سَمِعَتْهُ وَلَا تَسْتَعْمِلُهُ فِي مُحَاوَرَاتِهَا . فَمِنْ الْجَزَلِ الْحَيِّدِ الْمُخْتَارِ قَوْلُ مُسْلِمٍ :
وَرَدَّ نَارِ وَاقِ الْفَضْلِ فَضْلُ بْنُ جَعْفَرٍ فَحَطَّ إِلَيْنَا الْجَزَلُ فَأَنِلَهُ الْجَزَلُ
بِكَفِّي أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَمَطَّرُ الْغَنَى وَيُسْتَذَلُّ النُّعْمَى وَيُسْتَرْعَفُ النَّضْلُ
وَيُسْتَعْطَفُ الْأَمْرُ الْآلِيُّ بِجَزْمِهِ إِذَا الْأَمْرَ لَمْ يَطِغْهُ نَقْضٌ وَلَا قَتْلُ
وَبِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ الْمُرَّارِ الْفَقْعِيِّ :
لَا تَسْأَلِي الْقَوْمَ عَنْ مَالٍ وَكَثْرَتِهِ قَدْ يُثْبِرُ الْمَرْءُ يَوْمًا وَهُوَ مُحْمُودُ
أَمْضِي عَلَى سُنَّةٍ مِنَ وَالِدِي سَلَفَتْ وَفِي أَرْوَمَتِهِ مَا يُنَبِّتُ الْعُودُ
فَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ كَلَامِ الْعَامَّةِ فَإِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ الْغَرَضَ
وَيَقْفُونَ عَلَى أَكْثَرِ مَعَانِيهِ لِحُسْنِ تَرْتِيلِهِ وَجُودَةِ نَسْجِهِ
وَمِنْ النَّثْرِ قَوْلُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ : أَعْطَانَا اللَّهُمَّ فَاسْرَفَ . ثُمَّ
عَطَفَ عَائِنًا فَعَسَفَ . وَقَوْلُ سَعِيدِ بْنِ حَمِيدٍ : وَأَنَا مَنْ لَا يُحَاجُّكَ
عَنْ نَفْسِهِ . وَلَا يُعَالِطُكَ عَنْ جُرْمِهِ . وَلَا يُلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ .
وَلَا يَسْتَدْعِي بِرِّكَ إِلَّا مِنْ طَرِيقَتِهِ . وَلَا يَسْتَعْطِفُكَ إِلَّا بِالْأَقْرَارِ
بِالذَّنْبِ . وَلَا يَسْتَمِيلُكَ إِلَّا بِالْاعْتِرَافِ . نَبَتْ بِي عَنْكَ غِرَّةُ الْحَدَاثَةِ .
وَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ الْحُنُكَةُ . وَبَاعَدْتَنِي مِنْكَ الْبَقَّةُ بِالْأَيَّامِ فَادَّتْنِي
إِلَيْكَ الضَّرُورَةُ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْتَقْبَلَ الصَّنِيعَةَ بِقَبُولِ الْعُذْرِ

وَتُجَدِّدُ النِّعْمَةَ بِإِطْرَاحِ الْحَقْدِ فَإِنَّ قَدِيمَ الْحَرَمَةِ وَحَدِيثَ التَّوْبَةِ يَنْحَقَانِ
مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِسَاءَةِ . فَإِنَّ أَيَّامَ الْقُدْرَةِ وَإِنْ طَالَتْ قَصِيدَةً وَالْمُنْعَةَ
بِهَا وَإِنْ كَثُرَتْ قَلِيلَةً فَعَلَتْ . وَفِي هَذَا الْكَلَامِ وَمَا قَبْلَهُ قُوَّةٌ فِي
سُهُولَةٍ . وَمِمَّا هُوَ أَجْزَلُ مِنْ هَذَا قَوْلُ الشَّعْبِيِّ لِلنَّحَّاجِ وَأَرَادَ قَوْلَهُ
لِخُرُوجِهِ عَلَيْهِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ : أَجَدَبَ بِنَا الْجَنَابُ وَأَحْزَنَ بِنَا الْمَزَلُ
وَأَسْتَحْلَسْنَا الْحَذَرَ وَانْتَحَلْنَا السَّهْرَ . وَأَصَابَنَا فِتْنَةٌ وَلَمْ نَكُنْ فِيهَا بِرَدَّةٍ
أَنْقِيَاءَ وَلَا فَجْرَةً أَقْرِيَاءَ . فَعَفَا عَنْهُ . وَأَجُودُ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ جَزْلاً
سَهْلاً لَا يَنْغَلِقُ مَعْنَاهُ وَلَا يُسْتَبْهِمُ مَقْرَآهُ . وَلَا يَكُونُ مَكْدُوداً مُسْتَكْرَهاً
وَمُتَوَعِراً مُتَعَعِراً . وَيَكُونُ بَرِيئاً مِنَ الثَّمَانَةِ عَارِياً مِنَ الرَّثَائَةِ .
وَالْكَلَامُ إِذَا كَانَ لَفْظُهُ غَثًّا وَمَعْرِضُهُ رَثًّا كَانَ مَرْدُوداً وَلَوْ أُخْتَوِيَ
عَلَى أَجَلٍ . مَعْنَى وَأَنْبَلِهِ وَأَرْفَعِهِ وَأَفْضَلِهِ كَقَوْلِهِ :

لَمَّا أَطْعَمْنَاكُمْ فِي سُحُطٍ خَالِقِنَا لَا شَكَّ سُلَّ عَلَيْنَا سَيْفُ نِقْمَتِهِ
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

أَرَى رِجَالاً بِأَذْنَى الدِّينِ قَدْ قَنِعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالدُّونِ
فَأَسْتَعْنِ بِالَّذِينَ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا مِ اسْتَعْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ
وَلَا يَدْخُلُ هَذَا فِي جُمْلَةِ الْخُتَارِ وَمَعْنَاهُ كَمَا تَرَى بَيْلٌ فَاضِلٌ
جَلِيلٌ . وَأَمَّا أَجْزَلُ الرَّدِيِّ : الْقَمْحُ الَّذِي يَنْبَغِي تَرْكُ اسْتِعْمَالِهِ فَمِثْلُ قَوْلِ
تَابَطُ شَرًّا وَكَانَ خَرَجَ مَعَ صَاحِبَيْنِ لَهُ قَتِيلًا فِي الْغَزْوِ وَرَجَعَ هُوسَالِمًا :
إِذَا مَا تَرَكْتُ صَاحِبِي لِثَلَاثَةِ أَوْ اثْنَيْنِ مِثْلَيْنَا فَلَا أُبْتُ آمِنًا
وَلَمَّا سَعِيفَتُ الْأُصُصُ تَدْعُو تَفْقَرَتْ عَصَافِيدُ رَأْسِي مِنْ غَوَاةٍ فُرَاتِنَا .

وَحُشِثَتْ مَشْغُوفَ الْجَاءِ كَأَنِّي هَجَفْتُ رَأَى قَصْرًا سِمَاكََا وَدَاجِنَا
 مِنْ لُحْصِ هَزْرُوفٍ كَانَ عَفَاءُهُ إِذَا اسْتَدْرَجَ الْفَيْقَا وَمَدَّ الْمَغَابِنَا
 أَرْجَ زُلُوجٍ هَزْرَفِي زَفَازِفٍ هَزَفُ يَدِ النَّاجِيَاتِ الصَّوَاغِفَا
 فَهَذَا مِنَ الْحَزْلِ الْبَغِيضِ الْخَلْفِ الْقَاسِدِ الشَّجِيعِ الْقَبِيحِ الرُّضْفِ
 الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُجَنَّبَ مِثْلُهُ وَتَمَيِّزُ الْأَلْفَاظِ شَدِيدٌ . وَلَوْلَا كَرَاهَةُ
 الْأِطَالَةِ وَتَخَوُّفُ الْإِمْلَالِ لَزِدْتُ مِنْ هَذَا التَّنَوُّعِ وَلَكِنْ يَكْفِي مِنْ
 التَّجَرُّ جَرَعَةٌ . قَالُوا : وَجِيزُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَجَلَّ وَدَلَّ وَلَمْ يَمَلَّ

البحث الثاني

في التنبيه على خطأ المعاني وصوابها

(من كتاب الصناعتين للمسكري)

إِنَّ الْكَلَامَ الْفَظُّ تَشْتَبِلُ عَلَى مَعَانٍ تَدُلُّ عَلَيْهَا وَتُعَدُّ عَنْهَا
 فَيَحْتَاجُ صَاحِبُ الْبَلَاغَةِ إِلَى إِصَابَةِ الْمَعْنَى كَحَاجَتِهِ إِلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ .
 لِأَنَّ الْمَدَارَ بَعْدَ اللَّفْظِ عَلَى إِصَابَةِ الْمَعْنَى . وَالْمَعْنَى تَحُلُّ مِنَ الْكَلَامِ مَحَلًّا
 لَا أَبْدَانٍ وَالْأَلْفَاظُ تَجْرِي مَعَهَا تَجْرِي الْكُسُوفُ . وَمَرَّتَبَةٌ إِحْدَاهُمَا عَلَى
 الْأُخْرَى مَعْرُوفَةٌ وَمَنْ عَرَفَ تَرْتِيبَ الْمَعْنَى وَاسْتِعْمَالَ الْأَلْفَاظِ عَلَى
 وَجُوهِهَا بَاقِيَةً مِنَ اللُّغَاتِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى تَهَيَّأَ لَهُ فِيهَا مِنْ صَنَعَةِ
 الْكَلَامِ مِثْلُ مَا تَهَيَّأَ لَهُ مِنَ الْأَوَّلَى . أَلَا تَرَى أَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ
 الْكَاتِبَ اسْتَخْرَجَ أَمْثَلَةَ الْكِتَابَةِ الَّتِي رَسَمَهَا لِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ اللِّسَانِ
 الْقَارِئِينَ فَحَوَّلَهَا إِلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ . فَلَا يَكْمُلُ لِصِنَاعَةِ الْكَلَامِ
 إِلَّا مَنْ يَكْمُلُ لِإِصَابَةِ الْمَعْنَى وَتَضَمُّنِ اللَّفْظِ وَالْمَعْرِفَةِ بِوُجُوهِ الْإِسْتِعْمَالِ .

وَالْمَعَانِي عَلَى ضَرِيَيْنِ : ضَرْبٌ يَتَّسِدِعُهُ صَاحِبُ الصَّنَاعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ
يَكُونَ لَهُ إِمَامٌ يَقْتَدِي بِهِ فِيهِ أَوْ رُسُومٌ قَائِمَةٌ فِي أَمْثَلَةٍ مَائِلَةٍ يَعْمَلُ
عَلَيْهَا . وَهَذَا الضَّرْبُ رُبَّمَا يَقَعُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْخُطُوبِ الْخَادِثَةِ وَيُنَبِّهُهُ لَهُ
عِنْدَ الْأُمُورِ الطَّارِئَةِ . وَالْآخَرُ مَا يَحْتَدِيهِ عَلَى مِثَالِ تَقَدُّمِ وَرَسْمِ فُرُضٍ .
وَيَنْبَغِي أَنْ تُطْلَبَ الْإِصَابَةُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَتُتَوَخَّى فِيهِ الصُّورَةُ
الْمَقْبُولَةُ وَالْعِبَارَةُ الْمُسْتَحْسَنَةُ وَلَا يَتَّكِلَ فِيهَا أَتَكَرَّهُ عَلَى فَضِيلَةٍ
أَتِكَارِهِ إِيَّاهُ . وَلَا يَغْرُهُ أَتِدَاعُهُ لَهُ فَيَسَاهِلَ نَفْسَهُ فِي تَهْنِئِ
صُورَتِهِ فَيَنْهَبُ حُسْنَهُ وَيُطْمَسُ نُورُهُ وَيَكُونُ فِيهِ أَقْرَبُ إِلَى الدَّمِّ مِنْهُ
إِلَى الْحَمْدِ . وَالْمَعَانِي بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ : مِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ حَسَنٌ
نَحْوُ قَوْلِكَ : رَأَيْتُ زَيْدًا . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ قَبِيحٌ نَحْوُ قَوْلِكَ :
قَدْ زَيْدًا رَأَيْتُ . وَإِنَّمَا قَبِيحٌ لِأَنَّكَ أَفْسَدْتَ النِّظَامَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّلْخِيرِ .
وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ النِّظَمِ وَهُوَ كَذِبٌ مِثْلُ قَوْلِكَ : حَمَلْتُ الْجَبَلَ
وَشَرِبْتُ مَاءَ الْبَحْرِ . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُحَالٌ كَقَوْلِكَ : آتِيكَ أَمْسَ وَأَتَيْتُكَ
غَدًا . وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ فَاسِدٌ . وَلَيْسَ كُلُّ فَاسِدٍ مُحَالًا . أَلَا تَرَى أَنَّ
قَوْلَكَ : قَامَ زَيْدٌ . فَاسِدٌ وَلَيْسَ بِمُحَالٍ . وَالْمُحَالُ مَا لَا يَجُوزُ كَوْنُهُ
أَلَبَّةً كَقَوْلِكَ : الدُّنْيَا فِي يَاضَةٍ . وَأَمَّا قَوْلَكَ : حَمَلْتُ الْجَبَلَ وَأَشْبَاهَهُ
وَأَمْثَالَهُ فَكَذِبٌ . وَلَيْسَ بِمُحَالٍ إِنْ جَازَ أَنْ يُزِيدَ اللَّهُ فِي قُدْرَتِكَ
فَتَحْمِلَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ الْوَاحِدُ كَذِبًا مُحَالًا وَهُوَ قَوْلُكَ :
رَأَيْتُ قَاعِدًا قَائِمًا وَمَرَرْتُ بِقِظَانٍ نَائِمٍ . فَتَصِلُ كَذِبًا بِمُحَالٍ فَصَارَ
الَّذِي هُوَ الْكَذِبُ هُوَ الْمُحَالُ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا . وَإِنْ كَانَ لِكُلِّ

مِنْهَا . مَنَى عَلَى حِيَالِهِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ بَعْضَهَا عُقْدٌ بِبَعْضٍ حَتَّى صَارَا كَلَامًا
وَاحِدًا . وَمِنْهَا الْغَلَطُ وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : ضَرَبَنِي زَيْدٌ . وَأَنْتَ تُرِيدُ : ضَرَبْتُ
زَيْدًا . فَغَلِطْتَ . فَإِنْ تَعَدَّتْ ذَلِكَ كَانَ كَذِبًا . وَلِلْخَطَا صُورٌ مُخْتَلِفَةٌ
نَبَّهْتُ عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ وَبَيَّنتُ وَجُوهَهَا وَشَرَحْتُ أَبْوَابَهَا
لِتَقِفَ عَلَيْهَا فَتَجَنَّبَهَا كَمَا عَرَفْتُكَ بِوَضْعِ الصَّوَابِ لِتَعْتَبِدَهَا . وَلِيَكُونَ
فِيهَا أَوْرَدْتُ دَلَالَةً عَلَى أَمْثَالِهِ بِمَا تَرَكْتُ . وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْخَطَا كَانَ
جَدِيرًا بِالْوُقُوعِ فِيهِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْقَدِيمَ بِمَسْعَا
كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أَكَلِمُ آخِرًا
هَذَا مِنَ الْأَشْيَاءِ الْفَاسِدِ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ : كَلَمْتُ حَجْرًا فَلَمْ يُجِبْ
فَكَأَنَّهُ كَانَ حَجْرًا . وَالَّذِي جَاءَ بِهِ أَمْرُ الْقَيْسِ مَقْلُوبٌ . وَأَحْيَيْدُ قَوْلُ
كَثِيرٍ فِي أَمْرَةٍ :

قُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ صَبِيَةٍ إِذَا وَطَنْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ انْهَضْتُ مِنْ الصَّمِّ لَوْ تَمَشَّى بِهَا الْعُصْمُ ذَلَّتْ
فَشَبَّهَ الْمَرْأَةَ عِنْدَ السُّكُوتِ وَالتَّغَافُلِ بِالصَّخْرَةِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ أَحْمَرَ :
لَمْ يَذِرْ ، مَا نَسِجُ الْيَرَنْدَجِ قَبْلَهَا وَدِرَاسَ آعُوصِ دَارِسٍ مُتَجَدِّدِ
ظَنَّ أَنَّ الْيَرَنْدَجَ يَنْسِجُ . وَالْيَرَنْدَجُ جِلْدٌ أَسْوَدٌ يُغَسَّلُ مِنْهَا
الْخِفَافُ فَارِيئِي مُرَبٌّ وَأَصْلُهُ : رَنَدَهُ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَوْسٍ بْنِ حَجْرٍ :

وَمِنْ أَنَايِبِ تَفَاحِ وَرُمَانِ

ظَنَّ أَنَّ الرُّمَانَ وَالتَّفَاحَ أَنَايِبُ . وَقِيلَ : إِنَّ الْأَنَايِبَ الطَّرَائِقُ
الَّتِي فِي الرُّمَانِ . وَإِذَا حِيلَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ صَحَّ الْمَعْنَى . وَمِمَّا لُغِدَ عَلَى

أَمْرِي أَلْقَيْسِ قَوْلُهُ فِي الْفَرَسِ :

فَلِلْسَوِّطِ الْهُوبُ وَلِلْسَاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِثَّةٌ وَقَعُ أَخْرَجَ مُهَذِّبٌ
فَلَوْ وَصَفَ أَحْسَنَ جَمَارٍ وَأَضَعَهُ مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ . وَاجْتِدُّ قَوْلُهُ :
عَلَى سَاحِجٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَانِينَ جَرِي غَيْرَ كَرٍّ وَلَا وَايِي
وَمَا سَمِعْنَا أَجُودَ وَلَا أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِهِ : أَفَانِينَ جَرِي . وَقَوْلُ عُلَقَمَةَ :
فَاذْرَكْهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ يَوْمَ كَمَرِ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ
فَاذْرَكْ طَرِيدَتَهُ وَهُوَ ثَانٍ مِنْ عِنَانِهِ لَمْ يَضْرِبْهُ بِسَوِّطٍ وَلَمْ يُمَرِّه
بِسَاقٍ وَلَمْ يَزْجِرْهُ بِصَوْتٍ وَمِمَّا يُعَابُ قَوْلُ الْأَخْطَلِ :

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ مِنْهُمْ لَا بَلِجَ لَا عَارِي الْجَوَانِ وَلَا جَذِبَ
يَقُولُهُ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ . وَمِثْلُ هَذَا لَا يُدَحُّ بِهِ الْمُلُوكُ . وَإِنَّمَا تُدَحُّ
الْمُلُوكُ بِمِثْلِ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لَهُ هِمٌّ لَا مَتَّحَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا عَلَى الْبَرِّ كَانَ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ الْجَرِّ
وَمِنْ الْخَطَا قَوْلُ جُنَادَةَ :

مِنْ حُبِّهِ أَتَمَّنَى أَنْ يُلَاقِيَنِي مِنْ تَحْوِ بَلَدَتِهِ نَاعٍ قَيْعَاهُ
لِكِي يَكُونَ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ وَتَضِيرَ النَّفْسُ يَا سَأْتُمْ تَسْلَاهُ
فَإِذَا تَمَنَّى أَنِّي أَتُحِبُّ لِحَبِيهِ الْمَوْتَ فَمَا عَسَى أَنْ يَتَمَنَّى الْمُبِغِضُ لِبَغِيضِهِ .
وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَنْ يَقُولُ :

أَلَا لَيْتَنَا عِشْنَا جَمِيعًا وَكَانَ بِي مِنْ الدَّاءِ مَا لَا يَعْرِفُ النَّاسُ مَا بِيَا
فَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ وَلَوْ أَنَّ جُنَادَةَ كَانَ يَتَمَنَّى وَصْلَهُ وَلِقَاءَهُ

لَكَانَ قَدْ قَضَى وَطَرًا مِنَ الْمُنَى وَلَمْ تَلْزِمَهُ الْهَجْنَةُ . كَمَا قَالَ الْعَبَّاسُ
ابْنُ الْأَخْنَفِ :

فَإِنْ تَجَلَّوْا عَنِّي بِذَلِّ تَوَالِكُمْ وَبِالْوَصْلِ مِنْكُمْ كَيْ أُصَبَّ وَأُخْرَنَا
فَارِنِي بِلَذَاتِ الْمُنَى وَنَعِيمِهَا أَعِيشُ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ يَتَنَّا
وَمِنْ وَنَعْمِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

يَمِشِي بِهَا كُلُّ مَوْشِيٍّ أَكْرَعُهُ مَشْيَ الْهَرَابِذِ حَجَّوْا بَيْعَةَ الزُّورِ
فَالْعَلَطُ فِي هَذَا أَلَيْتَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : أَحَدُهَا أَنَّ الْهَرَابِذَ
الْحَبُوسُ لَا النَّصَارَى . وَالثَّانِي أَنَّ أَلْبَيْعَةَ لِلنَّصَارَى لَا لِلْحَبُوسِ . وَالثَّلَاثُ
أَنَّ النَّصَارَى لَا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَلَا الْحَبُوسُ . وَمِنْ الْحَالِ الَّذِي
لَا وَجْهَ لَهُ قَوْلُ الْقَسْرِ :

وَإِنِّي إِذَا مَا أَمُوتُ حَلَّ بِنَفْسِيهَا يُزَالُ بِنَفْسِي قَبْلَ ذَاكَ فَاقْبَرُ
وَهَذَا شَبِيهُ بِقَوْلِ قَائِلٍ لَوْ قَالَ : إِذَا دَخَلَ زَيْدٌ الدَّارَ دَخَلَ غَمْرُو
قَبْلَهُ وَهَذَا عَيْنُ الْحَالِ الْمَشْتَعِرِ الَّذِي لَا يَجُوزُ كَوْنُهُ . وَمِنْ عُيُوبِ الْمَعْنَى
مُخَالَفَةُ الْعَرْفِ وَذِكْرُ مَا لَيْسَ فِي الْعَادَةِ كَقَوْلِ الْمُرَّارِ :

وَحَالٍ عَلَى خَدَّيْهِ يَبْذُو كَأَنَّهُ سَنَا الْبَذْرِ فِي دَعْنَجَاهُ بِأَدِجُونُهَا
وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ لِحْيَلَانَ سُودٌ أَوْ سُمْرٌ وَالْحُدُودُ الْحَسَنَةُ إِنَّمَا هِيَ
الْبَيْضُ . فَأَتَى هَذَا الشَّاعِرُ بِقَلْبِ الْمَعْنَى . وَمِنْ الْمَعَانِي مَا يَكُونُ مُقْصَرًا
غَيْرَ بَالِغٍ مَبْلَغَ غَيْرِهِ فِي الْإِحْسَانِ . وَمِنْ عُيُوبِ الْمَدِيحِ عَدُولُ الْمَادِحِ
عَنِ الْقَضَائِلِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالنَّفْسِ مِنَ الْعَقْلِ وَالْعَقَّةِ وَالْعَدْلِ وَالشَّجَاعَةِ
إِلَى مَا يَلِيقُ بِأَوْصَافِ الْجَنَمِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ وَالزَّيْنَةِ . كَمَا قَالَ

أَبْنُ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ :
يَأْتِلِقُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينِ كَاثَةِ الذَّهَبِ
فَقَضِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : قَدْ قُلْتَ فِي مُضَعَبٍ :
إِنَّمَا مُضَعَبٌ شِهَابٌ مِنْ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
فَاعْطَيْتُهُ الْمَدْحَ بِكَشْفِ النِّعَمِ وَجَلَاءِ الظُّلْمِ وَأَعْطَيْتَنِي مَا لَا فخرَ
فِيهِ وَهُوَ أَعْتَدَالُ التَّاجِ فَوْقَ جَبِينِي الَّذِي هُوَ كَالذَّهَبِ فِي النَّضَادَةِ .
وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ آيَمِ بْنِ حَزِيمٍ فِي بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ :
يَا أَبْنَ الْمَكَارِمِ مِنْ قُرَيْشٍ كُلِّهَا وَأَبْنَ الْخَلَائِفِ وَأَبْنَ كُلِّ قَلَسٍ
مِنْ فَرْعِ آدَمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ حَتَّى أَتَيْتَ إِلَى آيِكَ الْعَنْبَسِ
مَرْوَانَ إِنَّ قَسَاةَ خَطِيئَةٍ غُرِسَتْ أَرْدَمُهُهَا عَزَّ الْمَنْرَسِ
وَبَنَيْتَ عِنْدَ مَقَامِ رَبِّكَ قُبَّةَ خَضِرَاءَ كُلِّ تَاجِهَا بِالْفِنْسِ
فَسَاوَاهَا ذَهَبٌ وَأَسْفَلُ أَرْضِهَا وَرَقٌ يُلَالَا فِي صَمِيمِ الْحَدْسِ
فَمَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ شَيْءٌ يَتَعَاقُ بِالْمَدْحِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالنَّفْسِ
وَإِنَّمَا ذَكَرَ سُودَدَ الْأَبَاءِ وَفِيهِ فخرٌ لِلْأَبْنَاءِ . وَلَكِنْ لَيْسَ الْعَصَامِيُّ
كَالْعِظَامِيِّ . وَرَبَّمَا كَانَ سُودَدُ الْوَالِدِ وَفَضِيلَتُهُ نَقِصَةً لِلْوَلَدِ إِذَا تَأَخَّرَ
عَنْ رُتَبَةِ الْوَالِدِ . وَيَكُونُ ذِكْرُ الْوَالِدِ الْقَاضِلِ تَقْرِيعًا لِلْوَلَدِ النَّاقِصِ .
وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لِمَ لَا تَكُونُ كَأَبِيكَ . فَقَالَ : لَيْتَ أَبِي لَمْ يَكُنْ
ذَا فَضْلٍ فَإِنَّ فَضْلَهُ صَارَ نَقْصًا لِي . وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :
إِنَّمَا الْحَجْدُ مَا بَنَى وَالِدُ الصِّدِّيقِ وَأَخِيَا فَعَالَهُ الْمَوْلُودُ
وَقَالَ غَيْرُهُ فِي خِلَافِهِ :

لَسِنٌ فَحَرَّتْ بِآبَاءِ ذَوِي شَرَفٍ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدُوا
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَتْ مَقَالِجُ أَخْلَاقٍ خَصِصَتْ بِهَا عَلَى مَحَاسِنِ أَبْقَاهَا أَبُوكَ لَكَ
لَيْنٌ تَقْدَمُ آبَاءُ الْكَرَامِ بِهِ لَقَدْ تَقَدَّمَ آبَاءُ اللَّئَامِ بِكَ
ثُمَّ ذَكَرَ آيِنُ بِنَاءِ قُبَّةِ حَسَنَةٍ وَلَيْسَ بِنَاءُ الْقِيَابِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى
جُودٍ وَكَرَمٍ . بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَبْنِيَ اللَّئِيمُ الْخَيْلُ الْآيِنَةَ النَّفِيسَةَ وَيَتَوَسَّعَ
فِي النَّفَقَةِ عَلَى الدُّورِ الْحَسَنَةِ مَعَ مَنْعِ لَحْقِ وَرَدِّ السَّائِلِ وَلَيْسَ الْيَسَارُ
بِمَا يُدْخِلُ مَذْحًا حَقِيقِيًّا . الْآتَرَى كَيْفَ يَقُولُ أَشْجَعُ السَّلَاسِي :
يُرِيدُ الْمُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ
وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغَنَى وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ
وَالْجَيْدُ فِي الْمَدِيحِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

هَئَالِكَ إِنْ يَسْتَحْوِزُوا أَلْمَالَ يُحْوِلُوا وَإِنْ يُسْأَلُوا يَعْطُوا وَإِنْ يَنْسُرُوا يُنْغِلُوا
وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَنٌ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
فَلَمَّا أَسْتَمَّ وَصَفَهُمْ بِحُسْنِ الْقَالِ وَتَصَدِّقِ الْقَوْلِ بِالْفِعْلِ
وَصَفَهُمْ بِحُسْنِ الْوُجُوهِ ثُمَّ قَالَ :

عَلَى مُكَثَرِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَعْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُتْلِينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذَلُ
فَلَمْ يُجَلِّ مُكَثَرًا مِنْهُمْ وَلَا مُقِلًّا مِنْ بَرٍّ وَفَضْلٍ . ثُمَّ قَالَ :
وَإِنْ جِثَّتْهُمُ الْقَيْتُ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ بِجَالِسٍ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ
فَوَصَفَهُمْ بِالْجُلْمِ ثُمَّ قَالَ :

وَإِنْ قَامَ مِنْهُمْ قَائِمٌ قَالَ قَاعِدٌ رَشَدَتْ فَلَا غُرْمَ عَلَيْكَ وَلَا خَذَلُ

فَوَصَفَهُمْ أَيْضًا بِالتَّضَافِرِ وَالتَّعَاوُنِ فَلَمَّا آتَى بِهِ هَذِهِ الصِّفَاتِ النَّفِيسَةَ
ذَكَرَ فَضْلَ آبَائِهِمْ فَقَالَ :

وَمَا يَكُ مِنْ فَضْلٍ آتَوْهُ فَإِنَّمَا نَوَارِدُهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئَةَ إِلَّا وَشِجَّةُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَائِبِهَا الْخُلُ
وَقَوْلُ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ :

بُنُو طَرِيقِ يَوْمَ الْإِلْقَاءِ كَانَتْهُمْ
هُمْ أَلْمَانِعُونَ أَجَارَ حَتَّى كَانُوا
بِهَالِيلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دَعُوا
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعْلَهُمْ
ثَلَاثٌ بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ جِبَاهُهُمْ
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

عَلَّمَ الْغَيْثَ أَلْتَدَى حَتَّى إِذَا مَا حَكَاهُ عَلَّمَ الْبَاسَ الْأَسَدَ
فَلَهُ الْغَيْثُ مُقَرَّرٌ بِالتَّدَى وَلَهُ اللَّيْثُ مُقَرَّرٌ بِالْجِلْدِ
وَمَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَلَوْا الْمَدْحَ مِنْ مَنَاقِبِ
آكَادِ الْمَدْحِ وَتَقْرِيطِ مَنْ يُعْرِفُ بِهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ . وَأَنْشَدَ مَرْوَانَ
ابْنَ أَبِي حَفْصَةَ :

نَقَرْتُ فَلَا شُلْتَ يَدُ خَالِدِيَّةٍ رَتَقَتْ بِهَا الْفَتَى الَّذِي بَيْنَ هَاشِمٍ
فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ قُلْ : بِرَمْكِيَّةٍ . فَقَدْ يَشْرِكُنَا فِي خَالِدٍ بِشَرِّ كَثِيرٍ
وَلَا يَشْرِكُنَا فِي بَرْمَكٍ أَحَدٌ

وَالْهَجَاءُ أَيْضًا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِسَلْبِ الصِّفَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ الَّتِي تَحْتَصُّهَا
النَّفْسُ وَإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ الْمُسْتَهْجَنَةِ الَّتِي تَحْتَصُّهَا أَيْضًا لَمْ يَكُنْ مُخْتَارًا .
وَالِاخْتِيَارُ أَنْ تَنْسُبَ الْمَهْجُورَ إِلَى اللَّوْمِ وَالْجَلِّ وَالشَّرِّ وَمَا أَشَبَّهُ
ذَلِكَ . وَلَيْسَ بِالْمُخْتَارِ فِي الْهَجَاءِ أَنْ يَنْسُبَهُ إِلَى قُبْحِ الْوَجْهِ وَصِغَرِ
الْجَنَمِ وَضَوْوَلَةِ الْجَنَمِ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الْقَائِلُ :

قُلْتُ لَهَا لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَى الْفَتَى بِعَارٍ وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ مَحِينُهَا
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

تَنَالُ الْحَيْدَ مِمَّنْ تَرْدَرِيهِ وَيُخْلِفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيدُ
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهُوَ حَذَقٌ وَيَتَّقُمُ أَهْلُهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ
وَذَكَرَ السَّمَوِيُّ أَنَّ قِلَّةَ الْعَدَدِ لَيْسَ بِعَيْبٍ فَقَالَ :
تُعَذِّبُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا قُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ
وَمِنْ الْهَجَاءِ الْحَيْدُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ وَاللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَكِدَا
قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِبِهِمْ آمَنُوا مِنْ لُؤْمٍ لِحَسَائِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدَا
وَقَوْلُ أَغَشَى بِأَهْلَةٍ :

بُنُو تَيْمٍ قَرَارَةٌ كُلِّ لُؤْمٍ كَذَلِكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارُ
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

لَوْ كَانَ يُخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ مِنْ خَلْقِهِ خَفِيَتْ عَنْهُ بُنُو أَسَدٍ
وَمِنْ خَيْثِ الْهَجَاءِ قَوْلُ الْآخِرِ :

إِنْ يَغْدِرُوا أَوْ يَجْبِتُوا أَوْ يَجْثُلُوا لَا يَجْعَلُوا
يَعْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ كَانَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

لَوْ أَطْلَعَ الْغُرَابُ عَلَى تَمِيمٍ وَمَا فِيهَا مِنَ السَّوَاءِ شَابَا
وَمِنْ خَطَا اللَّفْظِ قَوْلُ الْآخِرِ :

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوِدَنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصْبُ
فَذَكَرُ الرَّأْسِ مَعَ الصَّدَاعِ فَضِلَّ لِأَنَّ الصَّدَاعَ لَا يَكُونُ فِي
الرَّجْلِ وَلَا فِي غَيْرِهَا مِنَ الْأَعْضَاءِ . وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ مِنَ الْعَيْبِ :
وَهُوَ أَنَّ الذَّاكِرَ لَا قَدْ قَاتَ مِنْ تَحْسُوبٍ يُوصَفُ بِأَلَمِ الْقَلْبِ
وَأَخْتِرَاقِهِ لَا بِالصَّدَاعِ . وَمِنْ عُيُوبِ اللَّفْظِ ارْتِكَابُ الضَّرُورَاتِ فِيهِ
كَمَا قَالَ الْمُتَلَيِّسُ :

إِنْ تَسْلُكِي سُبُلَ الْحِجَابِ مُجْدَّةً مَا عَاشَ عُمُرُ وَمَا عَمَّرَتْ قَابُوسُ
أَرَادَ (وَمَا عُمِرَ قَابُوسُ) . وَقَوْلُ الْأَعَشَى حَكَاهُ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ
وَعَابَهُ

وَمِنْ الْقَاصِرَاتِ مُجُوفُ الْحِجَالِ فَلَمْ تَرَشَّسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا
قَالَ : لَا تُوضَعُ الشَّمْسُ مَعَ الزَمْهَرِيرِ (قَالَ :) وَكَانَ يَجِبُ أَنْ
يَقُولَ : لَمْ تَرَشَّسًا وَلَا قَرًّا وَلَمْ يُصْبِحَا حَرًّا وَلَا قَرًّا وَقَدْ أَخْطَأَ .
وَكَقَوْلِ عَلْقَمَةَ :

يَحْمِلُنَ اثْرَجَةً نَضَحَ الْبَعِيرُ بِهَا كَانَ قَطِيَابَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ
وَالْقَطِيَابُ هَاهُنَا عَلَى غَايَةِ السَّاجَةِ وَالطَّيِّبُ أَيْضًا مَشْمُومٌ لَا حَالَةَ

فَقَوْلُهُ : (كَأَنَّهُ مَشْمُومٌ) مُجَنَّةٌ وَقَوْلُهُ : (فِي الْأَقْبِ أَهْجَنُ) . لِأَنَّ الدَّمَّ لَا يَكُونُ بِالْعَيْنِ . وَمِنْ أَلْتَسَاقِضِ قَوْلِ عُرْوَةَ بْنِ أَدْنِيَّةَ :

تَرَلُّوا ثَلَاثَ مَنَى بِمَنْزِلِ غِبْطَةٍ وَهُمْ عَلَى غَرَضِ لَعْنِكَ مَا هُمْ
مُتَجَاوِرِينَ بَغِيرِ دَارِ إِقَامَةٍ لَوْ قَدْ أَجَدَّ رَجِيلُهُمْ لَمْ يَنْدَمُوا
(فَقَالَ) لَبِثُوا فِي دَارِ غِبْطَةٍ ثُمَّ قَالَ : لَوْ رَحَلُوا لَمْ يَنْدَمُوا . وَإِنَّمَا جَاءَ

فِي ذَلِكَ مِنْ أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ بَشَّارٍ :

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلًا غَلَبَ أَلْسِنُكَ عَلَى رِيحِ الْبَصْلِ

وَمِنْ أَلْمَعَانِي الْبَشِيعَةِ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

بِأَحَدِ الْمُرْتَحَى فِي كُلِّ نَائِبَةٍ قُمْ سَيِّدِي نَعَصِ جِبَارَ السَّمَاوَاتِ
فَهَذَا مَعَ كُفْرِهِ تَمَثُّوتٌ . وَمِنْ الْخَطِّاءِ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

غَنَيْتَ عَلَى الْوَمَلِ الْقَدِيمِ غَنِيَّتًا وَضَعْتَ وَدًّا كَانَ لِي وَنَسِيَّتًا
وَمَنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنْ مَاتَ مَا لَفِي وَمَا كُنْتُ تَرْعَانِي لَهُ وَبَقِيَّتًا
تَجَاهَلْتُ عَمَّا كُنْتُ تُحْسِنُ وَصْفَهُ وَمُتَّ عَنْ الْإِحْسَانِ حِينَ حَيَّتًا
وَلَيْسَ مِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَيَبْقَى بَعْدَهُ إِنْسَانٌ آخَرُ .

بَلْ هَذِهِ عَادَةُ الدُّنْيَا وَالْمَعْهُودُ مِنْ أَمْرِهَا وَلَوْ قَالَ : (مِنْ ظُلْمِ
الْأَيَّامِ) كَانَ أَلْمَعَى مُسْتَوِيًّا . وَسَيِّفْتُ بَعْضَ الْأَدْبَاءِ يَقُولُ : وَمِنْ

أَلْمَعَانِي الْبَارِدَةِ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي صِفَةِ الْبَازِي :

فِي هَامَةِ غَلَبَاءِ تُهْدِي مِنْسَرًا كَعَطْفَةِ الْجِيمِ بِكَفِّ أَعْسَرَا

ثُمَّ قَالَ :

يَقُولُ مَنْ فِيهَا بِعَقْلِ فَكَّرَا لَوْ زَادَهَا عَيْنًا إِلَى قَاءِ وَرَا

فَأَتَصَلَّتْ بِالْجِيمِ صَارَ جَعْفَرًا

مَنْ يَجْهَلُ أَنَّ الْجِيمَ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْهَا أَلَمَيْنُ وَأَلْفَاءُ وَالرَّاءُ يَصِيرُ
(جَعْفَرًا) وَمَا يَدْخُلُ فِي صِفَةِ الْبَازِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ شَيْءٌ. وَتَبِعَهُ قَوْلُ
آبِي تَمَّامٍ :

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةً مِنْ حَائِنِهِنَّ فَإِنَّهِنَّ حِمَامٌ
فَمَنْ ذَا الَّذِي جَهَلَ أَنَّ الْحَمَامَ إِذَا كُسِرَتْ حَاوُهَا صَارَ حِمَامًا.
وَأَمَّا أَرَادَ أَبُو نُوَّاسٍ أَنَّهُ يُشَبَّهُ الْجِيمَ لَا يُعَادِرُ مِنْ شَبَّهَا شَيْئًا حَتَّى
لَوْ زِدَتْ عَلَيْهَا هَذِهِ الْأَحْرُفُ صَارَتْ جَعْفَرًا لِشِدَّةِ شَبَّهَا بِهِ وَهُوَ عِنْدِي
صَوَابٌ. إِلَّا أَنَّهُ لَوْ أَكْتَفَى بِقَوْلِهِ : (كَعْطَفَةِ الْجِيمِ بِكَفِّ أَعْسَرًا) وَلَمْ
يَزِدِ الزِّيَادَةَ الَّتِي بَعْدَهَا كَانَ أَجُودَ وَأَرْشَقَ وَأَدْخَلَ فِي مَذَاهِبِ
الْفُصَحَاءِ وَأَشَبَّهَ بِالشَّعْرِ الْقَدِيمِ. وَأَمَّا قَوْلُ آبِي تَمَّامٍ : فَلَهُ مَعْنَى
خِلَافُ مَا ذَكَرَهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ الزَّجْرَ وَالْعِيَاةَ أَدَاكَ
الْحَمَامُ إِلَى الْحَمَامِ كَمَا أَنَّ صَوْتَهَا الَّذِي تَطْنُ أَنَّهُ بُكَاءٌ إِنَّمَا هُوَ
طَرَبٌ وَيُؤَدِّيكَ إِلَى الْبُكَاءِ الْحَقِيقِيِّ وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ. إِلَّا أَنَّ
الْمَعْنَى إِذَا صَارَ بِهِذِهِ الْمَثَلَةُ مِنَ الدَّقِيقَةِ كَانَ كَالْمَعْنَى وَالْتَعْنِيَةِ حَيْثُ
يُرَادُ الْبَيَانُ عِيٌّ. وَمِنْ عُيُوبِ الْمَعْنَى قَوْلُ آبِي نُوَّاسٍ فِي صِفَةِ الْأَسَدِ :

كَأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا قَطَرَتْ بَارِزَةً أَلْفَجْنَ عَيْنٌ مُخْنَقٌ

فَوَصَفَ عَيْنَ الْأَسَدِ بِالْجُحُوظِ وَهِيَ تُوصَفُ بِالْعُرُودِ كَقَوْلِ آبِي زَيْدٍ :
وَعَيْنَانِ كَالْوَقَيْنِ فِي قَلْبِ صَخْرَةٍ تَرَى فِيهَا كَالْجَمْرَتَيْنِ تَسْعُرَانِ
وَمِنْ الْقَلَطِ قَوْلُ آبِي تَمَّامٍ :

رَقِيقُ حَوَاشِيِ الْحِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفِّكَ مَا مَادَيْتَ فِي آتِهِ بَرْدُ
وَمَا وَصَفَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْحِلْمَ
بِالرِّقَّةِ وَإِنَّمَا يُوصَفُ بِالرَّجَحَانِ وَالرَّزَاةِ كَمَا قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ :

وَصَبْرٌ عَلَى حَدَثِ النَّائِبَاتِ وَحِلْمٌ رَزِينٌ وَعَقْلٌ ذَكِيٌّ
وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ وَإِذَا ذَمُّوا الرَّجُلَ قَالُوا : خَفَّ حِلْمُهُ وَطَاشَ .
وَمِنْ الْخَطَا قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

ظَنُّوا فَكَانَ بُكَايَ حَوْلًا بَعْدَهُ ثُمَّ ارْعَوَيْتُ وَذَاكَ حِلْمٌ لَيْدٍ
أَجْدِرُ بِجَمْرَةٍ لَوْعَةٍ إِطْفَاؤُهَا بِالذَّمِّ أَنْ تَرْدَادَ طُولَ وَقُودِ
هَذَا خِلَافُ مَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ لِأَنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا أَنَّ الْبُكَاءَ يُطْفِئُ
الْعَلِيلَ وَيُبْرِدُ حَرَارَةَ الْحُزَنِ وَيُزِيلُ شِدَّةَ الْوَجْدِ . وَقَدْ شَهِدَ أَبُو تَمَّامٍ
بِصِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَخَالَفَ قَوْلَهُ الْأَوَّلَ فَقَالَ :

نَثَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ يُنْظَمْ وَالذَّمُّ يُخِيلُ بَعْضَ ثِقَلِ الْمَغْرَمِ
وَمِنْ الْخَطَا قَوْلُ الْبُخْتَرِيِّ :

بَدَتْ صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ إِنْ حَمَدَهُمْ مِنَ الدَّرِّ مَا أَصْفَرَتْ حَوَاشِيَهُ فِي الْعَقْدِ
وَإِنَّمَا يُوصَفُ الدَّرُّ بِشِدَّةِ الْبَيَاضِ وَإِذَا أُريدَ الْمُبَالغةُ فِي وَصْفِهِ
وُصِفَ بِالنُّصُوعِ . وَمِنْ أَغْيَبِ عِيُوبِهِ الصُّفْرَةُ . وَقَالُوا : كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ
لِبَيَاضِهِ . وَإِذَا أَصْفَرَ لَحْيَيْهِ فِي إِزَالَةِ صُفْرَتِهِ لِيَتَضَوَّأَ وَاسْتِعْمَالَ
الْحَوَاشِيِ فِي الدَّرِّ أَيْضًا خَطَأً . وَلَوْ قَالَ : (نَوَاحِيهِ) لَكَانَ أَجْوَدَ .
وَالْحَاشِيَةُ لِلْبَرْدِ وَالْقُوبِ . فَأَمَّا حَاشِيَةُ الدَّرِّ فَقَدِيرٌ مَعْرُوفٌ . وَفِيهَا :
وَحَرَّتْ عَلَى الْأَيْدِي حَبْسَةً جَسِيَةً كَذَلِكَ مَرَجُ الْجَبْرِ مُلْتَهَبُ الْوَقْدِ

وَهَذَا غَلَطٌ لِأَنَّ الْبَحْرَ غَيْرُ مُلْتَهَبِ الْمَوْجِ وَلَا مُتَقَدِّ الْمَاءِ . وَلَوْ
كَانَ مُتَقَدِّمَا لَمَا امْكَنَ دُكُوبُهُ . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُعْظِمَ أَمْرَ الْمَدُوحِ فَجَاءَ
بِمَا لَا يُعْرَفُ . وَفِيهَا :

وَأَنْتَ تَرَى شَوْكَ الْقَتَادَةِ خَائِفًا سَمُومَ رِيَّاحِ الْقَادِحَاتِ مِنَ الزَّوْدِ
وَهَذَا خَطَأٌ لِأَنَّهُ شَبَّهَ الْعَلِيلَ بِشَوْكِ الْقَتَادِ لَا يَخَافُ النَّارَ الَّتِي
تُقَدِّحُ بِالزَّرَادِ . وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ النَّارَ تَفْلِقُ الصَّخْرَ وَتُلِينُ الْحَدِيدَ
فَكَيْفَ يَسْلَمُ مِنْهَا الْقَتَادُ . وَلَيْسَ لِذِكْرِ السَّمُومِ وَالزَّرِيَّاحِ أَيْضًا فِي
هَذَا الْبَيْتِ فَائِدَةٌ وَلَا مَوْقِعٌ . وَنُورِدُ هَاهُنَا جُمْلَةً تَتِمُّ بِهَا مَعَانِي هَذَا
الْبَابِ : يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ أَجْوَدَ الْوَصْفِ مَا يَسْتَوْعِبُ أَكْثَرَ
مَعَانِي الْمَوْصُوفِ حَتَّى كَأَنَّهُ يُصَوِّرُ الْمَوْصُوفَ لَكَ قَرَاهُ نَصَبَ عَيْنِكَ
وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو الطَّائِي :

أَلَا مَنْ رَأَى قَوْمِي كَانَ رِجَالَهُمْ نَحِيلٌ أَنَاهَا عَاضِدٌ فَأَمَالَهَا
فَهَذَا التَّشْبِيهُ كَأَنَّهُ يُصَوِّرُ لَكَ الْقَتْلَى مُصْرَعِينَ . وَقَوْلِ الْعِتَابِيِّ
فِي السَّحَابِ :

وَالْعِمْ كَالثُّوبِ فِي الْآفَاقِ مُنْتَشِرٌ مِنْ فَوْقِهِ طَبَقٌ مِنْ تَحْتِهِ طَبَقٌ
إِنْ مَضَعَ الرَّعْدُ فِيهِ قُلْتَ مُحْرِقٌ أَوْ لَأَلًا الْبَرْقُ فِيهِ قُلْتَ مُخْرِقٌ
وَلَمَّا كَانَتْ أَغْرَاضُ الشُّعْرَاءِ كَثِيرَةً وَمَعَانِيهَا مُتَشَعِّبَةً جَمَّةً لَا يَلْغُهَا
الْإِحْصَاءُ . كَانَ مِنَ الْوَجْهِ أَنْ تَذْكُرَ مَا هُوَ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا وَأَطْوَلَ
مُدَاوَمَةً وَهُوَ الْمَدْحُ . وَالْهَجَاءُ . وَالْوَصْفُ . وَالْمَرَاثِي . وَالْفُحْرُ . وَقَدْ
ذَكَرْتُ قَبْلَ هَذَا الْمَدِيحَ وَالْهَجَاءَ وَمَا يَنْبَغِي اسْتِعْمَالُهُ فِيهَا . ثُمَّ

ذَكَرْتُ الْآنَ الْوُضْفَ وَتَرَكْتُ الْمِرَاثِي وَالْفَخْرَ . لِأَنَّهُمَا دَاخِلَانِ فِي
الْمَدِيحِ وَذَلِكَ أَنَّ الْفَخْرَ مَذْحُكَ نَفْسِكَ بِالطَّهَارَةِ وَالْعَنَافِ وَالْخُلْمِ
وَالْعِلْمِ وَالْحَسْبِ وَمَا يَجْرِي فَجْرِي ذَلِكَ . وَالْمِرْثِيَّةُ مَذْحُ الْمِيتِ وَالْفَرْقُ
بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْمَدِيحِ أَنْ تَقُولَ : كَانَ كَذَا وَكَذَا . وَتَقُولَ فِي الْمَدِيحِ :
هُوَ كَذَا وَأَنْتَ كَذَا . فَيَتَّبِعُنِي أَنْ يُتَوَخَّى فِي الْمِرْثِيَّةِ مَا يُتَوَخَّى فِي
الْمَدِيحِ . إِلَّا أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَذْكُرَ أَلَمْتَ بِالْجُودِ وَالشَّجَاعَةِ
تَقُولُ : مَاتَ الْجُودُ وَهَلَكَتِ الشَّجَاعَةُ . وَلَا تَقُولُ : كَانَ فُلَانٌ جَوَادًا
وَشَجَاعًا فَإِنَّ ذَلِكَ بَارِدٌ غَيْرُ مُسْتَحْسِنٍ . وَكَذَلِكَ مَا كَانَ أَلَمْتَ بِرُكْبَةٍ فِي
حَيَاتِهِ . فَيَتَّبِعُنِي أَنَّهُ لَا يَذْكُرُ أَنَّهُ يَكِي عَلَيْهِ مِثْلُ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَمَا
يَجْرِي مَجْرَاهُمَا وَإِنَّمَا يَذْكُرُ اغْتِبَاطَهُمَا بِمَوْتِهِ . وَقَدْ أَحْسَنْتِ الْخُصَاءُ
حَيْثُ تَقُولُ :

فَقَدْ فَقَدْتُكَ طَلْقَةً وَأَسْتَرَأَحْتُ فَلَيْتَ الْخَيْلَ فَارِسُهَا يَرَاهَا
بَلْ يُوصَفُ بِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ يُحْسِنُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ . كَمَا
قَالَ الْغَنَوِيُّ :

لَيْبِكَ شَيْخٌ لَمْ يَجِدْ مَنْ يَبِينُهُ وَطَاوِي الْحَشَى نَائِي الْمَزَارِ غَرِيبُ
فَهَذِهِ جُمْلَةٌ إِذَا تَدَبَّرَهَا صَانِعُ الْكَلَامِ اسْتَعْنَى بِهَا عَنْ غَيْرِهَا .
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ



البحث الثالث

في كيفية نظم الكلام وما ينبغي استعماله في تأليفه
(عن كتاب الصناعتين باختصار)

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَضَعْ كَلَامًا فَاخْطِرْ مَعَانِيَهُ بِإِلَاحٍ وَتَوَقَّ لَهُ
كَرَاهِيمَ اللَّفْظِ وَأَجْعَلْهَا عَلَى ذِكْرِ مِنْكَ لِيَقْرُبَ عَلَيْكَ تَنَاوُلُهَا وَلَا يُتَعَبِكَ
تَطْلُبُهَا . وَأَعْمَلْهُ مَا دُمْتَ فِي شَبَابٍ نَشَاطِكَ فَإِذَا غَشِيَكَ الْفُتُورُ
وَتَحَوَّنَكَ اللَّمَلُ فَاَمْسِكْ . فَإِنَّ الْكَدِيرَ مَعَ اللَّمَلِ قَلِيلٌ وَالنَّفِيسَ
مَعَ الصَّخْرِ خَسِيسٌ وَالْخَوَاطِرَ كَالْإِنْيَاعِ يُسْقَى مِنْهَا شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ
فَتَجِدُ حَاجَتَكَ مِنَ الزَّيِّ وَتَنَالُ أَرْبَكَ مِنَ الْمُنْفَعَةِ فَإِذَا أَكْثَرْتَ
عَلَيْهَا نَضَبَ مَاوُهَا وَقُلْ عَنْكَ غَنَاؤُهَا . وَيَنْبَغِي أَنْ تَجْرِيَ مَعَ الْكَلَامِ
مُعَارَضَةً فَإِذَا مَرَزْتَ بِلَفْظٍ حَسَنٍ اخْذَتْ بِرَقَبَتِهِ أَوْ بِمَعْنَى بَدِيلِهِ
تَعَلَّقْتَ بِذِيلِهِ . وَتَحَذَّرْ أَنْ يَسْبِقَكَ فَإِنَّهُ إِنْ سَبَقَكَ تَعَبْتَ فِي تَتَبُعِهِ
وَنَصَبْتَ فِي طَلَبِهِ وَاعْلَمْ أَنَّ لَاحِظَهُ عَلَى طُولِ الطَّلَبِ وَمُواصَلَةِ الدَّابِ
وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا ضَيَّعْتَ أَوَّلَ كُلِّ أَمْرٍ أَبَتْ أَنْجَازُهُ إِلَّا التَّوَاءَ
وَقَالُوا : يَنْبَغِي لِصَانِعِ الْكَلَامِ أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ نَقْدًا
وَلَا يَتَّبِعَ ذُنَابَهُ تَتَبُعًا وَلَا يَحْمِلُهُ عَلَى لِسَانِهِ حَمَلًا فَإِنَّهُ إِنْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ
لَمْ تَتَّبِعْهُ حَقِيقَتُهُ وَهَزِيلُهُ وَأَعْجَفُهُ وَالشَّارِدُ مِنْهُ . وَإِنْ تَتَّبِعْهُ فَاتَتْهُ سَوَاقِطُهُ
وَلَوَاحِظُهُ وَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ جَيَادُهُ وَغُرَرُهُ . وَإِنْ حَمَلَهُ عَلَى لِسَانِهِ ثَقُلَتْ
عَلَيْهِ أَوْسَاقُهُ وَأَعْبَاؤُهُ وَدَخَلَتْ مَسَاوِيرُهُ فِي مُحَاسِنِهِ وَلَكِنَّهُ يَجْرِي مَعَهُ

فَلَا تَبْدُعهُ نَادَةً مُعْجِبَةً سَهْمَاءَ إِلَّا كَجَمْعِهَا وَلَا تَتَخَلَّفُ عَنْهُ مُثْقَلَةٌ هَزِيلَةٌ
إِلَّا أَرْهَقَهَا فَطَوْرًا تُفَرِّقُهُ لِيُجْتَازَ أَحْسَنَهُ وَطَوْرًا تَجْمَعُهُ لِتُقَرَّبَ عَلَيْكَ
خُطْوَةُ الْفِكْرِ وَيَتَنَاوَلَ اللَّفْظُ مِنْ تَحْتِ لِسَانِهِ وَلَا يُسَاطُ الْمَلَلُ عَلَى
قَلْبِهِ. وَالْإِسْكَثَارُ عَلَى نَفْسِكُمْ فَيَأْخُذُ عَقْوَهُ وَلَا يَسْتَعْرِزُ دَرَّهُ وَلَا يُكْرِهُ
آيَا وَلَا يَدْفَعُ آيَا. وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْمَعْتِيرِ : خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةً
إِنْ شَاطَكَ وَفَرَاغَ بِالْكُ وَالْإِجَائِيهَا لَكَ. فَإِنَّ تِلْكَ السَّاعَةَ أَكْرَمُ
جَوْهَرًا وَأَشْرَفُ حُسْنًا وَأَحْسَنُ فِي الْأَسْمَاعِ وَأَحْلَى فِي الصُّدُورِ وَأَسْلَمُ
مِنْ فَاجِشِ الْخَطَايَا وَأَجْلَبُ لِكُلِّ عَيْنٍ وَغُرَّةٍ مِنْ لَفْظٍ كَرِيمٍ
وَمَعْنَى بَدِيعٍ. وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ مِمَّا يُعْطِيكَ يَوْمَكَ
الْأَطُولُ بِالْكَدِّ وَالْمُطَابَةِ وَالْجَاهِدَةِ وَالْتَّكْلُفِ وَالْمَعَاوَدَةِ. وَمِمَّا
أَخْطَاكَ لَمْ يُخْطِطْكَ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَصْدًا أَوْ خَفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ سَهْلًا
وَكَمَا خَرَجَ مِنْ يَنْبُوعِهِ وَنَجَّمَ عَنْ مَعْدِنِهِ. وَإِيَّاكَ وَالتَّوَعُّرَ فَإِنَّ التَّوَعُّرَ
يُسَلِّدُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ وَيَشِينُ
أَلْفَاذَكَ. وَمَنْ أَرَادَ مَعْنَى كَرِيمًا فَلْيَتَلَسَّسْ لَفْظًا كَرِيمًا فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى
الشَّرِيفِ اللَّفْظُ الشَّرِيفُ وَمِنْ حَقِّهِمَا أَنْ يَصُونَهُمَا عَمَّا يُدْنِسُهُمَا
وَيُفْسِدُهُمَا وَيُهْجِئُهُمَا فَيَصِيدُ بِهِمَا إِلَى حَدٍّ يَكُونُ فِيهِ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ
قَبْلَ أَنْ تَلْتَسِسَ الْبَلَاغَةُ وَتَرْتَهِنَ نَفْسُكَ فِي مَلَابِسِهَا. فَكُنْ فِي
ثَلَاثِ مَنَازِلٍ. فَأَوَّلُ الثَّلَاثِ : أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ شَرِيفًا عَذْبًا وَفَحْمًا
سَهْلًا وَيَكُونَ مَعْنَاكَ ذَاهِرًا مَكْشُوفًا وَقَرِيبًا مَعْرُوفًا. فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ
لَا تُؤَاتِيكَ وَلَا تَسْنَحُ لَكَ عِنْدَ أَوَّلِ خَاطِرٍ وَتَجِدُ اللَّفْظَةَ لَمْ تَقْعِ مَوْقِعَهَا

وَلَمْ تَصِلْ إِلَى مَرْكَزِهَا وَلَمْ تَتَّصِلْ بِسِلْكِهَا وَكَانَتْ قَلِقَةً فِي مَوْضِعِهَا
 نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى اغْتِصَابِ الْأَمَاكِينِ وَالْأَزُولِ فِي
 غَيْرِ أَوْطَانِهَا . فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَّعَاطَ قَرِيضَ الشَّعْرِ الْمَنْظُومِ وَلَمْ
 تَتَكَلَّفْ اخْتِيَارَ الْكَلَامِ الْمَشُورِ لَمْ يَبْعِكَ بِذَلِكَ أَحَدٌ . وَإِنْ
 تَكَلَّفْتَهُ وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا مَطْبُوعًا وَلَا نَحْكِيمًا لِشَأْنِكَ بِصِيرًا عَابَكَ
 مِنْ أَنْتَ أَقَلُّ عِيًّا مِنْهُ وَزَرَى عَلَيْكَ مَنْ هُوَ دُونَكَ . فَإِنْ أَبْتَلَيْتَ
 بِتَكْلِفَةِ الْقَوْلِ وَتَعَاطِي الصَّاعَةِ وَلَمْ تَسْمَعْ لَكَ الطَّبِيعَةَ فِي أَوَّلِ
 وَهْلَةٍ وَتَعَصَى عَلَيْكَ بَعْدَ إِجَالَةِ الْفِكْرَةِ فَلَا تَجْعَلْ وَدْعُهُ سَحَابَةً يَوْمَكَ
 وَلَا تَضْجِرْ وَأَمَلُهُ سَوَادَ لَيْلَتِكَ وَعَاوِذُهُ عِنْدَ نَشَاطِكَ فَإِنَّكَ لَا تَعْدُمُ
 الْإِجَابَةَ وَالْمُؤَاتَاةَ . وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ طَبِيعَةٌ وَأُجْرِيَتْ مِنَ الصَّنَاعَةِ
 عَلَى غَرْفٍ فَهِيَ الْمِزْرَةُ الثَّانِيَّةُ . فَإِنْ تَمَنَعَ عَلَيْكَ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ تَرْوِيجِ
 الْحَاطِرِ وَطُولِ الْإِنْمَالِ فَالْمِزْرَةُ الثَّالِثَةُ . أَيَّ أَنْ تَتَحَوَّلَ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ
 إِلَى أَشْهَى الصَّنَاعَاتِ إِلَيْكَ وَأَخْفَهَا عَلَيْكَ فَإِنَّكَ لَمْ تَشْتَهَ إِلَّا
 وَبَيْنَكُمَا تَسَبُّ . وَالشَّيْءُ لَا يَحْنُ إِلَّا إِلَى مَا شَاكَهُ وَإِنْ كَانَتْ
 الْمَشَاكَّةُ قَدْ تَكُونُ فِي طَبَقَاتٍ فَإِنَّ النَّفُوسَ لَا تَجُودُ بِمَكُونِهَا
 وَلَا تَسْمَعُ بِجُزُونِهَا مَعَ الرَّهْبَةِ كَمَا تَجُودُ مَعَ الرِّغْبَةِ وَالنَّحْبَةِ . وَيَنْبَغِي
 أَنْ تَعْرِفَ أَقْدَارَ الْمَعَانِي قُتُوزًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَوْزَانِ الْمُسْتَمِيعِينَ وَبَيْنَ
 أَقْدَارِ الْحَالَاتِ فَتَجْعَلَ لِكُلِّ طَبَقَةٍ كَلَامًا وَلِكُلِّ حَالٍ مَقَامًا حَتَّى
 تَقْسِمَ أَقْدَارَ الْمَعَانِي عَلَى أَقْدَارِ الْمَقَامَاتِ وَأَقْدَارِ الْمُسْتَمِيعِينَ عَلَى أَقْدَارِ
 الْحَالَاتِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمُنْفَعَةَ مَعَ مُوَافَقَةِ الْحَالِ وَمَا يَحِبُّ لِكُلِّ مَقَامٍ

مِنَ الْقَالَ . فَإِنْ كُنْتَ مُتَكَلِّمًا أَوْ اخْتَجْتَ إِلَى عَمَلٍ خُطْبَةٍ لِبَعْضٍ
مَنْ تَضَلَّ لَهُ الْخُطْبُ أَوْ قَصِيدَةً لِبَعْضٍ مَا يُرَادُ لَهُ الْقَصْدُ فَتَحْتَ
الْقَاطِ الْمَتَكَلِّمِينَ مِثْلَ الْجَنَمِ وَالْعَرَضِ وَالْكَوْنِ وَالتَّالِيفِ
وَالْجَوْهَرِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُجْنَةٌ . . .

البحث الرابع

في خواص الكلام الحرِّ

(عن ابن المعتز والرماني)

قِيلَ إِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا كَانَ تَرْجُمَانًا لِلْقُلُوبِ وَصَيْقَلًا لِلْعُقُولِ
وَمَجْلَى لِلشُّبُهَةِ وَمَوْجِبًا لِلنَّجْمَةِ . وَالْحَاكِمُ عِنْدَ اخْتِصَاصِ الظُّنُونِ وَالْمُفَرِّقُ
بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ . يَتَقَادَرُ بِهِ الْمُسْتَضْعَبُ وَيَسْتَقِيمُ لَهُ الْأَصِيدُ .
وَخَيْرُ الْبَيَانِ مَا كَانَ مُصَرِّحًا عَنِ الْمَعْنَى لِئُسْرَعَ إِلَى الْفَهْمِ تَلْقِيهِ .
وَمَوْجِزًا لِيُخَفَّ عَلَى اللَّفْظِ تَعَاطِيهِ الَّذِي هُوَ الْمُبْلَغُ الَّذِي لَا يَمِلُّ وَالْجَدِيدُ
الَّذِي لَا يَخْلُقُ . وَالْحَقُّ السَّاطِعُ . وَالْمَاجِي الظُّلَمِ الضَّلَالِ . وَلِسَانُ
الصِّدْقِ النَّافِي لِلْكَذِبِ . إِنْ أَوْجَزَ كَانَ كَافِيًا وَإِنْ أَكْثَرَ كَانَ
مُذَكِّرًا . وَإِنْ أَوْمَأَ كَانَ مُشْتَعًا . وَإِنْ أَطَالَ كَانَ مُفْهِمًا . وَإِنْ
أَمَرَ فَصَاحًا . وَإِنْ حَكَّمَ فَعَادِلًا . وَإِنْ أَخْبَرَ فَصَادِقًا . وَإِنْ بَيَّنَّ
فَشَافِيًا . سَهْلٌ عَلَى الْفَهْمِ . صَعْبٌ عَلَى الْمُتَعَاطِي . قَرِيبٌ الْمَأْخَذِ بَعِيدُ
الْمَرَامِ . سِرَاجٌ تَسْتَضِيُّ بِهِ الْقُلُوبُ حُلُوٌّ إِذَا تَذَوَّقَتْهُ الْعُقُولُ . وَقَدْ
قِيلَ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا حَطَّ التَّكْلُفُ عَنْهُ وَبَنَى عَلَى التَّنْيِينِ وَكَانَتْ
الْفَائِدَةُ أَغْلَبَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَافِيَةِ بِأَنْ جُمِعَ مَعَ ذَلِكَ سُهولةُ الْخُرُجِ

مَعَ قُرْبِ الْمُتَنَاولِ . وَعُدُوبَةُ اللَّفْظِ مَعَ رَشَاقَةِ الْمَعْنَى . وَأَنْ يَكُونَ
حُسْنُ الْإِتْدَاءِ كَحُسْنِ الْإِنْتِهَاءِ . وَحُسْنُ الْوَصْلِ كَحُسْنِ الْقَطْعِ فِي
الْمَعْنَى وَالسَّمْعِ . وَكَانَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ قَدْ وَقَعَتْ فِي حَقِّهَا وَإِلَى جَنْبِ
أُخْتِهَا حَتَّى لَا يُقَالَ : لَوْ كَانَ كَذَا فِي مَوْضِعِ كَذَا لَكَانَ أَوْلَى حَتَّى
لَا يَكُونَ فِيهِ لَفْظٌ مُخْتَلِفٌ وَلَا مَعْنَى مُسْتَكْرَهَةٌ . ثُمَّ أَلِيسَ بِهَا الْحِكْمَةُ
وَنُورُ الْمَعْرِفَةِ وَشَرَفُ الْمَعْنَى وَجَزَالَةُ اللَّفْظِ وَكَانَتْ حَلَاوَةً فِي الصَّدْرِ
وَجَلَالَةً فِي النَّفْسِ تَفْتَحُ الْفَهْمَ وَتَنْثُرُ دَقَائِقَ الْحُكْمِ وَكَانَ ظَاهِرُ
النَّفْعِ شَرِيفَ الْقَصْدِ مُعْتَدِلَ الْوِزْنِ جَمِيلَ الْمَذْهَبِ كَرِيمَ الْمَطْلَبِ .
فَصِيغًا فِي عَنَاهُ يَتَنَا فِي قَحْوَاهُ وَجَاءَ أَيْضًا فِي كُتُبِ الْأَدَبِ :
إِنَّ لَحْظَةَ الْقَلْبِ أَسْرَعُ خَطَرَةً مِنْ لَحْظَةِ الْعَيْنِ وَأَبْعَدُ مَجَالًا وَهِيَ
الْعَانِيَةُ فِي أَعْمَاقِ أَوْدِيَةِ الْفِكْرِ وَالْمُتَامِلَةُ لَوُجُوهِ الْعَوَاقِبِ . وَالْجَامِعَةُ
بِزَ مَا غَابَ وَحَضَرَ . وَالْمِيزَانُ الشَّاهِدُ عَلَى مَا نَفَعَ وَضَرَ . وَالْقَلْبُ
كَالْمِيزَانِ لِلْكَلَامِ عَلَى اللِّسَانِ إِذَا نَطَقَ وَإِذَا كَتَبَتْ . وَالْعَاقِلُ
يَكْسُو الْمَعَانِي وَشَيَ الْكَلَامِ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ يُبْدِيهَا بِالْفَاقِظِ كَيْسَةً بِأَحْسَنِ
زِينَةٍ . وَالْجَاهِلُ يَسْتَعْجِلُ بِإِظْهَارِ الْمَعَانِي قَبْلَ الْعِنَايَةِ بِتَرْيِيقِ مَعَارِضِهَا
وَأَتِكْمَالِ مَحَاسِنِهَا . قِيلَ لِشَارِبِ بْنِ بُرْدٍ : بِمَ قُتِلَ أَهْلُ عَصْرِكَ
فِي حُسْنِ مَعَانِي الشَّعْرِ وَتَهْذِيبِ الْفَاقِظِ . فَقَالَ : لِأَنِّي لَمْ أَقْبَلْ كُلَّ
مَا تُورِدُهُ عَلَيَّ قَرِيبِي وَبِنَاجِيِي بِهِ طَبْعِي وَيَبْعَثُهُ فِكْرِي . وَنَظَرْتُ
إِلَى غَارِسِ الْفُطْنِ وَمَعَادِنِ الْحَقَائِقِ وَلَطَائِفِ التَّشْبِيهَاتِ فَسِرْتُ
إِلَيْهَا بِفَهْمٍ جَيِّدٍ وَغَرِيزَةٍ قَوِيَّةٍ فَاحْكَمْتُ سَيْرَهَا وَأَتَقَيْتُ حُرَهَا

وَكَشَفْتُ عَنْ حَقَائِقِهَا وَأَحْذَرْتُ عَنْ مُتْكَلِفِهَا . وَمَا مَلَكَ قَطُّ
قِيَادِي الْإِعْجَابُ بِشَيْءٍ مِمَّا آتَى بِهِ . قَالَ الْجَاهِظُ : إِنْ أَلْفَعْنِي إِذَا
كَانَ شَرِيفًا وَكَانَ اللَّفْظُ بَلِيغًا وَكَانَ صَحِيحَ الطَّبَعِ بَعِيدًا مِنْ
الْإِسْتِكْرَاهِ مُدْرَهَا عَنْ الْإِخْتِلَالِ مَضُونًا عَنْ التَّكْلِيفِ صَنِيعَ فِي الْقَلْبِ
صَنِيعَ الْغَيْثِ فِي الثَّرْبَةِ الْكَرِيمَةِ . وَمَتَى فَضَلَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى هَذِهِ
الشَّرِيطَةِ وَتَقَدَّتْ مِنْ قَائِلِهَا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ كَسَاهَا اللَّهُ مِنَ التَّوْفِيقِ
وَمَحَّهَا مِنَ التَّأْيِيدِ مَا لَا يَمْتَنِعُ مِنْ تَعْظِيمِهَا بِهِ صُدُورُ الْجَبَابِرَةِ وَلَا
يَذْهَلُ عَنْ فَهْمِهَا مَعَهُ عُقُولُ الْجَهْلَةِ

البحث الخامس

في تهذيب الكلام وتنقيحه

(عن خزانة الادب للمحموي وزهر الآداب للمحصري)

وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَرْدَادِ النَّظَرِ فِي الْكَلَامِ بَعْدَ عَمَلِهِ وَالشُّرُوعِ فِي
تَهْذِيبِهِ وَتَنْقِيحِهِ نَظْمًا كَانَ أَوْ نَثْرًا وَتَغْيِيرِ مَا يَجِبُ تَغْيِيرُهُ وَحَذْفِ مَا
يَتَّبَعِي حَذْفُهُ وَإِضْلَاحِ مَا يَتَّعِنُ إِضْلَاحُهُ وَكَشْفِ مَا يُشْكَلُ عَنْ
غَرِيْبِهِ وَإِعْرَاجِهِ . وَتَحْرِيرِ مَا يَدِقُّ مِنْ مَعَانِيهِ . وَأَطْرَاحِ مَا يَتَجَاوَى عَنْ
مَضَاجِعِ الرِّقَّةِ مِنْ غَلِيظِ الْفَاطَةِ لِشَرْقِ شُمُوسِ التَّهْذِيبِ فِي سَمَاءِ
بَلَاعَتِهِ وَتَرْشُفِ الْأَسْمَاعِ عَلَى الطَّرَبِ رَقِيقِ سُلَاقَتِهِ . فَإِنَّ الْكَلَامَ
إِذَا كَانَ مَوْصُوفًا بِالْمُهَذَّبِ مَنُوعًا بِالْمُسْتَحْجِ عِلَّتْ رُبَّتُهُ . وَإِنْ كَانَتْ
مَعَانِيهِ غَيْرَ مُبْتَكِرَةٍ . وَكُلُّ كَلَامٍ قِيلَ فِيهِ : لَوْ كَانَ مَوْضِعَ هَذِهِ

الْكَلِمَةِ غَيْرَهَا . وَلَوْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَتَأَخَّرُ وَتَأَخَّرَ هَذَا الْمَتَقَدِّمُ . أَوْ لَوْ
تِمَّ هَذَا النَّقْصُ بِكَذَا . أَوْ لَوْ تَكَمَّلَ هَذَا الْوَصْفُ بِكَذَا . أَوْ لَوْ
حُذِفَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ . أَوْ لَوْ اتَّضَحَ هَذَا الْمَقْصِدُ وَسَهِّلَ هَذَا الْمَطْلَبُ
لَكَانَ الْكَلَامُ أَحْسَنَ وَالْمَعْنَى آيِنَ . كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ غَيْرَ
مُنْتَظَمٍ فِي سِلْكِ نَوْعِ التَّهْذِيبِ وَالتَّأْدِيبِ . وَكَانَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي
سَلَمَى مَعْرُوفًا بِالتَّنْقِيعِ وَالتَّهْذِيبِ . وَلَهُ قَصَائِدُ تُعْرَفُ بِالْحَوَالِيَّاتِ .
قِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَنْظُمُ الْقَصِيدَةَ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَيَهْذِبُهَا وَيُنْقِئُهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَيَعْرِضُهَا عَلَى عُلَمَاءِ قَبِيلِهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ . وَيُرْوَى : أَنَّهُ
كَانَ يَعْمَلُ الْقَصِيدَةَ فِي شَهْرٍ وَيُنْقِئُهَا وَيَهْذِبُهَا فِي أَحَدِ عَشَرَ شَهْرًا
وَلَا جَرَمَ أَنَّهُ قَلِمًا يَنْقُطُ مِنْهُ شَيْءٌ . وَلِهَذَا كَانَ الْإِمَامُ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ مَعَ جَلَالَتِهِ فِي الْعِلْمِ وَتَقَدُّمِهِ فِي النِّقْدِ يُقَدِّمُهُ عَلَى سَائِرِ الْفُجُولِ
مِنْ طَلْقِهِ . وَمَا أَحْسَنَ مَا أَشَارَ أَبُو التَّمَامِ إِلَى التَّهْذِيبِ بِقَوْلِهِ :
خُذْهَا ابْنَةُ الْفِكْرِ الْمَهْذَبِ فِي الدُّجَى وَاللَّيْلِ أَسْوَدَ رُقْعَةٍ الْجَلْبَابِ
فَإِنَّهُ خَصَّ تَهْذِيبَ الْفِكْرِ بِالْأُجَى لَكُونَ اللَّيْلِ تَهْدًا فِيهِ الْأَصْوَاتُ
وَتَسْكِنُ الْحَرَكَاتُ فَيَكُونُ الْفِكْرُ فِيهِ مُجْتَمِعًا وَبِرَأَةِ التَّهْذِيبِ فِيهِ
صَقِيلَةٌ لِحُلُوِّ الْخَاطِرِ وَصَفَاءُ الْقَرِيحَةِ . لَا مِثْلَ وَسْطِ اللَّيْلِ وَالنَّفْسُ قَدْ
أَخَذَتْ حَظَهَا مِنْ الرَّاحَةِ بَعْدَ نِيلِ قَسَطِهَا مِنْ الثَّرَمِ وَخَفَّ عَلَيْهَا ثَقُلُ
الْعِذَاءِ . وَصَحَّ ذَهْنُهَا وَصَارَ صَدْرُهَا مُنْشَرَحًا وَقَلْبُهَا بِالتَّأْلِيفِ مُنْبَسِطًا .
وَمَا قَدَّمُوا وَسْطَ اللَّيْلِ فِي التَّأْلِيفِ عَلَى النَّحْرِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ أَنْتِبَاهِ
أَكْثَرِ الْحَيَوَانِ النَّاطِقِ وَأَرْتِفَاعِ الْأَصْوَاتِ وَجَرَشِ الْحَرَكَاتِ وَتَقَشُّعِ

الظلماء بطلانهم لأضواء . وبدون ذلك يتقسم الفكر ويشغل
القلب ووسط الليل خالو مما ذكرناه . ولهذا خص أبو تمام تهذيب
الفكر بالدجى عادلاً عن الطرفين لما فيها من الشواغل المذمومة .
وحكت الثقات عن أبي عبادة البحراني قال : كنت في حدائتي أروم
الشعر وكنت أرجع فيه إلى طبع سليم ولم أكُن وقفت له على
تسهيل مأخذ ووجه اقتضاب حتى قصدت أبا تمام وأنقطعت إليه
وأتكلت في تعريفه عليه فكان أول ما قال لي : يا أبا عبادة
تخير الأوقات وأنت قليل الصوم صفر من الصوم . وأعلم أن
العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار
وقت السحر . وذلك أن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة
وقسطها من النوم وخفت عنها ثقل الغذاء . وصفاً من أكثر الأنجرة
والأذخنة جسم الهواء . وسكنت العظام . وركت النسائم . وتغنت
الحمام . وإذا سرعت في التأليف تعثر بالشعر فإن الغناء وضارته الذي
يجري فيه . واجتهد في إيضاح معانيه . فإن أردت ذكر الأحابير
فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رقيقاً وأكثر فيه من بيان الكآبة .
وقل الأشواق . ولوعة الفراق والتغلل باستنشاق النسائم . وغناء
الحمام . والبرق اللامعة . والنجوم الطالعة . والتبرم من العذال .
والوقوف على الأطلال . وإذا أخذت في مدح سيد فاشهر مناقبه
وأظهر مناسبه وأزهب من عزائمه وأزغب في مكارمه . وأحذر
الجهول من المعاني وإياك أن تشين شعرك بالعبارة والألفاظ

الْوَحْشِيَّةِ وَنَاسِبَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ وَكُنْ
كَأَنَّكَ خِيَاطٌ تُقَدِّرُ الْبَابَ عَلَى مَقَادِيرِ الْأَجْسَامِ . وَإِذَا عَارَضَكَ
الضَّجْرُ فَارْحَ نَفْسِكَ وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغٌ الْقَلْبِ وَلَا تَنْظِمَ
إِلَّا بِشَهْوَةٍ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ نَعَمَ الْمَعِينُ عَلَى حُسْنِ النِّظْمِ . وَجُمْلَةُ الْحَالِ
أَنْ تَعْتَبِرَ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ أَشْعَارِ الْمَاضِينَ فَمَا اسْتَحْسَنَ الْعُلَمَاءُ
فَاقْصِدْهُ وَمَا اسْتَقْبَحُوهُ فَاجْتَنِبْهُ

وَأُورِدَ الْعَلَامَةُ زَكِيَّ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْأَضْبَعِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى
بِتَحْرِيرِ التَّحْيِيرِ وَصِيَّةً لِنَفْسِهِ أَوْرَدَهَا أَيْضًا عَلَى نَوْعِ التَّهْذِيبِ وَالتَّأْدِيبِ
فَاخْتَرْتُ مِنْهَا مَا هُوَ اللَّائِقُ بِالْحَالِ وَأَوَّلُهَا : يَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الرَّاعِبُ فِي
الْعَمَلِ السَّائِلُ عَنْ أَوْضَحِ السَّبِيلِ أَنْ تَحْصِلَ الْمَعْنَى قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي
النِّظْمِ وَالْقَوَافِي قَبْلَ الْآيَاتِ (قُلْتُ وَهَذَا مَذْهَبُنَا) . ثُمَّ قَالَ أَيْضًا :
وَلَا تُكْرِهِ الْخَاطِرَ عَلَى وَزْنٍ مُخْصُوصٍ وَرَوِيٍّ مَقْصُودٍ وَتَوَخَّ الْكَلَامَ
الْجَزَلَ دُونَ الرَّذَلِ وَالسَّهْلَ دُونَ الصَّعْبِ وَالْعَذْبَ دُونَ الْمُسْتَكْرَهِ
وَالْمُسْتَحْسَنَ دُونَ الْمُسْتَفْجَنِ . وَلَا تَعْمَلْ نَظْمًا وَلَا نَثْرًا عِنْدَ الْمَلَلِ
فَإِنَّ الْكَثِيرَ مَعَهُ قَلِيلٌ وَالنَّفِيسَ مَعَهُ خَسِيسٌ . وَالْخَوَاطِرُ يَنَاقِصُ إِذَا
رَفِقَ بِهَا حَمَتُ وَإِذَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا تَرَحَّتْ . وَآكُتِبُ كُلُّ مَعْنَى يَسْنَعُ
وَقَيْدُ كُلِّ فَائِدَةٍ تَعْرُضُ فَإِنَّ نَتَائِجَ الْأَفْكَارِ كَلِمَةٌ الْبَرَقِ وَلِخَمَةِ
الْطَّرْفِ إِنْ لَمْ تُقَيِّدْهَا مَشَرَدَتْ وَنَدَّتْ وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيفْ بِالشُّكْرَارِ
عَلَيْهَا صَدَّتْ وَالتَّرَنُّمُ بِالشِّعْرِ بِمَا يُعِينُ عَلَيْهِ . فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :
تَغْنَنَّ بِالشِّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ إِنْ الْعِنَاءَ لِقَوْلِ الشِّعْرِ مَضْمَارُ

البحث السادس

في شروط الكلام

(عن ادب الدنيا والدين للماوردي)

اعلم ان للكلام شروطاً لا يسلم المتكلم من الزلل الا بها ولا يعزى من النقص الا بعد ان يستوفى اربعاً : (فالشرط الاول) ان يكون الكلام لداع يدعو اليه اما في اجتلاب نفع او في دفع ضرر . (والشرط الثاني) ان يأتي به في موضعه ويتوخي به اصابة فرصته . (والشرط الثالث) ان يقتصر منه على قدر حاجته . (والشرط الرابع) ان يتخير اللفظ الذي يتكلم به . فهذه اربعة شروط متى اخل المتكلم بشروط منها فقد اوهن فضيلة باقيا . وسند ذكر تعليل كل شرط منها بما ينبغي عن لزومه . فاما الشرط الاول وهو الداعي الى الكلام فلان ما لا داعي له هذيان وما لا سبب له هجر ومن ساهق نفسه في الكلام اذا عن ولم يراع صحة دواعيه واصابة معانيه كان قواه مرذولاً ورأيه مغلولاً . كالذي حكى ابن عائشة : ان شاباً كان يجالس الاخنف ويطل الصمت فانجب ذلك الاخنف فحلت الحلقة يوماً فقال له الاخنف : تكلم يا ابن اخي . فقال : يا عم لو ان رجلاً سقط من شرف هذا المسجد هل كان يضره شيء . فقال : يا ابن اخي ليتنا تركناك مستوراً . ثم تمثل الاخنف بقول الأعور الشنقي :

كَأَيِّنْ تَرَى مِنْ صَاحِبِ لِكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
 لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ قَلَمٌ يَتَّقِ إِلَّا صُورَةَ اللَّحْمِ وَالْأَدَمِ
 وَكَأَلَّذِي حُكِيَ عَنْ أَبِي الْقَعِيهِ : إِنَّ رَجُلًا كَانَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ
 فَيُطِيلُ الصَّمْتَ فَقَالَ لَهُ أَبُو يُوسُفَ : أَلَا تَسْأَلُ . قَالَ : بَلَى مَتَى يَفْطُرُ
 الصَّائِمُ . قَالَ : إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ . قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَغْرُبْ إِلَى
 نِصْفِ اللَّيْلِ . (قَالَ) فَتَبَسَّمَ أَبُو يُوسُفَ وَتَمَثَّلَ بِبَيْتِي الْخَطْفِيِّ جَدِّ
 جَرِيرٍ :

عَجِبْتُ لِأَزْدَاءِ الْعِيِّ بِنَفْسِهِ وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْعِلْمِ أَعْلَمًا
 وَفِي الصَّمْتِ سِرٌّ لِلْعَبِيِّ وَإِنَّمَا صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ
 فَأَنْظُرْ إِلَى هَؤُلَاءِ كَيْفَ أَبَانُوا بِالْكَلَامِ عَنْ جَهْلِهِمْ وَأَغْرَبُوا
 بِالسُّؤَالِ عَنْ نَفْسِهِمْ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دَاعٍ إِلَيْهِ وَلَا رَوِيَّةٌ فَمَا تَكَلَّمُوا
 بِهِ وَلَوْ صَدَرَ عَنْ رَوِيَّةٍ دَعَا إِلَيْهَا دَاعٍ لَسَلِمُوا مِنْ شَيْنِهِ وَبَرُّوا مِنْ
 عَيْبِهِ . وَلِذَلِكَ قِيلَ : لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ فَإِذَا أَرَادَ الْكَلَامَ
 رَجَعَ إِلَى قَلْبِهِ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَكَلُّمٌ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْسَكٌ . وَقَلْبُ
 الْجَاهِلِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا عَرَضَ لَهُ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ
 عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَنْ لَمْ يَعُدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ . وَقَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ : عَقْلُ الْمَرْءِ مَحْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : أَحْسِنُ
 لِسَانِكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ أَوْ يُثْلِفَ نَفْسَكَ فَلَا شَيْءَ أَوْلَى بِطُولِ
 حَبْسٍ مِنْ لِسَانٍ يُقْصَرُ عَنِ الصَّوَابِ وَيُسْرَعُ إِلَى الْجَوَابِ . وَقَالَ
 أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي :

وَمَا كَانَتْ الْحُكَمَاءُ قَالَتْ لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ تَبَعِ الْقَوْلِ إِذَا
وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ يَحْمُ الرُّخَصَةَ فِي الْكَلَامِ وَيَقُولُ : إِذَا
جَالَسْتَ أَجْمَهَالٍ فَأَنْصِتْ لَهُمْ وَإِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ . فَإِنْ
فِي أَنْصَاتِكَ لِلْجُهَالِ زِيَادَةٌ فِي الْحِلْمِ وَفِي أَنْصَاتِكَ لِلْعُلَمَاءِ زِيَادَةٌ فِي
الْعِلْمِ . وَأَمَّا (الشَّرْطُ الثَّانِي) فَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ بِالْكَلَامِ فِي مَوْضِعِهِ
لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي غَيْرِ حِينِهِ لَا يَنْفَعُ مَوْقِعَ الْإِتِّفَاعِ بِهِ وَمَا لَا يَنْفَعُ مِنَ
الْكَلَامِ فَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ هَذِيانٌ وَهَجْرٌ . فَإِنْ قُدِّمَ مَا يَشْتَضِي
الْتَّأْخِيرَ كَانَ عَجَلَةً وَخُرْقًا . وَإِنْ أَخْرَمَا يَشْتَضِي التَّقْدِيمَ كَانَ تَوَانِيًا وَعَجْزًا
لِأَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ قَوْلًا وَفِي كُلِّ زَمَانٍ عَمَلًا . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :
يَضَعُ الْحَدِيثَ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَكَلَامُهُ مِنْ بَعْدِهَا تَرَرٌ
وَأَمَّا (الشَّرْطُ الثَّلَاثُ) وَهُوَ أَنْ يَشْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ .
فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنْ لَمْ يَتَحَصَّرْ بِالْحَاجَةِ وَلَمْ يُقَدَّرْ بِالْكَفَايَةِ لَمْ يَكُنْ
لِحَدِّهِ غَايَةً وَلَا لِقَدْرِهِ نِهَايَةً وَمَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْكَلَامِ مُحْصُورًا كَانَ
حَصْرًا وَإِنْ قَصُرَ وَهْذَرًا وَإِنْ كَثُرَ . وَرَوِي : أَنَّ أَعْرَابِيًا تَكَلَّمَ عِنْدَ
بَعْضِهِمْ وَطَوَّلَ فَقَالَ لَهُ : كَمْ دُونَ لِسَانِكَ مِنْ حِجَابٍ . قَالَ : شَفَتَايَ
وَلِسَانِي . قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ الْإِنْبِقَاقَ فِي الْكَلَامِ
فَقَضَّرَ اللَّهُ وَجْهَ أَمْرِي أَوْجَزَ فِي كَلَامِهِ فَأَقْتَصَرَ عَلَى حَاجَتِهِ . وَحَكِي
أَنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ رَأَى رَجُلًا يُكْثِرُ الْكَلَامَ وَيُقِلُّ الشُّكُوتَ فَقَالَ :
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ لَكَ أُذُنَيْنِ وَلِسَانًا وَاحِدًا لِيَكُونَ مَا تَسْمَعُهُ
ضِعْفَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ

كَثُرَتْ آثَامُهُ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : أَنْذِرْكُمْ فُضُولَ الْمَنْطِقِ . وَقَالَ
بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : كَلَامُ الْمَرْءِ يَبَانُ فَضْلُهُ وَتَرَجَّحَانُ عَقْلُهُ فَأَقْصَرُهُ عَلَى
الْجَدِيلِ وَأَقْتَصِرِمَنَّهُ عَلَى الْقَلِيلِ وَإِيَّاكَ مَا يُسَخِّطُ سُلْطَانَكَ وَيُوحِشُ
إِخْوَانَكَ . فَمَنْ أَسَخَّطَ سُلْطَانَهُ تَعَرَّضَ لِلْمَنِيَّةِ . وَمَنْ أَوْحَشَ إِخْوَانَهُ
تَبَرَّأَ مِنَ الْحَرِيَّةِ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا يُبْدِي عُيُوبَ ذَوِي الْعُيُوبِ الْمَنْطِقُ
وَلِيُخَالَفَهُ قَدْرُ الْحَاجَةِ مِنَ الْكَلَامِ حَالَتَانِ : تَقْصِيرٌ يَكُونُ حَصْرًا
وَتَكْثِيرٌ يَكُونُ هَذَرًا . وَكِلَاهُمَا شَيْنٌ وَشَيْنُ الْهَذَرِ أَشْعُ وَرُبَّمَا كَانَ فِي
الْغَالِبِ اخْوَفَ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : الْحَصْرُ خَيْرٌ مِنَ الْهَذَرِ لِأَنَّ الْحَصْرَ يُضَعِّفُ الْحُجَّةَ
وَالْهَذَرَ يُثَلِّفُ الْمَحْجَةَ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : يَارَبَّ أَلْسِنَةِ كَالسُّيُوفِ تَقْطَعُ لَفَاقَ
أَفْحَاجِهَا وَمَا يَنْقُصُ مِنْ هَيْئَاتِ الرِّجَالِ يَزِيدُ فِي بَهَائِهَا وَالْبَابِهَا . وَقَدْ
ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَثُرَ عَنْ قَدْرِ الْحَاجَةِ وَزَادَ عَلَى
الْكِفَايَةِ وَكَانَ عَمَوَابًا لَا يَشُوهُ خَطْلٌ وَسَلِيمًا لَا يَتَعَوَّدُهُ زَلٌّ فَهُوَ
الْيَبَانُ وَالسَّخَرُ الْحَلَالُ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَدْ ذَمَّ الْكَلَامَ
فِي مَجْلِسِهِ : كَلَّا إِنْ مِنْ تَكَلَّمَ فَاحْسَنَ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَسْكُتَ فَيُجَيِّنَ
وَلَيْسَ مَنْ سَكَتَ فَاحْسَنَ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ فَيُجَيِّنَ . وَوَصَفَ
بَعْضُهُمُ الْكَاتِبَ فَقَالَ : مَنْ إِذَا أَخَذَ شَيْئًا كَفَاهُ وَإِذَا وَجَدَ طُومَارًا

أَمَلَاهُ . وَأَنشَدَ بَعْضُهُمْ فِي خُطْبَاءِ إِيَادَ :

يَرُونَهُ بِالْخُطْبِ الطَّوَالِ وَتَارَةً وَحِي الْمَلَا حِظِ خِيفَةَ الرُّقْبَاءِ .
 وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ صَالِحٍ لِأَبْنِهِ : يَا بَنِي إِذَا أَقَلَّتْ مِنْ أَلْكَلامِ
 أَكْثَرْتَ مِنَ الصَّوَابِ . فَقَالَ : يَا أَبَتِي فَإِنِ أَنَا أَكْثَرْتُ وَأَكْثَرْتُ
 (يَعْنِي كَلَامًا وَصَوَابًا) . فَقَالَ : يَا بَنِي مَا رَأَيْتَ مَوْعُظًا أَحَقَّ بِأَنْ
 يَكُونَ وَاعِظًا مِنْكَ . وَأَنشَدْتُ لِأَبِي الْقَتْمِ الْبُسْتِي :

تَكَلَّمَ وَسَدِّدَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمَادُ
 فَإِن لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادُ
 وَقِيلَ لِإِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ : مَا فِيكَ عَيْبٌ إِلَّا كَثَرَةُ الْكَلَامِ .
 فَقَالَ : أَقْتَسِمُونَ صَوَابًا أَوْ خَطَأً . قَالُوا : لَا بَلْ صَوَابًا . قَالَ :

فَالزِّيَادَةُ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ . وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَلِيزِيُّ : لِلْكَلامِ غَايَةٌ
 وَلِنَشَاطِ السَّامِعِينَ نِهَايَةٌ وَمَا فَضَّلَ عَنْ مِقْدَارِ الْإِحْتِمَالِ وَدَعَا إِلَى
 الْأَسْتِثْقَالِ وَالْمَلَالِ فَذَلِكَ الْقَاضِلُ هُوَ الْهَذَرُ . وَصَدَقَ أَبُو عُثْمَانَ لِأَنَّ
 الْأَكْثَارَ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ صَوَابًا يُمِلُّ السَّامِعُ وَيَكِلُّ الْخَاطِرُ وَهُوَ صَادِرٌ
 عَنْ عَجَابٍ بِهِ لَوْلَاهُ قُصْرُ عَنْهُ . وَمَنْ عَجِبَ بِكَلَامِهِ اسْتَرْسَلَ فِيهِ
 وَاسْتَرْسَلَ فِي الْكَلَامِ كَثِيرُ الزَّلَلِ دَائِمُ الْعِثَارِ . وَقَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ : مَنْ عَجِبَ بِقَوْلِهِ أُعْيِبَ بِعَقْلِهِ وَلَيْسَ لِكَثَرَةِ الْهَذَرِ رَجَاءُ
 يُقَابِلُ خَوْفَهُ وَلَا تَفْعُ يُوَازِي ضَرَّهُ لِأَنَّهُ يَخَافُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّلَلَ وَمِنْ
 سَامِعِيهِ الْمَلَلَ وَلَيْسَ فِي مُقَابَلَةِ هَذَيْنِ حَاجَةٌ دَاعِيَةٌ وَلَا تَفْعُ مَرْجُوَّةٌ .
 قَالَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى : إِذَا كَانَ الْإِيحَازُ كَافِيًا كَانَ الْإِكْثَارُ عِيًّا وَإِنْ

كَانَ الْإِسْكَتَارُ وَاجِبًا كَانَ التَّقْصِيرُ عَجْزًا. وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحُكْمِ :
إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ . وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَمَاءِ : مَنْ أَطَالَ
صَمْتَهُ اجْتَلَبَ مِنَ الْهَيْبَةِ مَا يَنْفَعُهُ وَمِنَ الْوُحْشَةِ مَا لَا يَضُرُّهُ . وَقَالَ
بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : عِيٌّ تَسْلَمُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْ مَنْطِقٍ تَنْدَمُ عَلَيْهِ فَأَقْتَصِرْ مِنْ
الْكَلَامِ عَلَى مَا يُقِيمُ حُجَّتَكَ وَيُلْغِي حَاجَتَكَ وَإِيَّاكَ وَفَضُولَهُ فَإِنَّهُ يُزِلُّ
الْقَدَمَ وَيُورِثُ النَّدَمَ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَصِّحَاءِ : فَمُ الْعَاقِلِ مُلْجَمٌ إِذَا
هَمَّ بِالْكَلَامِ أَنْجَمَ وَفَمُ الْجَاهِلِ مُطْلَقٌ كُلَّمَا شَاءَ أُطْلِقَ . وَقَالَ
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

إِنَّ الْكَلَامَ يُعِدُّ الْقَوْمَ جَلَوَةً حَتَّى يُلْجِ بِهِ عِيٌّ وَإِسْكَتَارُ
وَأَمَّا (الشَّرْطُ الرَّابِعُ) وَهُوَ اخْتِيَارُ اللَّفْظِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ
فَلَا يَلْسَانُ عُتْوَانُ الْإِنْسَانِ يُرْجَمُ عَنْ مَجْهُولِهِ وَيُزْهَنُ عَنْ مَحْضُولِهِ
فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ بِتَهْدِيدِ الْفَاضِلِ حَرِيًّا وَتَقْوِيمِ لِسَانِهِ مَلِيًّا . وَقَالَ خَالِدُ
ابْنُ صَفْوَانَ : مَا الْإِنْسَانُ لَوْلَا اللِّسَانُ هَلِ إِلَّا بِهَيْبَةٍ مُهْمَةٍ أَوْ صُورَةٍ
مُمَثَّلَةٍ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اللِّسَانُ وَزِيرُ الْإِنْسَانِ . وَقَالَ بَعْضُ
الْبُلَغَاءِ : يَسْتَدِلُّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ بِقَوْلِهِ وَعَلَى أَصْلِهِ بِفِعْلِهِ . وَقَالَ
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَإِنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حَصَاةٌ عَلَى عَوْدَاتِهِ لَدَائِلُ
وَلَيْسَ يَصِحُّ اخْتِيَارُ الْكَلَامِ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِالْبَلَاغَةِ وَكَلَفَهَا
لُزُومَ الْفَصَاحَةِ حَتَّى يَصِيرَ مُتَدَرِّبًا بِهَا مُتَادًا لَهَا فَلَا يَأْتِي بِكَلَامٍ
مُسْتَكْرَهٍ اللَّفْظِ وَلَا مُخْتَلٍ الْمَعْنَى لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ عَلَى مَعَانٍ

مُفْرَدَةٌ وَلَا لَأَفَاطِظَهَا غَايَةٌ . وَإِنَّمَا الْبَلَاغَةُ أَنْ تَكُونَ بِالْمَعَانِي الصَّحِيحَةِ
مُسْتَوْدَعَةً فِي الْفَاطِظِ فَصِيحَةٍ فَتَكُونَ فَصَاحَةً الْآفَاطِظِ مَعَ صِحَّةِ الْمَعَانِي
هِيَ الْبَلَاغَةُ

البحث السابع

في عيوب الكلام

(عن المحظ والعسكري)

(راجع صفحة ٢٨ من علم الادب)

قَالَ بَعْضُ الْأَوَائِلِ : لَا تَكْمِلْ آثَةَ الْبَاطِلِ إِلَّا إِذَا خَلَا كَلَامُهُ
مِنَ التَّكْلِيفِ وَسُوءِ الصَّنْعَةِ وَكَانَ غَنِيًّا عَنِ التَّأَمُّلِ مُتَبَاعِدًا عَنِ الْحُشْوَةِ .
فَقَوْلُهُ : (يَكُونُ سَائِمًا مِنْ التَّكْلِيفِ) فَالتَّكْلِيفُ طَلَبُ الشَّيْءِ
بِصُعُوبَةٍ لِلْجَهْلِ بِطَرَائِقِ طَلَبِهِ بِالسَّهْوَةِ . فَالْكَلَامُ إِذَا جُمِعَ بِتَعَبٍ
وَجُهِدَ وَتَنَزَّلَتِ الْفَاطِظَةُ مِنْ بَعْدِ فَهْمٍ مُتَّكِلٍ . وَقَالُوا : أَيْسَ
الْفَقْهُ بِالْتَّفَقُّهِ وَلَا الْفَصَاحَةُ بِالْتَّفَضُّحِ لِأَنَّهُ لَا يَزِيدُ . تَزِيدُ فِي كَلَامِهِ إِلَّا
لِنَقْصِ يَجْدُهُ فِي نَفْسِهِ . وَمِمَّا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْأَعْرَابُ وَالْعَجَمُ قَوْلُهُمْ :
الطَّبْعُ أَمْلَكَ . قَالَ الْعَرَجِيُّ :

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرِ شَيْئِهِ وَمَنْ شَمَانِلُهُ التَّبْدِيلُ وَالْمَلَقُ
إِرْجِعْ إِلَى خُلُقِكَ الْمَعْرُوفِ دَيْدُهُ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ
وَقَالَ آخَرُ :

وَمَنْ يَتَدَبَّرُ مَا أَلَيْسَ مِنْ سُوسٍ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمَتُهَا

وَقَالَ آخِرُ :

كُلُّ أَمْرٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشَيْئِهِ وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ
وَمِثَالُ التَّكْفِيفِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي دُعَائِهِ : اَللّٰهُمَّ رَبَّنَا وَآلِهَنَا
مَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا فَاحِطٌ ذَلِكَ السُّوءَ بِهِ وَأَرْسِيَّتُهُ فِيهِ كَرُّ سُوءِ السَّجِيلِ
فِي أَصْحَابِ الْقِيلِ . وَأَنْصَرْنَا عَلَى كُلِّ بَاغٍ وَحَسُودٍ كَمَا اتَّصَرْتُ لِنَاقَةِ
تَمُودٍ . ثُمَّ قَالَ : (بَرِيثَا وَنَ سُوْرُ الصَّنْعَةِ) فَسُوْرُ الصَّنْعَةِ يَتَصَرَّفُ عَلَى وَجُوهِ
مِنْهَا : سُوءُ التَّقْسِيمِ وَفَسَادُ التَّفْسِيرِ وَقُبْحُ الِاسْتِعَارَةِ وَالتَّطْيِيقِ وَفَسَادُ
النَّسَبِ وَالسَّبكِ . فَإِذَا أَخْلَى الْكَاتِبُ بِذَلِكَ فَاتَتْهُ فَضِيلَتُهُ وَعَلَقَتْ
بِهِ رَذِيلَةُ قُوَّتِهِ فَعَفَى عَلَى جَمِيعِ مُحَاسِنِهِ وَعَمَى سَائِرَ فُضَائِلِهِ . لِأَنَّهُ إِذَا
لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ كَلَامٍ حَيِّدٍ وَآخِرٍ رَدِيٍّ . وَلَفْظٍ حَسَنٍ وَآخِرٍ قَبِيحٍ وَشَعْرٍ
نَادِرٍ وَآخِرٍ بَارِدٍ بَانَ جِهَانُهُ وَظَهَرَ نَقْصُهُ . وَهُوَ أَيْضًا إِذَا أَرَادَ أَنْ
يَضَعَنَّ قَصِيدَةً أَوْ يَشْيَ رِسَالَةً وَقَدْ فَاتَهُ هَذَا الْعِلْمُ مَزَجَ الصَّفْوَ
بِالْكَدْرِ وَخَاطَطَ أَثَرَهُ بِالْأَمْرِ وَأَسْتَعْمَلَ الْوَحْشِيَّ الْعَكْرَ فَجَعَلَ نَفْسَهُ
مَهْرَآةً لِلْجَاهِلِ وَعِبْرَةً لِلْعَاقِلِ . وَإِذَا أَرَادَ أَيْضًا تَضْيِيفَ كَلَامٍ مَشْهُورٍ
أَوْ تَأْلِيفَ شَعْرٍ مُنْظُومٍ وَتَخَطَّى حُسْنَ الصَّنْعَةِ سَاءَ اخْتِيَارُهُ لَهُ وَقُبْحَتْ
آثَارُهُ فِيهِ فَاخَذَ الرَّدِيَّ الْمُرْذُولَ وَتَرَكَ الْحَيِّدَ الْمَقْبُولَ فَدَلَّ عَلَى
قُصُورِ فَهْمِهِ وَتَأَخَّرِ مَعْرِفَتِهِ وَعَلَيْهِ . وَقَدْ قِيلَ : اخْتِيَارُ الرَّجُلِ قِطْعَةً
مِنْ عَلَيْهِ . وَمَا أَكْثَرُ مَا وَقَعَ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ فِي هَذِهِ الرَّذِيلَةِ .
وَقَوْلُهُ : (بَرِيثَا وَنَ التَّقْيِيدُ) فَالتَّقْيِيدُ وَالْإِغْلَاقُ سَوَاءٌ وَهُوَ اسْتِعْمَالُ
الْوَحْشِيِّ وَشِدَّةُ تَغْلِيْقِ الْكَلَامِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ حَتَّى يَسْتَبِيحَ الْمَعْنَى .

قَالَ حَبِيبُ الطَّائِي :

فَمَا لَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ تَعَاطِيكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ
أَمْ لَوْ أَنَّ جَهَاكَ عَادَ عِلْمًا إِذَا كَرَسَخْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ

قَالَ آخَرُ يَدُوحَ رَجُلًا بِاسْتِسْهَالِ اللَّفْظِ :

قَوْلٌ كَانَ فِرْنَدُ شَحَذَ عَلَى ذَهْنِ اللَّيْبِ

لَمْ يَشْمَزْ عَلَى اللِّسَانِ وَلَا يَشْدُ عَلَى الْقُلُوبِ

لَمْ يَغْلُ فِي شَنْعِ اللِّغَا تِ وَلَا يُوَحِّشُ بِالْغَرِيبِ

وَقَوْلُهُ : (غَنِيًّا عَنْ آتِمَائِهِ) أَيُّهُ هُوَ مُسْتَعْنٍ لِيُضَوِّجَهُ عَنْ تَأَمُّلِ
مَعَانِيهِ وَتَرْدِيدِ النَّظَرِ فِيهِ . قَالَ الْجَلِيزِيُّ : إِنَّ مَنْ آعَارَهُ اللَّهُ مِنْ مَعُونَتِهِ
نَحِيًّا وَأَفْرَغَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ذُو بَاحِبٍ إِلَيْهِ أَلْمَعَانِي وَسَلَسَ لَهُ قِطَامَ
الْفَرْظِ وَكَانَ قَبْلَ قَدْ آغَى الْمُسْتَعْمِعَ مِنْ كَدِّ التَّلَطُّفِ وَأَرَاخِ
قَارِي . الْكِتَابِ مِنْ كَدِّ التَّفْهَمِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ أَلْبَلَاغَةَ التَّقَرُّبِ
وَمِنْ أَلْمَعْنَى أَلْبَعِيدِ وَأَلْتَبْعَدُ مِنْ حَشْرِ الْكَلَامِ وَقُرْبِ الْمَأْخَذِ وَابْتِجَازِ
فِي صَوَابٍ وَقَصْدٍ إِلَى النُّجْمَةِ وَحَسَنِ الْأَسْتِعَارَةِ . وَبِشَأْنِهِ قَوْلُ الْآخَرِ :
أَلْبَلَاغَةُ تَقْرِيبُ مَا بَعْدَ مِنَ الْحِكْمَةِ بِأَيْسَرِ الْخُطَابِ وَالتَّقَرُّبُ مِنْ
أَلْمَعْنَى أَلْبَعِيدِ . وَهُوَ أَنَّ يَعْمِدَ إِلَى أَلْمَعْنَى اللَّطِيفِ فَيَكْشِفُهُ وَيُنْفِي
الشَّوَاغِلَ عَنْهُ فَيَفْهَمُ السَّامِعُ مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ فِيهِ وَتَدَبُّرٍ لَهُ . وَقَوْلُهُ :
(مُتَبَاعِدًا مِنَ الْحَشْرِ) فَالْحَشْرُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَابٍ : أَثْنَانِ مِنْهَا
مَذْمُومَانِ وَوَاحِدٌ مَحْمُودٌ . فَاحَدُ الْمَذْمُومَيْنِ هُوَ : إِدْخَالُكَ فِي الْكَلَامِ
لَفْظًا لَوْ اسْقَطْتَهُ لَكَانَ الْكَلَامُ تَمَامًا . مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

أَعْنِي قَتَى لَمْ تَذُرْ الشَّمْسَ طَالِعَةً يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعًا
 قَوْلُهُ : (يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ) حَشْرٌ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ لِأَنَّ الشَّمْسَ
 لَا تَطْلُعُ لَيْلًا . وَالضَّرْبُ الْآخِرُ الْعِبَارَةُ عَنِ الْمَعْنَى بِكَلَامٍ طَوِيلٍ
 لَا فَائِدَةَ فِي طُولِهِ وَيُمْكِنُ أَنْ يُعَبَّرَ بِأَقْصَرِهِ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :
 تَبَيَّنَتْ آيَاتُهَا فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعُ
 فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : سَبْعَةِ أَعْوَامٍ . وَيُتِمُّ أَلَيْتَ بِكَلَامٍ
 آخَرَ يَكُونُ فِيهِ فَائِدَةٌ فَهَجَزَ عَنْ ذَلِكَ فَحُشَا أَلَيْتَ بِمَا لَا وَجْهَ لَهُ .
 وَأَمَّا الضَّرْبُ التَّخْوِذُ فَكَقَوْلُ كَثِيرٍ :
 لَوْ أَنَّ الْبَلَاخَيْنِ وَأَنْتَ وَنَهْمٌ رَاوِكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْإِطْلَالَ
 فَوَلَّهُ : (وَأَنْتَ مِنْهُمْ) حَشْرٌ إِلَّا أَنَّهُ مَلِيحٌ وَيُسْتَعْيِ أَهْلُ الصَّنْعَةِ
 هَذَا الْجِنْسَ أَعْتَرَضَ كَلَامٌ فِي كَلَامٍ . وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ :
 إِنَّ الثَّانِينَ وَتَلَقَّيْهَا قَدْ أَخَوَجْتَ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

البحث الثامن

في الالتباس والاسباب المانعة من فهم المعاني

(عن الماوردي باختصار)

إِنْ لَمْ يَفْهَمْ الْعَاقِلُ مَعَانِي مَا سَمِعَ كَشَفَ عَنِ السَّبَبِ الْمَانِعِ
 مِنْهَا لِيَعْلَمَ أَلْعَلَّةَ فِي تَعَذُّرِ فَهْمِهَا فَإِنْ بِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْأَشْيَاءِ وَعَالِهَا
 يَصِلُ إِلَى تَلَا فِي مَا شَذَّ وَصَلَّاحَ مَا فَسَدَ وَلَيْسَ يُخَالِفُ أَوَّلَ السَّبَبِ الْمَانِعِ
 مِنْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَنْ يَكُونَ بَعْلَةٌ فِي الْكَلَامِ

أَلْتَرَجِمَ عَنْهَا . وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ لَعَلَّةٌ فِي الْمُسْتَوْدَعِ فِيهَا . وَأَمَّا أَنْ
يَكُونَ لَعَلَّةٌ فِي السَّامِعِ الْمُسْتَخْرِجِ . فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ
فَهْمِهَا لَعَلَّةً فِي الْكَلَامِ أَلْتَرَجِمَ عَنْهَا لَمْ يَحُلْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ :
(أَحَدُهَا) أَنْ يَكُونَ لَتَقْصِيرِ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى فَيَقْصِرُ تَقْصِيرُ اللَّفْظِ
عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى سَبَبًا مَانِعًا مِنْ فَهْمِ ذَلِكَ الْمَعْنَى . وَهَذَا يَكُونُ مِنْ
أَحَدٍ وَجْهَيْنِ : أَمَّا مِنْ حَصْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَعَيْنِهِ . وَأَمَّا مِنْ بِلَادَتِهِ وَقِلَّةِ
فَهْمِهِ . (أَحَالُ الثَّانِي) أَنْ يَكُونَ لَزِيَادَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى قَتْصِيرُ
الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ مَانِعًا مِنْ فَهْمِ الْقَصُودِ مِنْهُ وَهَذَا قَدْ يَكُونُ مِنْ أَحَدٍ
وَجْهَيْنِ : أَمَّا مِنْ هَذَرِ الْمُتَكَلِّمِ وَانْكَارِهِ . وَأَمَّا لِسُوْءِ ظَنِّهِ بِفَهْمِ
سَامِعِهِ . (وَأَحَالُ الثَّلَاثِ) أَنْ يَكُونَ لِمُوَاضَعَةٍ يَقْصِدُهَا الْمُتَكَلِّمُ
كَلَامَهُ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهَا السَّامِعُ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَهَا . وَأَمَّا تَقْصِيرُ اللَّفْظِ
وَزِيَادَتُهُ مِنْ الْأَسْبَابِ الْخَاصَةِ دُونَ الْعَامَّةِ لِأَنَّكَ لَسْتَ تَجِدُ ذَلِكَ
عَامًا فِي كُلِّ الْكَلَامِ وَإِنَّمَا تَجِدُهُ فِي بَعْضِهِ فَإِذَا عَدَلْتَ عَنِ الْكَلَامِ
الْمَقْصَرِ إِلَى الْكَلَامِ الْمُسْتَوْفِي وَعَنِ الزَّائِدِ إِلَى الْكَافِي أَرَحْتَ
نَفْسَكَ مِنْ تَكَلُّفِ مَا يَكْذِبُ خَاطِرَكَ وَإِنْ أَقْبَتَ عَلَى اسْتِخْرَاجِهِ إِمَّا
لِضَرُورَةٍ دَعَتْكَ إِلَيْهِ عِنْدَ انْعَوَازِ غَيْرِهِ أَوْ لِحُسْنِ دَاخِلَتِكَ عِنْدَ تَعَذُّرِ
فَهْمِهِ فَأَنْظُرْ فِي سَبَبِ الزِّيَادَةِ وَالتَّقْصِيرِ . فَإِنْ كَانَ التَّقْصِيرُ لِحَصْرِ
وَالزِّيَادَةُ لِهَذَرٍ سَهَّلَ عَلَيْكَ اسْتِخْرَاجَ الْمَعْنَى لِأَنَّ مَا لَهُ مِنَ الْكَلَامِ
مَحْضُولٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُحْتَلُّ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنَ الصَّحِيحِ وَفِي
الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَقَلِّ دَلِيلٌ . وَإِنْ كَانَتْ زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى

دَلِيلًا بِسُوءِ ظَنِّ الْمُتَكَلِّمِ بِهِمُ السَّامِعِ كَانَ اسْتِخْرَاجُهُ أَسْهَلَ .
وَأِنْ كَانَ تَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى لِسُوءِ فَهْمِ الْمُتَكَلِّمِ فَهُوَ أَضْعَبُ
الْأُمُورِ حَالًا وَابْعَدُهَا اسْتِخْرَاجًا لِأَنَّ مَا لَمْ يَفْهَمْهُ مُكَلِّمُكَ فَإِنَّتَ مِنْ
فَهْمِهِ أَبَدًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَفَرَطِ ذِكْرِكَ وَجُودَةِ خَاطِرِكَ تَتَنَبَّهُ
بِإِشَارَتِهِ عَلَى انْتِبَاطٍ مَا عَجَزَ عَنْهُ وَاسْتِخْرَاجٍ مَا قَصَرَ فِيهِ فَتَكُونُ
فَضِيلَةُ الْإِسْتِيفَاءِ لَكَ وَحَقُّ التَّقَدُّمِ لَهُ . وَأَمَّا الْمَوَاضِعُ فَضَرْبَانِ :
عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ . (أَمَّا الْعَامَّةُ) فَهِيَ مُوَاضِعُ الْعُلَمَاءِ فَيَجْعَلُونَهَا أَلْقَابًا لِمَعَانٍ
لَا يَسْتَغْنِي الْمُتَعَلِّمُ عَنْهَا وَلَا يَقِفُ عَلَى مَعْنَى كَلَامِهِمْ إِلَّا بِهَا كَمَا جَعَلَ
الْمُتَكَلِّمُونَ الْجَوَاهِرَ وَالْأَعْرَاضَ وَالْأَجْسَامَ أَلْقَابًا تَوَاضَعُوهَا لِمَعَانٍ
أَتَّفَقُوا عَلَيْهَا . وَكَأَنَّ تَجْدُّ مِنَ الْعُلُومِ عِلْمًا يَخْلُو مِنْ هَذَا . وَهَذِهِ
الْمَوَاضِعُ الْعَامَّةُ تُسَمَّى عُرْفًا . (وَأَمَّا الْخَاصَّةُ) فَمَوَاضِعُ الْوَاحِدِ يَقْصِدُ
بِبَاطِنِ كَلَامِهِ غَيْرَ ظَاهِرِهِ . فَإِذَا كَانَتْ فِي الْكَلَامِ كَانَتْ رَمْزًا .
وَأِنْ كَانَتْ فِي الشَّعْرِ كَانَتْ لُغْزًا . فَأَمَّا الرَّمْزُ فَلَسْتَ تَجِدُهُ فِي عِلْمٍ
عَنَوِيٍّ . وَلَا فِي كَلَامٍ لُغَوِيٍّ . وَأَمَّا يَخْتَصُّ غَالِبًا بِأَحَدِ شَيْئَيْنِ : إِمَّا
بِمَنْهَبٍ شَنِيعٍ يُخْفِيهِ مُعْتَقِدُهُ وَيَجْعَلُ الرَّمْزَ سَبِيلًا لِتَطْلُعِ النَّفُوسِ إِلَيْهِ
وَأَحْتِمَالِ التَّأْوِيلِ فِيهِ سَبِيلًا لِدَفْعِ الشُّبُهَةِ عَنْهُ . وَإِمَّا لِمَا يَدَّعِي أَرْبَابُهُ
أَنَّهُ عِلْمٌ مُعَوِّزٌ . وَأَنْ إِذْرَاكَهُ يَدَّعِي مُعْجَزًا كَأَصْنَعَةِ آتِي وَضَعَهَا
أَرْبَابُهَا أَسْمَاءَ لِعِلْمِ الْكِيمَاءِ فَرَمَزُوا بِأَوْعَافِهِ وَأَخْفَوْا مَعَانِيَهُ لِيُوهِمُوا
الشَّحْمَ بِهِ وَالْأَسْفَ عَلَيْهِ خَدِيعَةً لِلْعُقُولِ الْوَاهِيَةِ وَالْأَرَاءِ الْفَاسِدَةِ .
وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

بُنِيتُ شَيْئًا فَكَثُرَتْ الْوُلُوعُ بِهِ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا
 ثُمَّ لِيَكُونُوا بَرَاءً مِنْ عَهْدَةٍ مَا قَالُوهُ إِذَا جَرَّبَ وَلَوْ كَانَ مَا تَضَمَّنَ
 هَذَيْنِ التَّوَعَيْنِ وَاشْبَاهَهُمَا مِنَ الرُّمُوزِ مَعْنَى صَحِيحًا وَعِلْمًا مُسْتَفَادًا خَرَجَ
 مِنَ الرَّمْزِ الْخَفِيِّ إِلَى الْعِلْمِ الْجَلِيِّ . فَإِنَّ أَغْرَاضَ النَّاسِ مَعَ اخْتِلَافِ
 أَهْوَائِهِمْ لَا تَتَّفِقُ عَلَى سِتْرٍ سَائِمٍ وَإِخْفٍ مُفِيدٍ . وَقَدْ قَالَ زُهَيْرٌ :
 السِّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ
 وَرَبَّنَا اسْتَعْمِلِ الرَّمْزَ مِنَ الْكَلَامِ فِيمَا يَرَادُ تَفْخِيمُهُ مِنَ الْمَعَانِي
 وَتَعْظِيمُهُ مِنَ الْأَلْفَافِ لِيَكُونَ أَحْلَى فِي الْقَلْبِ مَوْقِعًا . وَآحَلٌ فِي
 النَّفْسِ مَوْضِعًا . فَيَصِيرُ بِالرَّمْزِ سَائِرًا وَفِي الْخَفِيفِ مُخْلَدًا . كَأَنِّي
 حُكِي عَنْ فِثَاغُورَسٍ فِي وَصَايَاهُ الْمُرْمُوزَةِ إِنَّهُ قَالَ : أَحْفَظْ مِيزَانَكَ
 مِنَ الْبُذَى وَأَوْزَانَكَ مِنَ الْبُذَى . زَيْدٌ بِحِفْظِ الْمِيزَانِ مِنَ الْبُذَى
 حِفْظُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْخَطَا وَبِحِفْظِ الْأَوْزَانِ مِنَ الْبُذَى حِفْظُ الْعَقْلِ
 مِنَ الْهَوَى . فَصَارَ بِهَذَا الرَّمْزِ مُسْتَحْسِنًا وَمُدَوَّنًا وَلَوْ قَالَهُ بِاللَّفْظِ الصَّرِيحِ
 وَالْمَعْنَى الصَّحِيحِ لَمْ سَارَ عَنْهُ وَلَا اسْتَحْسِنَ مِنْهُ . وَءَلَّةُ ذَلِكَ أَنَّ
 الْمَخْجُوبَ عَنِ الْأَفْهَامِ كَالْمَخْجُوبِ عَنِ الْإِبْصَارِ فِيمَا يَحْصُلُ لَهُ فِي
 النَّفْسِ مِنَ التَّعْظِيمِ . وَفِي الْقُلُوبِ مِنَ التَّخْفِيمِ . وَمَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَمْ
 يَخْتَبِ هَانَ وَأَسْتُرْ ذِلَّ . وَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ اسْتِحْلَاؤُهُ فِيمَا قُلَّ وَهُوَ بِاللَّفْظِ
 الصَّرِيحِ مُسْتَقِيلٌ . فَأَمَّا الْعُلُومُ الْمُنْتَشِرَةُ الَّتِي تَتَطَّلَعُ النَّفُوسُ إِلَيْهَا فَقَدْ
 اسْتَقْنَتْ بِقُوَّةِ الْبَاعِثِ عَلَيْهَا . وَشِدَّةِ الدَّاعِي إِلَيْهَا . عَنِ الْإِسْتِدْعَاءِ إِلَيْهَا
 بِرَّمْزٍ مُسْتَحْتَلٍ وَلَفْظٍ مُسْتَعْرَبٍ . بَلْ ذَلِكَ مُنْفَرِّدٌ لَمْ يَفِي الشَّاعِلُ بِاسْتِخْرَاجِ

رُوزَمَا مِنْ الْإِبْطَاءِ عَنْ دَرْكِهَا فَهَذَا حَالُ الرَّمَزِ . وَأَمَّا اللَّغْزُ فَهُوَ
تَحْرِي أَهْلِ الْفَرَاغِ وَشُغْلُ ذَوِي الْبَطَالَةِ لِيَتَنَافَسُوا فِي تَبَايُنِ قَرَائِحِهِمْ
وَيَتَفَاخَرُوا فِي سُرْعَةِ خَوَاطِرِهِمْ فَيَسْتَكِدُّوا خَوَاطِرَ قَدْ مُنِحُوا صِحَّتَهَا فِيمَا
لَا يُجْدِي نَفْعًا وَلَا يُفِيدُ عِلْمًا كَأَهْلِ الصَّرَاعِ الَّذِينَ قَدْ صَرَفُوا مَا مُنِحُوهُ
مِنْ صِحَّةِ أَجْسَادِهِمْ إِلَى صِرَاعِ كَدُودٍ يَصْرَعُ عُقُولَهُمْ وَيَهْدُ أَجْسَادَهُمْ
وَلَا يَكْسِبُهُمْ حَمْدًا وَلَا يُجْدِي عَلَيْهِمْ نَفْعًا . أَنْظِرْ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :

رَجُلٌ مَاتَ وَخَلْفَ رَجُلًا ابْنُ أُمِّ ابْنِ أَبِي أُخْتِ أَبِيهِ
مَعَهُ أُمُّ بَيْ أَوْلَادِهِ وَأَبَا أُخْتِ بَنِي عَمِّ أَخِيهِ
أَخْبَرَنِي عَنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَقَدْ رَوَعَكَ صُعُوبَةُ مَا تَضَمَّنَتْهُمَا مِنْ
السُّوَالِ إِذَا أَنْتَ كَدَيْتَ الْفِكْرَ فِي اسْتِخْرَاجِهِ فَعَلِمْتَ أَنَّهُ آرَادَ مِنِّي
خَلْفَ أَبِي وَزَوْجَةَ وَعَمَّا . مَا الَّذِي آفَاكَ مِنَ الْعِلْمِ وَتَقَى عَنْكَ مِنْ
جَهْلِ . أَنْتَ بَعْدَ عَلَيْهِ تَجْهَلُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا مِنْ قَبْلِهِ وَلَوْ أَنَّ
السَّائِلَ قَلَبَ لَكَ السُّوَالَ فَأَخْرَجَ مَا قَدَّمَ وَقَدَّمَ مَا أَخَّرَ لَكُنْتَ فِي
الْجَهْلِ بِهِ قَبْلَ اسْتِخْرَاجِهِ كَمَا كُنْتَ فِي الْجَهْلِ الْأَوَّلِ وَقَدْ كَدَدْتَ
نَفْسَكَ وَأَتَعَبْتَ خَاطِرَكَ . ثُمَّ لَا تَقْدَمُ أَنْ يَرِدَ عَلَيْكَ مِثْلُ هَذَا مِمَّا
تَجْهَلُهُ فَتَكُونَ فِيهِ كَمَا كُنْتَ قَبْلَهُ . فَأَصْرِفْ نَفْسَكَ تَوَلَّى اللَّهُ رُشْدَكَ
عَنْ غُلُومِ التُّوَكَّى وَتَكَلَّفِ الْبَطَالِينَ . ثُمَّ اجْعَلْ مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ
مِنْ صِحَّةِ الْقَرِيحَةِ وَسُرْعَةِ الْخَاطِرِ مَصْرُوفًا إِلَى عِلْمٍ مَا يَكُونُ انْفِاقُ
خَاطِرِكَ فِيهِ مَذْخُورًا وَكَدُّ فِكْرِكَ فِيهِ مَشْكَورًا . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ :
مَنْ أَمَضَى يَوْمَهُ بِغَيْرِ حَقِّ قَضَائِهِ . أَوْ فَرَضَ آدَاءَهُ . أَوْ تَجَدَّدَ آثَلُهُ .

أَوْ حَمْدٍ حَصَلَهُ . أَوْ خَيْرِ أَسْئَةٍ أَوْ عِلْمٍ أَقْتَبَسَهُ . فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ وَظَلَمَ
نَفْسَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لَقَدْ هَاجَ الْفَرَاغُ عَلَيْكَ شُغْلًا وَأَسْبَابُ الْبَلَاءِ مِنَ الْفَرَاغِ
فَهَذَا تَعْلِيلٌ مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ مِنْ فَهْمِ
مَعَانِيهِ حَتَّى خَرَجَ بِنَا الْإِسْتِيْفَاءِ وَالْكَشْفِ إِلَى الْأَنْغَاضِ . (وَأَمَّا
الْقِسْمُ الثَّانِي) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ الْمَانِعَ مِنْ فَهْمِ السَّامِعِ لَعَلَّةٍ
فِي الْمَعْنَى الْمُسْتَوْدَعِ فَلَا يَخْلُو حَالُ الْمَعْنَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا
أَنْ يَكُونَ مُسْتَقْلَلًا بِنَفْسِهِ أَوْ يَكُونَ مُقَدِّمَةً لِغَيْرِهِ أَوْ يَكُونَ نَتِيجَةً
مِنْ غَيْرِهِ . فَأَمَّا الْمُسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ فَضَرْبَانِ : جَلِيٌّ وَخَفِيٌّ . فَأَمَّا الْجَلِيُّ
فَهُوَ يَسْبِقُ إِلَى فَهْمِ مُتَحَوِّرِهِ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ . وَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَقْسَامِ
مَا يَشْكِلُ عَلَى مَنْ تَحْوَرُّهُ . وَأَمَّا الْخَفِيُّ فَيَحْتَاجُ فِي إِدْرَاكِهِ إِلَى
زِيَادَةٍ تَأْتِلُ وَفَضْلٍ مِمَّا تَأْتِي لِيُنْجِلِيَ عَمَّا أَخْفَى وَيُكْشِفَ عَمَّا أَعْمَضَ .
وَبِاسْتِعْمَالِ الْفِكْرِ فِيهِ يَكُونُ الْإِذْرِيَاظُ بِهِ وَبِالْإِذْرِيَاظِ بِهِ يَسْهَلُ
مِنْهُ مَا اسْتَضَعَبَ وَيَقْرُبُ مِنْهُ مَا بَعُدَ . فَإِنَّ الرِّيَاضَةَ جَرَاءَةً وَلِلدَّرَايَةِ
تَأْثِيرًا . وَأَمَّا مَا كَانَ مُقَدِّمَةً لِغَيْرِهِ فَضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَقُومَ
الْمُقَدِّمَةُ بِنَفْسِهَا وَإِنْ تَعَدَّتْ إِلَى غَيْرِهَا فَتَكُونُ كَالْمُسْتَقِلِّ بِنَفْسِهِ
فِي تَحْوَرُّهِ وَفَهْمِهِ مُسْتَدْعِيًا لِنَتِيجَتِهِ . وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ مُفْتَقِرًا إِلَى
نَتِيجَةٍ فَيَتَعَذَّرُ فَهْمُ الْمُقَدِّمَةِ إِلَّا بِمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ النَّتِيجَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ
بَعْضًا . وَتَبْعِيضُ الْمَعْنَى أَشْكَلُ لَهُ وَبَعْضُهُ لَا يُغْنِي عَنْ كُلِّهِ . وَأَمَّا
مَا كَانَ نَتِيجَةً لِغَيْرِهِ فَهُوَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِأَوَّلِهِ وَلَا يُتَوَصَّلُ عَلَى حَقِيقَتِهِ

إِلَّا بِمُقَدِّمَتِهِ وَالْإِشْتِغَالُ بِهِ قَبْلَ الْمَقْدَمَةِ عَنَاءٌ . وَاتِّعَابُ الْفِكْرِ فِي
 اسْتِنْبَاطِهِ قَبْلَ قَاعِدَتِهِ آذَى . فَهَذَا يُوضَحُ تَعْلِيلَ مَا فِي الْمَعَانِي مِنْ
 الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ مِنْ فَهْمِهَا . (وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ
 السَّبَبُ الْمَانِعُ لِعِلَّةٍ فِي السَّمْعِ فَذَلِكَ ذَرِيَّتَانِ : أَحَدُهُمَا مِنْ ذَاتِهِ .
 وَالثَّانِي مِنْ طَارِعٍ عَلَيْهِ . (فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ ذَاتِهِ) فَيَتَّبِعُ نَوْعَيْنِ : أَحَدُهُمَا
 مَا كَانَ مَانِعًا مِنْ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى . وَالثَّانِي مَا كَانَ مَانِعًا مِنْ حِفْظِهِ
 بَعْدَ تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ . فَأَمَّا مَا كَانَ مَانِعًا مِنْ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى وَفَهْمِهِ فَهُوَ
 الْمَلَادَةُ وَقِلَّةُ الْفُطْنَةِ وَهُوَ أَتَدَاءُ الْأَعْيَاءِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :
 إِذَا فَقَدَ الْعَالِمُ الذِّهْنَ قَلَّ عَلَى الْأَضْدَادِ احْتِيَاجُهُ . وَكَثُرَ إِلَى الْكُتُبِ
 احْتِيَاجُهُ . وَلَيْسَ لِمَنْ بُلِيَ بِهِ إِلَّا الصَّبْرُ وَالْإِقْلَالُ . لِأَنَّهُ عَلَى الْقَائِلِ
 اقْدَرُ . وَبِالصَّبْرِ أُخْرَى أَنْ يُنَالَ وَيُظْفَرَ . وَأَمَّا الْمَانِعُ مِنْ حِفْظِهِ بَعْدَ
 تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ فَهُوَ النِّسْيَانُ الْخَالِثُ عَنْ غَفْلَةِ التَّقْصِيرِ وَاهْمَالِ التَّوَانِي
 فَيَنْبَغِي لِمَنْ بُلِيَ بِهِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ تَقْصِيرَهُ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ وَيُوقِظَ
 غَفْلَتَهُ بِإِدَاةِ الظَّرِّ . فَقَدْ قِيلَ : لَا يَدْرِكُ الْعِلْمُ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ
 وَيَكْثُرُ قِسْمُهُ . وَكَثْرَةُ الدَّرْسِ كَذُودٌ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَرَى
 الْعِلْمَ غِنًى وَالْجِهَادَ مَغْرَمًا . فَيَحْتَمِلُ تَعَبَ الدَّرْسِ لِيُدْرِكَ رَاحَةَ الْعِلْمِ
 وَيَنْفِي عَنْهُ مَرَّةَ الْجَهْلِ . فَإِنَّ نَيْلَ الْعَظِيمِ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ . وَعَلَى قَدْرِ
 الرَّغْبَةِ تَكُونُ الْمَطَالِبُ وَبِحَسَبِ الرَّاحَةِ يَكُونُ التَّعَبُ . وَقَدْ قِيلَ :
 طَلَبُ الرَّاحَةِ قَاتَةُ الْأَسْرِيَّةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَكْمَلَ الرَّاحَةَ
 مَا كَانَتْ عَنْ كَدِّ التَّعَبِ وَأَعَزَّ الْعِلْمَ مَا كَانَ عَنْ ذَلِّ الطَّلَبِ . . .

وَقَالَ بَعْضُ الْبَلَّغَاءِ : إِنْ هَذِهِ الْأَدَابُ نَوَافِرٌ تَمُذَّعْنَ أَهْلَ الْأَذْهَانِ
نَاجِعًا لِكُتُبِهَا حِمَاةً . وَالْأَقْلَامَ لَهَا رِعَاةً . (وَأَمَّا الطُّوَارِي)
فَنَوْعَانِ : (أَحَدُهُمَا) شِبْهَةٌ تَعَارِضُ الْمَعْنَى فَتَمْنَعُ عَنْ نَفْسِ تَصَوُّرِهِ وَتَدْفَعُ
عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ . فَيَنْبَغِي أَنْ يُزِيلَ تِلْكَ الشِّبْهَةَ عَنْ نَفْسِهِ بِالسُّوَالِ
أَوْ النَّظَرِ لِيَصِلَ إِلَى تَصَوُّرِ الْمَعْنَى وَإِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ . وَلِذَا كَ قَالَ بَعْضُ
الْعُلَمَاءِ : لَا تُخَلِّ قَلْبَكَ مِنَ الْمَذَاكِرَةِ فَتَعُودَ عَقِيمًا . وَلَا تُغْفِ
طَبْعَكَ مِنَ الْمَنَاطِرَةِ فَيَعُودَ سَقِيمًا . وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بَرْدٍ :

شِفَاءُ الْعَمَى طُولُ السُّوَالِ وَإِنَّمَا

دَوَامُ الْعَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ
فَكُنْ سَائِلًا عَمَّا عِنَّاكَ فَإِنَّمَا دُعِيتَ أَخَا عَقْلٍ لَتَنْجِثَ بِالْعَقْلِ
(وَالثَّانِي) أَفْكَارٌ تُعَارِضُ الْخَاطِرَ فَيَذْهَبُ عَنْ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى .
وَهَذَا سَبَبٌ قَلِيلٌ مَا يَعْرِى مِنْهُ أَحَدٌ لَا يَسِيئًا فِيمَنْ أَنْبَسَتْ أَمَانُهُ
وَأَتَسَعَتْ أَمَانِيَّتُهُ . وَقَدْ يَقِلُّ فِيمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي غَيْرِ الْعِلْمِ أَرَبٌ
وَلَا فِيهَا يَوَاهُ هِمَّةٌ فَإِنْ طَرَأَتْ عَلَى الْإِنْسَانِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مُكَابَرَةِ
نَفْسِهِ عَلَى الْفَهْمِ وَغَلَبَةِ قَلْبِهِ عَلَى التَّصَوُّرِ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَعَ الْإِسْكَرَاهِ
أَشَدُّ ثَقُورًا وَأَبْعَدُ قُبُولًا . وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ : بَانَ الْقَلْبُ إِذَا
أُكْرِهَ عَمِي . وَلَكِنْ يُعْمَلُ فِي دَفْعِ مَا طَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ هَمٍّ يُذْهِلُ
أَوْ فِكْرٍ قَاطِعٍ لِيَسْتَحْيِبَ لَهُ الْقَلْبُ مُطِيعًا . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَيْسَ يُمْخِرُ فِي الْمَوَدَّةِ شَافِعٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الضُّلُوعِ شَفِيعٌ
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ لِهَذِهِ الْقُلُوبِ تَنَافُرًا كَتَنَافُرِ الْوَحْشِ

فَمَا لُفُّهَا بِالْاِقْتِصَادِ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّوَسُّطِ فِي التَّقْدِيمِ لِتَحْسُنَ طَاعَتُهَا
وَيَذُومَ نَشَاطُهَا . فَهَذَا تَعْلِيلٌ مَا فِي الْمُسْتَمْعِ مِنَ الْاَسْبَابِ الْمَانِعَةِ
مَنْ فَهْمِ الْمَعَانِي

البحث التاسع

في المعاظلة

(من المثل السائر لاس الاثير باختصار وتصرف)

إِنَّ الْمَعَاظِلَةَ مَأْخُودَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : تَعَاظَلَتِ الْجُرَادَتَانِ إِذَا رَكِبَتِ
أَحَدَاهُمَا الْأُخْرَى . فَسَيُ الْكَلَامُ التَّرَاكُّبُ فِي الْفَاظِ وَفِي
مَعَانِيهِ الْمَعَاظِلَةُ . لَمْخُودًا مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ أَنَّهُ لَا تُقْبَلُ بِمُسَمَاهُ . وَوَصَفَ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ زُهَيْرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فَقَالَ : كَانَ لَا يُعَاظِلُ بَيْنَ
الْكَلَامِ . وَقَدْ اخْتَلَفَ عُلَمَاءُ الْبَيَانِ فِي حَقِيقَةِ الْمَعَاظِلَةِ فَقَالَ قُدَامَةُ
أَبْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ : التَّعَاظُلُ فِي الْكَلَامِ هُوَ أَنْ يَدْخُلَ بَعْضُ
الْكَلَامِ فِيمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ وَلَا اعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا فَاحِشَ الْاِسْتِعَارَةِ .
كَقَوْلِ اَوْسٍ بْنِ حُجْرٍ :

وَذَاتِ هِذَمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تُضْمِتُ بِالْمَاءِ تَوَالِيًا جَدَمًا
فَسَيُ الظَّنِّي تَوَالِيًا وَالتَّوَلُّبُ وَلَدُ الْخِمَارِ . وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ قُدَامَةُ
أَبْنُ جَعْفَرٍ وَهُوَ خَطَأٌ إِذْ لَوْ كَانَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ صَوَابًا لَكَانَتْ حَقِيقَةُ
الْمَعَاظِلَةِ دُخُولَ الْكَلَامِ فِيمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ . وَلَيْسَتْ حَقِيقَتُهَا هَذِهِ بَلْ
حَقِيقَتُهَا مَا تَقَدَّمَ وَهُوَ التَّرَاكُّبُ مِنْ قَوْلِهِمْ : تَعَاظَلَتِ الْجُرَادَتَانِ

إِذَا رَكِبْتَ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى . وَهَذَا الْمِثَالُ الَّذِي مَثَلَ بِهِ قُدَامَةُ
لَا تَرَاكِبَ فِي الْفَاضِلِ وَلَا فِي مَعَانِيهِ . وَأَمَّا غَيْرُ قُدَامَةِ فَإِنَّهُ خَالَفَهُ
فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَّسِمِ الْمَعَاظِلَ إِلَى لَفْظِيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ وَلَكِنَّهُ
ضَرَبَ لَهَا مَثَلًا . كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُوكًا أَبُو أُمِّهِ حَيَّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ
وَهَذَا مِنْ الْقِسْمِ الْمَعْنَوِيِّ لَا مِنْ الْقِسْمِ اللَّفْظِيِّ . أَلَا تَرَى
إِلَى تَرَاكِبِ مَعَانِيهِ بِتَقْدِيمِ مَا كَانَ يَجِبُ تَأْخِيرُهُ وَتَأْخِيرُ مَا كَانَ
يَجِبُ تَقْدِيمُهُ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي مَعْنَاهُ : وََمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيَّ يُقَارِبُهُ
إِلَّا مَمْلُوكًا أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ . وَإِذَا حَقَّقْتَ الْقَوْلَ فِي بَيَانِ الْمَعَاظِلِ
وَالْكَشْفِ عَنْ حَقِيقَتِهَا فَأَقُولُ : إِنَّ الْمَعَاظِلَ مُعَاظِلَتَانِ لَفْظِيَّةٌ وَمَعْنَوِيَّةٌ
(فَالْمَعْنَوِيَّةُ) أَنْ يُقَدَّمَ مَا الْأَوَّلَى بِهِ التَّأْخِيرُ وَهُوَ مِنْ غُيُوبِ الْكَلَامِ
لِأَنَّ الْمَعْنَى مُخْتَلٌ بِذَلِكَ وَمُضْطَرَبٌ وَذَلِكَ كَتَقْدِيمِ الصِّفَةِ أَوْ مَا
يَتَعَلَّقُ بِهَا عَلَى الْمَوْصُوفِ وَتَقْدِيمِ الصِّلَةِ عَلَى الْمَوْصُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :

فَقَدْ وَالشَّكَّ يَنْ لِي عَنَاءُ بِوَشَكِّ فِرَاقِهِمْ ضَرْدٌ يَصِيحُ
فَإِنَّهُ قَدَّمَ قَوْلَهُ (بِوَشَكِّ فِرَاقِهِمْ) . وَهُوَ مَعْمُولٌ يَصِيحُ وَيَصِيحُ
صِفَةً لِضَرْدٍ عَلَى ضَرْدٍ وَذَلِكَ قَبِيحٌ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ :
هَذَا مِنْ مَوَاضِعِ كَذَا رَجُلٌ وَرَدَّ الْيَوْمَ . وَإِنَّمَا يَجُوزُ وَقُوعُ الْمَعْمُولِ
بِحَيْثُ يَجُوزُ وَقُوعُ الْعَامِلِ فَكَمَا لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ الصِّفَةِ عَلَى مَوْصُوفِهَا
فَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ مَا اتَّصَلَ بِهَا عَلَى مَوْصُوفِهَا . وَمِنْ هَذَا أُنْحَوِ

قَوْلُ الْآخِرِ :

فَاضْجَتْ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا كَانَ قَفْرًا رُسُومَهَا قَلَمًا
فَالَهُ قَدَمٌ خَيْرٌ كَانَ عَلَيْهَا وَهُوَ قَوْلُهُ : خط . وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ يَمَّا
لَا يَجُوزُ قِيَاسٌ عَلَيْهِ وَالْأَصْلُ فِي هَذَا أَلْبَيْتِ (فَاضْجَتْ بَعْدَ بَهْجَتِهَا
قَفْرًا كَانَ قَلَمًا خَطِّ رُسُومَهَا) إِلَّا أَنَّهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ الْأُولَى فِي الشِّعْرِ
مُخْتَلٌ مُضْطَرِبٌ . وَالْمَعَاظِلَةُ فِي هَذَا الْأَبَابِ نَتَفَاوَتْ دَرَجَاتِهَا فِي الْقَبْجِ
وَهَذَا أَلْبَيْتُ الْمَشَارُ إِلَى مِنْ أَقْبَحِهَا لِأَنَّ مَعَانِيَهُ قَدْ تَدَاخَلَتْ وَرَكِبَ
بَعْضُهَا بَعْضًا . وَمِمَّا يَجْرِي هَذَا الْحَرْجَى قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

إِلَى مَلِكٍ مَا أَمَّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كَلِيبٌ تُصَاهِرُهُ
(وَهُوَ يُزِيدُ إِلَى مَلِكٍ أَبُوهُ مَا أَمَّهُ مِنْ مُحَارِبٍ) . وَهَذَا الْقَبْجُ
مِنَ الْأَوَّلِ وَاصْتَرَّ لِحْتِلَالًا ... وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْفَرَزْدَقُ مِنَ التَّعَاظِلِ
كَثِيرًا كَأَنَّهُ كَانَ يَقْصِدُ ذَلِكَ وَيَتَعَمَّدُهُ . لِأَنَّ مِثْلَهُ لَا يَجِيءُ إِلَّا مُتَكَافَأًا
مَقْصُودًا وَإِلَّا فَإِذَا تَرَكَ مُؤَاتِفُ الْكَلَامِ نَفْسَهُ تُجْرِي عَلَى سَبِيلِهَا
وَطَبْعُهَا فِي الْإِسْتِرْسَالِ مِمَّا يَعْرِضُ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا التَّقْيِيدِ . إِلَّا
تَرَى أَنَّ الْقَصُودَ مِنَ الْكَلَامِ مَعْدُومٌ فِي هَذَا الضَّرْبِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ
إِذَا الْقَصُودُ مِنَ الْكَلَامِ إِنَّمَا هُوَ الْإِيضَاحُ وَالْإِبَاتَةُ وَإِفْهَامُ الْمَعْنَى .
فَإِذَا ذَهَبَ هَذَا الْوَصْفُ الْقَصُودُ مِنَ الْكَلَامِ ذَهَبَ الْمُرَادُ بِهِ وَلَا
فَرَقَ عِنْدَ ذَلِكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ اللُّغَاتِ كَالْفَارِسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ
وغيرِهِمَا . وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْكَلَامِ هُوَ ضِدُّ الْقَصَاحَةِ لِأَنَّ
الْقَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْيَبَانُ وَهَذَا عَارٍ عَنْ هَذَا الْوَصْفِ . وَأَمَّا الْقِسْمُ

اللفظي من المتعاطلة) فإني تأملت بالاشتراء من الأشعار قديمها
ومحدثها ومن النظر في حقيقتها تسبها فوجدتها تنقسم إلى خمسة
أقسام : (الأول) منها يختص بادوات الكلام . من وإلى وعن وعلى
وأشباهها . فإن منها ما يسهل النطق به إذا ورد مع أخواته .
ومن منها ما لا يسهل بل يرد ثقيلًا على اللسان ولكل موضع يخصه
من السبك . فما جاء منه قول أبي تمام :

إلى خالد راحت بنا أرحية مراقبها من عن كراصرها نك
فقوله : (من عن كراصرها) من الكلام المتعاطل الذي
يقل النطق به على أنه قد وردت هاتان اللفظتان وهما : من وعن
في موضع آخر فلم يثقل النطق بهما كقول القائل : من عن يمين
الطريق . والسبب في ذلك أنهما وردتا في بيت أبي تمام مضافتين إلى
لفظة الكراصر فتثقلت منهما وجعلتهما مكرهتين كما ترى وإلا
فقد وردتا في شعر قطري بن النجاء فكأننا خففتين كقوله :

ولقد أرايني للرماح دريته من عن يميني مرة وأما
والأصل في ذلك راجع إلى السبك فإذا سبكت هاتان
اللفظتان أو ما يجري مجراها مع الفاظ تسهل منهما لم يكن بهما
من ثقل كما جاءتا في بيت قطري . وإذا سبكتا مع الفاظ تثقل
منهما جاءتا كما جاءتا في بيت أبي تمام . ومن هذا القسم قول
أبي تمام أيضا :

كأنه لاجتماع الروح فيه له في كل جارية من جسمه روح

فَقَوْلُهُ (فِي) نَعْدَ قَوْلِهِ (فِيهِ لَهُ) مِمَّا لَا يَجُوزُ وَرُودُهُ. وَكَذَلِكَ
وَرَدَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

وَتُسَعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سَوْحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ

قَوْلُهُ : (لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا) مِنَ الثَّقِيلِ الثَّقِيلِ الثَّقِيلِ

(الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ الْمَعَاظِلَةِ اللَّفْظِيَّةِ) تَخْتَصُّ بِتَكْرِيرِ الْحُرُوفِ
وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِتَكْرِيرِ الْأَلْفَاظِ وَلَا بِتَكْرِيرِ الْمَعَانِي بِمَا يَأْتِي
ذِكْرُهُ فِي بَابِ التَّكْرِيرِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ. وَإِنَّمَا هُوَ تَكْرِيرُ حَرْفٍ
وَاحِدٍ أَوْ حَرْفَيْنِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِ الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ أَوْ
الْمَنْظُومِ فَيَثْقُلُ حِينَئِذٍ النُّطْقُ بِهِ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَقَبْرُ حَرْبٍ فِي مَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَفْرٌ

فَهَذِهِ أَلْفَافَاتُ وَالرَّائَاتُ كَانَهَا فِي تَتَابُعِهَا سِلْسَلَةٌ وَلَا حِفَاءَ بِمَا
فِي ذَلِكَ مِنَ الثَّقَلِ. وَكَذَا وَرَدَ قَوْلُ الْحَرِيرِيِّ فِي مَقَالَتِهِ :

وَأَذُورٌ مِنْ كَانَ لَهُ زَانِرًا وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عُرْفَانَهُ

فَقَوْلُهُ : (وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عُرْفَانَهُ) مِنَ التَّكْرِيرِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ.
وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ أَيْضًا فِي رِسَالَتِهِ اللَّتَيْنِ صَاغَهُمَا عَلَى حَرْفِي السِّينِ
وَالشِّينِ : فَإِنَّهُ أَتَى فِي إِحْدَاهُمَا بِالسِّينِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهَا .
وَأَتَى بِالْآخَرَى بِالشِّينِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهَا فَجَاءَ تَأْكَاثُفُهُمَا رُقَى
الْعَقَّارِبِ أَوْ خُذْرُوقَةِ الْعَزَائِمِ . وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ خَفِيَ مَا فِيهِمَا مِنْ
الْقُبْحِ عَلَى مِثْلِ الْحَرِيرِيِّ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِالْجِدِّ وَالرَّدِيِّ مِنَ الْكَلَامِ . .
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَرَبَ الَّذِينَ هُمْ الْأَصْلُ فِي هَذِهِ اللُّغَةِ قَدْ عَدَلُوا عَنْ

تكرير الحروف في كثير من كلامهم . وذلك أنه اذا تكرر الحرف
عندهم ادغموه استخساراً فقالوا في : (جعل لك) جعلك . وفي :
(تضربوني) تضربوني . وكذلك قالوا : استعد فلان للأمر اذا
تأهب له والأصل فيه استعد . واستتب الأمر اذا تهيأ . والأصل
فيه استتب . وأشبه ذلك في كلامهم حتى أنهم لشدة كراهتهم
لتكرير الحروف أبدلوا أحد الحرفين المكررين حرفاً آخر غيره فقالوا :
املت الكتاب . والأصل فيه املت . فابدلوا اللام يا . طلباً
للخفة وفراداً من الثقل . وإذا كان قد فعلوا ذلك في اللفظة الواحدة
فما ظنك بالآفاظ الكثيرة التي يتبع بعضها بعضاً

(القسم الثالث من المعاطلة) أن ترد الفاظ على صيغة الفعل
يتبع بعضها بعضاً فمنها ما يختلف بين ماضٍ ومستقبل . ومنها ما
لا يختلف . فالأول كقول القاصي الأرجاني في آيات يصف فيها
الشعبة فقال :

بالنار فرقت الحوادث بيننا وبها نذرت اعود أقتل زوجي
فقوله : (نذرت اعود) من المعاطلة المشار إليها . وأما ما
يرد على نفخ واحد من الصيغة الفعلية . فكقول أري الطيب
المستبي :

أقل أنل أقطع أخل على سل أعد زدهش بش تفضل أدن سر صل
فهذه الفاظ جاءت على صيغة واحدة وهي صيغة الأمر كأنه
قال : (أفعل أفعل) هكذا إلى آخر آليت . وهذا تكرير للصيغة

وإن لم يكن تكريرا للحروف إلا أنه أخوه ولا أقول : ابن عته .
وهذه الألفاظ تراكية متداخلة ولو عطفها بالواو لكانت أقرب
حالا . كما قال عبد السلام بن رعبان :

فسد الناس فاطلب الرزق بالسيف م والأفت شديد الهزال
جل وأمر وضر وأنفع ولن وأحسن م وأبرز ثم أنتدب للمعالي
الأتري أنه لما عطف هها بالواو لم تتراكب الألفاظ

كترأكبها في بيت أبي الطيب المتقدم ذكره

(القسم الرابع من المعازلة) وهو الذي يتضمن مضافات
كثيرة كقولهم : سرج فرس غلام زيد . وإن زيد على ذلك
قيل : لبد سرج فرس غلام زيد . وهذا أشد قبحا وأثقل على اللسان .
وعليه ورد قول ابن مالك الشاعر في مفتتح قصيدة له :

حامة جوعا حومة الخندل أنجمي فأت بمرأى من سعاد ومسرع

(القسم الخامس من المعازلة) أن ترد صفات متعددة على
نحو واحد . كقول أبي تمام من قصيدة يصف رثما :

ومر تهفو ذوابتاه على أسر مثن يوم الوغى جسده

مارئه لده ثقفة عراضه في الأكف مطردة

وهذا كالأول في قبحه وثقله فقاتله الله ما أمّن شفره وما
أنحفه في بعض الأحوال . . . وعلى هذا ورد قول أبي الطيب
المتشبي :

دان بعيد محب مبغض بهج اغرّ خلو ثمر لئلي شرس

نَدِ ابْنِي غَرِّ وَافٍ لَخِي ثَقَّةً جَعَدَ سِرِّي نَهْ نَذْبٍ رَضٍ نَدُسٍ
وَهَذَا كَأَنَّهُ سِلْسَلَةٌ بِلا شَكٍّ وَقَلِيلًا مَا يُوجَدُ فِي أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ. وَلَمْ
أَجِدْهُ كَثِيرًا إِلَّا فِي شَعْرِ الْفَرَزْدَقِ وَتَنَاقُضُ مُعَاظِلُهُ مَعْنَوِيَّةٌ وَهَذِهِ
مُعَاظِلَةٌ لَفْظِيَّةٌ وَهِيَ تُوْجَدُ فِي شَعْرِ ابْنِ الطَّبِيبِ كَثِيرًا

البحث العاشر

في المنافرة بين الالفاظ في السبك

(عن المثل السائر لاس الاثير باختصار)

وَهَذَا النَّوعُ لَمْ يُحَقِّقْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ أَقْوَلَ فِيهِ . وَغَايَةُ
مَا يُقَالُ : إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا تَكُونَ الْإِلْفَاطُ نَافِرَةً عَنْ مَوَاضِعِهَا ثُمَّ
يُكْتَفَى بِهَذَا أَقْوَلَ مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ وَلَا تَفْصِيلٍ حَتَّى إِنَّهُ قَدْ خَلِطَ
هَذَا النَّوعُ بِالْمُعَاظِلَةِ وَكُلٌّ مِنْهَا نَوْعٌ مُفْرَدٌ بِرَأْسِهِ لَهُ حَقِيقَةٌ تَخْصُهُ . إِلَّا
أَنَّهَا قَدْ أَشْتَبَاهَا عَلَى عُلَمَاءِ الْبَيَانِ فَكَيْفَ عَلَى جَاهِلٍ لَا يَعْلَمُ . وَقَدْ
بَيَّنْتُ هَذَا النَّوعَ وَفَصَّلْتُهُ فِي فَصْلِ الْمُعَاظِلَةِ وَضَرَبْتُ لَهُ أَمْثِلَةً يَسْتَدِلُّ
بِهَا عَلَى أَخَوَاتِهَا وَمَا يَجْرِي تَحْرَاها . وَحَمَلَةُ الْأَمْرِ أَنَّ مَدَارَ سَبْكِ الْإِلْفَاطِ
عَلَى هَذَا النَّوعِ وَالَّذِي قَبْلَهُ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ
الْمَذْكُورَةِ . لِأَنَّ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ أَصْلًا سَبْكِ الْإِلْفَاطِ وَمَا عَدَاهُمَا
فَرُعٌ عَلَيْهِمَا . وَإِذَا لَمْ يَكُنِ النَّائِرُ أَوْ النَّائِظُ عَارِفًا بِهِمَا فَإِنَّ مَقَاتِلَهُ
كَثِيرَةٌ . وَحَقِيقَةُ هَذَا النَّوعِ الَّذِي هُوَ الْمُنَافَرَةُ أَنْ يُذَكَّرَ لَفْظٌ أَوْ
إِلْفَاطٌ يَكُونُ غَيْرُهَا بِمَا هُوَ فِي مَعْنَاهَا أَوَّلَى بِالذِّكْرِ . وَعَلَى هَذَا

فَإِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُعَاظَلَةِ أَنَّ الْمُعَاظَلَةَ هِيَ التَّرَاكُّبُ وَالتَّوَحُّلُ
إِمَّا فِي الْأَلْفَاظِ أَوْ فِي الْمَعْنَى عَلَى مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ . وَهَذَا الذُّوْعُ
لَا تَرَاكُّبَ فِيهِ وَإِنَّمَا هُوَ إِيرَادُ الْأَفَاطِ غَيْرَ لَا نَقْعَ بِمَوْضِعِهَا الَّذِي تَرُدُّ
فِيهِ . وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُوجَدُ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْآخَرُ
فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَعَدِّدَةِ . (فَأَمَّا الَّذِي يُجَدُّ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ) فَإِنَّهُ
إِذَا وَرَدَ فِي الْكَلَامِ أَمَكَنَ تَبْدِيلُهُ بِغَيْرِهِ بِمَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ سَوَاءٌ
كَانَ ذَلِكَ أَسْكَامًا نَثْرًا أَوْ نَظْمًا . وَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي الْأَلْفَاظِ
الْمُتَعَدِّدَةِ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَبْدِيلُهُ بِغَيْرِهِ فِي الشَّعْرِ بَلْ يُمْكِنُ ذَلِكَ فِي
النَّثْرِ خَاصَّةً لِأَنَّهُ يَغْسُرُ فِي الشَّعْرِ مِنْ أَجْلِ الْوِزْنِ . فِيمَا جَاءَ مِنْ
الْقِسْمِ الْأَوَّلِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمَتَشِّي :

فَلَا يُدْرِمُ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُخَالِ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ يُدْرِمُ
فَلَفْظَةُ حَالِلٌ نَافِرَةٌ عَنْ مَوْضِعِهَا وَكَانَتْ لَهُ مَنُودُوحَةٌ عَنْهَا لِأَنَّهُ لَوْ
اسْتَعْمَلَ عِوَضًا عَنْهَا لَفْظَةٌ (نَاقِضٌ) جَاءَتْ الْفِظَةُ قَارَةً فِي مَكَانِهَا
غَيْرَ قَلْعَةٍ وَلَا نَافِرَةٍ . وَبَلَّغَنِي عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ : أَنَّهُ كَانَ يَتَعَصَّبُ لِأَبِي
الطَّيِّبِ حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يُسَمِّيهِ الشَّاعِرَ وَيُسَمِّي غَيْرَهُ بِنِ الشُّعْرَاءِ بِأَسْمِهِ
وَكَانَ يَقُولُ : لَيْسَ فِي شِعْرِهِ لَفْظَةٌ يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ عَنْهَا مَا هُوَ فِي
مَعْنَاهَا فَنَجِيءُ حَسَنًا مِثْلَهَا . فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَمَا وَقَفَ عَلَى هَذَا أَلَيْتَ
الْمُشَارِ إِلَيْهِ لَكِنَّ أَلْهَى كَمَا يُقَالُ أَعْمَى . وَكَانَ أَبُو الْعَلَاءِ أَعْمَى
أَلْعَيْنِ خِلَقَةً وَأَعْمَاهَا عَصِيَّةٌ فَاجْتَمَعَ لَهُ أَعْمَى مِنْ جِهَتَيْنِ . وَهَذِهِ
الْلَفْظَةُ الَّتِي هِيَ (حَالِلٌ) وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا قَبِيحَةٌ الْإِسْتِعْمَالِ وَهِيَ فَكُّ

الادغام في الفعل الثلاثي ونقله إلى اسم الفاعل . وعلى هذا فلا
يُحْسَنُ أَنْ يُقَالَ : بَلَّ الثَّوْبَ فَهُوَ بَالٌّ . وَلَا : سَلَّ السَّيْفَ فَهُوَ سَالٌّ .
وهذا لو غرض على مَنْ لَا ذَوْقَ لَهُ لَأَذْرَكَهُ وَفِيهِهُ فَكَيْفَ مَنْ لَهُ
ذَوْقٌ صَحِيحٌ كَأَيِّ الطَّيِّبِ . لَكِنْ لَا بُدَّ إِكْلِ جَوَادٍ مِنْ كِبْرَةٍ .
وَأَنشَدَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ يَتَا لِدَعْبِلَ وَهُوَ :

شَفِيعَكَ فَأَشْكُرُ فِي الْخَوَائِجِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يَخْلُقُ
فَقُلْتُ لَهُ : عَجَزَ هَذَا أَلَيْتَ حَسَنٌ وَأَمَّا صَدْرُهُ فَقَبِيحٌ . لِأَنَّ
سَبْكَهَ قَلْبٌ نَافِرٌ . وَتِلْكَ أَلْفَاءُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ : شَفِيعَكَ فَأَشْكُرُ
كَأَنَّهَا زَكَاةُ الْبَعِيرِ وَهِيَ فِي زِيَادَتِهَا كَزِيَادَةِ الْكَرْشِ . . . وَمِثْلُ
هَذِهِ الْأَقَاتِقِ الَّتِي تَرُدُّ فِي الْكَلَامِ نَظْمًا كَانَ أَوْ نَثْرًا لَا يَتَغَطَّنُ لَهَا
إِلَّا الرَّاسِخُ فِي عِلْمِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ وَصَلَةُ هَمْزَةٍ
الْقَطْعِ وَهِيَ مَحْسُوبَةٌ مِنْ جَائِزَاتِ الشَّعْرِ الَّتِي لَا تَجُوزُ فِي الْكَلَامِ
الْمَشُورِ . وَكَذَلِكَ قَطْعُ هَمْزَةِ الْوَصْلِ لَكِنْ وَصَلُ هَمْزَةِ الْقَطْعِ أَقْبَحُ
لِأَنَّهُ أَثْقَلُ عَلَى اللِّسَانِ . فِيمَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ
الْمُتَسِّي :

يُوسِطُهُ الْفَاوِزُ كُلُّ يَوْمٍ طَلَابُ الطَّالِبِينَ لَا إِنْتِظَارُ
فَقَوْلُهُ : (لَا إِنْتِظَارُ) كَلَامٌ نَافِرٌ مِنْ مَوْضِعِهِ . وَمِنْ هَذَا
الْقِسْمِ أَنْ يُفْرَقَ بَيْنَ الْمُوصُوفِ وَالصِّفَةِ بِضَمِيرٍ مِنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .
كَقَوْلِ الْبُخْتَرِيِّ :

حَلَفْتُ لَهُ بِاللَّهِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ وَبِالْوَجْدِ مِنْ قَلْبِي بِهِ اَلْمُتَعَلِّقِ

تَقْدِيرُهُ (مِنْ قَلْبِي أَلْتَعَلَّقَ بِهِ) فَلَمَّا فَصَلَ بَيْنَ الْمَوْصُوفِ
الَّذِي هُوَ (قَلْبِي) وَالصِّفَةِ الَّتِي هِيَ (أَلْتَعَلَّقُ) بِالضَّمِيرِ الَّذِي هُوَ (بِهِ)
قُبْحَ ذَلِكَ . وَلَوْ كَانَ قَالَ مِنْ قَلْبِهِ بِهِ مُتَعَلِّقٌ لَزَالَ ذَلِكَ الْقُبْحُ
وَذَهَبَتْ تِلْكَ الْعُجْبَةُ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ أَيْضًا أَنْ تَرَادَ الْأَلِفُ
وَاللَّامُ فِي أَسْمِ الْفَاعِلِ وَيُقَامَ الضَّمِيرُ فِيهِ مَقَامَ الْمَفْعُولِ . كَقَوْلِ
أَبِي تَمَّامٍ :

قَلَوْ عَايَنْتَهُمُ وَالزَّائِرِيهِمْ لَمَا مِزْتَ أَلْعِيدَ مِنَ الْحَمِيمِ
قَوْلُهُ : (الزَّائِرِي) أَسْمُ فَاعِلٍ . وَقَوْلُهُ : (وَالزَّائِرِيهِمْ) هُوَ
الضَّمِيرُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ . تَقْدِيرُهُ : (الزَّائِرِينَ أَرْضَهُمْ أَوْ دَارَهُمْ
أَوْ الزَّائِرِينَ إِيَّاهُمْ) فَاسْتَعْمَلَ هَذَا مَعَ الْأَلِفِ وَاللَّامِ قُبْحٌ جَدًّا .
وَإِذَا حَدِّقْنَا زَالَ ذَلِكَ الْقُبْحُ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهَا الشُّعْرَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ
كَثِيرًا

(وَيَمَّا جَاءَ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي) الَّذِي يُوجَدُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَعَدِّدَةِ
قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ أَيْضًا :

لَا خُلُقَ أَكْرَمَ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ بِكَ دَاءَ نَفْسِكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا
فَإِنَّ عَجْزَ هَذَا أَلْيَتَ نَافِرٍ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَأَمْثَالُ هَذَا فِي الْأَشْعَارِ
كَثِيرٌ



الفصل السادس

في وجوه الكلام

(راجع صفحة ٦٦ من علم الادب)

البحث الاول

في وجوه البلاغة وطبقات الكلام

(من العقد الفريد لابن عبد ربه)

الْبَلَاغَةُ تَكُونُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ : تَكُونُ بِاللَّفْظِ وَالْخَطِّ
وَالْإِشَارَةِ وَالِدَّلَالَةِ . وَكُلُّ مِنْهَا هُ حَظٌّ مِنْ الْبَلَاغَةِ وَالْيَبَانِ وَمَوْضِعٌ
لَا يَجُوزُ فِيهِ غَيْرُهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ وَلكُلِّ كَلَامٍ
جَوَابٌ . وَرَبَّ إِشَارَةٍ ابْلَغُ مِنْ لَفْظٍ . فَأَمَّا الْخَطُّ وَالْإِشَارَةُ
فَمَفْهُومَانِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْكَثَرِ الْعَامَّةِ . وَأَمَّا الدَّلَالَةُ فَكُلُّ شَيْءٍ
دَلَّكَ عَلَى شَيْءٍ . فَقَدْ أَخْبَرَكَ بِهِ وَقَالَ أَبْرَوَيْزُ لِكَاتِبِهِ :
أَعْلَمُ أَنَّ دَعَائِمَ الْمَقَالَاتِ أَرْبَعٌ : إِنْ أَلْسِنَ لَهَا خَامِسٌ لَمْ يُوجَدْ فَإِنْ
نَقَصَ مِنْهَا وَاحِدٌ لَمْ تَتِمَّ وَهِيَ : سُؤَالُكَ الشَّيْءَ وَأَمْرُكَ بِالشَّيْءِ
وَإِخْبَارُكَ عَنِ الشَّيْءِ وَسُؤَالُكَ عَنِ الشَّيْءِ . فَإِذَا طَلَبْتَ فَأَسْجِمْ .
وَإِذَا سَأَلْتَ فَأَوْضِحْ وَإِذَا أَمَرْتَ فَاحْكَمْ . وَإِذَا أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ .
وَأَجْمَعْ الْكَثِيرَ بِمَا تُرِيدُ فِي الْقَلِيلِ بِمَا تَقُولُ (يُرِيدُ الْكَلَامَ الَّذِي
تَقِلُّ حُرُوفُهُ وَتَكْثُرُ مَعَانِيهِ) . وَقَالَ رَيْعَةُ : الرَّأْيُ أَنْ لَا أَسْمَعَ
الْحَدِيثَ عُطْلًا فَأَشْتَقُّهُ وَأُقَرِّطُهُ فَيَحْسُنُ وَمَا زِدْتُ فِيهِ شَيْئًا وَلَا غَيَّرْتُ

أَهْ مَعْنَى . وَقَالُوا : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا لَمْ يُخْتَجَّ بَعْدَهُ إِلَى كَلَامٍ وَلِلْعَرَبِ
 مِنْ مُوجَزِ اللَّفْظِ وَلَطِيفِ الْمَعْنَى فُصُولٌ عَجِيبَةٌ وَبَدَائِعُ غَرِيبَةٌ . قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ : إِذَا اخْتَجَّتْ إِلَى مُحَاطَبَةِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ
 وَالْعُلَمَاءِ وَالْكَتَّابِ وَالْخُطَبَاءِ وَالْأَدَبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَأَوَسَاطِ النَّاسِ
 وَسُوقَتِهِمْ فَحَاطِبٌ كَلَّا عَلَى قَدْرِ أَهْلِيَّتِهِ وَجَلَالَتِهِ وَعُلُوِّهِ وَارْتِفَاعِهِ
 وَفِطْنَتِهِ وَأَنْتِبَاهِهِ وَأَجْعَلْ طَبَقَاتِ الْكَلَامِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَقْسَامٍ : مِنْهَا
 الطَّبَقَاتُ الْعُلْيَا أَرْبَعٌ وَالطَّبَقَاتُ الْآخِرُ وَهِيَ دُونُهَا أَرْبَعٌ لِكُلِّ
 طَبَقَةٍ مِنْهَا دَرَجَةٌ وَلِكُلِّ قِسْمَةٍ لَا يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ الْبَلِيغِ أَنْ يُقْصَرَ
 بِأَهْلِهَا عَنْهَا وَيَقْلِبَ مَعْنَاهَا إِلَى غَيْرِهَا . (فَالْحَدُّ الْأَوَّلُ) الطَّبَقَاتُ الْعُلْيَا
 وَغَايَتُهَا الْقُدُورُ لِلْخَلْقَةِ الَّتِي آجَلَ اللَّهُ قَدْرَهَا وَأَعْلَى شَأْنَهَا عَنْ مُسَاوَاتِهَا
 بِأَحَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فِي التَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِيرِ . (وَالطَّبَقَةُ الثَّانِيَّةُ)
 لُوزَرَاتُهَا وَكُتَّابُهَا الَّذِينَ يُحَاطَبُونَ الْخُلَفَاءَ بِعُقُولِهِمْ وَالسُّنَنَ وَيَرْتُقُونَ
 الْفُتُوحَ بِآرَائِهِمْ . (وَالطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ) أُمَرَاءُ ثُغُورِهِمْ وَقُوَادُ جُنُودِهِمْ
 فَإِنَّهُ يَجِبُ مُحَاطَبَةُ كُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَدْرِهِ وَمَوْزِنِهِ وَحَظِّهِ وَغَنَائِهِ
 وَجَزَائِهِ وَأَضْطِلَاعِهِ بِأَحْمَلٍ مِنْ أَعْيَانِ أُمُورِهِمْ وَجَلَائِلِ أَعْمَالِهِمْ .
 (وَالرَّابِعَةُ) الْقُضَاةُ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ تَوَاضُعُ الْعُلَمَاءِ وَحِيلَةُ
 الْفُضَلَاءِ فَمَعَهُمْ أَيْهَةُ السَّاطِنَةِ وَهَيْئَةُ الْأُمَرَاءِ . وَأَمَّا الطَّبَقَاتُ الْأَرْبَعُ
 الْآخِرُ فَهُمْ الْمُلُوكُ الَّذِينَ أَوْجِبَتْ نِعْمَتُهُمْ تَعْظِيمَهُمْ فِي الْكُتُبِ إِلَيْهِمْ
 وَافْضَالُهُمْ تَفْضِيلَهُمْ فِيهَا . (وَالثَّانِيَّةُ) وَزَرَائِهِمْ وَكُتَّابُهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ
 الَّذِينَ تُقَرَّعُ أَبْوَابُهُمْ وَيَعْنَايَتُهُمْ تُسْتَبَاحُ أَمْوَالُهُمْ . (وَالثَّالِثَةُ) هُمْ أَعْلَمَاءُ

يَجِبُ نَوْقِيَّتُهُمْ فِي الْكُتُبِ بِشَرَفِ الْعِلْمِ وَعُلُوِّ دَرَجَةِ أَهْلِهِ .
 (وَالطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ) لِأَهْلِ الْقَدْرِ وَالْجَلَالَةِ وَالْخِلَافَةِ وَالطَّلَاوَةِ وَالظَّرْفِ
 وَالْأَدَبِ فَإِنَّهُمْ يَضْطَرُّونَكَ بِحِدَّةِ أَذْهَانِهِمْ وَشِدَّةِ تَمْيِيزِهِمْ وَأَنْتِقَادِهِمْ
 وَأَدَبِهِمْ وَتَصَحُّهِمْ إِلَى الْإِسْتِثْنَاءِ عَلَى نَفْسِكَ فِي مَكَاتِبِهِمْ وَأَسْتَعْنِينَا
 عَنِ التَّرْتِيبِ لِلسُّوقَةِ وَالْعَوَامِّ وَالتَّجَارِ بِأَسْتَعْنَائِهِمْ بِمَهَاتِهِمْ مِنْ هَذِهِ
 الْأَلَاتِ وَأَسْتَعْنَاهُمْ بِمَهَاتِهِمْ عَنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ . وَلِكُلِّ طَبَقَةٍ
 مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ مَعَانٍ وَمَذَاهِبٌ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَرَعَاهَا فِي
 مُرَاسَلَتِكَ إِيَّاهُمْ فِي كُتُبِكَ فَتَرَى كَلَامَكَ فِي مُخَاطَبَتِهِمْ عِزَّانِهِ
 وَتَعْطِيَةً قَسَمَهُ وَتَوْفِيَةً نَصِيحَةً . فَإِنَّكَ مَتَى أَهْمَلْتَ ذَلِكَ وَاضْعَعْتَهُ لَمْ
 آمَنْ عَلَيْكَ أَنْ تَعْدِلَ بِهِمْ عَنْ كَلَامِكَ فِي غَيْرِ مَسْلَكِهِ فَلَا تَعْتَدَ
 بِالْمَعْنَى الْجَزَلِ مَا لَمْ تُنْلِسْهُ لَفْظًا لَانْقَاءَ بَيْنَ كَاتِبَتِهِ وَمَلْسَا بَيْنَ رَاسَلَتِهِ .
 فَإِنَّ الْبَاسِكَ الْمَعْنَى وَإِنْ صَحَّ وَصَرَفَ لَفْظًا مُخْتَلِفًا عَلَى قَدْرِ
 الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ لَمْ تَجْرِ بِهِ عَادَتُهُمْ تَفْهِيْنٌ لِلْمَعْنَى وَاخْلَالَ بِقَدْرِهِ
 وَخُلْمٌ بِحَقِّ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ وَنَقْصٌ بِمَا يَجِبُ لَهُ كَمَا أَنَّ فِي اتِّبَاعِ
 تَعَارُفِهِمْ وَمَا أَنْتَشَرَتْ بِهِ عَادَاتِهِمْ وَجَرَتْ بِهِ السِّنَنُ قَطْعًا لِعُذْرِهِمْ
 وَخُرُوجًا مِنْ حُقُوقِهِمْ وَبُلُوغًا إِلَى غَايَةِ مُرَادِهِمْ وَإِسْقَاطًا لِلْحُجَّةِ أَدَبِهِمْ .
 فَمِنْ الْأَلْفَافِ الْمُرْغُوبِ عَنْهَا وَالصُّدُورِ الْمُسْتَوْحَشِ مِنْهَا فِي كُتُبِ
 السَّادَاتِ وَالْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ عَلَى اتِّفَاقِ الْمَعَانِي مِثْلُ : أَبَقَاكَ اللَّهُ
 طَوِيلًا وَعَمَّرَكَ مَلِيًّا . وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ لَافَرْقَ بَيْنَ قَوْلِهِمْ : أَطَالَ
 اللَّهُ بَقَاءَكَ . وَبَيْنَ قَوْلِهِمْ : أَبَقَاكَ اللَّهُ طَوِيلًا . وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوا هَذَا

أَرْجَحَ وَزَنَّا وَأَنَّهُ قَدَرًا فِي الْخُطَابَةِ كَمَا أَنَّهُمْ جَعَلُوا : أَكْرَمَكَ
 اللَّهُ وَأَبْقَاكَ . أَحْسَنَ مَثَرًا لِي كُتِبَ الْفَضْلَاءُ وَالْأَدَبَاءُ مِنْ جَعَلَتْ
 فِدَاكَ عَلَى أَشْتَرَالِكِ مَعْنَاهُ وَأَحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ فِدَاهُ مِنَ الْخَيْرِ كَمَا
 يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِدَاهُ مِنَ الشَّرِّ . عَلَى أَنَّ كُتَابَ الْعُسْكَرِ وَعَوَامَّهُمْ
 قَدْ وَلِعُوا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهَا فِي جَمِيعِ مُحَاوَرَاتِهِمْ وَجَعَلُوهَا
 هِجْرَاهُمْ فِي مُحَاطَبَةِ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ . وَلِذَلِكَ
 قَالَ مُحَمَّدٌ الْوَرَّاقُ :

كُلُّ مَنْ حَلَّ سُرٍّ مِنْ رَأْيِ النَّاسِ وَمَنْ قَدْ يُدَاخِلُ الْأَمَلَاكَ
 لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مَائِلًا بِطَرِيقٍ قَالَ لِلْكَلْبِ يَا جَعَلْتُ فِدَاكَ
 وَكَذَلِكَ لَمْ يُجِيرُوا أَنْ يَكْتُبُوا بِمِثْلِ أَبْقَاكَ اللَّهُ وَأَمْتَعْ بِكَ إِلَّا
 فِي الْإِبْنِ وَالْخَادِمِ الْمُنْقَطِعِ إِلَيْكَ . وَأَمَّا فِي كُتُبِ الْإِخْوَانِ فَغَيْرُ
 جَائِزٍ بَلْ مَذْمُومٌ مَرْغُوبٌ عَنْهُ . . . وَلَكِنْ مَكْتُوبٌ إِلَيْهِ قَدَرٌ وَوَزَنٌ
 يَبْغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ لَا يُجَاوِزَهُ عَنْهُ وَلَا يُقْصِرَ بِهِ ذَوْنَهُ . وَقَدْ رَأَيْتُهُ
 عَابُوا الْأَحْوَصَ حِينَ خَاصَبَ الْمُلُوكَ خِطَابَ الْعَوَامِّ فِي قَوْلِهِ :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَدِيقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ
 وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ فِي الْمَدْحِ وَلَكِنَّهُمْ اجْلُؤُوا قَدْرَ الْمُلُوكِ أَنْ
 يَمْدَحَ بِمَا تُمدَحُ بِهِ الْعَوَامُّ لِأَنَّ صَدَقَ الْحَدِيثُ وَانْجَازَ الْوَعْدُ وَإِنْ كَانَ
 مِنَ الْمَدْحِ فَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى الْعَامَّةِ . وَالْمُلُوكُ لَا يَمْدَحُونَ بِالْفَرَائِضِ
 الْوَاجِبَةِ . إِنَّمَا يُحْسِنُ مَدْحُهُمْ بِالْإِثْمَانِ لِأَنَّ الْمَدْحَ لَوْ قَالَ لِبَعْضِ
 الْمُلُوكِ : إِنَّكَ لَا تَخُونُ مَا اسْتَوْدَعْتَ وَإِنَّكَ لَتَصْدُقُ فِي وَعْدِكَ وَتَفِي

بِعَهْدِكَ . فَكَأَنَّهُ قَدْ أَثْنَى بِمَا يَحِبُّ وَلَوْ قَصَدَ بِشَأْنِهِ إِلَى مَقْصَدِهِ
كَانَ أَشْبَهَ بِالْمُلُوكِ . وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَمِيرٍ يَتَوَلَّى مِنْ أَمِيرٍ
الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يُطْلِقُوا هَذِهِ اللَّفْظَةَ إِلَّا
فِي الْخُلَفَاءِ خَاصَّةً . وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْكِتَابَ هُوَ الْعَقْلُ . وَلَكِنْ إِنْ
وَصَفْتَ رَجُلًا قُلْتَ : إِنَّهُ لَعَاقِلٌ . كُنْتَ مَدَحْتَهُ عِنْدَ النَّاسِ . وَإِنْ
قُلْتَ : إِنَّهُ لِكِتَابٌ كُنْتَ قَدْ قَصَرْتَ بِهِ عَنْ وَصْفِهِ وَصَغُرَتْ مِنْ
قَدْرِهِ . إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ لِأَنَّ الْعَامَّةَ لَا تَلْتَفِتُ إِلَى مَعْنَى
الْكَلِمَةِ وَلَكِنْ إِلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ اسْتِعْمَالِهَا فِي الظَّاهِرِ
إِذَا كَانَ اسْتِعْمَالُ الْعَامَّةِ لَهُذِهِ الْكَلِمَةِ مَعَ الْحَدَاثَةِ وَالْعُرَّةِ وَخَسَاسَةِ
الْقَدْرِ وَصِغَرِ السِّنِّ . . . فَأَمِثِلْ هَذِهِ الْمَذَاهِبَ وَأَجِرْ عَلَى هَذِهِ
الْقَوَامِ وَتَحَفَظْ فِي صُدُورِ كُتُبِكَ وَفُصُولِهَا وَخَوَائِمِهَا وَضَعْ كُلَّ مَعْنَى
فِي مَوْضِعٍ يَلِيقُ بِهِ وَتَخَيَّرْ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مَعْنَى يُشَاطِرُهَا وَلِيَكُنْ مَا
تَخْتِمُ بِهِ فُصُولَكَ فِي مَوْضِعِ ذِكْرِ الْبُلُوَى بِمِثْلِ : (نَسَّالَ اللَّهُ دَفَعَ
الْحَذُورِ وَصَرَفَ الْمَكْرُوهِ) وَأَشْبَاهَ هَذَا . وَفِي مَوْضِعِ ذِكْرِ
الْمُصِيبَةِ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . وَفِي مَوْضِعِ ذِكْرِ النِّعْمَةِ :
(الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِصًا وَالشُّكْرُ لِلَّهِ وَاجِبًا) . فَإِنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ يَحِبُّ عَلَى
الْكَاتِبِ أَنْ يَتَفَقَّدهَا وَيَحْتَفِظَ بِهَا . فَإِنَّ الْكَاتِبَ إِنَّمَا يَصِيرُ كَاتِبًا
بِأَنْ يَضَعَ كُلَّ مَعْنَى فِي مَوْضِعِهِ فَيُعَلِّقَ كُلَّ لَفْظَةٍ عَلَى طَبَقِهَا مِنْ
الْمَعْنَى . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي الرِّسَائِلِ اسْتِعْمَالُ الْإِقْتِصَارِ وَالْحَذْفِ
وَالْمُخَاطَبَةِ الْخَاصِّ بِالْعَامِّ وَالْعَامِّ بِالْخَاصِّ . وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ

أَنْ يَجْتَنِبَ اللَّفْظَ الْمَشْتَرَكَ وَالْمَعْنَى الْمَلْتَبِسَ . . . وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ
 أَيْضًا فِي الرِّسَائِلِ وَالْبَلَاغَاتِ الْمَشْهُورَةِ مَا يَجُوزُ فِي الْأَشْعَارِ الْمُرُودَةِ
 لِأَنَّ الشَّاعِرَ مُضْطَرٌّ وَالشِّعْرُ مَقْصُودٌ مُقَيَّدٌ بِالْوِزْنِ وَالْقَوَافِي . فَكَذَلِكَ
 أَجَازُوا لَهُمْ صَرْفَ مَا لَا يَنْصَرِفُ مِنْ الْأَسْمَاءِ وَحَذَفَ مَا لَا يُحْذَفُ
 مِنْهَا وَاعْتَفَرَ فِيهِ سُوءَ التَّظْلُمِ وَأَجَازُوا فِيهِ التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ وَالْإِضَارَ
 فِي مَوْضِعِ الْإِظْهَارِ وَذَلِكَ كُلُّهُ غَيْرُ سَائِعٍ فِي الرِّسَائِلِ وَلَا جَائِزٌ فِي
 الْبَلَاغَاتِ . . . وَكَذَلِكَ لَا يَتَّبِعِي فِي الرِّسَائِلِ أَنْ يُصَغَّرَ الْأَسْمُ فِي
 مَوْضِعِ التَّعْظِيمِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا مِثْلَ قَوْلِهِمْ : ذَوِيهِةٌ تَصْغِيرُ
 دَاهِيَةٍ . وَجَذَلٌ تَصْغِيرُ جَذَلٍ . وَعُذِيقٌ تَصْغِيرُ عُذْقٍ . وَقَالَ لَيْدٌ :
 وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَنْخُلُ بَيْنَهُمْ ذَوِيهِةٌ تَصْغُرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ
 وَقَالَ الْحَبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ يَوْمَ سَقِيْفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ : أَنَا عُذِيقُهَا
 الْمَرْجَبُ وَجَذَلُهَا الْحَمَكُ . وَقَالَ سَرَحَةُ أَبُو عُيَيْدَةَ : وَمَا لَا يَجُوزُ
 فِي الرِّسَائِلِ وَكَرْهُهُ فِي الْكَلَامِ أَيْضًا مِثْلَ قَوْلِهِمْ : كَلَّمْتُ إِيَّاكَ
 وَأَعْنِي إِيَّاكَ وَهُوَ جَائِزٌ فِي الشِّعْرِ . قَالَ الشَّاعِرُ :
 وَاحْمِلْ وَأَحْسِنْ فِي أَمِيرِكَ إِنَّهُ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَأْسِرْ كَأَيَّاكَ آسِرُ
 فَتَحَيَّرَ مِنَ الْأَلْفَافِ أَرْجَحَهَا لَفْظًا وَاجْزَلَهَا وَأَشْرَفَهَا جَوْهَرًا
 وَأَكْرَمَهَا حَسَبًا وَالْيَقَى فِي مَكَانِهَا وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا فَإِنْ
 حَاوَلْتَ صَنْعَةَ رِسَالَةٍ فَرِنِ اللَّفْظَةَ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا عِزَّانِ التَّصْرِيفِ إِذَا
 عَرَضَتْ . وَعَايِرِ الْكَلِمَةَ بِمَعْيَارٍ إِذَا سَمَحْتَ . فَإِنَّهُ رُبَّمَا مَرَّ بِكَ مَوْضِعٌ
 يَكُونُ مُخْرَجُ الْكَلَامِ إِذَا كَتَبْتَ : أَنَا فَاعِلٌ . أَحْسَنُ مِنْ أَنْ

تَكْتُبُ : أَنَا أَفْعَلُ . وَمَوْضِعُ آخَرُ يَكُونُ فِيهِ (اسْتَفْعَلْتُ) آخِلِي
 مِنْ (فَعَلْتُ) فَادِرِ الْكَلَامِ عَلَى اعْكَاسِهِ وَقَلْبِهِ عَلَى جَمِيعِ وَجُوهِهِ
 فَإِي لَفْظَةٍ رَأَيْتَهَا فِي الْمَكَانِ الَّذِي نَدَبْتُهَا إِلَيْهِ فَأَتَرَعَهَا إِلَى الْمَكَانِ
 الَّذِي أَوْرَدْتُهَا عَلَيْهِ وَأَوْرَعَهَا فِيهِ . وَلَا تَجْعَلِ الْلَفْظَةَ قَلْبَةً فِي مَوْضِعِهَا
 نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَإِنَّكَ مَتَى فَعَلْتَ هَجَّجْتَ الْمَوْضِعَ الَّذِي حَادَاتِ
 تَحْسِينُهُ وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ إِصْلَاحَهُ فَإِنَّ وَضْعَ الْأَلْفَافِ
 فِي غَيْرِ أَمَا كُنْهَا وَقَصْدُكَ بِهَا إِلَى غَيْرِ مُصَاحِبِهَا إِنَّمَا هُوَ كَتَرْقِيعِ الثُّوبِ
 الَّذِي لَمْ يُشَابِهْ رِقَاعَهُ وَلَمْ تَتَقَارَبْ أَجْزَاؤُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْجِدَّةِ
 وَتَغَيَّرَ حُسْنُهُ . كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِنَّ الْجَبِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِي بَيْنَ لِلنَّاسِ أَنَّ الثُّوبَ مَرْقُوعٌ
 كَذَلِكَ كُلَّمَا أَحْلَوَى الْكَلَامَ وَعَذَّبَ وَرَاقَ وَسَهَّلَتْ مَخَارِجُهُ كَانَ
 أَسْهَلَ وَأَرْجَى فِي الْأَتْمَاعِ وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ وَأَخَفَ عَلَى الْأَفْوَاهِ
 لَا سِيَّيَا إِنْ كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ مُتَرَجِّمًا بِلَفْظٍ مُوْتَقٍ شَرِيفٍ وَمُعَايِرًا
 بِكَلَامٍ عَذْبٍ لَمْ يَسِمُهُ التَّكْلِيفُ عَيْسِيَةً وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّقْيِيدُ
 بِاسْتِهْلَاسِهِ . . . وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ شَبَّهُوا الْمَعْنَى الْحَقِيَّةَ بِالرُّوحِ الْحَقِيَّةِ .
 وَاللَّفْظَ الظَّاهِرَ بِالْجَمَانِ الظَّاهِرِ . وَإِذَا لَمْ يَهْضُ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ
 الْحَزْلُ لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزْلٌ لَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ وَاضِحَةً وَلَا النِّظَامُ مُتَّسِقًا .
 وَتَضَاوُلُ الْمَعْنَى الْحَسَنِ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَبِيحِ كَتَضَاوُلِ الْحَسَنِ فِي
 الْأَطْيَارِ الرَّثِيَّةِ . وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى أَرْبَعَةٌ أَصْنَافٌ : لَفْظٌ وَإِشَارَةٌ
 وَعَقْدٌ وَخَطٌّ . وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ أَرِسْطَاطَالِيْسُ صَنَفًا خَامِسًا فِي كِتَابِ

الْمُنطِقِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى النَّصْبَةَ . وَالنَّصْبَةُ أَحَالُ الدَّالَّةُ الَّتِي تَقُومُ
مَقَامَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ النَّاطِقَةُ بِغَيْرِ لَفْظٍ وَمُشِيرَةٌ إِلَيْكَ
بِغَيْرِ يَدٍ وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكُلِّ صَامِتٍ وَنَاطِقٍ .
وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ الْخَمْسَةِ كَاشِفَةٌ عَنْ أَعْيَانِ الْمَعَانِي وَسَافِرَةٌ عَنْ
وُجُوهِهَا وَأَوْضَحُ هَذِهِ الدَّلَائِلِ وَأَفْصَحُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ صَنَفَانِ : هُمَا
الْقَلَمُ وَاللِّسَانُ وَكِلَاهُمَا تَرْجُمَانٌ . فَأَمَّا اللِّسَانُ فَهُوَ الْآلَةُ الَّتِي يُخْرِجُ
الْإِنْسَانُ بِهَا عَنْ حَدِّ الْإِسْتِيْهَامِ إِلَى حَدِّ الْإِنْسَانِيَّةِ بِالْكَلَامِ . وَلِذَلِكَ
قَالَ صَاحِبُ الْمُنْطِقِ : حَدُّ الْإِنْسَانِ الْحَيُّ النَّاطِقُ

البحث الثاني

في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع (١)

(من مقدمة ابن خلدون باختصار)

إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي هُوَ الْعِبَارَةُ وَلِخْطَابُ إِنَّمَا سِرُّهُ وَرُوحُهُ
فِي إِفَادَةِ الْمَعْنَى . وَأَمَّا إِذَا كَانَ مُهْمَلًا فَهُوَ كَالْمَوَاتِ الَّذِي لَا عِبْرَةَ
بِهِ وَكَمَالُ الْإِفَادَةِ هُوَ الْبَلَاغَةُ عَلَى مَا عَرَفْتَ مِنْ حَدِيثِهَا عِنْدَ أَهْلِ
الْبَيَانِ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : هِيَ مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ . وَمَعْرِفَةُ
الشُّرُوطِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي بِهَا تُطَابِقُ التَّرَاصُّيبُ اللَّفْظِيَّةُ مُقْتَضَى
الْحَالِ هُوَ فَنُ الْبَلَاغَةِ . وَتِلْكَ الشُّرُوطُ وَالْأَحْكَامُ تُؤْخَذُ مِنْ عِلْمِي

(١) ان هذا الفصل لا يوجد في نسخة مقدمة ابن خلدون المطبوعة في مصر

وبيروت بل في طبعة باريز

اللماني والليان فعلم اللماني وعلم الليان هما جزءا البلاغة وبهما
 كمال الافادة والمطابقة لمقتضى الحال. فالبلاغة على هذا هي اصل
 الكلام العربي وسجيته وروحه وطبيعته . ثم اعلم انهم اذا قالوا
 الكلام المطبوع فانهم يعنون به الكلام الذي كانت طبيعته
 وسجيته من افادة مدلوله المقصود منه لانه عبارة وخطاب ليس
 المقصود منه التلطف فقط . بل المتكلم يقصد به ان يفيد سامعه
 ما في ضميره افادة تامة ويدل به عليه دلالة وثيقة. ثم يتبع تراكيب
 الكلام في هذه السجية التي له بالاصالة ضرب من التحسين
 والتزيين بعد كمال الافادة وكأنها تظيها روتق الفصاحة من
 تنسيق الانشجاع والموازنة بين جميل الكلام وتقسيمه بالاقسام
 المختلفة الاحكام والتورية باللفظ المشترك عن الحقي من معانيه
 والمطابقة بين المتضادات ليقع التجانس بين الالفاظ واللماني فيحصل
 للكلام روتق ولذة في الاسماع وحلاوة وجمال كلها زائدة على
 الافادة . وهذه الصنعة وجودة في الكلام المنجز في مواضع
 متعددة مثل : والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلّى . ومثل : فاما
 من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الى آخر التقسيم . وكذا : فاما
 من طغى وآثر الحياة الدنيا الى آخره . وكذا : وهم يحسبون انهم
 يحسنون صنعا . وامثاله كثير . وذلك بعد كمال الافادة في اصل
 هذه التراكيب قبل وقوع هذا البديع فيها . وكذا وقع في
 كلام الجاهلية منه لكن عفوا من غير قصد ولا تعميد . ويقال

إِنَّهُ وَقَعَ فِي شِعْرِ زُهَيْرٍ . وَأَمَّا الْإِسْلَامِيُّونَ فَوَقَعَ لَهُمْ عَفْرًا وَقَصْدًا
وَأَتَوْا مِنْهُ بِالْعَجَائِبِ . وَأَوَّلُ مَنْ أَحْكَمَ طَرِيقَتَهُ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ
وَالْبُخَيْرِيُّ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَدْ كَانُوا مُوَلِّعِينَ بِالصَّنْعَةِ وَيَأْتُونَ مِنْهَا
بِالْعَجَبِ . وَقِيلَ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى مُعَانَتِهَا بَشَارُ بْنُ بُرْدٍ وَأَبْنُ
هَرَمَةَ وَكَانَا آخِرَ مَنْ يُسْتَشْهَدُ بِشِعْرِهِ فِي الْلسَانِ الْعَرَبِيِّ . ثُمَّ
اتَّبَعَهُمَا كَثُومُ بْنُ عَمْرٍو وَالْعِتَابِيُّ وَمَنْصُورُ النَّمِرِيِّ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ
وَأَبُو نُوَّاسٍ . وَجَاءَ عَلَى آثَارِهِمْ حَبِيبُ وَالْبُخَيْرِيُّ . ثُمَّ ظَهَرَ أَبُو الْمُعْتَزِ
فَحْتَمَ عَلَى الْبَدِيعِ وَالصَّنَاعَةِ أَجْمَعَ

فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُمُ الْمُطْبُوعَ الْقَعِيدَ الصَّنْعَةِ فِي إِحْكَامِ تَأْلِيْفِهِ وَثِقَاةِ
تَرْكِيبِهِ فَلَوْ جَاءَتْ فِيهِ الصَّنْعَةُ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْأَصْلِ زَادَتْ حُسْنًا .
وَأَمَّا الْمَضْنُوعُ فَكَثِيرٌ مِنْ لَدُنِ بَشَارٍ ثُمَّ حَبِيبٍ وَطَبَقْتَهُمَا ثُمَّ أَبُو
الْمُعْتَزِ خَاتَمَ الصَّنْعَةِ الَّذِينَ جَرَى الْمَتَاخِرُونَ بَعْدَهُمْ فِي مِيدَانِهِمْ
وَتَسَجُّوا عَلَى مِنْوَالِهِمْ . وَقَدْ تَعَدَّدَتْ أَصْنَافُ هَذِهِ الصَّنْعَةِ عِنْدَ أَهْلِهَا
وَاخْتَلَفَتْ أَصْطِلَاحَاتُهَا فِي الْقَالِبِ . وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَجْعَلُهَا مَنْدَرَجَةً فِي
الْبَلَاغَةِ عَلَى أَنَّهَا غَيْرُ دَاخِلَةٍ فِي الْإِفَادَةِ وَإِنَّمَا هِيَ تُعْطَى التَّحْسِينَ
وَالرَّوْقَ . وَأَمَّا الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ أَهْلِ الْبَدِيعِ فَهِيَ عِنْدَهُمْ خَارِجَةٌ
عَنِ الْبَلَاغَةِ وَإِذَلِكَ يَذْكُرُونَهَا فِي الْقُنُونِ الْأَدَبِيَّةِ الَّتِي لَا مَوْضُوعَ
لَهَا . وَهِيَ رَأْيُ أَبِي رَشِيقٍ فِي كِتَابِ الْعُمْدَةِ لَهُ وَأَدْبَاءُ الْأَنْدَلُسِ .
وَذَكَرُوا فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الصَّنْعَةِ شُرُوطًا مِنْهَا أَنْ تَقَعَ مِنْ غَيْرِ
تَكْلُفٍ وَلَا أَكْثَرَاتٍ فِيمَا يُقْصَدُ مِنْهَا . وَأَمَّا الْعَفْوُ فَلَا كَلَامَ فِيهِ

لَانَهَا إِذَا بَرَّتْ مِنْ التَّكْلِيفِ سَلِمَ الْكَلَامُ مِنْ عَيْبِ الْإِسْتِغْجَانِ
لَانَ تَكْلُفُهَا وَمُعَانَاتُهَا يَصِيرُ إِلَى الْغَفْلَةِ عَنْ التَّرَاصُّبِ الْأَصْلِيَّةِ
لِلْكَلَامِ فَتُخْلُ بِالْإِفَادَةِ مِنْ أَصْلِهَا وَتَذْهَبُ بِالْبَلَاغَةِ رَأْسًا وَلَا يَبْقَى
فِي الْكَلَامِ إِلَّا تِلْكَ التَّحْسِينَاتُ. وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ الْيَوْمَ عَلَى أَهْلِ
الْعَصْرِ وَأَصْحَابِ الْأَذْوَاقِ فِي الْبَلَاغَةِ يَنْحَرُونَ مِنْ كَلْفِهِمْ بِهَذِهِ الْقُنُونِ
وَيَعُدُّونَ ذَلِكَ مِنْ الْقُصُورِ عَنْ سِوَاهُ. ثُمَّ مِنْ شُرُوطِ اسْتِعْمَالِهَا عِنْدَهُمْ
الْإِقْلَالُ مِنْهَا وَأَنْ تَكُونَ فِي بَيْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ وَنَ الْقَصِيدِ فَتَكْفِي فِي
زِينَةِ الشِّعْرِ وَرَوْنِهِ وَالْإِكْثَارُ مِنْهَا عَيْبٌ. قَالَه أَبُو رَشِيقٍ وَغَيْرُهُ. وَكَانَ
شَيْخُنَا أَبُو الْقَاسِمِ الشَّرِيفُ السَّنْبُكِيُّ مُنْفِقُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ بِالْأَنْدَلُسِ لَوْ قَتِهَ
يَقُولُ : هَذِهِ الْقُنُونُ الْبَدِيعَةُ إِذَا وَقَعَتِ لِلشَّاعِرِ أَوْ لِلْكَاتِبِ فَيَقْضِي
أَنْ يُسْتَكْثَرَ مِنْهَا لِأَنَّهَا مِنْ مُحْسِنَاتِ الْكَلَامِ وَمُزَيِّنَاتِهِ فَهِيَ بِمَنَآيَةِ
الْخِيَلَانِ فِي الْوَجْهِ يَحْسُنُ بِالْوَاحِدِ وَالْأَثْنَيْنِ مِنْهَا وَيُشْجَعُ بِتَعْدَادِهَا
وَعَلَى نِسْبَةِ الْكَلَامِ الْمَنْظُومِ هُوَ الْكَلَامُ الْمَشْهُورُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
وَالْإِسْلَامِ كَانَ أَوَّلًا مُرْسَلًا مُعْتَدَرًا مُوَازِنَةً بَيْنَ جُملِهِ وَتَرَاصُّبِهِ .
مُشَاهِدَةً مُوَازِنَةً بِفَوَاصِلِهِ مِنْ غَيْرِ التَّرَامِ سَجْعٍ وَلَا اكْتِرَافٍ بِصُنْعَةٍ .
حَتَّى نَبَغَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ الصَّالِبِيُّ كَاتِبُ بَنِي بُويْهِ قَطَاعِي الصَّنْعَةِ
وَالْتَقْيَةِ وَآتَى مِنْ ذَلِكَ بِالْعَجَبِ وَعَابَ النَّاسُ عَلَيْهِ كَلْفَهُ بِذَلِكَ فِي
الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ . وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَيْهِ مَا كَانَ فِي مُلُوكِهِ مِنَ الْعُجْمَةِ
وَالْبُعْدِ عَنْ صَوْلَةِ الْخِلَاقَةِ الْمُنْفِقَةِ لِسُوءِ الْبَلَاغَةِ . ثُمَّ أَنْتَشَرَتِ الصَّنَاعَةُ
فِي مَشْهُورِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَنُسِيَ عَهْدُ التَّرْسِيلِ وَتَشَابَهَتْ السُّلْطَانِيَّاتُ

وَالْإِخْوَانِيَّاتُ وَالْعَرَبِيَّاتُ بِالسُّوقِيَّاتِ وَالتَّخَلُّطِ الْمَرْعِيِّ بِالْهَمَلِ . وَهَذَا
كُلُّهُ يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ الْمَصْنُوعَ بِالْعَانَةِ وَالتَّكْلِيفِ قَاصِرٌ
عَنِ الْكَلَامِ الْمَطْبُوعِ لِقِلَّةِ الْأَكْثَرَاتِ فِيهِ بِأَصْلِ الْبَلَاغَةِ . وَالْحَاكِمُ
فِي ذَلِكَ الذَّوْقُ

البحث الثالث

في السجع وأنواعه

(عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار)

(راجع صفحة ٧٢ من علم الادب)

كَلِمَاتُ الْأَسْجَاعِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى أَنَّ تَكُونُ سَاعِنَةً الْأَنْجَازِ
مَوْقُوفًا عَلَيْهَا لِأَنَّ الْغَرَضَ أَنْ يُجَانَسَ بَيْنَ الْقَرَائِنِ وَيُزَاجَ بَيْنَهَا وَلَا
يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِالْوَقْفِ . أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُمْ : مَا أَبْعَدَ مَا قَاتَ . وَمَا
أَقْرَبَ مَا هُوَ آتٍ . لَوْ أُعْطِيَ أَوَاخِرُ الْقَرَائِنِ مَا يَشْتَضِيهِ حُكْمُ الْأَعْرَابِ
لَاخْتَلَفَ أَوَاخِرُ الْقَرَائِنِ وَقَاتِ السَّاجِعِ غَرَضُهُ . وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ يُخْرِجُونَ
الْكَلِمَةَ عَنْ أَوْضَاعِهَا لِلزِّدَادِ وَاجٍ فَيَقُولُونَ آتِيكَ بِالْعَدَوَاءِ أَوْ
بِالْعِشَاءِ . وَهَنَانِي الطَّعَامُ وَمَرَانِي . وَأَنْصَرِفَنَّ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ
يُرِيدُونَ : الْعَدَوَاتِ وَأَمْرَانِي وَمَوْزِرَاتٍ . مَعَ أَنَّ فِيهِ أَرْتَكَابًا
لِحُخَالَةِ اللُّغَةِ . وَكَذَلِكَ : أَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا . وَفِيهِ تَرْكُ الْأَعْرَابِ
مِنْ أَثْنَاءِ الْكَلِمَةِ فَمَا الظَّنُّ بِأَوَاخِرِ الْكَلِمِ الْمَشَبَّهِةِ بِالْقَوَائِي .
وَالْأَوَّلَى أَنَّ يُقَالَ فِي أَوَاخِرِ الْآيَاتِ الْفَوَاصِلِ إِذَا عُرِفَ هَذَا

فَالْأَسْجَاعُ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ : التَّرْصِيعُ وَالْمُتَوَازِي وَالْمُطَرَّفُ وَالْمُتَوَازِنُ .
 أَمَّا (التَّرْصِيعُ) فَهُوَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ مُسْتَوِيَةً الْأَوْزَانِ مُتَّفِقَةً
 الْأَعْجَازِ كَقَوْلِهِ : إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ . وَقَوْلِهِ : إِنَّ
 الْآبَرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ . وَقَوْلِهِ : اللَّهُمَّ أَقْبِلْ تَوْبَتِي
 وَأَغْسِلْ حَوْبَتِي . وَقَوْلِهِمْ : فُلَانٌ يَفْتَخِرُ بِالْهَمَمِ الْعَالِيَةِ . لَا بِالزَّمَمِ
 الْبَالِيَةِ . وَقَوْلِهِمْ : حَتَّى عَادَ تَمْرِيضُكَ وَتَمْرِيضُكَ تَضْحِكًا . وَمِنْ النِّظَمِ
 قَوْلُ الْخَنَسَاءِ :

حَامِي الْحَقِيقَةِ تَحْذُودُ الْخَلِيقَةَ مَهْدِي الطَّرِيقَةِ تَقَاعُ وَضَرَارَ
 جَوَابِ قَاصِيَةِ حَزَازِ قَاصِيَةِ عَقَادِ الْوَيْةِ لِلْخَيْلِ جَرَّارَ
 وَكَقَوْلِ أَبِي فِرَاسٍ :

وَأَفْعَانَا لِلرَّاعِيَيْنِ كَرِيمَةٍ وَأَمْوَالُنَا لِلطَّالِبِينَ نِهَابُ
 وَقَوْلِ الْإِيُورَدِيِّ :

يُرْوَحُ إِلَيْهِمْ عَازِبُ الْحَمْدِ وَافِيَا وَيَعْدُو عَلَيْهِمْ طَالِبُ الرِّفْدِ عَافِيَا
 وَقَدْ يَمِجُّ مَعَ التَّجْنِيسِ كَقَوْلِهِمْ : إِذَا قُلْتَ الْأَنْصَارُ كَلَّتِ
 الْأَبْصَارُ . وَمَا وَرَاءَ الْخَلْقِ الدَّيْمِ إِلَّا الْخَلْقُ الدَّيْمُ . وَمِنْ النِّظَمِ
 قَوْلُ الْمُطَرِّزِيِّ :

وَدَرُّ جَلَالِهِ أَبَدًا ثَمِينٌ وَدَرُّ نَوَالِهِ أَبَدًا غَزِيرٌ

(وَالْمُتَوَازِي) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى فِي الْكَلِمَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ مِنْ
 الْقَرِينَتَيْنِ وَالْأَوْزَانِ مَعَ اتِّفَاقِ الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنْهُمَا كَقَوْلِهِ : فِيهَا سُرُرٌ
 مَرْفُوعَةٌ . وَأَسْكَوَابٌ مَوْضُوعَةٌ . وَقَوْلِهِ : اللَّهُمَّ آعِطْ مُنْفِقًا خَلْفًا .

وَأَعْطِ نُمُسِكًا تَلَفًا. وَقَوْلِ الْحَرِيرِي : الْجَانِي حُكْمٌ دَهْرٌ قَاسِطٌ . إِلَى أَنْ
 أَنْتَجِعَ أَرْضَ وَاسِطٍ . وَقَوْلِهِ : وَأَوْدَى النَّاطِقُ وَالصَّائِتُ . وَرَتَى لَنَا
 الْخَاسِدُ وَالشَّامِتُ . (وَالْمُطَرَّفُ) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى الْحَرْفُ الْآخِرُ فِي
 كِلْتَا قَرِينَتَيْهِ مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةِ الْوِزْنِ . كَقَوْلِهِ : مَا لَكُمْ لَا تَرْجِعُونَ
 لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا . وَقَوْلِهِمْ : نَحْيَاهُ مَحْطُ الرِّجَالِ . وَنُحْمِ
 الْأَمَالِ . (وَالْمُتَوَازِنُ) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى فِي الْكَلِمَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ
 مِنْ الْقَرِينَتَيْنِ الْوِزْنُ مَعَ اخْتِلَافِ الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنْهُمَا . كَقَوْلِهِ :
 وَغَارِقُ صُفُوفَةٍ . وَزَرَّابِي مَبْثُوثَةٌ . وَقَوْلِهِمْ : أَصْبِرْ عَلَى حَرِّ الْقِتَالِ .
 وَهَضَضِ الزَّالِ . وَشِدَّةِ الْمَصَاعِ وَمُدَاوَةِ الْمَرَّاسِ . فَإِنْ رَاعَى الْوِزْنَ
 فِي جَمِيعِ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرِهَا وَقَابَلَ الْكَلِمَةَ مِنْهَا بِمَا
 تُعَادِلُهَا وَزَنًّا كَانَ أَحْسَنَ . كَقَوْلِهِ : وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ .
 وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . وَقَوْلِ الْحَرِيرِي : أَسْوَدَ يَوْمِي الْأَبْيَضُ
 وَأَبْيَضَ يَوْمِي الْأَسْوَدُ . وَيُسَمَّى هَذَا فِي الشِّعْرِ الْمُوَازَنَةِ . كَقَوْلِ
 النُّجَّارِيِّ :

قَفَّ مُسْعَدًا فِيهِنَّ إِنْ كُنْتَ غَادِرًا

وَسِرَ مُبْعَدًا عَنْهُنَّ إِنْ كُنْتَ عَادِلًا

وَمَا هُوَ شَرْطُ الْحُسْنِ فِي هَذَا الْحِفَاظَةِ عَلَى تَنَاسُبِهِ وَهُوَ أَنْ
 جَامِعُ لِلْمَلَاءِمَةِ وَالتَّنَاسُبِ . فَالْمَلَاءِمَةُ تَأْلِيفُ الْأَلْفَاظِ الْمُوَافِقَةِ
 بَعْضُهَا لِبَعْضٍ فِي ضَرْبِ الْأَعْتِدَالِ . كَقَوْلِ لَيْدٍ :
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْئِهِ يَعُودُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

وَمَا أَمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ
وَبَعْضُهُمْ يَعُدُّ التَّنْفِيقَ مِنْ بَابِ الْمَلَاءِمَةِ وَهُوَ أَنْ يَضُمَّ إِلَى
ذِكْرِ الشَّيْءِ مَا يَلِيْقُ بِهِ وَيَجْرِي مَجْرَاهُ وَأَنْ يَجْمَعَ الْأُمُورَ الْمُنَاسِبَةَ
وَيُقَالُ لَهُ مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ أَيْضًا. وَالتَّنَاسُبُ هُوَ تَرْتِيبُ الْمَعَانِي الْمُنَاسِبَةِ
الَّتِي تَتَلَاءَمُ وَلَا تَتَنَافَرُ. كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَالرِّفْقُ يَمْنٌ وَالْأَنَاءُ سَعَادَةٌ فَتَانَ فِي رِفْقٍ تَنَالَ تَجَاهَا
وَالْيَاسُ يَمَّا فَاتَ يَغِيبُ رَاحَةً وَلَرُبَّ مَطْعَمَةٍ تَعُودُ ذَبَابًا
وَيُسَمَّى التَّشَابُهَ أَيْضًا . وَقِيلَ التَّشَابُهَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ غَيْرَ
مُتَبَايِنَةٍ بَلْ مُتَقَارِبَةٍ فِي الْجَزَائَةِ وَالرِّقَّةِ وَالْمَتَانَةِ وَالسَّلَاسَةِ وَتَكُونَ
الْمَعَانِي مُنَاسِبَةً لِأَلْفَاظِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُكْسَى اللَّفْظُ الشَّرِيفُ الْمَعْنَى
الْشَّحِيفَ أَوْ عَلَى الضَّدِّ بَلْ يُصَافَانِ مَعَاصِيَاةً تَنَاسُبٌ وَتَلَاوُمٌ حَتَّى
لَا يَكُونَ الْكَلَامُ كَمَا قِيلَ :

وَبَعْضُ قَرِيضِ الْمَرْءِ أَوْلَادُهُ عَلَيْهِ يَكْدُ لِسَانُ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ

البحث الرابع

في اقسام السجع وضروبه

(عن المثل السائر لابن الاثير باختصار)

(راجع صفحة ٧٣ من علم الادب)

اعْلَمْ أَنَّ السَّجْعَ قَدْ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : الْأَوَّلُ أَنْ
يَكُونَ الْفَضْلَانِ مُتَسَاوِيَيْنِ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ كَقَوْلِهِ :

وَالْعَادِيَّاتِ ضُبُجًا . فَأَلْمُورِيَّاتِ قَدْحًا . فَأَلْمَغِيرَاتِ ضُبُجًا . فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا .
فَوَسَطْنَا بِهِ جُمًا . الْآثَرَى كَيْفَ جَاءَتْ هَذِهِ الْقُصُولُ مُتَسَاوِيَةً الْأَجْزَاءُ
حَتَّى كَانَهَا أُفْرِغَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَآمِثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَهُوَ أَشْرَفُ
السَّجْعِ مَثَلَةٌ لِلْإِعْتِدَالِ الَّذِي فِيهِ

الْقِسْمُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْقَصْلُ الثَّانِي أَطْوَلَ مِنَ الْأَوَّلِ لَا
طَوْلًا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْإِعْتِدَالِ خُرُوجًا كَثِيرًا فَإِنَّهُ يَقْشَعُ عِنْدَ ذَلِكَ
وَيُسْتَكْرَهُ وَيَعْدُّ عَيْبًا . فِيمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ
وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ
سَجِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أُنْقِرُوا مِنْهَا مَكَاثُفًا ضَيْقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا
مِنْهَا لَكُ ثُبُورًا . الْآثَرَى أَنْ الْقَصْلَ الْأَوَّلَ ثَمَانِي لَفْظَاتٍ وَالْقَصْلَ
الثَّانِي وَالثَّلَاثَ تِسْعٌ تِسْعٌ . وَيُسْتَقْنَى مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مَا كَانَ مِنْ
السَّجْعِ عَلَى ثَلَاثِ قَفَرٍ فَإِنَّ الْقَفَرَيْنِ الْأُولَيْنِ تُحْسَبَانِ فِي عِدَّةٍ
وَاحِدَةٍ . ثُمَّ تَأْتِي الثَّلَاثَةُ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ طَوِيلَةً طَوِيلًا يَزِيدُ عَلَيْهَا
فَإِذَا كَانَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ تَكُونُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ لَفْظَاتٍ
أَوْ إِحْدَى عَشْرَةَ . إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَجْعَلَ ذَلِكَ قِيَاسًا مُطَرِّدًا فِي
السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ أَيْنَ وَقَعَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَلْ تَعْلَمُ أَنَّ الْجَوَازَ يَعُمُّ
الْجَانِبَيْنِ مِنَ التَّسَاوِيِ فِي السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ وَوَنَ زِيَادَةِ السَّجْعَةِ الثَّلَاثَةِ .
الْآثَرَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ ثَلَاثُ سَجْعَاتٍ مُتَسَاوِيَاتٍ كَقَوْلِهِ : وَأَصْحَابُ
الْيَمِينِ . مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ . فِي سِدْرِ مَحْضُودٍ . وَطَلْحِ مَنضُودٍ .
وِظَلِّ مَمْدُودٍ . فَهَذِهِ السَّجْعَاتُ كُلُّهَا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ وَلَوْ جُعِلَتْ

الثالثة منها خمس لفظات أوستا لما كان ذلك معيياً
القسم الثالث أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول وهو
عندي عيب فاحش . وسبب ذلك : أن السجع يكون قد استوفى
أمدّه من الفصل الأول بحكم طوله . ثم يجي الفصل الثاني
قصيراً عن الأول فيكون كالشيء المبتور فيبقى الإنسان عند سماعه
كمّن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها

وإذا انتهينا إلى ههنا وبيننا أقسام السجع ولبه وقشوره فنقول
فيه قولاً كلياً وهو أن السجع على اختلاف أقسامه ضربان : أحدهما
يسمى السجع القصير وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين
مؤلفة من ألفاظ قليلة وكلما قلت الألفاظ كان أحسن لقرب
الفواصل المسجوعة من مسمع السامع . وهذا الضرب أوعر السجع
مذهباً وأبعده متآولاً ولا يكاد استيعاؤه يقع إلا نادراً . والضرب
الآخر يسمى السجع الطويل وهو ضد الأول لآنة أسهل متآولاً .
وإنما كان القصير من السجع أوعر مسلكاً من الطويل لأن المعنى
إذا صيغ بألفاظ قصيرة عزّ مؤاتاة السجع فيه لقصر تلك الألفاظ
وضيق المجال في استجلايه . وأما الطويل فإن الألفاظ تطول فيه
ويستجلب له السجع من حيث ليس كما يقال وكان ذلك سهلاً .
وكل واحد من هذين الضربين تتفاوت درجته في عدة الألفاظ .
أما السجع القصير فأحسنه ما كان مؤلفاً من لفظتين لفظتين كقوله :
والمرسلات عرفاً . فالعاصفات عصفاً . وقوله : يا أيها المدثر . قم

فَأَنْذِرْ . وَرَبِّكَ فَكَثِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَمِنْهُ مَا
يَكُونُ مَوْثِقًا مِنْ ثَلَاثَةِ أَلْفَاظٍ وَارْبَعَةٍ وَخَمْسَةٍ وَكَذَلِكَ الْعَشْرَةُ . وَمَا زَادَ
عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ السَّجْعِ الطَّوِيلِ . فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : وَإِنْ يَرَوْا آيَةً
يُغْرِضُوا وَيَقُولُوا : مِجْرٌ مُسْتَمِرٌّ . وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ .
وَأَمَّا السَّجْعُ الطَّوِيلُ فَإِنَّ دَرَجَاتِهِ تَتَفَاوَتُ فِي الطُّولِ أَيْضًا مِنْهُ مَا
يَقْرُبُ مِنَ السَّجْعِ الْقَصِيرِ . وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَأْلِيفُهُ مِنْ أَحَدَى عَشْرَةٍ
إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَكَثْرُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَفْظَةً كَقَوْلِهِ : وَلَئِنْ
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ رَدَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْكُمْ كَفُورًا . وَلَئِنْ
أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ
فَخُورًا . فَأَلَاؤِي أَحَدَى عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَالثَّانِيَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَمِنْ
السَّجْعِ الطَّوِيلِ مَا يَكُونُ تَأْلِيفُهُ مِنَ الْعِشْرِينَ لَفْظَةً فَمَا حَوْلَهَا كَقَوْلِهِ :
إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ
فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ
إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقْبِلَاكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا
كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . وَمِنْ السَّجْعِ الطَّوِيلِ أَيْضًا مَا
يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَهُوَ غَيْرُ مَضْبُوطٍ



البحث الخامس

في الایجاز

(عن المثل السائر وكتاب الصناعتين وغيرهما)

(راجع صفحة ٧٥ من علم الادب)

الایجاز حذف زیادات الالفاظ وهذا نوع من الکلام شریف لا یتعلق به الا فرسان البلاغة من سبق الى غایتها وما صلی . وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المملی . وذلك لغو مكانه . وتعدر إمكانه والنظر فيه إنما هو الى المعاني لا الى الالفاظ . وانت أعني بذلك أن تهمل الالفاظ بحيث تفرى عن أوصافها الحسنة بل أعني أن مدار النظر في هذا النوع إنما يختص بالمعاني . فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير . ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل . ومثال هذا كالجوهرة الواحدة بالنسبة الى الدرأهم . فمن ينظر الى طول الالفاظ يؤثر الدرأهم لكثرتها . ومن ينظر الى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لتفاسيتها . قال أصحاب الایجاز : الایجاز قصور البلاغة على الحقيقة وما تجاوز مدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخلل وهما من أعظم آذواء الکلام وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة . وفي تفضيل الایجاز يقول جعفر بن یحیی لکتابیه : ان قدرتم ان تجعلوا کتبکم توقیعات فافعلوا . وقال

بَعْضُهُمْ : الزِّيَادَةُ فِي الْحَدِّ نَقْصَانٌ . وَقَالَ مُحَمَّدٌ الْآمِينَ : عَلَيْكُمْ
بِالْإِيجَازِ فَإِنَّ لَهُ إِفْهَامًا وَلِلْإِطَالَةِ اسْتِثْمَالًا . وَقَالَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ : الْقَلِيلُ
الْكُفَّ . خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ غَيْرِ شَافٍ . وَقَالَ آخَرُ : إِذَا طَالَ الْكَلَامُ
عَرَضَتْ لَهُ أَسْبَابُ التَّكْلُفِ وَلَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ يَأْتِي بِهِ التَّكْلُفُ .
وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا الْبَلَاغَةُ . فَقَالَ : الْإِيجَازُ . قِيلَ : وَمَا الْإِيجَازُ .
قَالَ : حَذْفُ الْفُضُولِ وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لِمَ لَا تُطِيلُ
الشَّعْرَ . فَقَالَ : حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُتْرِ . وَقِيلَ ذَلِكَ
لِآخَرٍ . فَقَالَ : لَسْتُ أَيْبَعُهُ مُذَارَعَةً . وَقِيلَ لِلْفَرَزْدَقِ : مَا صَدَرَكَ إِلَى
الْقَصَارِ بَعْدَ الطَّوَالِ . قَالَ : لِأَنِّي رَأَيْتُهَا فِي الصُّدُورِ أَوْقَعَ وَفِي
الْحَقَائِقِ أَجْوَلَ . وَقَالَتْ بِنْتُ الْحَطِيشَةِ لِأَيُّهَا : مَا بَالُ قِصَارِكَ
أَكْثَرَ مِنْ طَوَالِكَ . قَالَ : لِأَنَّهُمَا بِالْأَذَانِ أَوَّلُجُ وَبِالْأَفْوَاهِ أَعْلَقُ .
وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الزُّبَيْرِ : قَصُرَتْ فِي شِعْرِكَ . قَالَ : حَسْبُكَ
مِنْ الشَّعْرِ غُرَّةٌ لَانِحَةٌ وَسِمَةٌ وَاصِحَّةٌ . وَقِيلَ لِلنَّابِغَةِ الذُّبْيَانِي : أَلَا
تُطِيلُ الْقَصَائِدَ كَمَا أَطَالَ صَاحِبُكَ آبِنُ حُجْرٍ . قَالَ : مَنْ أَنْتَ تَحُلُّ أَنْتَقِرَ .
وَقِيلَ لِبَعْضِ الْمُخَدَّثِينَ : مَا لَكَ لَا تَرِيدُ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَأَثْنَيْنِ . قَالَ :
هِيَ بِالْقُلُوبِ أَوْقَعُ وَإِلَى الْخِفْظِ أَسْرَعُ وَبِالْأَلْسِنِ أَعْلَقُ وَلِلْمَعَانِي
أَجْمَعُ وَصَاحِبُهَا أَبْلَغُ وَأَوْجَزُ . وَقِيلَ لِابْنِ حَازِمٍ : أَلَا تُطِيلُ الْقَصَائِدَ .
فَقَالَ :

أَبَى لِي أَنْ أُطِيلَ الشَّعْرَ قُضِيَ إِلَى الْمَعْنَى وَعِلْمِي بِالصَّوَابِ
وَإِيجَازِي مُجْتَمِعٌ قَرِيبٌ حَذَفْتُ بِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْجَوَابِ

فَابْعَثْنِ أَرْبَعَةَ وَثْنًا مُشَقَّةً بِالْفَظِّ عَذَابٍ
وَهُنَّ إِذَا وَسَمْتُهُنَّ قَوْمًا كَاطَوَاتِ الْحَمَامِ فِي الرِّقَابِ
وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا رَأَيْتُ بَلِيغًا قَطُّ إِلَّا وَلَهُ فِي الْقَوْلِ إِيجَازٌ وَفِي
الْمَعَانِي إِطَالَةٌ . وَقِيلَ لَيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ : مَا فِيكَ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّكَ
كَثِيرُ الْكَلَامِ . قَالَ : أَقْسَمُونَ صَوَابًا أَمْ خَطَأً . قَالُوا بَلَى صَوَابًا .
قَالَ : فَالزَّيَادَةُ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ . وَلَيْسَ كَمَا قَالَ لِأَنَّ لِلْكَلَامِ غَايَةَ
وَلِنَشَاطِ السَّامِعِينَ نَهَايَةَ . وَمَا فَضْلٌ عَنْ مَقْدَارِ الْإِحْتِمَالِ وَدَعَا إِلَى
الْأَسْتِثْقَالِ وَصَارَ سَبَبًا لِلْمَلَالِ فَذَلِكَ الْهَذَرُ وَالْإِسْهَابُ وَالْخُطْلُ وَهُوَ
مَعِيبٌ عِنْدَ كُلِّ لَبِيبٍ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَلْبَلَاغَةُ بِالْإِيجَازِ أَجْعُ مِنْ أَلْبَيَانِ
بِالْإِطْنَابِ . وَقَالُوا : أَلْمُكْتَنَرُ كَحَاطِبِ اللَّيْلِ . وَمِثْلُ الْإِيجَازِ الْحَسَنُ
كَقَوْلِهِ : وَخُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . فَجَمَعَ جَمِيعَ
مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بِأَسْرَافٍ . لِأَنَّ فِي الْعَفْرِ حِلَّةَ الْقَاطِعِينَ وَالصَّبْرِ عَنْ
الظَّالِمِينَ وَإِعْطَاءَ الْمَانِعِينَ . وَفِي الْأَمْرِ بِالْعُرْفِ تَقْوَى اللَّهِ وَحِلَّةُ
الرَّحِيمِ وَصَوْنُ اللِّسَانِ عَنِ الْكُذِبِ وَغَضُّ الطَّرْفِ عَنِ الْحُرْمَاتِ
وَالْتَبَرُّ مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ يُلَابِسُ
شَيْنًا مِنَ الْمُنْكَرِ . وَفِي الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ الصَّبْرُ وَالْحِلْمُ وَتَثْرِيَةُ
النَّفْسِ عَنْ مُقَابَلَةِ السَّفِيهِ مِمَّا يُؤْتِمُّ الدِّينَ وَيَسْقُطُ الْقُدْرَةُ . وَقَوْلُهُ :
حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْنِي وَيُحْمُ . وَقَوْلُهُ إِنَّ مِنْ أَلْبَيَانِ لَسِحْرًا . وَقَوْلُهُ :
نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ . وَقَوْلُهُ : تَرَكْتُ الشَّرَّ صَدَقَةٌ . فَمَعَانِي هَذَا
الْكَلَامِ أَكْثَرُ مِنَ الْفَظِّ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ صِحَّةَ ذَلِكَ

فَحَلَّهَا وَأَنِيهَا بِنَاءٍ آخَرَ فَإِنَّكَ تَجِدُهَا تَحِيٌّ فِي أَعْنَافِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ .
 وَقَوْلُهُ : إِذَا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَلْيَبْنِ عَلَيْكَ وَأَبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَأَرْتَضِخْ
 مِنْ الْفَضْلِ وَلَا تَلْمِ عَلَى الْكَفَافِ وَلَا تَهْجُرْ عَنْ نَفْسِكَ . فَقَوْلُهُ :
 (فَلْيَبْنِ عَلَيْكَ) أَيِ فَلْيُظْهِرْ أَثَرَهُ عَلَيْكَ بِالصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَدَلَّ
 عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : (وَأَبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَأَرْتَضِخْ مِنْ الْفَضْلِ) أَيِ
 أَكْسِرْ مِنْ مَالِكَ وَأَعْطِهِ (وَأَسْمُ الشَّيْءِ الرِّضِيخَةُ) وَلَا تَهْجُرْ عَنْ
 نَفْسِكَ) أَيِ لَا تَجْمَعْ لِفَيْدِكَ وَتَهْجُرْ عَنْ نَفْسِكَ فَلَا تُقَدِّمْ خَيْرًا .
 وَقَوْلُ أَغْرَاجِي : أُولَئِكَ قَوْمٌ جَعَلُوا أَمْوَالَهُمْ مَسَادِيلَ لِأَعْرَاضِهِمْ فَالْخَيْرُ
 بِهِمْ زَائِدٌ وَالْمَعْرُوفُ لَهُمْ شَاهِدٌ . أَيِ يَقُونَ أَعْرَاضَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ .
 وَقِيلَ لِأَغْرَاجِي يَسُوقُ مَالًا كَثِيرًا : لِمَنْ هَذَا الْمَالُ . فَقَالَ : لِلَّهِ فِي
 يَدِي . وَقَالَ أَغْرَاجِي لِرَجُلٍ يَدْعُهُ : إِنَّهُ لَيُعْطِي عَطَاءً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ
 اللَّهُ مَادَّتُهُ . وَقَوْلُ آخَرٍ : أَمَا بَعْدُ فَعَطَّ النَّاسُ بِفِعْلِكَ وَلَا تَعْظُمُهُمْ
 بِقَوْلِكَ وَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ . وَخَفَهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ .
 وَقَالَ آخَرُ : إِنْ شَكَّكَتَ فِي فَنَسَّالِ قَلْبِكَ عَنِّي

وَأَعْلَمَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ مُدَّعِي عِلْمِ الْبَيَانِ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ
 يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : فَمَنْهُ مَا يَحْسُنُ فِيهِ الْإِيحَازُ كَالْأَشْعَارِ وَالْمُكَاتَبَاتِ .
 وَمِنْهُ مَا يَحْسُنُ فِيهِ التَّطْوِيلُ كَالْخُطَبِ وَالتَّقْلِيدَاتِ وَكُتُبِ الْفُتُوحِ
 الَّتِي تُقْرَأُ فِي مَسَلٍّ مِنْ عَوَامِ النَّاسِ . فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا طَالَ فِي
 مِثْلِ ذَلِكَ أَثَرٌ عِنْدَهُمْ وَأَفْهَمُهُمْ وَلَوْ اقْتَصَرَ فِيهِ عَلَى الْإِيحَازِ وَالْإِشَارَةِ
 لَمْ يَقَعْ لِأَكْثَرِهِمْ حَتَّى يُقَالَ فِي ذِكْرِ الْحَرْبِ : أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ وَقَطَاعَنَ

الْفَرِيقَانِ وَأَشْتَدَّ الْقِتَالُ وَحَمِيَ التَّصَالُ وَمَا جَرَى هَذَا الْحَجَرَى. وَالْمَذْهَبُ
عِنْدِي فِي ذَلِكَ مَا أَذْكُرُهُ : وَهُوَ أَنَّ فَهْمَ الْعَامَّةِ لَيْسَ شَرْطًا
مُعْتَبَرًا فِي اخْتِيَارِ الْكَلَامِ. لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ شَرْطًا لَوَجَبَ عَلَى قِيَاسِهِ أَنْ
يُسْتَعْمَلَ فِي الْكَلَامِ الْأَلْفَاظُ الْعَامِيَّةُ الْمُبْتَدَأَةُ عَنْدهُمْ لِيَكُونَ ذَلِكَ
أَقْرَبَ إِلَى فَهْمِهِمْ. لِأَنَّ الْعِلَّةَ فِي اخْتِيَارِ تَطْوِيلِ الْكَلَامِ إِذَا كَانَتْ
فَهْمُ الْعَامَّةِ إِيَّاهُ فَكَذَلِكَ تَجْعَلُ تِلْكَ الْعِلَّةَ بَيْنَهَا فِي اخْتِيَارِ الْمُبْتَدَأِ
مِنَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ الْعَامَّةَ إِلَى فَهْمِهِ أَقْرَبُ مِنْ
فَهْمِ مَا يَقُلُّ أَيْتِدَاهُمْ إِيَّاهُ . وَهَذَا شَيْءٌ مَذْفُوعٌ وَأَمَّا الَّذِي يَحِبُّ
تَوْخِيهِ وَاعْتِمَادَهُ فَهُوَ أَنْ يُسْلِكَ الْمَذْهَبُ الْقَوِيمُ فِي تَرْكِيبِ الْأَلْفَاظِ
عَلَى الْمَعَانِي بِحَيْثُ لَا تَرِيدُ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ مَعَ الْإِيضَاحِ وَالْإِبَانَةِ
وَلَيْسَ عَلَى مُسْتَعْمِلِ ذَلِكَ أَنْ يَفْهَمَ الْعَامَّةُ كَلَامَهُ فَإِنَّ نُورَ الشَّمْسِ
إِذَا لَمْ يَرَهُ الْأَعْمَى لَا يَكُونُ ذَلِكَ نَقْصًا فِي اسْتِنَارَتِهِ وَإِنَّمَا النِّقْصُ فِي
بَصَرِ الْأَعْمَى حَيْثُ لَمْ يَسْتَطِعْ النَّظَرَ إِلَيْهِ :

عَلَى نَحْتِ الْقَوَائِي مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَيَّ بَأَنْ لَا تَفْهَمَ الْبَقَرُ
وَحَيْثُ انْتَهَى بِنَا الْقَوْلُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَلَنَرْجِعْ إِلَى مَا هُوَ
غَرَضُنَا وَمِهْمُنَا مِنْ الْكَلَامِ عَلَى الْإِيحَازِ وَحَدِّهِ وَأَقْسَامِهِ وَنُوضِّحُ
ذَلِكَ إِيضَاحًا جَلِيًّا وَاللَّهُ الْمُؤَقِّقُ لِلصَّوَابِ فَنَقُولُ : حَدُّ الْإِيحَازِ هُوَ دَلَالَةُ
الْلَفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهِ . وَالتَّطْوِيلُ هُوَ ضِدُّ ذَلِكَ
وَهُوَ أَنْ يُدَلَّ عَلَى الْمَعْنَى بِالْفَرْقِ يَكْفِيكَ بَعْضُهُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ. كَقَوْلِ
الْحَجَرِ السَّلُولِيِّ مِنْ آيَاتِ الْحَمَاسَةِ :

طَلُوعُ الثَّنَائَا بِأَلْطَايَا وَسَابِقُ إِلَى غَايَةٍ مَن يَتَذَرُهَا يُقَدِّمُ
فَصَدْرُ هَذَا أَلْبَيْتِ فِيهِ تَطْوِيلٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَغَجْرُهُ مِنْ مَحَاسِنِ
الْكَلَامِ الْمُتَوَاصِقَةِ . وَمَوْضِعُ التَّطْوِيلِ مِنْ صَدْرِهِ أَنَّهُ قَالَ :
(طَلُوعُ الثَّنَائَا بِأَلْطَايَا) فَإِنَّ لَفْظَةَ الْأَلْطَايَا فَضْلَةٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا .
وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَخْلُو الْأَمْرُ فِيهَا مِنْ وَجْهَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُرِيدَ أَنَّهُ سَابِقُ
الْهَمَّةِ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ كَمَا قَالَ الْحُجَّاجُ عَلَى الْمِنْبَرِ عِنْدَ وُضُوءِهِ الْعِرَاقُ :
أَنَا أَبْنُ جَلَا وَطَّلَاعُ الثَّنَائَا . أَيْ أَنَا الرَّجُلُ الْمَشْهُورُ السَّابِقُ إِلَى
مَعَالِي الْأُمُورِ . فَإِنْ أَرَادَ الْعَجَّازُ بِقَوَاهِ : (طَلُوعُ الثَّنَائَا) مَا أَشْرَتْ
إِلَيْهِ فَذِكْرُ الْأَلْطَايَا يُفِيدُ ذَلِكَ الْمَعْنَى لِأَنَّ مَعَالِي الْأُمُورِ لَا يُرْقَى
إِلَيْهَا بِأَلْطَايَا . وَإِنْ أَرَادَ الْوَجْهَ الْآخَرَ وَهُوَ أَنَّهُ كَثِيرُ الْأَسْفَارِ
فَاخْتِصَاصُهُ الثَّنَائَا بِالذِّكْرِ دُونَ الْأَرْضِ مِنَ الْمَفَاوِزِ وَغَيْرِهَا لَا فَائِدَةَ
فِيهِ . وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ فَإِنَّ ذِكْرَ الْأَلْطَايَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَهُوَ
تَطْوِيلٌ بَارِدٌ غَثٌ . فَنَقِسْ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ مَا يَجْرِي تَجَرُّدُهُ مِنْ
التَّطْوِيلَاتِ الَّتِي إِذَا انْسَقَطَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَقِيَ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ
شَيْءٌ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْأَمْرُ فِي الْفَظِ يُوصَلُ بِهَا الْكَلَامُ فَتَارَةً
تَجِيءُ إِفَادَةً وَذَلِكَ قَلِيلٌ وَتَارَةً تَجِيءُ لَغْوًا فَائِدَةٌ وَذَلِكَ كَثِيرٌ . وَأَكْثَرُ
مَا تَرَدَّدَ فِي الْأَشْعَارِ لِيُوزَنَ بِهَا الْأَلْبَاتِ الشِّعْرِيَّةُ وَذَلِكَ تَحْوُ قَوْلُهُمْ :
لَعَرِي وَلَعَرُكَ وَتَحْوُ : أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَظَلَّ وَأَضْحَى وَبَاتَ وَأَشْبَاهُ
ذَلِكَ . وَتَحْوُ : يَأْصَاحِي وَيَاخْلِيلِي وَمَا يَجْرِي هَذَا الْجَرَى . فَمَا جَاءَ
مِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

أَقْرُوا لَعْمَرِي لِحُكْمِ السُّيُوفِ وَكَانَتْ أَحَقُّ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ
فَإِنْ قَوْلُهُ : (لَعْمَرِي) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا وَهِيَ حَشْرٌ
فِي هَذَا أَلْبَيْتٍ لَا فَائِدَةَ فِيهِ إِلَّا إِصْلَاحُ الْوِزْنِ لَا غَيْرَ . أَلَا تَرَى أَنَّهَا
مِنْ بَابِ الْقَسَمِ وَأَمَّا يَرِدُ الْقَسَمُ فِي مَوْضِعٍ يُؤَكِّدُ بِهِ الْمَعْنَى الْمُرَادُ
أَمَّا لَا تَهْ يُشَكُّ فِيهِ أَوْ بِمَا يَعْرِ وَجُودَهُ أَوْ مَا جَرَى هَذَا النِّجْرَى .
وَهَذَا أَلْبَيْتُ الشِّعْرِي لَا يَفْتَقِرُ مَعْنَاهُ إِلَى تَوْكِيدٍ قَسَمِي إِذْ لَا شَكَّ
أَنَّ السُّيُوفَ حَاصِلَةٌ وَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَقْرَأُ لِحُكْمِهَا وَيَنْعِنُ لِطَاعَتِهَا .
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا :

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَثَرَاتِ دَهْرٍ بُلَيْتُ بِهِ أَلْعِدَادَةَ مِنْ أَلْوَمِ
قَوْلُهُ : (أَلْعِدَادَةُ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا لِأَنَّهُ يَتِمُّ بِدَوِّهَا
لِأَنَّ عَثَرَاتِ الدَّهْرِ لَمْ تَنْهَ أَلْعِدَادَةَ وَلَا أَلْعَشِيَّ وَأَمَّا ثَلَاثَةُ وَثْنَيْهَا آيَةٌ
لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِي زَمَنٍ مِنْ أَلْأَزْمَنِ كَمَا مَا كَانَ وَلَا حَاجَةَ إِلَى
تَعْيِيدِهِ بِالذِّكْرِ . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ الْمُتَحَدِّثِ :

مَا أَحْسَنَ أَلْأَيَامِ إِلَّا أَنَا يَا صَاحِبِي إِذَا مَضَتْ لَمْ تُرْجَعْ
قَوْلُهُ : (يَا صَاحِبِي) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا إِلَّا أَنَّهَا
وَرَدَتْ لِتَضْحِيحِ الْوِزْنِ لَا غَيْرَ . وَهَذِهِ أَلْأَلْفَافُ الَّتِي تَرِدُ فِي أَلْأَبْيَاتِ
الشِّعْرِيَّةِ لِتَضْحِيحِ الْوِزْنِ لَا غَيْرَ فِيهَا . لِأَنَّا لَوْ عَيْنَاهَا عَلَى الشُّعْرَاءِ
لَتَحَجَّرْنَا عَلَيْهِمْ وَذَيَّقْنَا الْوِزْنَ وَيُضْطَرُّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ إِلَى مِثْلِ
ذَلِكَ لَكِنْ إِذَا وَرَدَتْ فِي الْكَلَامِ أَلْمَثُورُ فَانْهَإِ أَنْ وَرَدَتْ حَشَا
وَلَمْ تَرُدْ لِفَائِدَةٍ كَانَتْ عَيْنًا . وَقَدْ تَرِدُ فِي أَلْأَبْيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ وَيَكُونُ

وَرُودُهَا لِقَائِدَةٍ . . . فَأَعْلَمَ أَيُّهَا النَّاطِرُ فِي كِتَابِي هَذَا أَنَّ التَّطْوِيلَ
هُوَ زِيَادَاتُ الْأَلْفَافِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى وَمَهْمَا امْتَكَنَكَ حَذْفُ
شَيْءٍ مِنَ اللَّفْظِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى فَإِنَّ ذَلِكَ اللَّفْظَ
هُوَ التَّطْوِيلُ بِعَيْنِهِ . وَأَمَّا الْإِيجَازُ فَقَدْ عَرَفْتُكَ أَنَّ دَلَالَةَ اللَّفْظِ عَلَى
الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهِ . وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : (أَحَدُهُمَا)
الْإِيجَازُ بِالْحَذْفِ وَهُوَ مَا يُحْذَفُ مِنْهُ الْمَفْرَدُ وَالْجُمْلَةُ لِدَلَالَةِ فَحْوَى
الْكَلَامِ عَلَى الْحَذْفِ وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِيمَا زَادَ مَعْنَاهُ عَلَى لَفْظِهِ .
(وَالْقِسْمُ الْآخَرُ) مَا لَا يُحْذَفُ مِنْهُ شَيْءٌ وَهُوَ ضَرْبَانِ : (أَحَدُهُمَا)
مَا سَاوَى لَفْظُهُ مَعْنَاهُ وَيُسَمَّى التَّقْدِيرَ . (وَالْآخَرُ) مَا زَادَ مَعْنَاهُ
عَلَى لَفْظِهِ وَيُسَمَّى الْقَصْرَ . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ الَّذِي هُوَ الْإِيجَازُ
بِالْحَذْفِ يُتَنَبَّهُ لَهُ مِنْ غَيْرِ كَبِيرِ كُفْلَةٍ فِي اسْتِخْرَاجِهِ لِمَكَانِ الْحَذْفِ
مِنْهُ . وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي فَإِنَّ التَّنَبُّهَ لَهُ عَسْرٌ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى فَضْلِ
تَأَمُّلٍ وَطُولِ فِكْرَةٍ لِحَقَاءِ مَا يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ وَلَا يَنْشَبُ ذَلِكَ إِلَّا
مَنْ رَسَتْ قَدَمُهُ فِي تِمَارَسَةِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَصَارَ لَهُ خَلِيقَةٌ وَمَلَكَةٌ .
وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا عَلمَ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ بِعِلَامَةٍ وَلَا قِيدَهُمَا بِقَيْدٍ . . .
فَقُولُ أَمَّا الْإِيجَازُ بِالْحَذْفِ فَإِنَّهُ عَجِيبُ الْأَمْرِ شَيْءٌ بِالسَّحْرِ وَذَلِكَ
أَنَّكَ تَرَى فِيهِ تَرَكَ الذِّكْرَ أَفْضَحَ مِنَ الذِّكْرِ وَالصَّمْتُ عَنْ
الْإِفَادَةِ أَزِيدَ لِلْإِفَادَةِ وَتَحْدُكُ أَنْطَقَ مَا تَكُونُ إِذَا لَمْ تَنْطِقْ وَأَتَمَّ
مَا تَكُونُ مُبَيَّنًا إِذَا لَمْ تُبَيِّنْ وَهَذِهِ جُمْلَةٌ تُشْكِرُهَا حَتَّى تُحْبَرَ وَتَدْفَعُهَا
حَتَّى تَنْظُرَ . وَالْأَعْلَى فِي الْحَذْفِ جَمِيعًا عَلَى اخْتِلَافِ ضَرْبِهَا

أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْخَذُوفِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ دَلِيلٌ عَلَى الْخَذُوفِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَدِيثِ لَا يَجُوزُ بِوَجْهِ وَلَا سَبَبٍ .
وَمِنْ شَرْطِ الْخَذُوفِ فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ أَنَّهُ مَتَى أُظْهِرَ صَارَ الْكَلَامُ إِلَى شَيْءٍ غَثٍ لَا يُنَاسِبُ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنْ الطَّلَاوَةِ وَالْحُسْنِ وَقَدْ يَظْهَرُ الْخَذُوفُ بِالْإِعْرَابِ كَقَوْلِنَا : أَهْلًا وَسَهْلًا . فَإِنَّ نَصَبَ الْأَهْلِ وَالسَّهْلِ يَدُلُّ عَلَى فَاصِبٍ مَخْذُوفٍ وَلَيْسَ لِهَذَا مِنْ الْحُسْنِ مَا لِلَّذِي لَا يَظْهَرُ بِالْإِعْرَابِ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ بِالنَّظَرِ إِلَى تَمَامِ الْمَعْنَى كَقَوْلِنَا : فَلَانٌ يَحُلُّ وَيَعْقِدُ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَظْهَرُ الْخَذُوفُ بِهِ بِالْإِعْرَابِ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ بِالنَّظَرِ إِلَى تَمَامِ الْمَعْنَى أَيْ إِنَّهُ يَحُلُّ الْأُمُورَ وَيَعْقِدُهَا . وَالَّذِي يَظْهَرُ فِي الْإِعْرَابِ يَقَعُ فِي الْمَفْرَدَاتِ مِنَ الْخَذُوفَاتِ كَثِيرًا وَالَّذِي لَا يَظْهَرُ بِالْإِعْرَابِ يَقَعُ فِي الْجُمَلِ مِنَ الْخَذُوفَاتِ كَثِيرٌ

البحث السادس

في المساواة

(عن كتاب الصناعتين باختصار)

(راجع صفحة ٧٥ من علم الادب)

الْمُسَاوَاةُ هِيَ أَنْ تَكُونَ الْمَعَانِي بِقَدْرِ الْأَلْفَاظِ وَالْأَلْفَاظُ بِقَدْرِ الْمَعَانِي لَا يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَهُوَ الْمَذْهَبُ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْإِيجَازِ وَالْإِطْلَافِ وَإِلَيْهِ أَشَارَ الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ : كَانَ الْفَاظَةُ قَوَالِبُ الْمَعَانِيهِ

أَيُّ لَا يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ . فَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : لَا تَرَالُ
 أُمِّي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ الْأَمَانَةَ مَعْنَمًا وَالزَّكَاةَ مَغْرَمًا . وَقَوْلُهُ : إِيَّاكَ
 وَالْمَشَاوِرَةَ فَإِنَّهَا تُنْمِتُ الْغِرَّةَ وَتُخَيِّبُ الْغِرَّةَ . وَمِنْ أَلْفَاظِ هَذِهِ
 الْفُصُولِ مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ أَثَرًا مِنْ أَلْفَاظِهِ وَإِنَّمَا يُكْرَهُ تَمَيُّزُهَا كَرَاهَةِ
 الْإِطَالَةِ . وَمِنْ نَثَرِ الْكِتَابِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : سَأَلْتُ عَنْ خَيْرِي وَأَنَا
 فِي عَافِيَةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا إِلَّا فَقْدُكَ وَنِعْمَةٌ لَا مَزِيدَ فِيهَا إِلَّا بِكَ . وَقَوْلُهُ :
 عَلَّمْتَنِي نَبُوَّتَكَ سَلَوَتَكَ وَأَسْلَمْتَنِي يَا بِي . مِنْكَ إِلَى الصَّبْرِ عَلَيْكَ .
 وَقَوْلُهُ : فَحَفِظَ اللَّهُ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ وَفِيكَ وَتَوَلَّى إِصْلَاحَكَ وَالْإِصْلَاحَ
 إِلَيْكَ وَأَجَزَلَ مِنْ الْخَيْرِ حَظُّكَ وَالْحَظُّ مِنْكَ وَمَنْ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِكَ .
 وَقَالَ آخَرُ يَتَسْتَمِنُ مِنْ صَلَاحِكَ بِي وَأَخَافُ فُسَادِي بِكَ وَقَدْ أَطْبَعَ
 فِي دَمِ الْخِمَارِ مَنْ شَبَّكَ بِهِ . وَمِنْ الْمَنْظُومِ قَوْلُ طَرَفَةٍ :
 سَتُبْدِي أَلَكِ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ يُرَوِّدْ
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

تَهْدَا الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ فَإِنْ تَأَثَّبَتْ فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

أَمَّا الَّذِي يُنْجِصُهُمْ فَمُكْثَرٌ أَمَّا الَّذِي يُطَرِّبُهُمْ فَمُقَلِّلٌ
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَهَابُكَ قُدْرَةً عَلِيٌّ وَلَكِنْ وَلِيٌّ عَيْنِ حَيَاتِهَا
 وَمَا هَجَرَتْكَ النَّفْسُ أَلَكِ عِنْدَهَا قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَوْلٌ مِنْكَ نَصِيحَاتِهَا

البحث السابع

في الاطناب

(من كتاب الصناعتين للمسكري)

(راجع صفحة ٧٦ من علم الادب)

قَالَ أَصْحَابُ الْإِطْنَابِ: الْمُنْطِقُ إِنَّمَا هُوَ يَبَانٌ وَأَلْيَانٌ لَا يَكُونُ إِلَّا بِإِشْبَاعٍ وَالشِّفَاءُ لَا يَقَعُ إِلَّا بِالْإِقْتِنَاعِ . وَأَفْضَلُ الْكَلَامِ آيِنُهُ وَآيِنُهُ أَشَدُّ إِحَاطَةً بِالْمَعَانِي وَلَا يُحَاطُ بِالْمَعَانِي إِحَاطَةً تَامَةً إِلَّا بِالْأَسْتِقْصَاءِ . وَالْإِيحَازُ لِلْخَوَاصِّ وَالْإِطْنَابُ مُشْتَرِكٌ فِيهِ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ وَالْعَبِيُّ وَالْقَطْنُ وَالرَّيْضُ وَالْمَرْتَاضُ وَلِمَعْنَى مَا أُطِيلَتْ الْكُتُبُ السُّلْطَانِيَّةُ فِي إِفْهَامِ الرِّعَايَا . وَاقُولُ الْقَصْدُ أَنَّ الْإِيحَازَ وَالْإِطْنَابَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِمَا فِي جَمِيعِ الْكَلَامِ وَكُلِّ نَوْعٍ مِنْهُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَوْضِعٌ فَالْحَاجَةُ إِلَى الْإِيحَازِ فِي مَوْضِعِهِ كَالْحَاجَةُ إِلَى الْإِطْنَابِ فِي مَكَانِهِ . فَمَنْ أزال التَّذْيِيرَ فِي ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ فَاسْتَعْمَلَ الْإِطْنَابَ فِي مَوْضِعِ الْإِيحَازِ وَاسْتَعْمَلَ الْإِيحَازَ فِي مَوْضِعِ الْإِطْنَابِ أَخْطَأَ . كَمَا رَوَى عَنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى أَنَّهُ قَالَ مَعَ عَجْبِهِ بِالْإِيحَازِ : مَتَى كَانَ الْإِيحَازُ أَبْلَغَ كَانَ الْإِسْتِثَارُ عَيَّاهُ وَمَتَى كَانَتْ الْكِتَابَةُ فِي مَوْضِعِ الْإِسْتِثَارِ كَانَ الْإِيحَازُ تَقْصِيرًا . وَأَمَرَ خَالِدُ بْنُ يَحْيَى أَثْنَيْنِ أَنْ يَكْتُبَا كِتَابًا وَاحِدًا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ فَأَطَالَ أَحَدُهُمَا وَأَخْتَصَرَ الْآخَرُ . فَقَالَ لِلْمُخْتَصِرِ وَقَدْ نَظَرَ فِي كِتَابِهِ : مَا أَوَى مَوْضِعَ مَزِيدٍ . وَقَالَ لِلْمُطِيلِ : مَا

أَرَى مَوْضِعَ نُقْصَانِهِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : الْبَلَاغَةُ الْإِيحَازُ فِي غَيْرِ عَجْزٍ
وَالْإِطْنَابُ فِي غَيْرِ خَطَرٍ . وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْكُتُبَ الصَّادِرَةَ عَنْ
السَّلَاطِينِ فِي الْأُمُورِ الْجَسِيَمَةِ وَالْفُتُوحِ الْجَلِيلَةِ وَتَنْحِيمِ النِّعَمِ الْخَالِدَةِ
أَوْ التَّرْغِيبِ فِي الطَّاعَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ . سَيِّئًا أَنْ تَكُونَ
مُشَبَّعَةً مُسْتَقْصَاةً تَمَلُّ الصُّدُورَ وَتَأْخُذُ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ . فَأَلِطْنَابُ
بَلَاغَةٍ وَالَّتَطْوِيلُ عِيٌّ . لِأَنَّ التَّطْوِيلَ بِمَثَلَةِ سُلُوكِ مَا يَبْعُدُ جَهْلًا بِمَا
يَقْرُبُ . وَالْإِطْنَابُ بِمَثَلَةِ سُلُوكِ طَرِيقٍ بَعِيدٍ تَرَاهُ يَحْتَوِي عَلَى زِيَادَةٍ
فَائِدَةٍ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : يُخْتَصَرُ الْكِتَابُ لِيُحْفَظَ وَيَبْسُطَ لِيُفْهَمَ .
وَقِيلَ لِأَيِّ غَمْرٍ وَأَبْنِ الْعَلَاءِ هَلْ كَانَتْ الْعَرَبُ تُطِيلُ . قَالَ : نَعَمْ
كَانَتْ تُطِيلُ لِيَسْمَعَ مِنْهَا وَتُوجِزُ لِيُحْفَظَ عَنْهَا . وَالْإِطْنَابُ إِذَا لَمْ يَكُنْ
مِنْهُ بُدٌّ إِيحَازٌ وَهُوَ فِي الْمَوَاعِظِ خَاصَّةً مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْإِيحَازَ فِي
الْأَفْهَامِ مُحَمَّدٌ مَمْدُوحٌ . وَالْمَوْعِظَةُ كَقَوْلِهِ : أَقَامِينَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ
يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ . أَوْ آمِينَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ
بَأْسُنَا ضَحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ أَقَامِينَا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا
الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ . فَتَكَرِيرُ مَا كَرَّرَ مِنَ الْأَلْفَاظِ هَاهُنَا فِي غَايَةِ حُسْنِ
الْمَوْقِعِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَتَى يُحْتَاجُ إِلَى الْإِكْتِسَارِ . قَالَ : إِذَا عَظَّمَ
الْخُطْبُ وَأَنْشَدَ :

صُوتٌ إِذَا مَا الدَّهْرُ زَيْنَ أَهْلِهِ وَفَتَاكَ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْحَبِيرُ
وَقَالَ آخَرُ :

رَمُونُ بِالْخُطْبِ الطَّوَالَ وَتَارَةً وَحِي الْمَلَاظِ خَشْيَةَ الرُّقْبَاءِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا مَا أَتَدَى خَاطِبًا لَمْ يُقَلِّ لَهُ أَطْلُ الْقَوْلِ أَوْ قَصْرِ
 طَيِّبٌ بِدَاءِ قُنُونِ الْكَلَامِ لَمْ يَغِي يَوْمًا وَلَمْ يَسْذِرِ
 فَإِنْ هُوَ أَظَنَّبَ فِي خُطْبَةٍ قُضِيَ الْمَطِيلُ عَلَى الْمُقْصِرِ
 وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قُضِيَ لِلْمُقِلِّ عَلَى الْمُكْثِرِ
 وَوَجَدَ النَّاسَ إِذَا خَطَبُوا فِي الصُّلْحِ بَيْنَ الْعَشَائِرِ أَطَالُوا . وَإِذَا
 انْشَدُوا الشُّعْرَ بَيْنَ السَّمَاطِينَ فِي مَدِيحِ الْمُلُوكِ أَطَبُوا . وَالْإِطَالَةُ
 وَالْإِظْنَابُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ إِيجَازٌ . وَقِيلَ لِقَيْسِ بْنِ خَارِجَةَ : مَا
 عِنْدَكَ فِي حَالَاتِ دَاحِسٍ . قَالَ : عِنْدِي قِرَى كُلِّ نَازِلٍ وَرِضَى كُلِّ
 سَاحِطٍ وَخُطْبَةٌ مِنْ أَدْنَى مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ أَمْرٌ فِيهَا
 بِالتَّوَاضُّلِ وَأَنْهَى عَنِ التَّقَاطُعِ . فَقِيلَ لِأَبِي يَعْقُوبَ الْخَرَنبُيِّ : هَلَّا
 اكْتَفَى بِقَوْلِهِ : أَمْرٌ فِيهَا بِالتَّوَاضُّلِ فَقَالَ : وَأَنْهَى عَنِ التَّقَاطُعِ .
 قَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْكِنَايَةَ وَالتَّعْرِيضَ لَا تَعْمَلُ عَمَلُ الْإِظْنَابِ
 وَالْكَشِيفِ . وَقَدْ رَأَيْنَا فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ : إِذَا خَاطَبَ الْعَرَبَ وَالْأَعْرَابَ
 أَخْرَجَ الْكَلَامَ مُخْرَجَ الْإِشَارَةِ . وَإِذَا خَاطَبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ حَكَمَى
 عَنْهُمْ جَعَلَ الْكَلَامَ مَبْسُوطًا . وَقُلْ مَا تَجِدُ قِصَّةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي
 الْقُرْآنِ إِلَّا طَوَّلَهُ شُرُوحُهُ وَمُكَرَّرُهُ فِي مَوَاضِعِ مُعَادَةٍ لِبُعْدِ
 فَهْمِهِمْ وَتَأَخُّرِ مَعْرِفَتِهِمْ . وَكَلَامُ الْفَصِيحَاءِ إِنَّمَا هُوَ شَوْبُ الْإِيجَازِ
 بِالْإِظْنَابِ . وَالْفَصِيحُ الْعَالِي مَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْقَصْدِ الْمُتَوَسِّطِ
 يُسْتَدَلُّ بِالْقَصْدِ عَلَى الْعَالِيِ وَيُخْرَجُ السَّامِعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ فَيَزِدَادُ

نَشَاطُهُ وَتَتَوَقَّرَ رَغْبَتُهُ فَيَتَصَرَّفُوا فِي وُجُوهِ الْكَلَامِ إِيجَازِهِ وَإِطْنَاهِ
حَتَّى اسْتَعْمَلُوا التَّكْرَارَ لِتَوْكِيدِ الْقَوْلِ لِلسَّامِعِ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
وَفِي فَصِيحِ الشِّعْرِ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ
ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ .
قَالَ مُهَاجِلٌ :

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كُتَيْبٍ
فَكَرَّرَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ بَيْتًا . وَهَكَذَا قَوْلُ الْحَرِثِ
أَبْنِ عَبَّادٍ :

قَرَبًا مَرَبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي
كَرَّرَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ هَذَا لَمَّا كَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى تَكْرِيرِهَا
مَاسَّةً وَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِ دَاعِيَةً لِعَظَمِ الْخُطْبِ وَشِدَّةِ مَوْقِعِ الْفَجِيعَةِ فَهَذَا
يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْإِطْنَابَ فِي مَوْضِعِهِ عِنْدَهُمْ مُسْتَحْسَنٌ . كَمَا أَنَّ
الْإِيجَازَ فِي مَكَانِهِ مُسْتَحَبٌّ وَلَا بُدَّ لِلْكَاتِبِ فِي أَكْثَرِ أَنْوَاعِ
مُكَاتَبَاتِهِ مِنْ شُعْبَةٍ مِنَ الْإِطْنَابِ يَسْتَعْمِلُهَا إِذَا أَرَادَ الْمَزَاجَةَ بَيْنَ
الْفَضْلَيْنِ وَلَا يُعَاقِبُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَذَلِكَ مِثْلُ أَنْ يَكْتُبَ عَظُمَتِ نِعْمًا
عَلَيْهِ وَتَظَاهَرَ إِحْسَانًا لَهُ فَيَكُونُ الْفَضْلُ الْآخِرُ دَاخِلًا فِي مَعْنَاهُ
فِي الْفَضْلِ الْأَوَّلِ وَهُوَ مُسْتَحْسَنٌ لَا يَعْيبُهُ أَحَدٌ . وَلَمَّا أُحِيطَ بِمُرْوَانٍ
قَالَ خَادِمُهُ بَاسِلٌ : مَنْ أَغْفَلَ الْقَلِيلَ حَتَّى يَكْثُرَ وَالصَّغِيرَ حَتَّى يَكْبُرَ
وَالْحَفِيَّ حَتَّى يَظْهَرَ أَعْيَابُهُ مِثْلُ هَذَا . وَهَذَا كَلَامٌ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ
وَإِنْ كَانَ مَعْنَى الْفَضْلَيْنِ الْآخِرَيْنِ دَاخِلًا فِي الْفَضْلِ الْأَوَّلِ .

وَهَكَذَا قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ :
 رَبِّ خَفْضٍ تَحْتَ السَّرَى وَغَنَاءٍ مِنْ غَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبٍ
 وَالْغَنَاءُ دَاخِلٌ فِي الْخَفْضِ وَالْغَنَاءُ دَاخِلٌ فِي السَّرَى . وَهَذَا يَدُلُّ
 عَلَى أَنَّ مُعْظَمَ الْمَدَارِ فِي الْبَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ لِأَنَّ الْمَعَانِي إِذَا
 دَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ الدُّخُولِ وَكَانَتْ الْأَلْفَاظُ
 مُخْتَارَةً حَسَنَ الْكَلَامِ . وَإِذَا كَانَتْ الْمَعَانِي مُرْتَبَةً حَسَنَةً وَالْمَعَارِضُ
 سَيِّئَةً كَانَ الْكَلَامُ مَرْدُودًا فَأَعْتَبِدْ عَلَى مَا مَثَلَتْهُ لَكَ وَقِسْ عَلَيْهِ

البحث الثامن

في مواقع الاطناب

(من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف)

هَذَا النَّوعُ مِنَ الْكَلَامِ أُنْعِمْتَ تَطَرِّي فِيهِ وَفِي التَّكْرِيرِ
 وَفِي التَّطْوِيلِ فَلَكُنِي حَايَةً الشَّيْءِ بَيْنَهُمَا طَوِيلًا . ثُمَّ وَجَدْتُهُ أَنَّهُ
 ضَرْبٌ مُفْرَدٌ بِرَأْسِهِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ . لِأَنَّ مِنَ التَّأْكِيدِ مَا
 يَتَعَلَّقُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ كَمَا مَرَّ وَهَذَا الضَّرْبُ الَّذِي هُوَ الْإِطْنَابُ
 لَيْسَ كَذَلِكَ . وَرَأَيْتُ عُلَمَاءَ الْبَيَانِ قَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَلْحَقَهُ
 بِالتَّطْوِيلِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْإِيجَازِ وَهُوَ عِنْدَهُ قِسْمٌ غَيْرُهُ فَأَخْطَا مِنْ
 حَيْثُ لَا يَذَرِي كَأَيِّ هَلَالٍ الْعُسْكَرِيِّ وَالْعَافِي حَتَّى أَنَّهُ قَالَ :
 إِنَّ كُتُبَ الْفُتُوحِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا مِمَّا يُقْرَأُ عَلَى عَوَامِ النَّاسِ يَبْغِي
 أَنْ تَكُونَ مُطَوَّلَةً مُطْنَبًا فِيهَا . وَهَذَا الْقَوْلُ قَاسِدٌ لِأَنَّهُ إِنْ عَنَى

بذلك أنها تكون ذات معانٍ متعددة قد استقصي فيها شرح تلك
أحادثة من فتح أو غيره فذلك مسلم . وإن عني بذلك أنها
تكون مكررة المعاني مطوّلة الألفاظ قصداً لفهام العامة فهذا
غير مسلم . وهو بما لا يذهب إليه من عنده أدنى معرفة يعلم
الفصاحة والبلاغة . وعلى هذا فينبغي أن تكون الكتب جميعها بما
يقرأ على عوام الناس وخواصهم ذات ألفاظ سهلة مفهومة . وكذلك
الاشعار والخطب ومن ذهب إلى غير ذلك فإنه ينجو عن هذا
الفن . وعلى هذا فإن الإطناب لا يختص به عوام الناس وإنما هو
للخواص كما هو للعوام . وسأين حقيقة وأحق القول فيه بحيث
تؤول الشبهة التي خبط أرباب علم البيان من أجلها وقالوا أقوالاً
لا تعرب عن فائدة . والذي عندي فيه : أنه إذا رجعنا إلى الأسماء
وأشتقاقها وجدنا هذا الإنم مناسباً لمسماه وهو في أصل اللغة
ماخوذ (من أظن في الشيء) إذا بالغ فيه . ويقال : أظنت الريح
إذا اشتدت في هبوبها . وأظن في السير إذا اشتد فيه . وعلى
هذا فإن حملناه على مقتضى مسماه كان معناه المبالغة في إيراد
المعاني . وهذا لا يختص بنوع واحد من أنواع علم البيان وإنما
يوجد فيها جميعاً إذ ما من نوع منها إلا ويمكن المبالغة فيه . وإذا
كان الأمر كذلك فينبغي أن يورد هذا النوع من بينها ولا يتحقق
إفراده إلا بذكر حده الدال على حقيقته . والذي يحد به أن
يقال : هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة فهذا حده الذي يميزه

عَنِ التَّطْوِيلِ إِذَا التَّطْوِيلُ هُوَ زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى لِغَيْرِ فَائِدَةٍ .
وَأَمَّا التَّكْرِيرُ فَاتُّهُ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مُرَدِّدًا كَقَوْلِكَ لِمَنْ
تَسْتَدْعِيهِ : أَسْرِعْ أَسْرِعْ . فَإِنَّ الْمَعْنَى مُرَدِّدٌ وَاللَّفْظُ وَاحِدٌ . وَالتَّكْرِيرُ
جُزْءٌ مِنَ الْإِطْنَابِ وَهُوَ أَخَصُّ مِنْهُ فَيُقَالُ حِينَئِذٍ : إِنْ كُلُّ تَكْرِيرٍ
يَأْتِي لِفَائِدَةٍ فَهُوَ إِطْنَابٌ وَلَيْسَ كُلُّ إِطْنَابٍ تَكْرِيرًا يَأْتِي لِفَائِدَةٍ .
وَأَمَّا الَّذِي يَأْتِي مِنَ التَّكْرِيرِ لِغَيْرِ فَائِدَةٍ فَهُوَ جُزْءٌ مِنَ التَّطْوِيلِ وَهُوَ
أَخَصُّ مِنْهُ . فَيُقَالُ حِينَئِذٍ : إِنْ كُلُّ تَكْرِيرٍ يَأْتِي لِغَيْرِ فَائِدَةٍ تَطْوِيلٌ
وَلَيْسَ كُلُّ تَطْوِيلٍ تَكْرِيرًا يَأْتِي لِغَيْرِ فَائِدَةٍ . وَكَانَتْ قَدَّمْتُ الْقَوْلَ
فِي بَابِ الْإِيحَازِ بِأَنَّ الْإِيحَازَ هُوَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ
زِيَادَةٍ عَلَيْهِ . وَإِذَا تَقَرَّرَتْ هَذِهِ الْحُدُودُ الثَّلَاثَةُ الْمَشَارِإُهَا فَإِنَّ
مِثَالَ الْإِيحَازِ وَالْإِطْنَابِ وَالتَّطْوِيلِ مِثَالُ مَقْصِدِ يُسَلِّكُ إِلَيْهِ فِي
ثَلَاثَةِ طُرُقٍ : فَالْإِيحَازُ هُوَ أَقْرَبُ الطَّرِيقِ الثَّلَاثَةِ إِلَيْهِ وَالْإِطْنَابُ
وَالتَّطْوِيلُ هُمَا الطَّرِيقَانِ الْمَتَسَاوِيَانِ فِي الْبَعْدِ إِلَيْهِ . إِلَّا أَنَّ طَرِيقَ
الْإِطْنَابِ تَشْتَبِلُ عَلَى مَذْهَبِهِ مِنَ الْمَسَازِهِ لَا يُوْجَدُ فِي طَرِيقِ التَّطْوِيلِ
وَالْإِطْنَابُ يُجَدُّ تَارَةً فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكَلَامِ وَيُوْجَدُ تَارَةً
فِي الْجُمْلِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَالَّذِي يُوْجَدُ فِي الْجُمْلِ الْمُتَعَدِّدَةِ أَيْلُغُ لِاتِّسَاعِ
الْجَمَالِ . وَعَلَى هَذَا فَاتُّهُ بِجُمْلَتِهِ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : (الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)
الَّذِي يُوْجَدُ فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكَلَامِ وَهُوَ يَرِدُ حَقِيقَةً وَمَجَازًا .
أَمَّا (الْحَقِيقَةُ) فَمِثْلُ قَوْلِهِمْ : رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي وَقَبَضْتُهُ بِيَدِي وَوَطِئْتُهُ
بِقَدَمِي وَذُقْتُهُ بِفَمِي . وَكُلُّ هَذَا يَطْنُ الطَّنُّ أَنَّهُ زِيَادَةٌ لَا حَاجَةَ

إِلَيْهَا وَيَقُولُ : إِنَّ الرُّؤْيَا لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْعَيْنِ وَالْقَبْضَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْيَدِ وَالْوَطْءَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقَدَمِ وَالذَّوْقَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْفَمِ .
وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بَلْ هَذَا يُقَالُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَعْظُمُ مِثَالُهُ وَيَعِزُّ
الْوُضُوءُ إِلَيْهِ فَيُؤَكِّدُ الْأَمْرَ فِيهِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ دَلَالَةٌ عَلَى نَيْلِهِ
وَالْحُصُولِ عَلَيْهِ . وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْهُ (عَلَى سَبِيلِ الْحِجَازِ) فَقَوْلُهُ : فَإِنَّهَا
لَا تَعْنِي الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْنِي الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ . فَقَائِدَةٌ
ذِكْرُ الصُّدُورِ هَهُنَا أَنَّهُ قَدْ تُعْرَفُ وَعُلِمَ أَنَّ الْعَيْنَ عَلَى الْحَقِيقَةِ
مَكَانُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ أَنْ تَصَابَ الْحَدَقَةُ بِمَا يَطِيسُ نُورَهَا . وَأَسْتَعْمَالُهُ
فِي الْقَلْبِ تَشْبِيهُ وَمَثَلٌ فَلَمَّا أُريدَ إِثْبَاتُ مَا هُوَ خِلَافُ الْمُتَعَارَفِ
مِنْ نِسْبَةِ الْعَيْنِ إِلَى الْقُلُوبِ حَقِيقَةً وَثَبُّهُ عَنِ الْأَبْصَارِ أَحْتَاجَ هَذَا
الْأَمْرَ إِلَى زِيَادَةِ تَصَوُّرٍ وَتَعْرِيفٍ لِيَتَقَرَّرَ أَنَّ مَكَانَ الْعَيْنِ إِنَّمَا هُوَ
الْقُلُوبُ لَا الْأَبْصَارُ . وَهَذَا . وَضِعَ مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ كَثِيرَةٌ مُحَاسِنَةٌ
وَإِفْرَةٌ لَطَائِفَةٌ وَالْحِجَازُ فِيهِ أَحْسَنُ مِنَ الْحَقِيقَةِ لِمَكَانِ زِيَادَةِ التَّصَوُّرِ
فِي إِثْبَاتِ وَضْعِ الْحَقِيقَةِ لِلْحِجَازِيِّ وَثَبُّهُ عَنِ الْحَقِيقَةِ . (وَأَمَّا
الْقِسْمُ الثَّانِي) الْمُخْتَصُّ بِالْجَمَلِ فَإِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى ضُرُوبٍ أَرْبَعَةٍ :
(الْأَوَّلُ) مِنْهَا أَنْ يُذَكَّرَ الشَّيْءُ : فَيُرْتَقَى فِيهِ بِمَعَانٍ مُتَدَاخِلَةٍ . إِلَّا
أَنَّ كُلَّ مَعْنَى يَخْتَصُّ بِمُجْصِصَةٍ لَيْسَتْ لِلْآخِرِ . وَذَلِكَ كَقَوْلِ أَبِي نَعْمَانَ :
قَطَعَتْ إِلَيَّ الزَّابِيَيْنِ هَبَاتُهُ وَالثَّالثُ مَأْمُورُ السَّحَابِ الْمُسْبَلِ
مِنْ مَنَّةٍ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ بِكَرٍ وَإِحْسَانٍ أَغْرَ مُحَجَّلِ
قَوْلُهُ : (مَنَّةٍ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ بِكَرٍ وَإِحْسَانٍ أَغْرَ مُحَجَّلِ)

تَدَاخَلَتْ مَعَانِيهِ إِذَا لِمَنَّةٌ وَالصَّنِيعَةُ وَالْإِحْسَانُ مُتَقَارِبٌ بَعْضُهُ مِنْ
بَعْضٍ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِتَكَرِيرٍ لِأَنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى قَوْلِهِ : مِثَّةٌ وَصَنِيعَةٌ
وَرِاحِسَانٌ لَجَازَ أَنْ يَكُونَ تَكَرُّرًا . وَلَكِنَّهُ وَصَفَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ
هَذِهِ الثَّلَاثِ بِصِفَةٍ أَخْرَجَتْهَا عَنْ حُكْمِ التَّكَرِيرِ فَقَالَ : (وَنِّسَةٌ
مَشْهُورَةٌ) فَوَصَفَهَا بِالْأَشْهَارِ لِعَظَمِ شَأْنِهَا . (وَصَنِيعَةٌ بِكَرٍ) فَوَصَفَهَا
بِالْبَكَارَةِ أَيَّ أَنَّهَا لَمْ يُوْتِ بِمِثْلِهَا مِنْ قَبْلُ . (وَرِاحِسَانٌ أَغْرُ مُجْجَلٌ)
فَوَصَفَهُ بِالْعُرَّةِ وَالتَّخْجِيلِ أَيُّ هُوَ ذُو مُحَاسِنٍ مُتَعَدِّدَةٍ . فَلَمَّا وَصَفَ
هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي تَدَاخَلَتْ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ بِأَوْصَافٍ مُتَبَايِنَةٍ
صَارَ ذَلِكَ إِظْهَارًا وَلَمْ يَكُنْ تَكَرُّرًا . وَلَمْ أَجِدْ فِي ضُرُوبِ الْإِظْهَارِ
أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ وَلَا الْطَفَّ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي
شِعْرٍ كَثِيرٍ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَقَوْلِهِ :

ذِكِّي سَجَايَاهُ تُضِيفُ ضِيُوفَهُ وَيُرْجِي مُرَجِيَهُ وَيُسَالُ سَائِلُهُ
فَإِنَّ غَرَضَهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ الْمَذْذُوحِ بِالْكَرَمِ
وَكَثْرَةِ الْعَطَاءِ إِلَّا أَنَّهُ وَصَفَهُ بِصِفَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فَجَعَلَ ضِيُوفَهُ تُضِيفُ
وَرَاجِيَهُ يُرْجِي وَسَائِلُهُ يُسَالُ . وَلَيْسَ هَذَا تَكَرُّرًا لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ
كَوْنِ ضِيُوفِهِ تُضِيفُ أَنْ تَكُونَ رَاجِيَهُ مُرْجُوا وَلَا أَنْ يَكُونَ سَائِلُهُ
مَسْئُولًا لِأَنَّ ضَيْفَهُ يَسْتَضْحِبُ ضَيْفًا طَمَعًا فِي كَرَمِ مُضِيفِهِ وَسَائِلُهُ يُسَالُ
أَنْ يُعْطِيَ السَّائِلَ عَطَاءً كَثِيرًا يَصِيرُ بِهِ مُعْطِيًا . وَرَاجِيَهُ يُرْجِي أَيَّ أَنَّهُ
إِذَا تَعَلَّقَ بِهِ رَجَاءٌ رَاجٍ فَقَدْ آيَقَنَ بِالْإِفْلَاحِ وَالنَّجَاحِ فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ
يُرْجَى لِمَكَانِ رَجَائِهِ إِيَّاهُ . وَهَذَا أَبْلَغُ الْأَوْصَافِ الثَّلَاثَةِ . (الضَّرْبُ

الثاني (يُسَيِّ التَّنْيَ وَالْإِثْبَاتَ وَهُوَ أَنْ يُذَكَّرَ الشَّيْءُ عَلَى سَبِيلِ
التَّنْيِ ثُمَّ يُذَكَّرَ عَلَى سَبِيلِ الْإِثْبَاتِ أَوْ بِالْعَكْسِ . وَلَا بُدَّ أَنْ
يَكُونَ فِي أَحَدِهِمَا زِيَادَةٌ لَيْسَتْ فِي الْآخَرِ وَالْأَكْثَرُ كَانَ تَكْرِيرًا .
وَالْفَرَضُ بِهِ تَأْكِيدُ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ . فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ :
لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَنَاتُ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ . وَأَعْلَمُ أَنَّ
لِهَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْإِطْنَابِ فائدةً كبيرةً وهو أَوْكَدُ وَجُوهٍ إِلَّا
تَرَى أَنَّهُ قَالَ : لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . وَالْمَعْنَى فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ إِلَّا أَنَّهُ زَادَ فِي الثَّانِيَةِ
قَوْلَهُ : وَآزَنَاتُ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ . وَلَوْلَا هَذِهِ
الزِّيَادَةُ لَكَانَ حُكْمُ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ حُكْمَ التَّكْرِيرِ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ
يَتَّبَعِي أَنْ يُتَأَمَّلَ وَيُنْعَمَ النَّظَرُ فِيهِ . (الضَّرْبُ الثَّلَاثُ) هُوَ أَنْ
يُذَكَّرَ الْمَعْنَى الْوَاحِدُ تَامًّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةٍ ثُمَّ يُضْرَبَ لَهُ مِثَالٌ
مِنَ التَّشْبِيهِ . كَقَوْلِ الْجَحْزِيِّ :

تَرَدَّدَ فِي خُلُقِي سُودِدِ سَلَامًا مُرَجَّى وَبَاسًا مَهِيًا
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِثَّةٌ صَارِحًا وَكَالتَجْرِ إِنْ جِثَّةٌ مُسْتَكْبِيًا
فَالْبَيْتُ الثَّانِي يَدُلُّ عَلَى الْأَوَّلِ لِأَنَّ التَّجَرَ وَالسَيْفَ لِلْبَاسِ
الْمُهَيَّبِ إِلَّا أَنَّ فِي الثَّانِي زِيَادَةَ التَّشْبِيهِ الَّتِي تُفِيدُ تَحْيِيلًا وَتَصْوِيرًا .

(الضَرْبُ الرَّابِعُ) أَنْ يَسْتَوْفِيَ مَعَانِي الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ مِنْ كِتَابٍ
 أَوْ خُطْبَةٍ أَوْ قَصِيدَةٍ . وَهَذَا أَصْعَبُ الضُّرُوبِ الْأَرْبَعَةِ طَرِيقًا أَوْ
 أَضْيَقُهَا بَابًا لِأَنَّهُ يَتَفَرَّعُ إِلَى أَسَالِيبَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْمَعَانِي وَأَرْبَابُ
 النَّظْمِ وَالنَّثْرِ يَتَفَاوَتُونَ فِيهِ وَلَيْسَ الْخَاطِرُ الَّذِي يَقْذِفُ بِالذَّرْرِ فِي
 مِثْلِهِ إِلَّا مَعْدُومُ الْوُجُودِ وَمِثَالُهُ وَمِثَالُ الْإِيجَازِ مِثَالُ مُجْمَلٍ وَمَفْصَّلٍ .
 وَقَدْ تَقَدَّمَ أَقُولُ بَانَ الْإِيجَازَ وَالْإِطْنَابَ وَالَّتَطْوِيلَ بِمَثَلَةٍ مَقْصِدٍ
 يُسَلِّكُ إِلَيْهِ ثَلَاثَةُ طُرُقٍ : وَقَدْ أَوْرَدْتُ هَهُنَا مِثَالًا لِهَذِهِ الْأَسَالِيبِ
 الثَّلَاثَةِ وَجَعَلْتُهَا عَلَى هَيْئَةِ الْمَقْصِدِ الَّذِي تُسَلِّكُ إِلَيْهِ الطُّرُقُ الثَّلَاثَةُ ...
 فَأَقُولُ : قَدْ وَرَدَ فِي بَابِ الْإِيجَازِ كِتَابُ كُتُبِهِ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ
 إِلَى الْمَأْمُونِ يُخْبِرُهُ بِهَزِيمَةِ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ وَقَتْلِهِ إِيَّاهُ وَهُوَ : كِتَابِي
 إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأْسِ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ بَيْنَ يَدَيَّ وَخَاتَمُهُ فِي يَدِي
 وَعَسْكَرُهُ مُصَرَّفٌ تَحْتَ أَمْرِي وَالسَّلَامُ . وَهَذَا كِتَابٌ جَامِعٌ لِلْمَعْنَى
 شَدِيدُ الْإِخْتِصَارِ . وَإِذَا كُتِبَ مَا هُوَ مَعْنَاهُ عَلَى وَجْهِ الْإِطْنَابِ قِيلَ
 فِيهِ مَا أَذْكُرُهُ وَهُوَ مَا أَنْشَأْتُهُ مِثَالًا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِيُعْلَمَ بِهِ
 الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ وَهُوَ : أَضَدَّ كِتَابَهُ هَذَا وَقَدْ نُصِرَ
 بِالْفِتْنَةِ الْقَلِيلَةِ عَلَى الْفِتْنَةِ الْكَثِيرَةِ وَأَنْقَلَبَ بِالْيَدِ الْمَلَأَى وَالْعَيْنِ
 الْقَرِيرَةِ وَكَانَ أَنْتَصَارُهُ بِجِدِّ أَوْبَرِ الْمُؤْمِنِينَ لَا بِجِدِّ نَصْلِهِ وَأَجْدُ أَغْنَى
 مِنْ الْحَيْشِ . وَإِنْ كَثُرَتْ أَمْدَادُ خَيْلِهِ وَرَجُلِهِ وَجِيءَ بِرَأْسِ عِيسَى بْنِ
 مَاهَانَ وَهُوَ عَلَى جَسَدٍ غَيْرِ جَسَدِهِ وَلَيْسَ لَهُ قَدَمٌ فَيُقَالُ إِنَّهُ يَسْعَى
 بِقَدَمِهِ . وَلَا يَدٌ فَيُقَالُ إِنَّهُ يَبْطِشُ بِيَدِهِ . وَلَقَدْ طَالَ وَطُولُهُ

مَوْذُنٌ يَقْصُرُ شَأْنُهُ وَحَسَدَتِ الصَّبَاعُ الطَّائِدَ عَلَى مَكَانِهَا مِنْهُ وَهُوَ غَيْرُ
مَحْسُودٍ عَلَى مَكَانِهِ . وَاحْضِرْ خَاتَمَهُ وَهُوَ الْخَاتَمُ الَّذِي كَانَ الْأَمْرُ يُجْرَى
عَلَى نَقْشِ اسْطِطْوِهِ . وَكَانَ يَرْجُو أَنْ يُصَدِّرَ كِتَابَ الْقَتْمِ بِمُجْتَمِعِهِ فَحَالَ وَرُودُ
الْمَنِيَّةِ دُونَ مَضَرِهِ . وَكَذَلِكَ الْبَغْيُ رَرَقَةٌ وَبِيلٌ . وَضَرَعُهُ جَلِيلٌ
وَسَيْفُهُ وَإِنْ مَضَى فَإِنَّهُ عِنْدَ الضَّرْبِ كَلِيلٌ . وَالْعَصَا كِرُّ أَنْتِي
كَانَتْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَرَامًا صَارَتْ لَهُ سُلْمًا وَأَعْطَتْهُ الْبَيْعَةَ عِلْمًا
بِفَضْلِهِ وَلَيْسَ مَنْ تَابَعَ تَقْلِيدًا مَنْ هُوَ تَابِعٌ عِلْمًا . وَهُمْ الْآنَ مَصْرُفُونَ
تَحْتَ الْأَوَامِرِ مُسْتَحْتَمُونَ بِكُشْفِ السَّرَائِرِ طَبِيعُونَ بِاللَّوَاءِ الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ
بِالْمُفْتَحِ الْقَالِدِ وَالْأَسَاطِئِ الْمُنِيرِ وَعَلَى اللَّهِ ائْتِمَامُ النِّعَمِ الَّتِي أَفْتَحَهَا وَاجَابَةُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُقْتَرَحَاتِهِ الَّتِي اقْتَرَحَهَا وَالسَّلَامُ . وَهَذَا الْكِتَابُ
يَشْتَمِلُ عَلَى مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ مِنَ الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ
فَقِصْلَ ذَلِكَ الْإِجْمَالِ . وَلَوْ كُتِبَتْ عَلَى وَجْهِ التَّطْوِيلِ الَّذِي لَا فَايِدَةَ فِيهِ
أَقِيلَ : أَصْدَرَ كِتَابَهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا وَالتَّقَى عَسْكَرُ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَعَسْكَرُ عَدُوِّ الْبَلْغِيِّ . وَطَاعَنَ الْفَرِيقَانِ وَتَرَاخَفَ الْجَمْعَانِ .
وَجِيَّ الْقِتَالِ وَاشْتَدَّ الذَّرَالُ . وَتَرَادَفَتِ الْكُتَابُ وَتَلَاخَقَتِ الْمَقَابِلُ .
وَقُتِلَ عِيسَى بْنُ مَاهَانَ وَأَحْتَرَّ رَأْسُهُ وَتُرِعَ الْخَاتَمُ مِنْ يَدِهِ وَخُلِعَ وَتُرِكَ
جَسَدُهُ طَعَامًا لِلطُّيُورِ وَالسَّبَاعِ وَالذَّرْتَابِ وَالصَّبَاعِ . وَانْجَلَّتِ الْوَقْعَةُ عَنْ
غَابِ الْخَلِيفَةِ وَخَصَرِهِ وَخَذْلَانِ عَدُوِّهِ وَقَهْرِهِ وَالسَّلَامُ . فَهَذَا الْكِتَابُ
يَشْتَمِلُ عَلَى تَطْوِيلٍ لَا فَايِدَةَ فِيهِ لِأَنَّهُ كَرَّرَ فِيهِ مَعَانِي يَتِمُّ الْقَرَضُ بِدُونِهَا .
فَأَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْكُتُبِ الثَّلَاثَةِ وَتَأَمَّلْهَا وَقَسِّمْ لَهَا مَا يَأْتِي مِنْهَا

الفصل السابع

في البديع

البحث الاول

في حقيقة علم البديع

(عن ابن جابر الاندلسي والحاج خلفا)

(راجع صفحة ٦٦ من علم الادب)

البديع مأخوذ من بدع الشيء يدعه بدعا إذا أنشأه وبداهه .
ويقال أبدع الشيء إذا اخترعه من غير مثال . والبديع يطلق
بإزاء معان يقال هذا بديع أي محدث عجيب فيكون في صيغة
المفعول ويكون أيضا من صيغة الفاعل . ومنه البديع في أسماء الله
تعالى لإبداعه أشياء وإحداثه إياها من غير مثال . والبديع أيضا
الجديد يقال : سقاء بديع وحبل بديع أي جديدان . ويقال : أبدع
الشاعر إذا صنع البديع في شعره . وأما البديع اصطلاحاً فهو علم
يعرف به وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال المعلومة
كيفية طرقه في الدلالة وضوحاً وخفاء . وقوله : (علم) جنس دخل
تحت كل علم . وقوله : (يعرف به وجوه تحسين الكلام) فصل
أخرج به العلوم كلها ما عدا علم المعاني والبيان وما تركب منها
لأن غيرهما من العلوم لا يعرف به وجوه تحسين الكلام . وقوله :

(الْمَطَابِقُ الْمُقْتَضَى الْحَالِ) فَضْلٌ أَخْرَجَ بِهِ الْعِلْمَ بوجوه تحسين
الكلام الذي لم يطابق مقتضى الحال فإن هذا لا يسمى بديعاً .
وقوله : (المعلومه كفيه طرقة الى آخره) فصلٌ أَخْرَجَ بِهِ الْعِلْمَ بوجوه
تحسين الكلام الذي يطابق مقتضى الحال ولم يذكر كفيات
طرق دلالته فإن هذا لا يسمى بديعاً . فحصل من هذا الحد أن
العلم بوجوه تحسين الكلام لا يسمى بديعاً إلا بشرطين : أن
يكون ذلك الكلام مطابقاً لمقتضى الحال . وأن تكون كفيات
طرق دلالته معلومة بالوضوح والاختفاء . فالشرط الأول هو علم المعاني .
والشرط الثاني هو علم البيان فإن عدم الشرطان أو أحدهما من
الكلام لم يكن العلم بوجوه تحسين ذلك الكلام بديعاً . أما
(مرتبة) هذا العلم فبعد مرتبة علمي المعاني والبيان حتى إن
بعضهم لم يجعله علماً على حدة فتأمل . وظهر من هذا وضوعه
وغرضه وغايته . وأما منفعته فإظهار روثي الكلام حتى يلج
الأذن بغير أذى ويتعاق بالقلب من غير كد وإنما دونوا هذا العلم
لأن الأصل وإن كان الحسن الذاتي وكان المعاني والبيان مما
يكفي في تحصيله لكنهم اعتنوا بشأن الحسن العرضي أيضاً لأن
الحسن إذا عري من المزيّنات ربما يذهل بعض القاصرين عن تتبع
محاسنه فيفوت التسع به

البحث الثاني

في ان البديع احد علوم الادب الستة

(عن بديعية العميان)

وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا فَطَرْتَ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ إِمَّا أَنْ تَبْحَثَ
عَنِ الْمَعْنَى الَّتِي وَضَعَ لَهُ اللَّفْظُ وَهُوَ عِلْمُ اللَّغَةِ . وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ
عَنْ ذَاتِ اللَّفْظِ بِحَسَبِ مَا يَعْتَرِيهِ مِنَ الْحَذَفِ وَالْقَلْبِ وَأَبْدَلٍ وَغَيْرِ
ذَلِكَ وَهُوَ عِلْمُ التَّصْرِيفِ . وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ عَنِ الْمَعْنَى الَّتِي يُفْهَمُ
مِنَ الْكَلَامِ الْمُرَكَّبِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ وَهُوَ عِلْمُ
الْعَرِيَّةِ . وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ عَنْ مُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ بِحَسَبِ
الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ وَهُوَ عِلْمُ الْمَعَانِي . وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ عَنْ طُرُقِ دَلَالَةِ
الْكَلَامِ إِضَاحًا وَخَفَاءَ بِحَسَبِ الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَهُوَ عِلْمُ الْبَيَانِ .
وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ عَنْ وُجُوهِ تَحْسِينِ الْكَلَامِ وَهُوَ عِلْمُ الْبَدِيعِ . فَالْعُلُومُ
الثَّلَاثَةُ الْأُولَى لَا يُسْتَشْهَدُ عَلَيْهَا إِلَّا بِكَلَامِ الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا .
لِأَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِيهَا الْقَاظَةُ . وَالْعُلُومُ الثَّلَاثَةُ الْآخِرَةُ يُسْتَشْهَدُ عَلَيْهَا
بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَوْلَدِينَ لِأَنَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى الْمَعَانِي وَلَا
فَرْقَ فِيهَا فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْمَوْلَدِينَ إِذْ هُوَ أَمْرٌ رَاجِعٌ إِلَى
الْعَقْلِ وَلِذَلِكَ قُبِلَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْفَنِّ الْأَسْتِشْهَادُ بِكَلَامِ الْبُحْثِيِّ
وَأَيِّي نَّمَامٍ وَأَيِّي الطَّيِّبِ وَأَيِّي الْعَلَاءِ وَهَلُمَّ جَرًّا . (وَهَذَا تَنْبِيْهُ)
وَهُوَ أَنَّ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ فِي الْكَلَامِ كَالْعِلْمِ فِي الطَّعَامِ وَالْحَالِ

فِي الْوَجَنَاتِ وَالشَّيَةِ فِي الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَاتِ . وَإِذَا كَثُرَ الْحِلْجُ فِي
الطَّعَامِ وَالْخَيْلَانُ فِي الْحَدِّ وَالشَّيَةِ فِي الْخَيْلِ قَبِجَ ذَلِكَ وَخَرَجَ عَنْ
بَابِ الْإِسْتِحْسَانِ فَكَذَلِكَ الْبَدِيعُ إِذَا كَثُرَ وَتُكَلِّفَ تَجَهُ الطَّبَاعُ
وَأَمَّا يُسْتَحْسَنُ إِذَا وَقَعَ فِي الْكَلَامِ سَهْلًا عَلَى الطَّبَاعِ مُسْتَعَذَّبًا
فِي الْأَسْمَاعِ عَارِيًّا مِنْ التَّكَلُّفِ الَّذِي يَذْهَبُ بِالْحُسْنِ وَأَقْعًا مَوْقِعَ
الرَّهْرِ مِنَ الْعُضْنِ فَإِذَا فَرَطَ فِي الزِّيَادَةِ خَاطَبَتُهُ الطَّبَاعُ :
لَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمْ وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ

البحث الثالث

في نسبة علم البديع الى علمي المعاني والبيان

(من شرح بديعة البيان ايضاً)

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ أَنَّ عِلْمَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ دَاخِلَانِ فِي حَدِّ
الْبَدِيعِ عَلِمْتَ أَنَّ نِسْبَتَهُ إِلَيْهَا نِسْبَةُ الْمَرْكَبِ إِلَى مُفْرَدَاتِهِ إِذْ لَا يَدْخُلُ
فِي الْحَدِّ إِلَّا مَا هُوَ مِنْ مُفْرَدَاتِ التَّحْدُودِ الَّتِي تَرْكَبُ مِنْهَا . فَكَمَا أَنَّ
الْمَرْكَبَ لَا يَسْتَقِيمُ وَجُودُهُ إِلَّا بِوُجُودِ مُفْرَدَاتِهِ كَذَلِكَ الْبَدِيعُ لَا يَسْتَقِيمُ
إِلَّا بِوُجُودِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ فَإِذَا عُدِمَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانُ مِنَ الْكَلَامِ عُدِمَ
الْبَدِيعُ مِنْهُ لِأَنَّ الْمَرْكَبَ يُعَدُّ بِعَدَمِ مُفْرَدَاتِهِ فَلَوْ وُجِدَ كَلَامٌ خَالٍ مِنْ
سَابِقَةٍ مُقْتَضَى الْحَالِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْمَعَانِي أَوْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ طُرُقِ
الدَّلَالَةِ فِي الظُّهُورِ وَالْخَفَاءِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْبَيَانِ لَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِوُجُودِهِ
تَحْسِينِ الْكَلَامِ بَدِيعًا . وَاعْلَمْ أَنَّ أَعَمَّ هَذِهِ الْقُنُونِ الثَّلَاثَةِ عِلْمُ

الْمَعَانِي وَاصْصَهَا عِلْمُ الْبَدِيعِ لِأَنَّهُ مُتَرَكِّبٌ مِنَ الْقَسَمَيْنِ الْآخَرَيْنِ
وَزِيَادَةٍ وَالْقَاعِدَةُ أَنَّ الْأَخْصَ يَتَرَكَّبُ مِنَ الْأَعْمِ وَزِيَادَةٍ . وَعِلْمُ
الْبَيَانِ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَهُمَا فَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْمَعَانِي مُنْدَرِجٌ تَحْتَ الْبَدِيعِ
وَكُلُّ بَدِيعٍ مُسْتَلَزِمٌ لِلْمَعَانِي وَالْبَيَانِ لِأَنَّهُمَا جُزْأَاهُ . وَكُلُّ بَيَانٍ مُسْتَلَزِمٌ
لِلْمَعَانِي لِأَنَّهُ جُزْؤُهُ وَآيَتِ الْمَعَانِي مُسْتَلَزِمَةٌ لِلْبَيَانِ وَلَا لِلْبَدِيعِ إِذْ
يُوجَدُ بِدُونِهِمَا وَذَلِكَ مِنْ كَلَامٍ طَائِقٍ مُقْتَضِي الْحَالِ وَلَمْ تُعْلَمْ كَيْفِيَّةُ
طُرُقِ دَلَالَتِهِ وَلَا وَجْهُ تَحْسِينِهِ . وَلَا الْبَيَانُ مُسْتَلَزِمٌ لِلْبَدِيعِ إِذْ يُوجَدُ
بِدُونِهِ فِي كَلَامٍ طَائِقٍ مُقْتَضِي الْحَالِ وَعَلِمَتْ كَيْفِيَّةُ طُرُقِ دَلَالَتِهِ
وَوَجْهُ تَحْسِينِهِ . وَإِذَا عَلِمْتَ مَا قَرَرْتَاهُ فَالْمَعَانِي وَالْبَيَانُ بِالنِّسْبَةِ
إِلَى الْبَدِيعِ كَالْحَيَوَانِ وَالنُّطْقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ فَلَا يُوجَدُ الْبَدِيعُ
بِدُونِهِمَا كَمَا لَا يُوجَدُ الْإِنْسَانُ بِدُونِ الْحَيَاةِ . وَالنُّطْقُ وَالْمَعَانِي وَالْبَيَانُ
إِلَى الْبَيَانِ كَالْحَيَوَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النُّطْقِ فَسُجِدَ الْمَعَانِي بِمَا يَبَيِّنُ
كَمَا يُوجَدُ الْحَيَوَانُ بِمَا يُنْطَقُ . وَلَا يُوجَدُ الْبَيَانُ بِمَا مَعَانٍ كَمَا لَا يُوجَدُ
النُّطْقُ بِدُونِ الْحَيَوَانِ . وَهَذَا بَسْطُ مَا يُوجَدُ فِي بَيَانِ هَذِهِ الْقُنُونِ
الثَّلَاثَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ أَنَّ الْمَعَانِي رَاجِعَةٌ
إِلَى مُطَابَقَةِ مُقْتَضَى الْحَالِ فِي الدَّلَالَةِ الْوَضْعِيَّةِ وَالْبَيَانُ رَاجِعٌ إِلَى
مُقْتَضَى الْحَالِ فِي الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ . فَكَمَا أَنَّ الْبَدِيعَ لَا بُدَّ لَهُ فِي
الْمَعَانِي مِنْ مُطَابَقَةِ مُقْتَضَى الْحَالِ بِاعْتِبَارِ الدَّلَالَةِ الْوَضْعِيَّةِ . كَذَلِكَ
فِي الْبَيَانِ لَا بُدَّ لَهُ أَيْضًا مِنْ مُطَابَقَةِ الْحَالِ بِاعْتِبَارِ الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ
فَلَوْ قَالَ فِي الْمَعَانِي : (زَيْدٌ قَائِمٌ) وَالْحَالُ تَقْتَضِي (إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ) . أَوْ

قَالَ : (إِنْ زَيْدًا قَائِمٌ) وَالْحَالُ تَقْتَضِي (زَيْدٌ قَائِمٌ) كَانَ خَطَأً .
كَذَلِكَ الْبَيَانُ لَوْ قَالَ : (زَيْدٌ جَوَادٌ) وَالْحَالُ تَقْتَضِي (زَيْدٌ كَثِيرٌ
الرَّمَادِ) أَوْ قَالَ : (زَيْدٌ كَثِيرٌ الرَّمَادِ) وَالْحَالُ تَقْتَضِي (زَيْدٌ جَوَادٌ)
كَانَ خَطَأً

البحث الرابع

في اقسام البديع

(عن شرح بديعة البيان)

إِعْلَمَ أَنَّ الْبَدِيعَيْنِ نَصُوا عَلَى أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِبَإَيْنٍ :
بَابِ الْبَلَاغَةِ وَبَابِ الْفَصَاحَةِ . فَمَا كَانَ مِنْهُمَا مُتَعَلِّقًا بِالْمَعْنَى أَوْ بِالْمَعْنَى
وَاللَّفْظِ مِمَّا فَهُوَ مِنْ بَابِ الْبَلَاغَةِ . وَمَا كَانَ مِنْهُمَا مُتَعَلِّقًا بِاللَّفْظِ
فَقَطُّ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْفَصَاحَةِ . فَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : قِسْمٌ يَتَعَلَّقُ
بِالْمَعْنَى فَقَطُّ كَالْتَوْرِيَةِ وَنَجَاهُ الْغَارِفِ وَمَا جَرَى تَحْرَاُهَا مِمَّا لَا تَعَلُّقَ
لَهُ بِاللَّفْظِ . وَقِسْمٌ بِاللَّفْظِ فَقَطُّ كَالْتَجْنِيسِ وَرَدِّ الْعَجْرِ عَلَى الصَّدْرِ
وَتَحْوِيهَا مِمَّا لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالْمَعْنَى . وَقِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ وَالْمَعْنَى كَالطَّابِقَةِ
وَالْمُقَابَلَةِ وَمَا أَشَبَّهُمَا مِمَّا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فِيهِ حَظٌّ .
وَأَسْقَطَ صَاحِبُ الْإِيضَاحِ هَذَا الْقِسْمَ وَجَعَلَ الْبَدِيعَ قِسْمَيْنِ : قِسْمٌ
يَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ وَقِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْنَى وَهُوَ الْآيَيْنُ



البحث الخامس

في تاريخ علم البديع وفي اصحاب البديعيات

(عن كشف الظنون باختصار وتصرف)

اعلم ان قدماء المصنفين كانوا يذكرون هذا الفن في آخر علم البيان . الا ان المتأخرين زادوا عليه شيئا كثيرا ونظموا فيه قصائد و ألفوا كتباً . ومن الكتب المختصة بعلم البديع كتاب لابي العباس عبد الله بن المعتز العباسي المتوفى سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٩ م) وهو اول من صنف فيه . وكان جملة ما جمع منها سبعة عشر نوعا آلفه سنة ٢٧٤ هـ (٨٨٢ م) . وعاصره قدامة بن جعفر الكاتب فجمع منها عشرين نوعا توارد معه على سبعة منها فتكامل لها ثلاثون نوعا ويعرف كتابه بنقد الشعر . اما السكاكي فله يذكرون انواع البديع سوى تسعة وعشرين نوعا . ثم اقتدى الناس بقدامة وابن المعتز فكان غاية ما جمع منها ابو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م) سبعة وثلاثين نوعا ويعرف كتابه بكتاب الصناعتين . ثم جمع فيها ابن الرشيقي القيرواني المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٣ م) في العمدة مثلها و اضاف اليها خمسة وستين بابا في احوال الشعر واغراضه . وتلاهما شرف الدين التيفاني فبلغ بها السبعين . ثم تصدى لها الشيخ زكي الدين بن ابي الاضبع فاوصلها الى التسعين و اضاف اليها من مستخرجاته ثلاثين سلّم له منها عشرون . و أجرى تلك الانواع في آيات القرآنية

وسماه الثرية وعمو أعم كتاب صنف فيه لأنه لم يتكلم على النقل
دون النقد . وذكر أنه وقف على أربعين كتاباً في هذا العلم
والبديعيات المشهورة هي بديعية الشيخ الأديب صفى الدين الحلبي
سمّاها كافية البديعية وشرحها شرحاً حسناً . هذا حدّوه الشيخ عبد
الرحمان الحميدي . وبديعية أبي جعفر أحمد الرعني المتوفى سنة
٥٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) وهذه البديعية تُعرف ببديعية العُنيان . وبديعية
الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر الأندلسي المتوفى
سنة ٥٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) وبديعية الشيخ عز الدين الموصلي ووجه
الدين اليميني المتوفى في حدود سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٨ م) وبديعية
الشيخ تقي الدين بن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧ هـ (١٤٣٣ م)
وسماها التقديم تشليل على مئة وستة وثلاثين نوعاً ثم شرحها شرحاً
مفيداً وهو مجموع أدب قل أن يوجد في غيره . وبديعية الشيخ جلال
الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ (١٥٠٠ م) وتسمى نظم
البديع ثم شرحها . وبديعية الفاضلة عائشة الباعونية نظمتها على
مثال قصيدة الحموي مع عدم تسمية النوع . وآتى بعدها الشيخ
عبد الغني النابلسي ونظم قصيدتين ألّهم بإحداهما تسمية النوع

بديعة الحوري الفاضل ارسانيوس الفاخوري

مدح بها السيد المسيح ورسله الاطهار

وهي مشتتة على مائة وثمانين نوعاً مع التمام تسمية النوع

براعة المطلاع

بَرَاةُ الْمَدْحِ فِي نَجْمِ ضِيَاءِ سَمِي تَهْدِي بِمَطْلَعِهَا مَنْ عَنْ سَنَاهُ عَمِي
الجناس المطلق والمركب

تَطْلِيقُ هَمِي بِتَرْكِيبِ الْمَدِيحِ لَهُ رُخٌ لِي إِلَيْهِ بِهِ رُحِي كَذَا هَمِي
الجناس المذيل

سَنَاهُ فِي الْكَوْنِ بَاهٍ بَاهِرٌ عَجَبٌ وَذَيْلُ الْكَوْنِ نُورًا أَحَقُّ الظُّلَمِ
الجناس اللاحق

دَرْبُ الْهُدَى مَنْ بِهِ قَدْ سَارَ الْحَقُّ كَمْ حَايِرٌ بَايِرٌ بِالرُّشْدِ مِنْهُ رُمِي
الجناس التام والمطرف

أَتَمَّ بَذَرَ السَّمَاءِ مِصْبَاحُهُ وَسَمَاءٌ فَإِنْ هَوَيْتُ بِهِ التَّطْرِيفَ لَمْ أَلَمْ
الجناس المصنف والمحرّف

أَرَاخَ تَضْيِيفُهُ ذَهْنًا أَرَاخَ لَهُ تَحْرِيفُ قَوْلٍ غَدَا فِي الْحُكْمِ وَالْحِكْمِ
الافتتان

فَأَقْ أَفْتَانِي وَمَدَحِي فِي مَحَاسِنِهِ يَأْتِسُ عُمْرُ مَضَى بِالْمَدْحِ لَمْ يَقُمْ
المطابقة

فَلَمْ أَطَاقُ عَلَى بُعْدِ الْآحِبَّةِ بَلْ إِنِّي أَطَاقُ فِي قُرْبِي لِحَذَرِهِمْ
سلامة الاختراع

سَلَامَتِي فِي اخْتِرَاعِي نَظْمَ قَافِيَةٍ أَرْجُو بِهَا الظُّلَمَ فِي أَجْزَاءِ سِلْكِهِمْ

الاستعارة

إِنِّي أَسْتَعَرْتُ حَيَادَ الدَّمْعِ فِي سَفَرِي جَرِيًّا وَرَاءَ مَتَابِرٍ فِي سَبِيلِهِمْ

الجناس المضوي

وَعُدْتُ بِأَسْمِ ابْنِ رَعْدٍ ثُمَّ بِأَسْمِ أَبِي اسْتَحَقَّ يَا مَعْتَوِيٍّ فِي أَهْوَى يِهِمْ

الاستطراد

مُسْتَطَرِدًا فِي هَوَاهُمْ خَيْلٌ مُنْعَطِفِي كَأَدْمَعِي قَدْ جَرَتْ شَوْقًا لِقُرْبِهِمْ

الاستخدام

سَقَى إِلَاهُ الْحَيَا خَيْلًا رَعْنَهُ قَدِ اشْتَدَّ تَحْدِثُهَا قَصْدًا إِذْ رَأَى لِيَوْضِلِهِمْ

التخيير

يَرْبِعُهُمْ قَدْ تَحَيَّرْتُ الْعَنَاءَ وَلَا مَ أَلْبَقَاءَ فِي سَعَةِ فِي غَيْرِ رَبِّعِهِمْ

التذيل

أَذُهُ تَذْيِيلَ عَذْلٍ طَالَ مِنْكَ كَفَى يَا عَاذِلِي الْعَذْلُ مَذْمُومٌ مِنَ الْأَمَمِ

الابداع

وَعِنْدَ إِيدَاعِهِ سَمِعِي مَلَامَتَهُ مَرَجْتُ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ بِدَمِ

الجناس اللفظي و جناس القلب

قَدْ ضَلَّ رَأْيَا بِطَعْنٍ ظَلَّ يَلْفِظُهُ فَأَلْقَبْتُ مَا حَالَ مِنْ لَاحٍ عَنِ الدِّمَمِ

الاكتفاء

لَمْ يَكْتَفِ الْعَاذِلُ النَّمَامُ مِنْ حَيْلٍ فَكَمْ لِدَاكَ خَبَا لِلْعَاشِقِينَ كَيْفِي

التفوييف

إِرْحَمْ وَدَعْ وَاتَّبِعْ وَاشْفَقْ وَلِنْ وَارْحَ فَوَفَّ وَوَشَّ وَجَدَّ وَأَنْظِمْ وَوَقَّ وَهَمَّ

الملفق

أَبَى نَوَالِي بِالْتَلْفِيقِ مِنْهُ كَمَا أَبَانَ وَالِي وَجَدَّ عَنْ وَلَائِهِمْ

الارقط

قَدْ خَابَ مَنْ مِنْهُ يَرْجُو خُطَّةً وَجَدَى وَشَانَ رَقِطٌ بِهِ قَدْ بَانَ مِنْ آخَمِ

الالتفات

فَمَا التَفَتُ إِلَى مَكْرٍ بِتَوْشِيَةٍ عَرَجَ رِكَابَكَ عَنْ تِيهِ إِلَى اللَّقَمِ

الجناس المقلوب المستوي

حَرَفَ أَخَاكَ بِرَبِّكَ أَخَا فَرَحٍ فَيَسْتَوِي الْقَلْبُ بِالْأَفْرَاحِ لَا النَّعَمِ

المواردية

يَا لَا أَعْمَى خَلَّ قَوْلًا فِي مُوَارَبَةٍ فَعَاقِلٌ أَنْتَ يَا ذَا الْعَدْلِ فَاسْتَعِمِ

الالتزام

إِنِّي لَمُتَرِّمٌ خُلْدًا بِمُحِبِّهِمْ حَتَّى أَلْمَسَا يَابَا عَيْشٍ لِصَبِيهِمْ

رد المعجز على الصدر

بِهِمْ أَرَدْتُ عَلَى صَدْرِ الْمُخَاصِمِ نَجْمَ زَهٍّ وَأُخْزِي الْعِدَى يَوْمَ الْوَعَى بِهِمْ

المقابلة

إِنْ رُحْتُ مُتَرَعِّجًا خَوْفًا بِمَسْئَلَةٍ فَقَايِلُوا بِالْشِفَا وَالْأَمْنِ وَالنِّعَمِ

المراجعة

قَالَ أَسْلَهُمْ قُلْتُ حَاشَالِي فَرَلَجَنِي فَقَالَ دَعَهُمْ قَقُلْتُ السَّمْعُ فِي صَمِّ

الهمز الذي يراد به الجذ

بِالْجَذِّ هَازِلْنِي وَالسَّمْعُ مُنْشَجِمٌ فَقَالَ أَرُوْا الظُّلَمَاءَ مِنْ مَنَهْلِ شِمِّ

القول بالموجب

قَوْلِي لَهُ مُوجِبٌ إِذْ قَالَ أَنْتَ لَهُمْ سَالٍ قَقُلْتُ لِجَنَسِي مِنْ سَعِيرِهِمْ

المتراكم

قَدْ قَدْ قَدْ فَوَادِي عَضْبُ غَيْتِهِ مِنْهَا تَرَاكَمَتِ الْأَخْرَانُ مِنَ الْي

الاستدراك

قَالَ مَكْرًا بِسُقْمِ أَنْتَ بَلْ شُغِلَ قُلْتُ مُسْتَدْرِكًا لَكِنْ يَعْشِقُهُمْ

المناقضة

إِنِّي أَنَا قِصُّ عَهْدِي لِلنَّحِبِ إِذَا مَا شَبْتُ أَوْ عُدْتُ طِفْلًا بَعْدَ مَا هَرَمَ

حسن الاتباع

حَسَنُ اتِّبَاعِهِمْ قَلْبِي أَصْطَفَاهُ هَوَى قَالِقَلْبُ عِنْدِي لِغَيْرِ الْعِشْقِ لَمْ يَقُمْ

تشابه الاطراف

تَشْبِيهُ أَطْرَافِ أَقْوَالِي سَمَا بِهِمْ بِهِمْ مَدِيحِي غَدَا فِي آبَلُغِ الْحَكَمِ

السهولة

سُهُوَةُ النَّظْمِ تَحْلُو فِي مَدِيحِهِمْ لَا فِي مَدِيحِ الظُّبَا وَالْغَيْدِ لِلْحَشَمِ

الجناس الحالي او المعجم

نَبَذْتُ تَفْنِينَ تَشْبِيْبِي بِذِي شَقَفٍ يَقْتُلُ فِي غُنْجٍ جَفْنٍ جُنَّ بِالْعَجَمِ

التهكم

بِهِمْ رَأَى عِزَّهُ تِيًّا فَذَلَّ بِهِمْ تَهَكُّمًا قُلْتُ يَا بُشْرَاكَ بِالسَّدَمِ

المجاء في معرض المدح

بِمَعْرِضِ الْمَدْحِ قَدْ يَفْجُوكَ قَائِلُهُ مَا مِثْلُكُمْ بِأَحْتِمَالِ الضَّرِّ وَالرَّغَمِ

الابهام

كَمْ زَادَ إِهْلَامُ نَضْحِي ذَا الْعَذُولِ وَكَمْ يَأَلَيْتَ إِهْلَامُهُ فِي حَيْثُ الْعَدَمِ

التقارعة

تَوَهَّتْ سَمْعِي بِحَقِّ عَنْ نَصَائِحِهِ إِذْ لَمْ أَرَ الْحَقَّ فِي قَوْلٍ وَلَا كَلِمِ

المغايرة

أَغَايِرُ النَّاسِ فِي حَيْثُ لَدِي عَذَلٍ سَتَطِيقَا قَهَّ حُبًّا لِدُكْرِهِمْ

الجلس الموصل

نَفْسِي لَهُمْ عَشِقَتْ حُبَّاهُمْ شَغِفَتْ فَحُبُّهُمْ صِلَةٌ تُنْقَى بِهَا غَمِّي
الاستثناء

أَهْوَى الْخُطُوبَ بِلاَ اسْتِشْجَالِهِمْ إِلَّا مَلَامَ عَذُولِي لِي لِأَجْلِهِمْ

الجناس المهل

كَلَّا إِلَٰهَ أَمْرًا رَامَ الْوَدَادَ لَهُ وَأَهْمَلَ الْوُدَّ لِلْأَسْوَاءِ وَالْحَرَمِ

الجناس الاخيف

أَحَلَّهُ خَيْفَ سَعْدٍ فِي لَوْأِ نُحْبٍ كَمَا شَبِيبَةُ عُمَرُجَبَةَ السَّلَمِ

الالغاز

مِنْ مَرَمَرِ الرُّشْدِ خُذْ شَطْرًا بِشَطْرٍ مِ عَيْنِ اللَّهِ مُنْجِمًا لِلْفَرْ تَفْتِهِمْ

الجناس المقطع

وَأِنْ أَرَدْتَ دَوَاءَ زُرْ ذُرَاهُ وَرُدْ وَأِنْ أَرَدْتَ رَوَى دَعْ وَرَدْ ذِي زَامِ

الحجاجة

وَأَسْتَشْفِيهِ فِي التَّحَاكِي تَمَعْنًا نَظْرًا بِقَوْلِهِ قَالِيسًا مِلْكِي وَمِثُّ رُمِ

الكلام الجامع

جَمْعُ الْكَلَامِ إِذَا لَمْ يَشْتَمِلْ حِكْمًا لَمْ يُلَفَّ مِنْ ذَاقَ فِيهِ لَذَّةُ الدَّسَمِ

الاقباس

مِنْ تَجَمُّعِ الشُّوْكِ هَلْ مِنْ يَحْتَجِّي عَنَابًا لَمْ تُقَبِّسْ لَذَّةً مِنْ عَاطِلِ الْكَلِمِ

التوجيه

وَجِهَ إِلَى الرَّبِّ نَعْنًا أَنْتَ تَابِعُهُ يَرْفَعُكَ مِنْ خَفَضٍ رُبَّتَاتٍ إِلَى الْعِظَمِ

عكس الاشارة

بِحَقِّ بَرِّ قُفْمٍ لَا فِي إِشَارَتِهِ فَإِنَّ عَكْسَ أَسْمِهِ مَعْنَاهُ كَمَا لَعَلَّمِ

المطمع

قَدْ طَابَ لِلنَّفْسِ فِي الْأَسْوَاءِ مَطْمَعُهَا بَلْ طَالَ فِيهَا وَلَمْ تَقْدِرْ إِلَى النَّدَمِ

الرجوع

مَا لِي رَجُوعٌ إِلَى حَالِي لِأُصْلِحَهَا بَلَى إِذَا مَعَ هُدًى رَيْي سَعَى قَدَمِي

عتاب النفس

يَا نَفْسِ عِي رَا عَوِي وَأَصْفِي إِلَى عَتِي حَتَّامَ أَنْتِ بِجَهْلٍ غَيْرِ مُنْصَرِمِ

التسليم

هِيَ لِزَعْمِكَ قَدْ سَلَّمْتُ مُرْتَضِيًا فَمَا يَكُونُ جَوَابِي يَوْمَ مُحْتَكَمِي

القسم

فَلَا أُبَلِّغُ أَلْمَنِي إِنْ مِلْتُ مُتَبِمًا هَوَاكَ فِي غَيْرِ مَا أَهْوَى وَذَا قَسَمِي

حسن التخلص

فَرَغَبْتِي وَأَهْوَى حُسْنَ التَّخَلُّصِ مِنْ إِيْمِي بِمَدْحٍ وَسِيْطِ النَّاسِ كُلِّهِمْ

الأطراد

يَسُوعُ بِكَرِّ الْإِلَهِ ابْنُ الْبَتُولِ سَلَا لَهُ أَلْمُلُوكِ وَرَبُّ فِي أَطْرَادِهِمْ

حصر الجزئي والخاص بالكلّي

فَرَدُّ بِهِ تُحْصَرُ الْأَنْصَارُ أَجْمَعُهُمْ فَلْجُزْءُ يُلْحَقُ بِالْكُلِّيِّ لِلْعَظَمِ

المكس

نَفْسُ الْجَمَالِ جَمَالُ النَّفْسِ فِيهِ بَدَا يَاعَكْسُ مَنْ عَن سَنَاهَذَا الْجَمَالِ عِي

المماثلة

فَالْأَبُ مِثْلُهُ وَالرُّوحُ وَاقَقُهُ وَالْكُنْهَ شَارَكُهُ بِالْعَظَمِ وَالْقِدَمِ

التفسير

كُنْهٌ ثَلَاثِي أَقْنُومِ يُفْتَرِّهُ أَبٌ وَابْنٌ وَرُوحٌ فِي وَجِيدِهِمْ

المذهب السكلاي

مَذْهَبِي فِي كَلَامِي مِنْهُ مُنْقِذَنَا لَوْ لَمْ يَصِرْ بَشَرًا لَمْ تَنْجُ مِنْ ضَرَمِ

المناسبة

لَاهْوَتُهُ كَامِلٌ وَالطُّهُرُ نَاسِبُهُ نَاسُوْتُهُ قَاضِلٌ فِي الْخَلْقِ وَالشَّيْمِ

ارسال المثل

فَالْحَسَنُ فِي الْخَلْقِ أَرْبَى فِيهِ عَنْ مَثَلِ وَأَلْفُضْلُ أَشْهُرٍ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمِ

الترديد

فَهُوَ الْبَدِيعُ لَنَا هَذَا الْبَدِيعُ سَنَى بِهِ الْبَدِيعُ حَلَا تَرْوِيْدُهُ بِفَحِي

التكرار

تَكَرَّرَ دَنْحِي سَمَا بِالْوَاهِبِ التَّعَمُّ م ابْنِ الْوَاهِبِ التَّعَمُّ ابْنِ الْوَاهِبِ التَّعَمُّ

الترتيب

لَهُ الْمَلَائِكُ وَالْإِنْسَانُ أَجْمَعُهُ وَمَا سِوَاهُمْ فِي التَّرْتِيبِ كَلِّخْدَمِ

التشريع

لَمَّا أُنْخِنِي وَبِشْرِيْعِ الْفِدَاءِ بَدَا نَلْنَا أَلْمَنَى فَتَجَوْنَا مِنْ رَدَى الْعَرَمِ

التكبير

أَوْقَى آبَاهُ تَمَامًا دَيْنَ آدَمِ حَمْدًا لَهُ فَاقَ تَكْثِيلًا بِذَا الْكَرَمِ

الجناس المرفوع

هَيَّا مَدَارَ نَعِيمٍ قَدْ رَفَاهُ بِهِ وَطَمَّ دَارَ جَحِيمٍ حَالِكِ الظُّلَمِ

الجناس المشتق

هَدَى إِلَى الشَّيْخِ الْهَادِي بُقَاةَ هُدَى وَمِنْ هُدَاهُ الْخَلَاصُ أَشْتَقَى لِلْأَمَمِ

القل

تَمَّتْ نُقُولُ نُبَوَاتٍ بِهِ وَمَضَتْ بِهِ الْخَلِيلُ نَجْمًا مِنْ وَابِلِ الضَّرَمِ

تشبيه شينين بشينين

شَتَانٍ قَدْ أَشْبَاهَا شَيْنَيْنِ فِيهِ لَنَا تَعَطُّفٌ وَنَدَى كَاللَّجْرِ وَالْدِّيمِ

التشبيه

تَشْطِيرُ نِعْمَتِهِ مَا بَيْنَ أُمَّتِهِ كَاللَّحِجِّ فِي عِظَمٍ قَدْ كَانَ فِي الْقِسْمِ

الطبي والنشر

فَأَلْطَى وَالنَّشْرُ وَالْتَبْدِيلُ نَعْمَ كَرَمٍ لِلْعُسْرِ وَالْإِسْرِ وَالْأَحْوَالِ وَالشِّيمِ

الايغال

فِي السَّغْيِ أَوْغَلَ فِي تَهْيِيدِهِ سُبُلًا إِلَى الْخَلَّاصِ بِحَبِّ غَيْرِ مُنْكَتَمِ

الاشارة

وَمِنْ إِشَارَاتِهِ بِالْوَعْظِ كَمَا نَبَّهَتْ لَهُمْ قُفُونُ بِهَا زَادُوا بِرِهِمْ

الايياز

وَقَوْلُهُ مُوجِزٌ فِي حُصْنِ نَعْمَةٍ أَنْ تَالَ أَشْفَى وَأَحْيَا بِأَلِي الرِّمَمِ

التوضيح

نَوْشِعٌ مَذْهَبُهُ فِي فَضْلِ سُلْبِهِ مُنَبِّتُ الْأَبْجَدَيْنِ الْعَهْدِ وَالذِّمَمِ

التورية

وَكَمْ عُقُودَ لَهُمْ حَلَّتْ فَوَائِدُهُ بِحُسْنِ تَوْرِيَةٍ حَلَّتْ لِسَانًا فِي

النوادر

كَمْ مِنْ نَوَادِرٍ بَذَلَ مَا رَسَتْ يَدُهُ حَتَّى جَرَى دَمُهَا لِلْبَذْلِ كَالدِّيمِ

البسط

تَعَوَّدَ الْجُودَ مَعَ بَسْطِ لِرَاحَتِهِ لِلْعُودِ جَادَ بِهَا مَدًا بِلا سَقَمِ

الجمع مع التقسيم

حَمَّ تَقَسَّمَ يَوْمَ الصَّلْبِ فِي فَوْقِ مِنْ قَاتِلِ وَهَيْنِ ثُمَّ مُسْتَقِمِ

الجمع

فَاجْلِدُوا وَاهْزُوا وَالتَّشِيمُ مَعَ عَذْلٍ إِهَانَةٌ نَالَهَا مِنْ بَقِيٍّ جُمُعِهِمْ

جناس البعض

بَعْضٌ حَمَاقَتُهُمْ زَادَتْ حَمَاسَتَهُمْ جَوْرًا وَبَعْضٌ كَكَلْبٍ كَالْبِئْسَ بِهِمْ

المشوش

وَشَوَّشُوا الْفَرْعَ مِنْ خَدَشٍ بِهَا مَتْنٌ وَالْقَدْعُ فِي الْجِسْمِ وَالْكَفَيْنِ وَالْقَدَمِ

التشبيه

وَالْجِسْمُ إِنْ جِثْتُ تَشْبِيهاً لِحَالَتِهِ قُلْ كَأَن لِّخَلَالِ مَحْوَلٍ مِنْ نَكَالِهِمْ

تجامل العارف

تَجَاهَلَ النَّاسُ فِي عِرْقَانِ صُورَتِهِ قَالُوا أَسْقَمُ بِهِ أَمْ بِالنَّكَالِ رُمِي

المساواة

بِالْمَوْتِ سَاوَى الْمَلَأَ أَمَّا قِيَامَتُهُ فَأَوْضَحَتْ قُدْرَةَ الْأَلْهُوتِ كَالْعِلْمِ

التوهم

تَوْهِيمٌ قَلْبٍ جَلَّتْ بُشْرَى قِيَامَتِهِ جَلَّتْ بِنَصْرِ وَعَزَّتْ سَاعَةُ الْقَسَمِ

الجناس الكامل

وَبَعْدَمَا قَدْ قَضَى فِعْلَ الْجَبِيلِ إِلَى مِ الْعَلَا زَتْ قِيَامَتُهُ الْجَبِيلُ الْكَامِلُ الشِّمِ

الانسجام

وَمِنْ لَدُنْهُ الْمَغْزَى حَلٌّ مُنْجِيًا عَلَى تَلَامِيذِهِ كَاللُّسَنِ مِنْ ضَرَمِ

التسليم

تَسَهُمُوا الْأَرْضَ لِلْبُشْرَى فَقَالَ لَهُمْ وَتَلِيدُوا عَمِدُوا كَلًّا مِنْ الْأَمْرِ

التمكين

جَالُوا بِتَمَكِينِ عَزَمٍ فِي بَشَارَتِهِمْ وَلَمْ يُبَالُوا بِتَعْنِيْبِ وَصَفِكَ دَمِ

الجناس المركب المجموع

جَادُوا بِأَقْسِمِهِمْ حُبًّا كَمَا لَهُمْ وَجَمْعُ تَرْكِيْبِ فَضْلٍ فِي كَمَا لَهُمْ
الإرداف

وَأَرْدَفُوا الْغَزْمَ بَأْسًا اسْكَنُوهُ تَحَلًّا م الْحَبِّ فِي السَّيْرِ لِلْبُشْرِ بِرَبِّهِمْ
الانساع

يَبِضُّ الْمَفَارِقَ بَلْ طَهَّرَ الْتُفُوسَ هُمْ وَبِاتِّسَاعِ الْحِجَى قَارُوا بِقَصْدِهِمْ
الاستيعاب

يَسْتَشْبِعُونَ نَجْصَ التُّضْمِ فِعْلٌ هَدَى وَيَحْفَظُونَ تَقَاهُ حِفْظَ دِينِهِمْ
المرّد

وَمِنْ مُرَدِّدٍ إِنْذَارٍ حَكْرُهُ قَذُو م الْهَوَى هَوَى كَذَاكَ أَلْعَابُ الصَّنَمِ
الترصيع

هُمْ رَصَعُوا آدَبًا مِنْ دُرِّ لَفْظِهِمْ كَمْ أَبَدَعُوا خُطْبًا فِي سِرِّ وَعَظِهِمْ
إيتلاف اللفظ مع الوزن

تَأَلَّفَ اللَّفْظُ مَعَ وَزْنٍ بِمَدْحِهِمْ لِرَبِّهِمْ ضَمْنٌ قَطْمٌ فِيهِ مُنْشَجِمٌ
إيتلاف اللفظ مع المعنى

الْأَلْفُظِي الْمَدْحُ مَعَ مَعْنَاهُ مُؤْتَلَفٌ قَلْبُكَ عَانِي تَرَى أَلَا لَفَاطَ كَأَلْخَدَمِ
الفراند

وَكَمْ مِنْ فَرَائِدٍ دُرٍّ فِيهِ قَدْ تَطْمُوا عِثْدَ النَّشِيدِ فَأَعْجِبْ بِأَنْتِظَامِهِمْ
إيتلاف المعنى مع الوزن

تَوَلَّفَ الْوَزْنَ وَالْمَعْنَى نَشَائِدُهُمْ صَحِيحَةٌ عَذْبَةٌ فِي الْخَنِّ وَالنَّعْمِ
التسبيط

تَسْبِطُهُمْ دُرًّا أَضْحَى بِهِ غُرًّا أَمْسَى لَنَا قَرَا فِي لَيْلَةِ النُّعْمِ

إتلاف اللفظ مع اللفظ

وَالْلَفْظُ لِلْحَمْدِ فِي الْأَفْوَاهِ مُؤْتَلَفٌ مَعَ لَفْظِ مَدْحٍ بَدَأَ مِنَ أَلْسِنِ الدِّمْرِ

الابداع

إِبْدَاعُ تَعْظِيمِهِمْ دَمْعِي جَلًّا وَحَلًّا إِبْدَاعُ تَثْرِهِمْ سَنَعِي كَسْتَعْظِمُ

التفريع

مَا نَسَمَةُ حَمَلَتْ مِنْكَ لَطَائِفُهَا يَوْمًا بِأَطِيبٍ مِنْ تَفْرِيعِ فَضْلِهِمْ

المدح في معرض الذم

فِي مَعْرِضِ الذَّمِّ مَذْحًا قَدْ خَصَصْتُ بِهِمْ لَاعِيبَ فِيهِ سِوَى الْإِيْقَاءِ بِالذَّمِّ

الجناس المرفل

وَبِأَلَا يَأْدِي أَيَْادِيهِمْ سَمَتْ كَرَمًا فَرَّاحَ يَرْفُلُ بِالْإِثْرَاءِ ذُو الْعَدَمِ

الكناية

تَرَّاحُمُ لِعَفَاةٍ يُسْرِعُونَ إِلَى فَرَاتِهِمْ ذَا يُكْنِي عَنْ تَحَاثُّهِمْ

التوزيع

عَلَى الْعَفَاةِ جَمِيعًا وَزَعُّوا نَعْمًا فَعَادَ أَعْوَزُهُمْ بِالْعَزِّ وَالْعَظَمِ

الاستدراك

سَادُوا بِصَدْرِ غَدَا بِالْعِزِّ شَتْرًا صَدَرَ الْجُلُوسِ عَلَى كُرْسِيِّ قَضَائِهِمْ

الموازنة

مُؤَاذِنِ وَآتِنِ مُسْتَرْكِنِ حَسَنِ مُسْتَعْلَنِ قَاتِنِ مُسْتَمْكِنِ فَحِمِ

المؤتلف والمختلف

فَجَمَعَ مُؤْتَلَفٌ فِيهِمْ وَتُخْتَلَفُ حُكْمًا وَفَضْلًا فَيَسْمَعَانُ بِذَلِكَ سَمِي

الايضاح

مَا بَيْنَهُمْ صَخْرَةٌ لِلْحَقِّ مُوَضَّحَةٌ بَنَى الْمَسِيحُ عَلَيْهَا بَيْتَ جَمْعِهِمْ

الطاعة والمعصيان

مَنْ يُطِيعْ حُكْمَهُ يُرْحَمْ لَدَىٰ شَجَبٍ وَمَنْ عَصَىٰ أَمْرَهُ يُحْرَمَ مِنَ النَّعَمِ

حسن النسق

تَثْرِي يُنَاسِثُهُمْ شِعْرِي يُطَاقُهُمْ تَغْرِي يُوَاقِعُهُمْ فِي مَدْحٍ رَّيِّبٍ

التجزئة

أَرَيْتُ فِي هَمِّي جَزَأْتُ فِي كَلَمِي رَوَيْتُ فِي قَلْبِي أَرَوَيْتُ كُلَّ ظَلَمِي

التوازن

تَوَازَنَتْ حِكْمِي حَمْدًا لِمُسْتَحٍ مَلَا زِمًا مَدْحًا قَطْمًا بِمُسْتَحِمٍ

التسبيح

تَحْجِي وَمُنْتَظَمِي مَدْحًا حَلَا بِهِي حَاكَيْتُ فِي رَغَمِي الشُّحُورَ بِالنَّعَمِ

الاتفاق

يَسُوعُ وَأَسْهُ فِي تَخْلِيصِنَا أَتَّفَقَا فَهُوَ الْخُلَاصُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ بَقَمِ

الاعتراض

فَلَا أَعْتَاضَ عَلَيْنَا فِي عِبَادَتِهِ وَهُوَ الْإِلَٰهُ وَنَ يَعْبُدُهُ يَتَّصِمِ

العنوان

بِ السَّفِينَةِ نَجَتْ نُوحٌ وَهِيَ غَدَتْ عُتْوَانُ يَبْعَثُ ثَوَقِي مِنَ الْعَرَمِ

الترشيح

فَحَلَّ مَرْكَبَ يَهْ حِينَ رَكَّبَهَا فَكَمْ تَرَشَّحَ مِنْهَا الرُّشْدُ فِي الظُّلَمِ

التلميح

تَلْمِيحٌ تَعْلِيمَهَا ذَاكَ السِّرَاجُ يَهْ يُهْدَىٰ وَفِي السِّرْجِ إِرْشَادٌ إِلَى اللَّقَمِ

التسميم

تَشْمِيمٌ سِرِّ الْفِدَا وَالْحَبِّ سَلَمَهَا يَأْسَعِدُهَا وَأَضْحَلَ الْبُؤْسُ بِالنَّعَمِ

التصريح

تَصْرِيعُ أَبْوَابِهَا يُورِقِي مِنَ الْحَصِمِ

التجريد

يَنَالُ صَوْبَ الْحَيَا مِنْ بَسْطِ رَاحَتِهَا مَنْ قَدْ تَجَرَّدَ عَنْ كُفْرِ بَرِيئِهِمْ

المعنى

حَوَى أَيْحَ بَهَارِ قَلْبُهُ وَسَمَا مِنْ شَيْءٍ يَهْتَدِي مَنْ عَنْ غِنَاهُ عَمِي

التعريض

تَطْوِيلُ تَعْرِيزِ هَاجِيهَا يُعْظِمُهَا وَالْبَغْضُ لِلْحَقِّ مَكْرُوهٌ كَذِي أَضْمَ

التنكيت

دَعِ الْمُسْكِتَ إِذْ فِي ذِي الْكُنْيَةِ وَدَ دَهَا تَجَاةٌ مِنَ الطُّوفَانِ وَالضَّرَمِ

التوشيح

فَالرَّبُّ وَتَمَحَّهَا مِنْ عِصَّةٍ حُلَلَا أَوْقَتْ خُطَى حُكَيْمَاهَا مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ

تنسيق الصفات

فَأَمْجَدُ لَهُ عِنْدَ تَنْسِيقِ الصِّفَاتِ وَقُلْ رَبُّ إِلَهٌ قَدِيرٌ صَكَايِلُ الشِّيمِ

التعطيف

فَاخْتَارَ ذَاكَ الصَّغَارَ رَأْسًا وَقَالَ إِذَا الْخُتَارِ كُنْ رَاعِيًا وَأَعْطِفْ عَلَى النِّعَمِ

العقد

مَهْمَا تَحُلُّ بِأَرْضٍ يَتَحَلَّلُ بِسَمَا وَمَا رَبَّطْتَ بِعَقْدِ الرِّبْطِ وَمَكَ رُمِي

التعليل

لَوْ لَمْ يَجِئْنَا بِتَعْلِيلٍ تَجَسَّدُهُ مِنْ مَرِّمٍ مَا شَفِينَا مِنْ ضَنْيِ السَّقَمِ

المجاز

هِيَ الْحَجَّازُ لِإِذْرَاكَ الشِّقَاءِ هِيَ مِ الْعَرْشِ الرَّفِيعِ وَبَرَجُ الْبَارِي النَّسَمِ

المبالغة

بِهَا خَلَّاصُ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ أَرَدْتَ بَالِغَ وَقْلٍ بَلْ سَائِرُ الْأُمَمِ

التوليد

لِكُلِّ هَوْلٍ طَرَا تُرْجَى شَفَاعَتُهَا نَالَ الْعِبَادُ بِهَا تَوْلِيدَ أَمْنِهِمْ

الانقراق

لَوْ تَابَ إِبْلِيسُ يُبْغِي مَاءَ نَعْمَتِهَا لَاغْرَقَتْهُ بِثَّيَارٍ مِنَ النِّعَمِ

الغلو

فَقَطْرَةٌ مِنْ نَدَاهَا لَا غُلُوَّ بِهَا تَكَادُ تُحْيِي رَمِيًا صَارَ كَالْعَدَمِ

التضمين

وَخَلَقَهَا فَاقَ فِي حُسْنِ تَضَمُّنِهِ وَإِنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

المدح المفرغ

يَسْمُو الْمَدِيحُ بِتَفْرِيعٍ لِطَّلَعَتِهَا سُمُو خُلُقِ حَوَاتٍ بِالْجِلْمِ مُلْتَمِمْ

التعديد

تَعْدِيدُ أَفْضَالِهَا يُنْدِي لِسَامِعِهِ طَهْرًا وَبِرًّا وَجِلْمًا مَعَ عَلَى الشِّيمِ

التهديب والتأديب

تَهْدِيبُ تَأْدِيبِهَا قَدْ زَادَنَا عَجَبًا بِصَيْرِهَا حِينَ تَعْدِيبِ آبِنِهَا الْعَلَمِ

التفصيل

فِي شَرْحِ آيَاتِهِ التَّفْصِيلُ مُتَّسِعٌ يَكِلُ عَنْ شَرْحِهَا ذَوَا أَلْفِهِمْ وَالْحُكْمِ

ابتلاف المعنى مع المعنى

وَضَلُّ وَفَضْلٌ لَهُ لِلْمَعْنَيْنِ غَدَا تَأْلُفٌ نَحْوَ صَدِيقٍ وَنَحْوِ تِيمٍ

التوكيد

لَهُ الْقَضَاءُ بِتَوْكِيدِ يَدَيْنِ بِهِ أَمَّا قَبِي أَنَّهُ الدِّيَانُ لِلْأَمَمِ

صناعة التوزيع

تَوْرِيْعُ سَطْوَةٍ يَوْهَ الْيَحَاكِمُهُمْ كَاللَّيْثِ كَالسَّيْفِ كَالْجَبَّارِ كَالضَّرَمِ
المساكلة

يَجْزِي إِسَاءَةً شَانِيَهُ بِسَيِّئَتِهِ يَشَاكِلُ الْخَيْرَ خَيْرًا حُفَّ بِالْكَرَمِ
مجنح القلب

مُذْنِرٌ لَصَفْحِ جَنَاحِ أَقْلَابٍ عَاطِفُهُ إِذَا رَأَى تَوْبَةً وَاللَّتَمْعُ فِي نَدَمِ
الجمع مع التفريق

فِي وَجْهِهِ النَّوْرُ لِلْأَصْحَابِ يَشْمَاهُمْ وَاللِّعْدَا النَّارُ فِي تَفْرِيقِ جَمْعِهِمْ
مراعاة النظر

وَجْهَ السَّمَاءِ بِهِ كَالْبَرْقِ مُلْتَمِعٌ رَأَى النَّظِيرَ بَوَجْهِهِ لِلظُّبَاءِ سَمِي
التفريق

قَالُوا هُوَ أَمْلَكُ وَالتَّفْرِيقُ يَظْهَرُ لِي فَذَلِكَ فَإِنْ وَهَذَا غَيْرُ مُنْعَدِمِ
السب والایجاب

لَا يُوجِبُ السَّلْبُ فِي إِعْزَازِ عُصْبَتِهِ وَيُوجِبُ الذُّلُّ لِلْأَشْرَارِ فِي التَّقَمِّ
التقارب

أَرْجُو التَّقَارُبَ مِنْ أَعْدَادِ زُمْرَةٍ لَا مِنْ عَدِيدِ الْعِدَا فِي الْحَشْرِ وَالزَّحَمِ
حسن البيان

حُسْنُ الْبَيَانِ بِنُورٍ مِنْهُ أَرْشَدَنِي إِلَى التَّقَرُّبِ مِنْ أَوْلِيكَ الْحَدَمِ
المراوغة

إِذَا تَرَاوَجَ هَمِي وَأَلْبَجَأَتْ لَهُ بِالْمَدْحِ فُزْتُ وَوَقَّانِي مِنَ الْقُصَمِ
الاستعانة

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَلَسَّعَنْتُ بِهِ إِلَّا وَفَلْتُ جَوَادًا مِنْهُ لَمْ يُضْمِ

التقسيم

قَالَ كَوْنُ قَدِّ عَمِّهِ تَقْسِيمٌ أَنْعَمِ جِنْسًا وَنَوْعًا وَفَرْدًا وَهُوَ فِي شَمِّهِ

التشيل

تُرْبِي عَلَى السَّيْلِ فِي التَّشِيلِ نَعْمَتُهُ شَتَانُ مَا بَيْنَ طَلِّ وَأَحْيَا الْعَرَمِ

نفي الشيء بإيجابه

لَا يَنْتَفِي الْجُودُ مِنْ إِيْجَابِهِ أَبَدًا وَلَا يَشِينُ بِنِ دَوْنِ التَّعَمِّ

محموم الطرفين

مِنْ فَضْلِهِ أَرْتَمِي تَحْتَهُ طَرَفِي قَضَيْتِي فِي الْقَضَا بِالْحَجْدِ وَالْعِظَمِ

التضمين المزدوج

تَضْمِينُ حَمْدِي لَهُ لِلْفَضْلِ مُزْدَوِجًا عَفَا وَنَقَلًا جَنَانِي جَاءَهُ وَفِي

الموارد

مَوَارِدَ الْفِكْرِ فِي مَذْحِ الْأَرِمَةِ لِمَنْ غَدَا لِلْخَلَاصِي خَيْرٌ مُلْتَمِّمِ

التطريز

طَرِيزُ حَمْدِي بِمَذْحِي فِيهِ مُلْتَحِمٌ يَاحُسَنُ مُلْتَحِمٌ يَاحُسَنُ مُلْتَحِمٌ

الاحتراس

إِلَيْكَ جِثْتُ أَيَا مَوْلَايَ مُنْشِحًا قَلْبًا وَمُحْتَرِسًا خُذْنِي مِنَ الْخُدَمِ

المصغر

قَلِّسْتِي مِنْ زُلَيْلَاتِ جَنَّتْ صَفَرْتُ وَلِي عَزِيْمِي مُهَيِّمًا وَلَمْ يَقُمْ

التدريج

فَأَذْرَقَ أَبْيَضُ وَجْهِي حِينَ دَبَّجَهُ سَوَادُ إِثْمِي بِصَبْغٍ فِيهِ مُتَّسِمِ

المضارع

وَبِاضْطِرَابِ جَنَانٍ وَأَضْطِرَامِ حَشَا نَمَارَعْتُ ذَا زَلَّةٍ فِي يَوْمٍ مُحْتَكَمِ

التصريف

فَأَقْلَبُ حَرَقَهُ التَّصْرِيفُ فِي عِلَالٍ وَلَجَنُ قَرَحَهُ التَّذْمِيعُ فِي نَدَمٍ

براعة الطلب

بِرَاعَتِي فِي مَدِيحِي مُتَّهَى طَلِي قَالَسَالِ سَحَاكَ فَلَمْ أَخْتِجْ إِلَى الْكَلِمِ

الادماج

أَذْنَجْتُ فِي مَدِيحِهِ شَكْوَايَ مِنْ زَلَالِي وَعَسَجْتُ لِحَدِيثِ مَنْ ذَا الدَّمْعِ كَالْعَمِ

المذف

أَرُومُ مِنْهُ أَتَبَصَّارًا حَادِفًا هَلَمَّا وَعَاضِدًا وَقْتَ هَوْلِ الْحَشْرِ وَالنِّقَمِ

التاريخ

بِالْأَثِيمِ جَنَى بَرًّا قُلْتُ بِهِ مَذَّ أَرْخُوهُ لَنَا بِأَلْبِرٍ مُقْتَسِي *

حسن الختام

بِهِ غَدَا فِي عِلَالٍ حُسْنُ مُبْتَدَايَ هَبْنِي بِهِ يَا إِلَهِي حُسْنٌ مُخْتَسِي

ختم الختام

وَأَخْتِمُ خِتَامِي بِأَنْ أَحْطَى بِمَطْلَبِكَ مِ الْبَاهِي بِجَذْرِ السَّنَى يَا مُرْشِدَ الْأَنْصَمِ



* قوله : (لنا بالبر مقتني) تاريخ بحساب الجمّل للسنة التي فيها نظمت

هذه البديعة وهي سنة ١٨٥٨

البحث السادس

في المطابقة

(من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف)

(راجع صفحة ٩٤ من علم الادب)

هَذَا النَّوعُ هُوَ فِي الْمَعْنَى ضِدُّ التَّجْنِيسِ فِي الْأَلْفَاظِ لِأَنَّ التَّجْنِيسَ هُوَ أَنْ يَتَّحِدَ اللَّفْظُ مَعَ اخْتِلَافِ الْمَعْنَى وَهَذَا هُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَيَانِ ضِدِّيْنِ . وَقَدْ أَجْمَعَ أَرْبَابُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَلَى أَنَّ الْمُطَابَقَةَ فِي الْكَلَامِ هِيَ الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَخَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ قُدَّامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ فَقَالَ الْمُطَابَقَةُ إِيرَادُ لَفْظَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ فِي الْبِنَاءِ وَالصِّغَةِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي الْمَعْنَى . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ التَّجْنِيسُ بِعَيْنِهِ . غَيْرَ أَنَّ الْأَسْمَاءَ لَا مُشَاحَةَ فِيهَا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مُشْتَقَّةً . وَلِنَظَرُنَا فِي ذَلِكَ وَهُوَ أَنْ نَكْشِفَ عَنْ أَصْلِ الْمُطَابَقَةِ فِي وَضْعِ اللَّغَةِ وَقَدْ وَجَدْنَا الطَّبَاقَ فِي اللَّغَةِ مِنْ طَابَقِ الْبَعِيرِ فِي سَيْرِهِ إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ مَوْضِعَ يَدِهِ وَهَذَا يُؤَكِّدُ مَا ذَكَرَهُ قُدَّامَةُ لِأَنَّ الْيَدَ غَيْرَ الرَّجْلِ لَا ضِدَّهَا وَالْمَوْضِعَ الَّذِي يَقَعَانِ فِيهِ وَاحِدٌ وَكَذَلِكَ الْمَعْنَيَانِ يَكُونَانِ مُخْتَلِفَيْنِ وَاللَّفْظُ الَّذِي يَجْمَعُهُمَا وَاحِدٌ . فَقُدَّامَةُ سَمَّى هَذَا النَّوعَ مِنَ الْكَلَامِ مُطَابَقَةً حَيْثُ كَانَ الْأَسْمُ مُشْتَقًّا بِمَا سُمِّيَ بِهِ وَذَلِكَ مُنَاسِبٌ وَوَاقِعٌ فِي مَوْضِعِهِ إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ لِلتَّجْنِيسِ أَيْضًا آخَرَ وَهُوَ الْمُطَابَقَةُ وَلَا بَأْسَ بِهِ إِلَّا إِنْ كَانَ مِثْلَهُ بِالضِدِّيْنِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ خَالَفَ الْأَصْلَ الَّذِي

أَصْلُهُ بِالْمَثَالِ الَّذِي مَثَلَهُ . وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ فَإِنَّهُمْ سَمَوْا هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْكَلَامِ طَبَاقًا لِغَيْرِ اشْتِقَاقٍ وَلَا مُنَاسَبَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُسَمَّاهُ . هَذَا الظَّاهِرُ لَنَا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا عَلِمُوا لِذَلِكَ مُنَاسَبَةً لَطِيقَةً لَمْ نَعْلَمْهَا خَنْ . وَلَنَرْجِعَ إِلَى ذِكْرِ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ التَّأْلِيفِ وَابْتِضَاحِ حَقِيقَتِهِ فَقُنُولُ : الْأَلِيقُ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى أَنَّ يُسَمَّى هَذَا النُّوعُ الْمُقَابَلَةُ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو أَحَالٌ فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُقَابَلَ الشَّيْءُ بِضِدِّهِ أَوْ يُقَابَلَ بِمَا لَيْسَ بِضِدِّهِ . وَلَيْسَ لَنَا وَجْهُ ثَالِثٌ . (فَأَمَّا الْأَوَّلُ) وَهُوَ مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ بِضِدِّهِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا فَإِنَّهُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا مُقَابَلَةٌ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَالْآخَرُ مُقَابَلَةٌ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ . أَمَّا الْمُقَابَلَةُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فَكَقُولُهُ : فَتَضَحَّكُوا قَلِيلًا وَلَيْسَكُوا كَثِيرًا . فَقَابِلَ بَيْنَ الضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ وَالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : لِكَيْلَا تَأْثَرُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يَجِيءُ فِي هَذَا الْبَابِ . وَقَالَ أَيْضًا : خَيْرُ أَلْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ . وَمِنْ أَحْسَنِ الْمَطْبُوعِ الَّذِي لَيْسَ بِمُسْكَتِفٍ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : إِنْ الْحَقُّ ثَقِيلٌ مَرِيٌّ وَالْبَاطِلُ خَفِيفٌ وَبِيٌّ وَأَنْتَ رَجُلٌ إِنْ صَدِقتَ سَخِطْتَ وَإِنْ كُذِّبْتَ رَذِيتَ . فَقَابِلَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ وَالثَّقِيلَ بِالْمَرِيِّ بِالْخَفِيفِ الْوَبِيِّ وَالصِّدْقَ بِالْكَذِبِ وَالسُّخْطَ بِالرِّضَا وَهَذِهِ حَسُّ مُقَابَلَاتٍ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْقَصَارِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ لَمَّا قَالَ الْحَوَارِجُ : (لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى) : هَذِهِ كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ .

وَقَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَدْ أَخْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ
لَيْقَتُهُ فَقَالَ لَهُ : مَا أَسْمُكَ . قَالَ : سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ . قَالَ بَلْ أَنْتَ
شَقِيٌّ بْنُ كُسَيْرٍ . وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ مِنَ الْفَصَحَاءِ الْمَعْدُودِينَ وَفِي
كَلَامِهِ هَذَا مُطَابَقَةٌ حَسَنَةٌ فَإِنَّهُ نَقَلَ الْأَسْمَاءَ إِلَى ضِدِّهَا فَقَالَ :
فِي (سَعِيدٍ) شَقِيٌّ . وَفِي (جُبَيْرٍ) كُسَيْرٌ . وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْكَلَامِ
لَمْ يَخْتَصَّ بِهِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ . وَمِمَّا وَجَدْتُهُ فِي
لُغَةِ الْفَرَسِ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ قُبَادُ أَحَدُ مُلُوكِهِمْ قَالَ وَزِيرٌ : حَرَكْنَا
بِسُكُونِهِ . وَأَوَّلُ كِتَابِ الْفُصُولِ لِبُقْرَاطٍ فِي الطِّبِّ قَوْلُهُ : الْعَرُ
قَصِيرٌ وَالصِّاعَةُ طَوِيلَةٌ . (وَأَمَّا الْمُقَابَلَةُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ فِي
الْأَضْدَادِ) فَمِمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ الْمُقَنَّنِ الْكِنْدِيِّ مِنْ شُعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ :
لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنَى وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمْ رِفْدًا
فَقَوْلُهُ : (تَتَابَعَ لِي غِنَى) . بِمَعْنَى قَوْلِهِ : كَثُرَ مَالِي فَهُوَ إِذَا مُقَابَلَةٌ
مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى لَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْأَضْدَادِ اللَّفْظِيَّةِ إِنَّمَا
هِيَ فِي الْمَفْرَدَاتِ مِنَ الْأَلْفَاظِ نَحْوُ : قَامَ وَقَعَدَ . وَحَلَّ وَعَقَدَ . وَقَلَّ
وَكَثُرَ . فَإِنَّ الْقِيَامَ ضِدُّ الْقُعُودِ . وَالْحَلَّ ضِدُّ الْعَقْدِ . وَالْقَلِيلُ ضِدُّ
الْكَثِيرِ . فَإِذَا تَرَكَ الْمَفْرَدُ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَتَوَصَّلَ إِلَى مُقَابَلَتِهِ بِلَفْظٍ
مُرَكَّبٍ كَانَ ذَلِكَ مُقَابَلَةً مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى لَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ كَقَوْلِ
هَذَا الشَّاعِرِ : (تَتَابَعَ لِي غِنَى) . فِي مَعْنَى (كَثُرَ مَالِي) وَهَذِهِ مُقَابَلَةٌ
غَنَوِيَّةٌ لَا لَفْظِيَّةٌ فَأَعْرِفْ ذَلِكَ . (وَأَمَّا مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ بِمَا لَيْسَ بِضِدِّهِ .
فَهِيَ ضَرْبَانِ : (أَحَدُهُمَا) أَنْ لَا يَكُونَ مِثْلًا . (وَالْآخَرُ) أَنْ

يَكُونُ مِثْلًا . فَالضَّرْبُ الْأَوَّلُ يَتَفَرَّعُ إِلَى فُرْعَيْنِ : (الْأَوَّلُ) مَا كَانَ بَيْنَ الْمُقَابِلِ بِهِ وَالْمُقَابِلِ نَوْعٌ مُنَاسِبَةٌ وَتَقَارُبٌ . كَقَوْلِ قُرَيْطِ ابْنِ أُنَيْبٍ :

يَجْزُونَ وَنَ ظَلَمَ لَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةٌ وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
فَقَابِلَ الظُّلْمِ بِالْمَغْفِرَةِ وَلَيْسَ هُوَ ضِدًّا لَهَا . إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْمَغْفِرَةُ قَرِيبَةً مِنَ الْعَدْلِ حَسُنَتْ الْمُقَابَلَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الظُّلْمِ . (الْفَرْعُ الثَّانِي) مَا كَانَ بَيْنَ الْمُقَابِلِ وَالْمُقَابِلِ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَحْسُنُ اسْتِعْمَالُهُ . كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُسْتَسِي :

لَمَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَرْضَ بِهَا سُرُورَ حُبِّ أَوْ مَسَاءَةِ مُجْرِمٍ
فَإِنَّ الْمُقَابَلَةَ الصَّحِيحَةَ بَيْنَ الْحُبِّ وَالْمُبْغِضِ لَا بَيْنَ الْحُبِّ وَالْمُجْرِمِ
وَبِمَا يَتَّصِلُ بِهَذَا الضَّرْبِ ضَرْبٌ مِنَ الْكَلَامِ يُسَمَّى الْمُؤَاخَاةَ بَيْنَ الْمُعَانِي وَالْمُؤَاخَاةَ بَيْنَ الْمُبَانِي وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَعْقِدَ لَهُ بَابًا مُفْرَدًا لَكِنْ إِذْ رَأَيْنَاهُ يُنْظَرُ إِلَى الْمُقَابِلِ مِنْ وَجْهِ وَصَلَتَاهُ بِهِ . أَمَّا الْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُعَانِي فَهُوَ أَنْ يُذَكَّرَ الْمُعْنَى مَعَ أَخِيهِ لَامَعَ الْأَجْنَبِيِّ . مِثَالُهُ أَنْ تُذَكَّرَ وَضْفًا مِنَ الْأَوْصَافِ وَتَقَرُّهُ بِمَا يَقْرُبُ مِنْهُ وَيَلْتَمِسُ بِهِ فَإِنْ ذُكِّرَتْهُ مَعَ مَا يَبْعُدُ مِنْهُ كَانَ ذَلِكَ قَدَمًا فِي الصَّنَاعَةِ وَإِنْ كَانَ جَائِزًا . وَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا نُوَّاسٍ يَقَعُ فِي هَذَا اللَّغَطِ كَثِيرًا كَقَوْلِهِ فِي وَصْفِ الدِّيكِ :

لَهُ اعْتِدَالٌ وَأَنْتِصَابٌ قَدْ وَجِلْدُهُ يُشْبِهُ وَشْيَ الْبُرْدِ
كَأَنَّهَا الْمُهْدَابُ فِي الْفِرْنِدِ مُحْتَوِيبُ الظَّهْرِ كَرِيمُ الْجِدِ

فَإِنَّهُ ذَكَرَ الظَّهَرَ وَقَرَنَهُ بِذِكْرِ الْجَدِّ وَهَذَا لَا يُنَاسِبُ هَذَا لِأَنَّ
الظَّهَرَ فِي جُمْلَةِ الْخَلْقِ وَالْجَدُّ فِي النَّسَبِ . وَأَمَّا (الْمُواخَاةُ بَيْنَ الْمَبْنِيِّ)
فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِمَبْنِي الْأَلْفَاظِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُسْلِمٍ بْنِ الْوَلِيدِ :
فَإِذَا هَبَّ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُرْتَهَ يَشْنِي عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ
وَالْأَحْسَنُ أَنْ : يُقَالُ السَّهْلُ وَالْوَعْرُ أَوْ السُّهُولُ وَالْأَوْعَارُ .
لِيَكُونَ الْبِنَاءُ اللَّفْظِيُّ وَاحِدًا أَيْ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظَانِ وَارِدَيْنِ عَلَى
صِيغَةِ الْجَمْعِ أَوْ الْإِفْرَادِ . وَإِذَا أَنْصَفْنَا هَذَا الْمَوْضِعَ وَجَدْنَا النَّاسَ مُطَالِبًا
بِهِ دُونَ النَّاسِ لِمَكَانِهِ مِنْ التَّصْرِيفِ . (الضَّرْبُ الثَّانِي)
هُوَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّيْءِ بِمِثْلِهِ وَهُوَ يَتَفَرَّعُ إِلَى فَرْعَيْنِ : (أَحَدُهُمَا) مُقَابَلَةُ
الْمُفْرَدِ بِالْمُفْرَدِ . (وَالْآخَرُ) مُقَابَلَةُ الْجُمْلَةِ بِالْجُمْلَةِ . (الْفَرْعُ الْأَوَّلُ)
كَقَوْلِهِ : نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ . وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْمَوْضِعُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا
فَإِذَا وَرَدَ فِي صَدْرِ آيَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَى جَوَابٍ كَانَ جَوَابُهُ مُمِثْلًا لِقَوْلِهِ :
مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ . وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ جَوَابٍ فَإِنَّهُ لَا يَلْتَزِمُ
فِيهِ هَذِهِ الْمُرَاعَاةَ اللَّفْظِيَّةَ . (الْفَرْعُ الثَّانِي فِي مُقَابَلَةِ الْجُمْلَةِ بِالْجُمْلَةِ)
إِعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْجُمْلَةُ مِنَ الْكَلَامِ مُسْتَقْبَلَةً قُوبِلَتْ بِمُسْتَقْبَلَةٍ .
وَإِنْ كَانَتْ مَاضِيَةً قُوبِلَتْ بِمَاضِيَةٍ وَرَبَّمَا قُوبِلَتْ الْمَاضِيَةُ بِمُسْتَقْبَلَةٍ
وَالْمُسْتَقْبَلَةُ بِالْمَاضِيَةِ إِذَا كَانَتْ أَحَدَاهُمَا بِمَعْنَى الْآخَرَى فَمِنْ ذَلِكَ
قَوْلُهُ : قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا
يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي . فَإِنَّ هَذَا تَقَابُلٌ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى وَلَوْ كَانَ التَّقَابُلُ
مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ لَقَالَ : وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَإِنَّمَا أَهْتَدِي لَهَا

البحث السابع

في حقيقة التجنيس

(عن كتاب جنان الجناس للصفدي وعن الشريشي وابن الاثير)

(راجع صفحة ١١٨ من علم الادب)

اعلم ان التجنيس غرّة شاذّة في وجه الكلام وقد تصرف
العلماء من ارباب هذه الصنعة فيه فترّبوا وشرقوا لاسيما المحدثين
منهم. وصنف الناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه ابواباً متعدّدة واختلفوا
في ذلك وادخلوا بعض تلك الابواب في بعض . وانما سبب هذا
النوع من الكلام مجانسة لان حروف الفاظه يكون تركيبها من
جنس واحد . اما حقيقته فاعلم ان ارباب البلاغة عرفوه بحدود
اختلفت اقوالهم فيها . فقال الرّماني : هو بيان المعاني بانواع من
الكلام يجمعها اصل واحد من اللغة . وقال قدامة : هو اشتراك
المعاني في الفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق . وقال ابن المعتز :
هو ان تحي بكلمة تجانس اختها . وقال ابن الاثير الجزري :
الجناس هو ان يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا . وقال بدر الدين
ابن النحويّة في غرر المصابيح : هو ان يوتى بمتماثلين في الحروف
او بعضها متغايرين في اصل المعنى في غير رد العجز على الصدر .
فهذا جملة ما حضرني من حدود القوم عند تعليق هذا الفصل .
(قلت) اما حد الرّماني فانه اسلم بما بعده لكنه غير جامع

لِأَنَّهُ يُخْرَجُ عَنْهُ جِنَاسُ التَّضْعِيفِ وَالتَّضْرِيفِ وَالْمَرْصَبِ وَجِنَاسُ
 الْمَعْنَى وَالْجِنَاسُ الْمَطْمَعُ . وَأَمَّا حَدُّ قِدَامَةِ فَإِنَّهُ عَرَفَ الشَّيْءَ
 بِنَفْسِهِ وَهَذَا غَيْرُ جَائِزٍ لِأَنَّ قَوْلَهُ : (فِي الْفَاعِلِ مُتَجَانِسَةٌ) يُفْضِي إِلَى
 الدَّوْرِ لِأَنَّا بِهَذَا لَا نَعْرِفُ الْمُتَجَانِسَ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِقَةِ الْجِنَاسِ وَلَا نَعْرِفُ
 الْجِنَاسَ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِقَةِ الْمُتَجَانِسِ فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الدَّوْرِ وَهُوَ مُحَالٌ .
 وَيُمْكِنُ الْجَوَابُ عَنْهُ بِأَن يُقَالَ : إِنَّهُ مَا أَرَادَ الْمُتَجَانِسَ فِي الْأَصْطِلَاحِ
 بَلِ الْمُتَجَانِسَ فِي اللَّغَةِ أَيْ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَشَابِهَةِ . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ
 فَهُوَ حَدُّ مُضْطَرِبٌ إِذْ فِيهِ لَفْظٌ مُوَهِّمٌ وَالْحُدُودُ يُجْتَنَبُ فِيهَا مِثْلُ
 ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ : (عَلَى جِهَةِ الْأِشْتِقَاقِ) يُخْرَجُ عَنْهُ جَمِيعُ أَنْوَاعِ
 الْجِنَاسِ إِلَّا الْجِنَاسَ الْمُشْتَقَّ . وَأَمَّا حَدُّ آئِنِ الْمُعْتَرِّ فَهُوَ أَيْضًا
 تَعْرِيفٌ دَوْرِيٌّ وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ فِي صِنَاعَةِ الْحُدُودِ وَالرُّسُومِ . وَأَمَّا
 حَدُّ آئِنِ الْإِثْرِ فَهُوَ أَيْضًا غَيْرُ جَائِزٍ لِأَنَّهُ يُخْرَجُ عَنْهُ مِثْلُ الْجِنَاسِ
 الْمَزْدَوِجِ وَالْجِنَاسِ الْمَطْمَعِ وَالْجِنَاسِ الْخَطِيئِ وَالْجِنَاسِ الْمَعْنَوِيِّ
 عَلَى مَا سَيَظْهَرُ لَكَ عِنْدَ كَشْفِ كُلِّ مَلْهِيَةٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ . وَأَمَّا حَدُّ
 بَذْرِ الدِّينِ آئِنِ التَّخْوِيَةِ فَإِنَّ قَوْلَهُ : (مُتَمَاثِلَيْنِ) جِنْسٌ يَشْمَلُ
 الْمُمَاثِلَ مُطْلَقًا سِوَاهُ كَانَ لَفْظًا أَوْ مَعْنَى . وَقَوْلُهُ : (فِي الْحُرُوفِ)
 فَضْلٌ يُخْرَجُ بِهِ الْمُمَاثِلَ مَعْنَى . وَقَوْلُهُ : (أَوْ بَعْضُهَا) مُدْخِلٌ لِلْجِنَاسِ
 الْمَطْمَعِ وَالْمُخَالَفِ وَالْإِشْتِقَاقِ . وَقَوْلُهُ : (مُتَغَايِرَيْنِ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى)
 لَا فَايِدَةَ فِيهِ لِأَنَّ هَذَا مَعْلُومٌ فِي قَوْلِهِ : (مُتَمَاثِلَيْنِ فِي الْحُرُوفِ) أَيْ
 دُونَ مَعْنَاهُمَا لَكِنْ فِيهِ زِيَادَةٌ يَبَانُ . وَقَوْلُهُ : (فِي غَيْرِ رَدِّ الْعَجْزِ)

عَلَى الصَّدْرِ) هَذَا لَاحَاجَةٌ إِلَيْهِ وَلَا فَائِدَةٌ فِي هَذَا الْإِحْتِرَازِ كَمَا
يُظْهَرُ فِي التَّمْثِيلِ وَلَوْ زَادَ قَوْلُهُ : بِمِثَالَيْنِ فِي الْحُرُوفِ أَوْ بَعْضِهَا أَوْ
صُورَتَيْهَا لَكَانَ أَجُودَ لِيَدْخُلَ فِيهِ الْجِنَاسُ الْخَطِيئُ . وَالَّذِي اخْتَارَهُ
أَنَا فِي رَسْمِ الْجِنَاسِ أَنْ أَقُولَ : هُوَ الْإِثْنَانُ بِمِثَالَيْنِ فِي الْحُرُوفِ
أَوْ بَعْضِهَا أَوْ فِي الصُّورَةِ أَوْ زِيَادَةٍ فِي أَحَدِهِمَا أَوْ بِمُتَخَالِفَيْنِ فِي
الترتيبِ نَظْمًا أَوْ الْحَرَكَاتِ أَوْ بِمِثَالٍ يُرَادُفُ مَعْنَاهُ مِثَالًا آخَرَ .
وَلَعَلَّ هَذَا الرِّسْمَ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ بِمَا ذُكِرَ . وَقَوْلِي (مُتَاثِلَيْنِ)
جِنْسٌ يَشْمَلُ الْمِثَالَيْنِ نَظْمًا وَمَعْنَى . وَقَوْلِي : (فِي الْحُرُوفِ) فَضْلٌ
أَخْرَجَ الْمِثَالَيْنِ مَعْنَى كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ زَيْدٌ . وَأَدْخَلَ الْجِنَاسَ التَّامَّ
كَقَوْلِكَ يَحْيَى يَحْيَى . وَالْجِنَاسُ الْمُرَكَّبُ كَقَوْلِكَ : نِعْمَتُهُ ذَاهِبَةٌ . إِنْ
لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَةً . وَقَوْلِي : (أَوْ بَعْضِهَا) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُطْمَعِ
كَقَوْلِكَ : الْأَمْوَالُ وَالْأَمْوَالُ . وَالْجِنَاسُ الْمُقَارِبُ كَقَوْلِكَ : الْهُمُومُ
عَلَى قَدْرِ الْهِمَمِ . وَقَوْلِي : (أَوْ فِي الصُّورَةِ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْخَطِيئَ
كَقَوْلِكَ : لَا تُضِعْ يَوْمَكَ فِي نَوْمِكَ . وَقَوْلِي : (أَوْ زِيَادَةٍ) فِي
أَحَدِهِمَا أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُتَخَالِفَ كَقَوْلِكَ : آلَاءٌ مِنَ الْأَحْجَارِ جَارٍ .
وَقَوْلِي : أَوْ بِمُتَخَالِفَيْنِ فِي التَّرْتِيبِ أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُتَخَالِفَ كَقَوْلِكَ :
بَيْضُ الصَّخَائِفِ وَالصَّفَائِحِ . وَقَوْلِي (أَوْ الْحَرَكَاتِ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ
الْمُقَارِبَ كَقَوْلِكَ : أَعْتَمَّ هَبَاتِ الْهَبَاتِ . وَقَوْلِي : (أَوْ بِمِثَالٍ)
يُرَادُفُ مَعْنَاهُ مِثَالًا آخَرَ نَظْمًا) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُعْنَوِيَّ كَقَوْلِكَ :
أَمْرٌ عَظِيمٌ ظَهَرَ اللَّوْنَةُ فِيهِ بِالْأَسَدِ . إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ :

(بِاللَّيْثِ) ثُمَّ عَدَلَتْ إِلَى مَا يُوَادِفُهُ وَهُوَ الْأَسَدُ . وَقَوْلِي : (نَظْمًا)
إِعْلَامٌ بِأَنَّ هَذَا النَّوعَ مِنْ الْجِنَاسِ إِنَّمَا يَجِيءُ فِي النَّظْمِ دُونَ النَّثْرِ .
وَتَطْهَرُ عِلَّةُ هَذَا فِي مَكَانِهِ . فَتَدَبَّرْ هَذَا الرَّسْمَ تَجِدُهُ مَا أَخْلَى بِنَوْعٍ
مِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ . وَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ الْبَدِيعِ : إِنَّ الْجِنَاسَ يَحْسُنُ إِذَا
قُلَّ وَاتَى فِي الْكَلَامِ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ كَذٍّ وَلَا اسْتِكْرَاهٍ وَلَا بُعْدٍ
وَلَا مِثْلٍ إِلَى جَانِبٍ . وَلَمْ يَخْتِجْ إِلَيْهِ بِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ إِلَّا مَنْ
قَصُرَتْ هِمَّتُهُ عَنْ اخْتِرَاعِ الْمَعَانِي الَّتِي هِيَ كَالنُّجُومِ الزَّاهِرَةِ فِي أَفْقِ
الْأَلْفَاظِ . وَإِذَا خَلَّتْ يُبُوتُ الْأَلْفَاظِ مِنْ سُكَّانِ الْمَعَانِي تَذَلَّتْ
مِثْلُةُ الْأَطْلَالِ الْبَالِيَةِ

البحث الثامن

في ذكر أنواع التجنيس

إِعْلَمُ أَنَّ أَنْوَاعَ الْجِنَاسِ كَثِيرَةٌ أَقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِ اخْتِصَاصِهَا وَأَوَّلَهَا
الْجِنَاسُ (الْمُرَكَّبُ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الرُّسْمَيْنِ كَلِمَةً مُفْرَدَةً
وَالْآخَرَى مُرَكَّبَةً مِنْ كَلِمَتَيْنِ وَهُوَ عَلَى ضَرِيئَيْنِ : فَالْأَوَّلُ مَا تَشَابَهَ
لَفْظًا وَخَطًّا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

عَضْنَا الدَّهْرُ بِنَابِهِ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِهِ

وَالثَّانِي مَا هُوَ مُتَشَابِهٌ لَفْظًا لَا خَطًّا وَيَسْمَى الْمَفْرُوقَ كَقَوْلِ

الشَّاعِرِ :

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرُّوَاةِ قَصِيدَةً مَا لَمْ تَكُنْ بَالِغَتْ فِي تَهْذِيبِهَا

وَإِذَا عَرَضْتَ الشَّعْرَ غَيْرَ مَهْدَبٍ عَدُوهُ مِنْكَ وَسَاوِسَاتِهِدِي بِهَا
وَالْجِنَاسِ الْمُرَكَّبِ نَوْعٌ يُسَمَّى (الْمُرْفُوعُ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ
الرُّسْمَيْنِ جُزْءًا مُسْتَقِلًّا وَالْآخَرُ مُجْزَأً مِنْ كَلِمَةٍ أُخْرَى كَقَوْلِ
الْحَرِيرِيِّ :

وَالْمَكْرَ مَهْمَا انْطَفَتْ لَا تَأْتِيهِ لَتَقْنِي السُّودَدَ وَالْمَكْرَمَةَ
وَقَوْلِهِ :

وَلَا تَلْهَعَنَّ تَذْكَارَ ذَنْبِكَ وَأَبِيكَ بِدَسْعٍ يُجَاكِي الْمَزْنَ حَالِ مَصَابِيهِ
وَمِثْلَ لَعِينِكَ الْجَمَامِ وَوَقْعُهُ وَرَوْعَةُ مَلَقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِيهِ
وَهَذَا النَّوعُ لَا يَخْلُو مِنْ تَسْفٍ وَتَقْيِيدٍ فِي التَّرْكِيبِ . وَمِنْ
أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْمُلَفَّقُ) وَحَدُّهُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مِنَ الرُّسْمَيْنِ مُرَكَّبًا
مِنْ كَلِمَتَيْنِ وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُرَكَّبِ وَقُلُّ مَنْ أَفْرَدَهُ عَنْهُ
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَكَمْ يَجِبَاهُ الرَّاعِيْنَ إِلَيْهِ مِنْ مَجَالِ شُجُودٍ فِي مَجَالِسِ جُودٍ
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْمُذَيَّلُ وَاللَّاحِقُ) . فَالْمُذَيَّلُ هُوَ مَا زَادَ
أَحَدُ رُسْمَيْهِ عَلَى الْآخَرِ حَرْفًا فِي آخِرِهِ فَصَارَ لَهُ كَالْمُذَيَّلِ كَقَوْلِ
أَبِي نَمَّامٍ :

يُمْدُونُ فِي أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِي
وَقَالَ آخَرُ :

عَذِيرِي مِنْ قَهَرِ مُوَارٍ مُوَارِبٍ لَهُ حَسَنَاتٌ كُلُّهُنَّ ذُنُوبُ
وَقَدْ تَأْتِي الزِّيَادَةُ فِي آخِرِ الذَّيْلِ بِحَرْفَيْنِ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ فِي رِثَاءِ :

فِيَا لَكَ مِنْ حَزْمٍ وَعَزْمٍ طَوَاهُمَا جَدِيدُ الرَّدَى تَحْتَ الصَّفَا وَالصَّفَانِجِ

وَأَرَقُ مَا سَيَفَتْ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

إِنَّ الْبِكَاءَ هُوَ الشِّفَاءُ م مِنْ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ

وَلَمَّا (الَّلَاحِقُ) فَهُوَ مَا أُبْدِلَ فِي أَحَدِ رُكْنَيْهِ حَرْفٌ مِنْ غَيْرِ مَخْرَجِهِ

كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي جَوَابِ رِسَالَةٍ : وَصَلَ كِتَابُكَ فَتَاوَلْتُهُ بِأَلْيَمِينَ

وَوَضَعْتُهُ مَكَانَ الْعِقْدِ الثَّانِي . وَكَقَوْلِ الْآخَرِ : أَمَا أَلَيْتِمَ فَلَا

تَقَهَّرَ . وَأَمَا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ . وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْجِنَاسِ الْلَاحِقِ وَالْجِنَاسِ

الْمُضَارِعِ أَنَّ حُرُوفَ الْلَاحِقِ لَيْسَتْ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ كَالثُّنُونُ وَالْقَافُ

فِي : (تَقَهَّرَ وَتَنْهَرُ) . وَأَمَا حُرُوفُ الْمُضَارِعِ فَإِنَّهَا مُتَشَابِهَةٌ فِي الْمَخْرَجِ

كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ الْخَيْلَ مَعْقُودَةٌ بِرِوَاصِيهَا الْخَيْرُ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ

بَعْضِهِمْ : أَلْبَرَايَا أَهْدَافُ الْبَلَايَا . فَإِنَّ الرِّاءَ وَاللَّامَ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ

وَمِنْ أَنْوَاعِ التَّخْنِيسِ (التَّائِمُ) . وَهُوَ مَا تَمَّثَّلَ رُكْنَاهُ وَاتَّفَقَا لَفْظًا

وَاخْتَلَفَا مَعْنَى مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ فِي تَضَعِجِ تَرْكِيبِهِمَا وَاخْتِلَافِ

حَرَكَتَيْهِمَا سِوَاهُ كَانَا مِنْ أَسْمَيْنِ أَوْ مِنْ فَعْلَيْنِ أَوْ مِنْ أَسْمٍ وَفَعْلٍ

فَانْتَبَهُمْ قَالُوا : إِذَا انْتَضَمَ رُكْنَاهُ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ كَأَسْمَيْنِ أَوْ فَعْلَيْنِ

سُمِّيَ تَمَّاثِلًا وَإِنْ انْتَضَمَا مِنْ نَوْعَيْنِ كَأَسْمٍ وَفَعْلٍ سُمِّيَ مُسْتَوْفَى .

وَجُلُّ الْقَصْدِ تَمَّاثُلُ الرُّكْنَيْنِ فِي اللَّفْظِ وَالْخَطِّ وَالْحَرَكَةِ وَاخْتِلَافُهُمَا

فِي الْمَعْنَى . فَهُوَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ : صَوْنَةُ الْبَاطِلِ سَاعَةٌ

وَصَوْنَةُ الْحَقِّ إِلَى السَّاعَةِ . وَمِنْ الشِّعْرِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي رِثَاءِ صَغِيرٍ

أَنَّهُ يُحْيِي :

وَسَمِيَّتُهُ يَحْيَى لِحَيَاوَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلُ
وَكَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

عَبَّاسُ عَبَّاسٍ إِذَا أَحْتَدَمَ الْوَعْيُ وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّيْعُ رَيْعُ
وَمِنْهُ الْجِنَاسُ (الْمُطَرَّفُ) وَهُوَ مَا زَادَ أَحَدُ رُكْنَيْهِ عَلَى الْآخَرِ
حَرْفًا فِي طَرَفِهِ الْأَوَّلِ . وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَذْذِيلِ . فَإِنَّ
الزِّيَادَةَ فِي الْمَذْذِيلِ تَكُونُ فِي آخِرِهِ . وَأَمَّا الْمُطَرَّفُ فَتَكُونُ زِيَادَتُهُ
فِي أَوَّلِهِ لِتَصِيرَ لَهُ كَأَلْطَرَفٍ وَيُسَمَّى أَيْضًا النَّاْقِصَ وَالْمُرْدَفَ وَالْمُرْدَوِجَ
وَالْمُكْرَّرَ وَالْمُرْدُودَ وَالْمُجْتَبِ وَفِي تَسْمِيَّتِهِ اخْتِلَافٌ . وَالزِّيَادَةُ تَكُونُ
ثَلَاثَةً فِي أَوَّلِ الرُّسْنِ الثَّانِي وَثَلَاثَةً فِي أَوَّلِ الرُّسْنِ الْأَوَّلِ
كَقَوْلِهِمْ : لَمَّا مَلَأَ الصَّاعَ أَنْصَاعَ . وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

وَكَمْ سَبَقَتْ مِنْهُ إِلَى عَوَارِفُ ثَنَانِي عَلَى تِلْكَ الْعَوَارِفِ وَارِفُ
وَكَمْ غُرِرَ مِنْ بَرٍّ وَأَطَاقَ لَشْكْرِي عَلَى تِلْكَ اللَّطَائِفِ طَائِفُ
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْلَفْظِي) وَهُوَ أَنْ يَتِمَّائِلَ رُكْنَانِ
وَيَتَجَانَسَا خَطًّا إِلَّا أَنْ أَحَدَهُمَا يُخَالِفُ الْآخَرَ بِإِبْدَالِ حَرْفٍ مِنْهُ فِيهِ
مُنَاسَبَةٌ لَفْظِيَّةٌ كَمَا الَّذِي يُكْتَبُ بِالضَّادِ وَالظَّاءِ كَقَوْلِهِ : وَجُوهُ
يُوَسِّدُ نَاضِرَةً إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةً . وَكَقَوْلِ ابْنِ الْعَفِيفِ :

أَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ وَجْهًا وَقَمًا إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَقَّ بِالْمَدْحِ فَمَنْ
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْجِنَاسُ الْمُقَابِلُ) وَسَمَاءُ قَوْمٍ أَلْمَعُكُوسَ وَذَلِكَ
ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا عَكْسُ الْأَلْفَاظِ وَالثَّانِي عَكْسُ الْحُرُوفِ . فَالْأَوَّلُ
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ : عَادَاتُ السَّادَاتِ . سَادَاتُ الْعَادَاتِ وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

إِنَّ اللَّيَالِي لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ تُطَوَّى وَتُنَشَرُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ
قِصَارُهُنَّ مَعَ الْهَمُومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ الشُّرُورِ قِصَارُ
وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ التَّجْنِيسِ لَهُ حَلَاوَةٌ وَعَلَيْهِ رَوَتْهُ وَقَدْ سَمَّاهُ
قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ: (التَّبْدِيلُ). وَذَلِكَ أَنَّهُ مُنَاسِبٌ لِمُسَمَّاهُ
لِأَنَّ مُؤَلَّفَ الْكَلَامِ يَأْتِي بِمَا كَانَ مُقَدِّمًا فِي جُزْءِ كَلَامِهِ الْأَوَّلِ
مُؤَخَّرًا فِي الثَّانِي وَبِمَا كَانَ مُؤَخَّرًا فِي الْأَوَّلِ مُقَدِّمًا فِي الثَّانِي. وَأَمَّا
الضَّرْبُ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْقِسْمِ وَهُوَ عَكْسُ الْحُرُوفِ فَكَقُولُ
بَعْضُهُمْ :

أَهْدَيْتُ شَيْئًا يَهْلُ الْوَلَا أُحْدِثُ أَهْلًا وَالتَّبَرُّكُ
كُرْبِي تَفَالَتْ فِيهِ لَمَّا رَأَيْتُ مَقْلُوبَهُ يَسْرُكُ
وَرُبَّمَا كَانَ أَلَيْتُ كُلَّهُ مَعْكُوسًا يُقْرَأُ طَرْدًا وَعَكْسًا وَأَلَيْتُ
الثَّانِي مِنْهُ مَعْكُوسٌ كَقَوْلِ الْأَرَجَائِيِّ :

أَحِبُّ الْمَرْءَ ظَاهِرُهُ جَمِيلٌ لِصَاحِبِهِ وَبَاطِنُهُ سَلِيمٌ
مَوَدَّةٌ تَدُومُ لِكُلِّ هَوْلٍ وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّةٍ تَدُومُ
وَمِنْ أَنْوَاعِهِ (الْجِنَاسُ الْمُقَارِبُ) وَنَحْوُهُ مِنْ يُسَبِّحُ جِنَاسَ الْأَشْتِقَاقِ
وَجِنَاسَ الْإِقْتِضَابِ وَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلَى أَنْوَاعٍ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ الرُّسْمَانِ
أَسْمَيْنِ كَقَوْلِ الصَّاحِبِ: إِنَّ الْهَمُومَ بِقَدْرِ الْهَمِّ. وَكَقَوْلِ الْقَائِلِ:
رُوحٌ وَرَيْنَحَانٌ. وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الرُّسْمَيْنِ أَسْمًا وَالْآخَرُ فِعْلًا
نَحْوُ: وَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَى اللَّهِ. وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ الرُّسْمَانِ فِعْلَيْنِ.
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

إِنْ تَرِ الدُّنْيَا أَغَارَتْ وَتُجُومَ السَّعْدِ غَارَتْ
فَصُرُوفُ الدَّهْرِ شَتَّى كُلَّمَا جَارَتْ لَجَارَتْ

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْمَعْنَوِيُّ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ رُكْنَيْ
الْجِنَاسِ دَالًّا عَلَى مَعْنَى الْآخَرِ فِي غَيْرِ الْقَاطِظِ وَهَذَا النَّوعُ اسْتَدْرَكُهُ فُضْلًا
الْمُتَأَخِّرِينَ وَاسْتَحْجَجُوهُ وَبَعْضُهُمْ لَا يَعُدُّهُ جِنَاسًا لِأَنَّهُ قَلَّمَا يُوجَدُ فِي
الْكَلَامِ لِتَوَعُّرِ مَنْسَلِكِهِ . وَسَبَبُ وَرُودِ هَذَا النَّوعِ فِي الْكَلَامِ
أَنَّ الشَّاعِرَ يَقْصِدُ الْجَانِسَةَ فِي كَلَامِهِ بَيْنَ لَفْظَتَيْنِ فَلَا يُوَاقِفُهُ الْوِزْنَ
عَلَى اثْبَاتِ أَحَدِ رُكْنَيْ الْجِنَاسِ فَيَعْدِلُ إِلَى مَا يُوَاقِفُهُ مَعْنَى وَيُجَاهِلُهُ
لَفْظًا وَعَلَى هَذَا لَا وَرُودَ لِهَذَا النَّوعِ فِي الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ إِذْ لَا وَزْنَ
يَضْطَرُّهُ إِلَى الْإِتْيَانِ بِذَلِكَ . وَمِنْ أَمْثَلِهِ أَرْبَابُ الْبَدِيعِ فِي هَذَا
النَّوعِ قَوْلُ الشَّاعِرِ يَمْدَحُ الْمُهَلَّبَ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَيَذْكُرُ فِعْلَهُ
بِقَطْرِي بْنِ الْفُجَاءَةِ وَكَانَ قَطْرِيُّ يُكْنَى أَبَا نَعَامَةَ :

حَدَا بِأَبِي أُمِّ الرِّثَالِ فَاجْتَلَتْ نَعَامَتُهُ مِنْ عَارِضِ مُتَلَهَّبٍ
أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : حَدَا بِأَبِي نَعَامَةَ فَاجْتَلَتْ نَعَامَتُهُ أَيِ رُوحُهُ فَلَمْ
يُسَاعِدْهُ الْوِزْنُ فَقَالَ : بِأَبِي أُمِّ الرِّثَالِ لِأَنَّ الرِّثَالَ فِرَاحُ النَّعَامَةِ .
وَأَعْلَمَ أَنَّ الشُّعْرَاءَ عِنْدَ نَظْمِ هَذِهِ الْآيَاتِ مَا لَحَّوْا هَذِهِ الْمَقَاصِدَ
الْبَعِيدَةَ . وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا مِنَ التَّكَلُّفِ وَالتَّمَسُّفِ

الفصل الثامن

في فنون الانشاء

البحث الاول

في المثل وشرفه

(عن المبدائي)

(راجع صفحة ١٢٦ من علم الادب)

قال المبرد: المثل مأخوذ من المثلال وهو قول سائر يشبه به
حال الثاني بالاول والاصل فيه التشبيه . فقولهم : مثل بين يديه
إذا انتصب معناه : أشبه الصورة المنتصبة . وفلان أمثل من فلان
أي أشبه بما له الفضل . والمثال القصاص لتشبيه حال المقتصر منه
بحال الاول حقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الاول . كقول
كعب بن زهير :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْآبَاطِيلُ
فَمَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ عِلْمٌ لِكُلِّ مَا لَا يَصِحُّ مِنَ الْمَوَاعِيدِ . وَقَالَ ابْنُ
السَّكَيْتِ : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه
معنى ذلك اللفظ . شبهوه بالمثل الذي يعمل عليه غيره . وقال غيرهما :
سُيِّتَ الْحَكَمُ الْقَائِمُ صِدْقُهَا فِي الْقَوْلِ أَمَثَالًا لِأَنَّهُ نَتِصَابُ صُورِهَا

فِي الْقَوْلِ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْمُثُولِ الَّذِي هُوَ الْإِنْتِصَابُ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
النَّظَامُ : يَجْتَمِعُ فِي الْمَثَلِ أَرْبَعَةٌ لَا تَجْتَمِعُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ
إِيجَازُ اللَّفْظِ وَإِصَابَةُ الْمَعْنَى وَحُسْنُ التَّشْبِيهِ وَجُودَةُ الْكِفَايَةِ فَهُوَ
نِهَايَةُ الْبَلَاغَةِ . قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا جُعِلَ الْكَلَامُ مَثَلًا كَانَ أَوْضَحَ
لِلنَّاطِقِ وَأَثَقَ لِلْسَّمْعِ وَأَوْسَعَ لِشُعُوبِ الْحَدِيثِ . قَالَ آخَرُ : إِنْ
الْأَمْثَالُ هِيَ وَثِيْقُ الْكَلَامِ وَجَوْهَرُ اللَّفْظِ وَحُلَى الْمَعْنَى الَّتِي تَخَيَّرْتَهَا
الْعَرَبُ وَقَدَّمْتَهَا الْعَجَمُ وَنَطَقَ بِهَا كُلُّ زَمَانٍ وَدَارَتْ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ .
فَهِىَ أَبْقَى مِنَ الشِّعْرِ وَأَشْرَفُ مِنَ الْخُطَابَةِ . لَمْ يَسِرْ شَيْءٌ مَسِيرَهَا
وَلَا عَمَّ غُمُومَهَا حَتَّى قِيلَ : أَسِيرٌ مِنْ مَثَلٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا مَثَلٌ سَائِرٌ يَعْرِفُهُ الْجَاهِلُ وَالْعَابِرُ

هَذَا وَإِنْ الْأَمْثَالُ تَحُلَّى بِفَرَائِدِهَا ضِدُّورُ الْحَافِلِ وَالْحَاضِرِ .
وَتَحُلَّى بِفَوَائِدِهَا قُلُوبُ الْبَادِي وَالْحَاضِرِ . وَتُقَيَّدُ أَوَابِدُهَا فِي بُطُونِ
الدَّفَائِرِ وَالصَّخَائِفِ . وَتُطَيَّرُ نَوَاحِضُهَا فِي رُؤُوسِ الشَّوَاهِقِ وَظُهُورِ
الْتَنَائِفِ . يَحْتَاجُ الْخَطِيبُ وَالشَّاعِرُ إِلَى إِدْمَاجِهَا وَإِدْرَاجِهَا لِأَشْتِمَالِهَا
عَلَى آسَالِيْبِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَى الْأَمْثَالِ شَدِيدَةٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ
تَضَعْ الْأَمْثَالَ إِلَّا لِأَسْبَابٍ أَوْجَبَتْهَا وَحَوَادِثُ اقْتَضَتْهَا . فَصَارَ الْمَثَلُ
الْمَضْرُوبُ لِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ عِنْدَهُمْ كَالْعَلَامَةِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الشَّيْءُ
وَلَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ أَوْجَزُ مِنْهَا وَلَا أَشَدُّ اخْتِصَارًا . وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا
أَذْكُرُهُ لَكَ لِتَكُونَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ عَلَى يَقِينٍ فَأَقُولُ : قَدْ جَاءَ عَنْ

الْعَرَبِ مِنْ جُمْلَةِ أَمْثَالِهِمْ (إِنْ يَنْبَغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغِ عَلَيْكَ الْقَمَرُ) . وَهُوَ مَثَلٌ يُضْرَبُ لِلْأَمْرِ الظَّاهِرِ الْمَشْهُورِ وَالْأَصْلُ فِيهِ كَمَا قَالَ الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ : أَنَّهُ بَلَمَّا أَنَّ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرَاهُنُوا عَلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِنَ الشَّهْرِ . فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَرَى . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : يَغِيبُ الْقَمَرُ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَتَرَاضُوا بِرَجُلٍ جَعَلُوهُ حَكَمًا . فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : إِنْ قَوْمِي يَتَّبِعُونَ عَلِيَّ . فَقَالَ الْحَكَمُ : إِنْ يَنْبَغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغِ عَلَيْكَ الْقَمَرُ . فَذَهَبَتْ مَثَلًا . وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ : (إِنْ يَنْبَغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغِ عَلَيْكَ الْقَمَرُ) . إِذَا أُخِذَ عَلَى حَقِيقَتِهِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْقَرَأَيْنِ الْمَنُوطَةِ بِهِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي قِيلَ مِنْ أَجْلِهَا لَا يُعْطَى مِنَ الْمَعْنَى مَا قَدْ أَعْطَاهُ الْمَثَلُ . وَذَلِكَ الْمَثَلُ لَهُ مُقَدِّمَاتٌ وَأَسْبَابٌ قَدْ عُرِفَتْ وَصَارَتْ مَشْهُورَةً بَيْنَ النَّاسِ مَعْلُومَةً عِنْدَهُمْ . وَحَيْثُ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ جَازَ إِيْرَادُ هَذِهِ اللَّفْظَاتِ فِي التَّعْيِيرِ عَنِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ وَلَوْلَا تِلْكَ الْمُقَدِّمَاتُ الْمَعْلُومَةُ وَالْأَسْبَابُ الْمَعْرُوفَةُ لَمَّا فُهِمَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : (إِنْ يَنْبَغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغِ عَلَيْكَ الْقَمَرُ) مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بَلْ مَا كَانَ يُفْهِمُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مَعْنَى مُفِيدٌ . لِأَنَّ الْبَنِي هُوَ الظُّلْمُ وَالْقَمَرُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا فَكَانَ يَصِيرُ مَعْنَى الْمَثَلِ : إِنْ كَانَ يَظْلِمُكَ قَوْمُكَ لَا يَظْلِمُكَ الْقَمَرُ . وَهَذَا كَلَامٌ مُخْتَلٌ الْمَعْنَى لَيْسَ بِمُسْتَقِيمٍ . فَلَمَّا كَانَتْ الْأَمْثَالُ كَالرُّمُوزِ وَالْإِشَارَاتِ الَّتِي يُلَوِّحُ بِهَا عَلَى الْمَعْنَى

تَلَوِيحًا صَارَتْ مِنْ أَوْجَزِ الْكَلَامِ وَأَكْثَرِهِ اخْتِصَارًا . وَمِنْ أَجْلِ
ذَلِكَ قِيلَ فِي حَدِّ الْمَثَلِ : إِنَّهُ الْقَوْلُ الْوَجِيزُ الْمُرْسَلُ لِيُعْمَلَ عَلَيْهِ
وَحَيْثُ هِيَ بِهَذِهِ الْمَثَايَةِ فَلَا يَبْغِي الْإِخْلَالَ بِمَعْرِفَتِهَا

البحث الثاني

في آداب المثل وشروطه

(عن الماوردي ومقدمة كلبه ودمنه)

(راجع صفحة ١٣٣ من علم الادب)

وَمِنْ آدَابِ الْحَكِيمِ أَنْ يَجْتَنِبَ أَمْثَالَ الْعُلَمَاءِ الْعُرَفَاءِ وَيَتَخَصَّصَ
بِأَمْثَالِ الْعُلَمَاءِ الْأَدْبَاءِ فَإِنَّ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ أَمْثَالًا تُشَاصِلُهُمْ
فَلَا تَجِدُ لِسَاقِطٍ إِلَّا مَثَالًا سَاقِطًا وَتَشْبِيهًا مُسْتَشْبَهًا

وَلِذَلِكَ عِلَّتَانِ : أَحَدَاهُمَا أَنَّ الْأَمْثَالَ مِنْ هَوَاجِسِ الْهَمِّ
وَخَطَرَاتِ النَّفْسِ وَلَمْ يَكُنْ لِذِي الْهِمَّةِ السَّاقِطَةِ إِلَّا مَثَلٌ مَرْدُودٌ
وَتَشْبِيهٌ مَعْلُولٌ . وَالثَّانِيَةُ أَنَّ الْأَمْثَالَ مُسْتَحْرَجَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْمُتَمَثِّلِينَ
بِهَا فَجَسِبَ مَا هُمْ عَلَيْهِ تَكُونُ أَمْثَالُهُمْ . فَلِهَاتَيْنِ الْعِلَّتَيْنِ وَقَعَ الْفَرْقُ
بَيْنَ أَمْثَالِ الْخَاصَّةِ وَأَمْثَالِ الْعَامَّةِ وَرُبَّمَا أَلِفَ الْمُتَخَصَّصُ مَثَالًا عَامِيًّا
أَوْ تَشْبِيهًا رَكِيكًا لِكَثْرَةِ مَا يَطْرُقُ سَمْعُهُ مِنْ مُخَالَطَةِ الْأَرَادِلِ
فَيَسْتَرْسِلُ فِي ضَرْبِهِ مَثَالًا فَيَصِيرُ بِهِ مَثَالًا كَالَّذِي حُكِيَ عَنِ الْأَصْبَعِيِّ :
إِنَّ الرِّشِيدَ سَاءَ لَهُ يَوْمًا عَنْ أَنْسَابِ بَعْضِ الْعَرَبِ . فَقَالَ : عَلَى الْخَيْرِ

سَقَطَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ : أَسَقَطَ اللَّهُ
جَنَّتِكَ أَتُخَاطَبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمِثْلِ هَذَا الْخُطَابِ . فَكَانَ الْفَضْلُ
أَبْنُ الرَّيِّعِ مَعَ قَلَّةٍ عَلَيْهِ أَعْلَمَ بِمَا يُسْتَعْمَلُ مِنَ الْكَلَامِ فِي مُحَاوَرَةِ
الْخُلَفَاءِ مِنَ الْأَصْحَابِ الَّذِي هُوَ وَاحِدُ عَصْرِهِ وَقَرِيعُ دَهْرِهِ . وَلِلْأَمْثَالِ
مِنَ الْكَلَامِ مَوْقِعٌ فِي الْأَسْمَاعِ وَتَأْثِيرٌ فِي الْقُلُوبِ لَا يَكَاذُ الْكَلَامُ
الْمُرْسَلُ يَلْغُ مَبْلَغَهَا وَلَا يُؤَثِّرُ تَأْثِيرَهَا لِأَنَّ الْمَعَانِي بِهَا لَا تَحْتَجُّ وَالشُّوَاهِدُ
بِهَا وَاصِحَّةٌ وَالنُّفُوسُ بِهَا وَامِعَّةٌ وَالْقُلُوبُ بِهَا وَاثِقَةٌ وَالْعُقُولُ لَهَا
مُوَافِقَةٌ . وَلَهَا أَرْبَعَةُ شُرُوطٍ : أَحَدُهَا صِحَّةُ التَّشْبِيهِ . وَالثَّانِي أَنْ
يَكُونَ الْعِلْمُ بِهَا سَابِقًا وَالْكَلُّ عَلَيْهَا مُوَافِقًا . وَالثَّلَاثُ أَنْ يُسْرِعَ
وُضُوعُهَا لِلْفَهْمِ وَيَجْعَلَ تَصَوُّرَهَا فِي أَلْوَهَمٍ مِنْ غَيْرِ أَرْتِيَاءٍ فِي اسْتِخْرَاجِهَا
وَلَا كَدٍ فِي اسْتِنْبَاطِهَا . وَالرَّابِعُ أَنْ تُنَاسِبَ حَالُ السَّامِعِ لِتَكُونَ
أَبْلَغَ تَأْثِيرًا وَأَحْسَنَ مَوْقِعًا . فَإِذَا اجْتَمَعَتْ فِي الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ
هَذِهِ الشُّرُوطُ الْأَرْبَعَةُ كَانَتْ زِينَةً لِلْكَلَامِ وَجَلَاءً لِلْمَعَانِي وَتَذَكُّرًا
لِلْأَفْهَامِ

قَالَ صَاحِبُ كَلِيلَةِ وَدِمْنَةِ : يُجِبُّ عَلَى قَارِي الْأَمْثَالِ أَنْ يُدِيمَ
النَّظَرَ فِيهَا مِنْ غَيْرِ خَجَرٍ وَيَلْتَمِسَ جَوَاهِرَ مَعَانِيهَا وَلَا يَظُنَّ أَنَّ نَتِيجَتَهَا
إِنَّمَا هِيَ الْإِخْبَارُ عَنْ حِيلَةٍ بَيْهَتَيْنِ أَوْ مُحَاوَرَةٍ سَبْعٍ لِشُورٍ فَيَنْصَرِفَ
بِذَلِكَ عَنْ الْقَرَضِ الْمَقْصُودِ وَيَكُونُ مِثْلُهُ مِثْلَ الصَّيَادِ الَّذِي كَانَ فِي
بَعْضِ الْخِلْجَانِ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ فِي زَوْرَقٍ . فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي
عَقِيْقِ الْمَاءِ صَدَقَةً تَتَلَاأُ حُسْنًا فَتَوَهَّمَهَا جَوْهَرًا لَهُ قِيَمَةٌ . وَكَانَ قَدْ أَلْقَى

شَبَكْتُهُ فِي الْبَحْرِ فَأَشْتَمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ كَانَتْ قُوْتَ يَوْمِهِ . فَخَلَّاهَا وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ لِيَأْخُذَ الصَّدَقَةَ . فَلَمَّا أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً لَا شَيْءَ فِيهَا بِمَا ظَنَّ قَدِيمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ لِلطَّمَعِ وَتَأْسَفَ عَلَى مَا فَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي تَنَحَّى عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَالتَّقَى شَبَكْتُهُ فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا وَرَأَى أَيْضًا صَدَقَةً سَنِيَّةً فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا . وَاجْتَاَزَ بِهَا بَعْضُ الصَّيَادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالَ . . . وَكَذَلِكَ الْجُهَالُ عَلَى إغْفَالِ أَمْرِ التَّفَكُّرِ فِي الْأَمْثَالِ وَالْإِغْتِرَارِ بِهَا وَتَرْكِ الْوُقُوفِ عَلَى أَسْرَارِ مَعَانِيهَا وَالْأَخْذِ بِظَاهِرِهَا دُونَ الْإِخْذِ بِبَاطِنِهَا . وَمَنْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى النَّظَرِ فِي أَبْوَابِ الْهَزْلِ مِنْهَا فَهُوَ صَكْرُجُلٍ أَسَابَ أَرْضًا طَيِّبَةً حُرَّةً وَحَبًّا صَحِيحًا فَرَزَعَهَا وَسَقَاهَا حَتَّى إِذَا قَرُبَ خَيْرُهَا تَشَاغَلَ عَنْهَا بِجَمْعِ مَا فِيهَا مِنَ الزَّهْرِ وَقَطَعَ الشُّرُوكَ فَأَهْلَكَ بِشَاغِلِهِ مَا كَانَ أَحْسَنَ قَائِدَةً وَاجْتَلَى عَائِدَةً . وَيَنْبَغِي لِلنَّاطِرِ فِي الْأَمْثَالِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا تَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَغْرَاضٍ : أَحَدُهَا مَا قُصِدَ فِيهِ إِلَى وَضْعِهَا عَلَى السِّنَةِ الْبِهْلِيمِ غَيْرِ النَّاطِقَةِ مِنْ مُسَارَعَةِ أَهْلِ الْهَزْلِ مِنَ الشُّبَّانِ إِلَى قِرَائَتِهَا قُسْمًا لِيَهْتَمُّ بِهِ قُوتُهُمْ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْغَرَضُ بِالنَّوَادِرِ مِنْ حِيلِ الْحَيَوَانَاتِ . وَالثَّانِي إِظْهَارُ خَيَالَاتِ الْحَيَوَانَاتِ بِصُوفِ الْأَصْبَاحِ وَالْأَلْوَانِ لِيَكُونَ أَنْسًا لِقُلُوبِ الْمُلُوكِ وَيَكُونَ حِرْصُهُمْ عَلَيْهَا أَشَدَّ لِلزُّهَّةِ فِي تِلْكَ الصُّورِ . وَالثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فَتُخَذَّاهَا الْمُلُوكُ وَالسُّوْقَةُ فَيَكْثُرَ بِذَلِكَ اتِّسَاحُهَا وَلَا يَطُلُ فَيَخْلُقَ عَلَى مُرُورِ الْأَيَّامِ . وَلِيَنْتَفِعَ

بِذَلِكَ الْمَصَوِّرُ وَالنَّاسِخُ أَبَدًا. وَأَلْعَرَضُ الرَّابِعُ وَهُوَ الْأَقْصَى مُخْصُوصٌ
بِأَقْلَسُوفٍ خَاصَّةٍ لِتَكُونَ الْأَمْثَالُ رِيَاضَةً لِعَقْلِهِمْ إِذْ فِيهَا يُجِدُونَ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ وَجَمِيعِ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاةٍ وَآخِرَةٍ وَأَوْلَادٍ وَيَحْضُهُ عَلَى حُسْنِ
طَاعَتِهِ لِلْمُلُوكِ وَيُجَنِّبُهُ مَا تَكُونُ مُجَانِبَتُهُ خَيْرًا لَهُ *

البحث الثالث

في آداب المحادثة والرواية

(عن مروج الذهب للمسعودي)

(راجع صفحة ١٦٩ من علم الادب)

قَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : لَا تُحْسِنُ الْمُحَادَثَةَ إِلَّا بِحُسْنِ الْفَهْمِ .
وَقَالُوا : تَعْلَمُ حُسْنَ الْإِسْتِيعَارِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْكَلَامِ . وَحُسْنُ
الْإِسْتِيعَارِ هُوَ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى الْمُحَدِّثِ حَتَّى يَقْضِيَ حَدِيثَهُ . وَفِيهِ أَدَبٌ

* وقال بعضهم في وصف كيلة ودمنة :

إذا افتخر الرجال بفضل علم	ومدّت فيه السنة طويلاً
ففاخر ما استطعت بما حوته	بطون كتاب دمنة مع كيلة
كتاب يفرق البلغاء فيه	وألباب الورى منه كيلة
وكم فيه عجائب مكانات	على دنيا وآخرة دليلاً
وصكم حكم على أفواه طير	وآداب وامثال مقولة
براهما الحامل المأفون هزلاً	وحبكها لعالمها فضيلة

الْحَدِيثِ وَمُوجِبَاتِهِ أَنْ لَا يُقْتَضَبَ اقْتِضَابًا وَلَا يُفْجَمَ عَلَيْهِ وَأَنْ
يُتَوَصَّلَ إِلَى إِجْرَائِهِ بِمَا يُشَاصِكُهُ . وَأَنْ يُسْتَنْسَبَ لَهُ مَا يَحْسُنُ أَنْ
يَجْرِيَ فِي غَرَضِهِ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُ الْمَفَاوِضَةِ مُتَعَلِّقًا بِبَعْضٍ عَلَى حَسَبِ
مَا قَالُوا فِي الْمَثَلِ : إِنَّ الْحَدِيثَ ذُو شُجُونٍ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ تَشْعِبُهُ
وَتَفْرَعُهُ عَنْ أَصْلِ وَاحِدٍ إِلَى وَجُوهِ مِنْ أَلْمَاعِي كَثِيرَةٍ إِذَا كَانَ
الْعَيْشُ كُلُّهُ فِي الْخَلِيسِ الْمُنْتَعِ . وَقَالَ رَجُلٌ : إِنِّي مَا أَمَلْتُ الْحَدِيثَ .
فَقَالَ السَّامِعُ : إِنَّمَا يُعْلَى الْغَيْثُ لَا الْحَدِيثُ . وَقَدْ أَكْثَرَتِ الشُّعْرَاءُ
مِنَ الْإِغْرَاقِ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ
الرُّومِيِّ :

وَسَنَنْتُ كُلَّ مَارِي فَكَانَ أَطْيَبَهَا غَيْثُ

إِلَّا لِلْحَدِيثِ فَإِنَّهُ مِثْلُ أَسْبِهِ أَبْدَا حَدِيثُ

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ :

وَصَحِرْتُ إِلَّا مِنْ لِقَاءِ مُحَدِّثٍ حَسَنِ الْحَدِيثِ يَزِيدُنِي تَعْلِيمًا
وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ أَنَّ مِنَ الْأَدَبِ
عَدَمَ إِطَالَةِ الْحَدِيثِ مِنَ الْتَدِيمِ وَأَنَّ أَحْلَى لِحْدِيثِهِ وَأَحْسَنَ لِمَوْقِعِهِ
أَنْ يَحْتَنِبَ مِنْهُ الْأَحَادِيثَ الطُّوَالَ ذَاتِ أَلْمَاعِي الْمَغْلَغَلَةِ وَالْأَلْفَاظِ
الْحُسْوِيَّةِ الَّتِي أَفَنَ بِاِقْتِصَاصِهَا سَمَارُ الْعَجَائِلِ وَتَتَعَلَّقُ بِهَا النُّفُوسُ وَتُحْتَسَى
عَلَى أَوَاخِرِهَا الْكُؤُوسُ . فَإِنَّ ذَلِكَ يَجَالِسُ الْقُصَاصِ أَشْبَهُ مِنْهُ
يَجَالِسُ الْخَوَاصِ . وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى فَاجَادَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
الْمُعْتَزِ وَوَصَفَ ذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِ الشَّرَابِ عَلَى الْمَعَاوَرَةِ فَقَالَ :

يَنْ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ يَخْرُ وَمَا سِوَاهُ حَرَامٌ
وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ مِنْ ذَهَبَ فِي هَذَا الْمَعْنَى إِلَى اسْتِمَاعِ الطَّلَحِ

البحث الرابع

في حقيقة التاريخ وموضوعه

(عن كشف الظنون للحاج خفا ومروج الذهب للمسعودي)

(راجع صفحة ١٦٤ من علم الادب)

التَّارِيخُ فِي اللُّغَةِ تَعْرِيفُ الْوَقْتِ مُطْلَقًا . وَيُقَالُ : أَرَحْتُ
الْكِتَابَ تَارِيخًا وَوَرَّخْتُهُ تَوْرِيخًا كَمَا فِي الصِّحَاحِ وَهُوَ مُعَرَّبٌ . وَعُرْفًا
هُوَ تَعْيِينُ وَقْتٍ لِيُنْسَبَ إِلَيْهِ زَمَانٌ يَأْتِي عَلَيْهِ أَوْ مُطْلَقًا يَعْنِي سِوَاهُ
كَانَ مَاضِيًا أَوْ مُسْتَقْبَلًا . وَقِيلَ : تَعْرِيفُ الْوَقْتِ بِاسْتِنَادِهِ إِلَى أَوَّلِ
حُدُوثِ أَمْرٍ شَائِعٍ مِنْ ظُهُورِ مِلَّةٍ أَوْ دَوْلَةٍ أَوْ أَمْرٍ هَائِلٍ مِنْ الْأَثَرِ
الْعُلُويَّةِ وَالْحَوَادِثِ السُّفْلِيَّةِ بِمَا يَنْدُرُ وَقُوْعُهُ جُعِلَ ذَلِكَ مَبْدَأَ لِمَعْرِقَةِ
مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْقَاتِ الْحَوَادِثِ وَالْأُمُورِ الَّتِي يَحِبُّ ضَبْطُ أَوْقَاتِهَا فِي
مُسْتَأَنَفِ السِّنِينَ . وَقِيلَ : عَدَدُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي بِالنَّظَرِ إِلَى مَا مَضَى
مِنَ السَّنَةِ وَالشُّهُورِ إِلَى مَا بَقِيَ . وَعِلْمُ التَّارِيخِ هُوَ مَعْرِفَةُ أَحْوَالِ
الطُّوَائِفِ وَبُلْدَانِهِمْ وَرُسُومِهِمْ وَصَنَائِعِ أَشْخَاصِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَوَقَايَتِهِمْ
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . وَمَوْضُوعُهُ أَحْوَالُ الْأَشْخَاصِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ . وَأَلْفَرَضُ
مِنْهُ الْوُقُوفُ عَلَى الْأَحْوَالِ الْمَاضِيَةِ . وَقَائِدَتُهُ الْعِبَرَةُ بِتِلْكَ الْأَحْوَالِ

الْمَاضِيَةِ وَالْتَّضَمُّ بِهَا وَحُصُولُ مَلَكََةِ التَّجَارِبِ بِالْوُقُوفِ عَلَى تَقَلُّبَاتِ
الزَّمَنِ لِيُخْتَرَزَ عَنْ أَمْثَالِ مَا قُبِلَ مِنَ الْمَضَارِ وَيُسْتَجْلَبَ تَطَايُرُهَا مِنْ
الْمَنَافِعِ . وَهَذَا الْعِلْمُ كَمَا قِيلَ عَمْرٌ آخَرُ لِلنَّاطِرِينَ وَانْتِفَاعٌ (لِلْمُطَالِعِ)
فِي مَضَرِهِ بِمَنَافِعِ تَحْصُلِ الْمُسَافِرِينَ

وَلَوْلَا تَقْيِيدُ الْعُلَمَاءِ خَوَاطِرَهُمْ عَلَى التَّهَرُّ لَبَطَلَ أَوَّلُ الْعِلْمِ
وَضَاعَ آخِرُهُ إِذْ كَانَ كُلُّ عِلْمٍ مِنَ الْأَخْبَارِ يُسْتَبْطُ وَالْفِقْهُ مِنْهَا
يُسْتَشَارُ وَالْفَصَاحَةُ مِنْهَا تُسْتَفَادُ وَأَصْحَابُ الْقِيَاسِ مِنْهَا يَتَّبِعُونَ . وَأَهْلُ
الْمَقَالَاتِ بِهَا يَعْجَبُونَ وَمَعْرِفَةُ النَّاسِ مِنْهَا تُؤْخَذُ وَأَمْثَالُ الْحُكَمَاءِ فِيهَا
تُوجَدُ وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا مِنْهَا تُقْتَبَسُ . وَآدَابُ سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ
وَالْحَرْبِ مِنْهَا تُلْتَمَسُ وَكُلُّ غَرِيبَةٍ مِنْهَا تُعْرَفُ وَكُلُّ أُعْجُوبَةٍ مِنْهَا
تُسْتَطَرَفُ . وَهُوَ عِلْمٌ يَسْتَمِيعُ بِسَمَاعِهِ الْعَالَمَ وَالْجَلِيلَ وَيَسْتَعِذُّ
مَوْقِعَهُ الْأَحَقُّ وَالْعَاقِلُ وَيَأْنِسُ بِمَكَانِهِ وَيَتَرَعُّ إِلَيْهِ الْخَاصِيُّ وَالْعَامِيُّ
وَيَعْمِلُ إِلَى رِوَايَتِهِ الْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ . وَبَعْدُ فَاتُهُ يُوصَلُ بِهِ كُلُّ كَلَامٍ
وَيُتَرَدِّدُ بِهِ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَيُحْتَمَلُ بِهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ وَيُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي
كُلِّ تَحْفِيلٍ . فَخِصَّةُ عِلْمِ الْأَخْبَارِ يَنْتُهُ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ وَشَرَفُ مَذَرَّتِهِ
صَحِيحَةٌ فِي كُلِّ فَهْمٍ وَلَا يَصِيدُ عَلَى عَلَيْهِ وَيَتَعَنُّ مَا فِيهِ وَإِيرَادِهِ
وَإِضْدَارِهِ إِلَّا إِنْسَانٌ قَدْ تَجَرَّدَ لِلْعِلْمِ وَفَهُمَ مَعْنَاهُ وَذَاقَ ثَمَرَتَهُ
وَأَسْتَشْعَرَ مِنْ عِزِّهِ وَنَالَ مِنْ سُرُورِهِ

البحث الخامس

في شرف التاريخ

(عن ابن خلدون)

(راجع صفحة ١٩٤ من علم الادب)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مِنَ التَّارِيخِ مِنَ الْفُنُونِ الَّتِي تَسْدَاوُهَا الْأَمَمُ
وَالْأَجْيَالُ وَتُشَدُّ إِلَيْهَا الرُّسُكَايِبُ وَالرِّجَالُ وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَتِهَا السُّوقَةُ
وَالْأَغْفَالُ . وَتَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُلُوكُ وَالْأَقْيَالُ . وَتَتَسَاوَى فِي فَهْمِهَا
الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَالُ . إِذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى أَخْبَارٍ عَنِ الْأَيَّامِ
وَالدُّوَلِ . وَالسَّوَابِقِ مِنَ الْقُرُونِ الْأَوَّلِ . تَسُو فِيهَا الْأَقْوَالُ وَتُضْرَبُ
فِيهَا الْأَمْثَالُ . وَتُطْرَفُ بِهَا الْأَنْدِيَةُ إِذَا غَضَّهَا الْإِخْتِفَالُ . وَتُوَدِّي لَنَا
شَأْنَ الْخَلِيقَةِ كَيْفَ تَقَلَّبَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ . وَاتَّسَعَ لِلدُّوَلِ فِيهَا الْإِطَاقُ
وَالْحِجَالُ . وَعَمَرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى بِهِمِ الْأَرْتَحَالُ . وَحَانَ مِنْهُمْ الزُّوَالُ .
وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقٌ . وَتَقْلِيلٌ لِلْكَثَائِبِ وَمَبَادِيهَا دَقِيقٌ . وَعِلْمٌ
بِكَيْفِيَّاتِ الْوَقَائِعِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ . فَهُوَ لِذَلِكَ أَصِيلٌ فِي الْحِكْمَةِ
عَرِيقٌ . وَجَدِيرٌ بِأَنْ يُعَدَّ فِي عُلُومِهَا وَخَلِيقٌ . وَإِنَّ فُحُولَ الْمُؤَرِّخِينَ
فِي الْإِسْلَامِ قَدْ اسْتَوْعَبُوا أَخْبَارَ الْأَيَّامِ وَجَمَعُوهَا وَسَطَرُوهَا فِي صَفَحَاتِ
الدَّفَائِرِ وَأَوْدَعُوهَا . وَخَلَطُوهَا الْمُنْتَظِفُونَ بِسَائِسَ مِنَ الْبَاطِلِ وَهَمُّوا
فِيهَا وَابْتَدَعُوهَا . وَزَخَّارِفَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُضَعَّةِ لَفَقُوهَا وَوَضَعُوهَا .
وَأَقْتَنَى تِلْكَ الْآثَارَ الْكَثِيرُ مِمَّنْ بَعَثَهُمْ وَأَتْبَعُوهَا . وَأَدَوَهَا إِلَيْنَا

كَمَا سَمِعُوهَا . وَلَمْ يَلَا حِظُوا أَسْبَابَ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ وَلَمْ يُرَاعَوْهَا .
وَلَا رَفَضُوا ثُرَهَاتِ الْأَحَادِيثِ وَلَا دَفَعُوهَا . فَالْتَحَقُّ قَلِيلٌ . وَطَرَفُ التَّنْقِيجِ
فِي الْغَالِبِ كَلِيلٌ . وَالْقَلَطُ وَالْوَهْمُ نَسِيبٌ لِلْأَخْبَارِ وَخَلِيلٌ . وَالتَّقْلِيدُ
عَرِيقٌ فِي الْأَدَمِيتِينَ وَسَلِيلٌ . وَالتَّطَلُّ عَلَى الْقُنُونِ عَرِيضٌ طَوِيلٌ .
وَمَرَعَى الْجَهْلِ بَيْنَ الْأَنَامِ وَخِيمٌ وَيِلٌ . وَالتَّحَقُّ لَا يُقَاوِمُ سُلْطَانَهُ . وَالْبَاطِلُ
يُقْذَفُ بِشِهَابِ النَّظَرِ شَيْطَانَهُ . وَالنَّاقِلُ إِنَّمَا هُوَ عِلْمِي وَيَثْقُلُ . وَالْبَصِيرَةُ
تَنْقُذُ الصَّحِيحَ إِذَا ثَقُلُ . وَالْعِلْمُ يَجْلُو لَهَا صَفَحَاتِ الصَّوَابِ وَيَضْلُ .
هَذَا وَقَدْ دَوَّنَ النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ وَاسْتَكْتَرُوا . وَجَمَعُوا تَوَارِيخَ الْأُمَمِ
وَالدُّوَلِ فِي الْعِلْمِ وَسَطَرُوا . وَالَّذِينَ ذَهَبُوا بِفَضْلِ الشُّهْرَةِ وَالْإِمَامَةِ
الْمُعْتَبَرَةِ . وَاسْتَفْرَغُوا دَوَائِرَ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي صُحُفِهِمْ الْمَتَاخِرَةَ . هُمْ قَلِيلُونَ
لَا يَكَادُونَ يُجَاوِزُونَ عَدَدَ الْأَنَامِلِ . وَلَا حَرَكَاتِ الْعَوَامِلِ . مِثْلُ ابْنِ
إِسْحَاقَ وَالطَّبْرِيِّ وَابْنِ الْكَلْبِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ وَسَيِّدِ
ابْنِ عُمَرَ الْأَسَدِيِّ وَالْمَسْعُودِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَشَاهِيرِ . الْمُتَمَسِّيزِينَ عَنْ
الْجَمَاهِيرِ . وَإِنْ كَانَ فِي كُتُبِ الْمَسْعُودِيِّ وَالْوَاقِدِيِّ مِنَ الْمُطْمَنِ
وَالْمَعْمَرِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأَثْبَاتِ . وَمَشْهُورٌ بَيْنَ الْحَفَظَةِ الثَّقَاتِ .
إِلَّا أَنَّ الْكَافَّةَ اخْتَصَّتْهُمْ بِبُحُولِ أَخْبَارِهِمْ . وَاقْتِفَاءِ سُنَنِهِمْ فِي
التَّصْنِيفِ وَاتِّبَاعِ آثَارِهِمْ . وَالنَّاقِدُ الْبَصِيرُ قَسْطَاسُ نَفْسِهِ فِي تَرْيِيفِهِمْ
فِيمَا يَثْقُلُونَ أَوْ اعْتَبَارِهِمْ . فَلِلْعُمَرَاءِ طَبَائِعُ فِي أَحْوَالِهِ تَرْجِعُ إِلَيْهَا
الْأَخْبَارُ . وَتُحْمَلُ عَلَيْهَا الرِّوَايَاتُ وَالْآثَارُ . ثُمَّ إِنَّ أَكْثَرَ التَّوَارِيخِ
لَهُوَلَاءُ عَامَّةُ الْمَنَاجِحِ وَالْمَسَالِكِ . لِعُيُومِ الدَّوَلَتَيْنِ صَدَرَ الْإِسْلَامُ فِي

الآفاق والممالك وتناولها البعيد من الغايات في المآخذ والمتاركة
ومن هؤلاء من استوعب ما قبل اليلة من الدول والأسم. والأمر
العم. كالمسعودي ومن تحا منحا. وجاء من بعدهم من عدل عن
الاطلاق إلى التقييد. ووقف في العموم والإحاطة عن الشا والبعد
فقيد شوارد عصره. واستوعب أخبار أمة وقطره. واقتصر على
أحاديث دولته ومصره. كما فعل أبوحيان مؤرخ الأندلس
والدولة الأموية بها. وابن الرقيق مؤرخ أفريقية والدولة التي كانت
بالقيروان. ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلد. ويلي الطبع والعقل
أو متبلد. ينسج على ذلك المنوال. ويحتذي منه بالمثال. ويذهل
عما أحاطه الأيام من الأحوال. واستبدت به من عوائد الأمم
والأجيال. فيجلبون الأخبار عن الدول. وحكايات الوقائع في العصور
الأول. صورا قد تجردت عن مصادرها. وصيغها انضيت من أغمارها
ومعارف تستكر للجهل بطاريفها وتلاذذها. إنما هي حوادث لم تعلم
أصولها وأنواع لم تعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها. يكررون في
موضوعاتها الأخبار المتداولة بأعيانها. اتباعا لمن غنى من المتقدمين
بشأنها. ويفضلون أمر الأجيال الناشئة في ديوانها. بما أعوز عليها
من ترجحاتها فتستقيم صحتهم عن بيانها. ثم إذا تعرضوا لذكر
الدولة نسقوا أخبارها نسقا. محافظين على نقلها وهما أوصدقا.
لا يعرضون لبدائيتها. ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايها
وأظهر من آيتها. ولا علة الوقوف عند غايتها. فيبقى الناظر

تَطَّلَعًا بَعْدُ إِلَى افْتِقَادِ أَحْوَالِ مَبَادِيءِ الدُّوَلِ وَعَرَائِهَا . مُفْتَشًا عَنْ
 أَسْبَابِ تَرَاوُجِهَا أَوْ تَعَاقِبِهَا . بَاحِثًا عَنِ الْمُنْتَشِعِ فِي تَبَايُنِهَا أَوْ فِي تَنَاسُلِهَا .
 ثُمَّ جَاءَ آخَرُونَ بِإِفْرَاطِ الْإِخْتِصَارِ . وَذَهَبُوا إِلَى الْأَكْتِفَاءِ بِأَسْمَاءِ
 الْمُلُوكِ وَالْإِقْتِصَارِ . مَقْطُوعَةً عَنِ الْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ . مَوْضُوعَةً عَلَيْهَا
 أَعْدَادُ أَيَّامِهِمْ بِحُرُوفِ الْعُبَارِ . كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ رَشِيقٍ فِي مِيزَانِ الْعَمَلِ
 وَمَنْ أَقْتَنَى هَذَا الْأَثَرُ مِنَ الْعَمَلِ . وَلَيْسَ يُعْتَبَرُ لَهُوْلَاءُ مَقَالٌ . وَلَا
 يُعَدُّ لَهُ ثُبُوتٌ وَلَا انْتِقَالٌ . لَمَّا أَذْهَبُوا مِنَ الْقَوَائِدِ . وَأَخْلَوْا
 بِالْمَذَاهِبِ الْغَرُوقَةَ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْعَوَائِدِ

وَقَدْ زَلَّتْ أَقْدَامُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَثْبَاتِ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْخَفَاطِ فِي
 مِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَالْأَرَادِ . وَعَلِقَتْ بِأَفْكَارِهِمْ وَنَقَلَهَا عَنْهُمْ
 الْكَافَّةُ مِنْ ضَعْفَةِ النَّظَرِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْقِيَاسِ وَتَلَقُّوْهَاهُمْ أَيْضًا
 كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا زَوِيَّةٍ وَأَنْدَرَجَتْ فِي مَحْفُوظَاتِهِمْ حَتَّى صَارَ
 فَنُ التَّأْرِخِ وَاهِيًا مُتَخِلِّطًا . وَنَازِلُهُ مُرْتَبِكًا وَعُدَّ مِنْ مَنَاجِي الْعَامَةِ .
 فَإِذَا يَحْتَاجُ صَاحِبُ هَذَا الْفَنِّ إِلَى الْعِلْمِ بِقَوَاعِدِ السِّيَاسَةِ وَطَبَائِعِ
 الْمَوْجُودَاتِ وَاخْتِلَافِ الْأُمَمِ وَالْبِقَاعِ وَالْأَعْصَارِ فِي السِّيَرِ وَالْأَخْلَاقِ
 وَالْعَوَائِدِ وَالنَّحْلِ وَالْمَذَاهِبِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَالْإِحَاطَةِ بِالْحَاضِرِ مِنْ
 ذَلِكَ . وَثَمَانِيَّةٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْغَائِبِ مِنَ الْوَفَاقِ أَوْ بَيْنَ مَا بَيْنَهُمَا
 مِنَ الْخِلَافِ وَتَعْلِيلِ الْمُنْتَفِقِ مِنْهَا وَالْمُخْتَلَفِ . وَالْقِيَامِ عَلَى أُصُولِ
 الدُّوَلِ وَالْمُلُكِ وَمَبَادِيءِ ظُهُورِهَا وَأَسْبَابِ حُدُوثِهَا وَدَوَائِي كَوْنِهَا .
 وَأَحْوَالِ الْقَائِمِينَ بِهَا وَأَخْبَارِهِمْ حَتَّى يَكُونَ مُسْتَوْعِبًا لِأَسْبَابِ كُلِّ

حَادِثٍ وَاقِعًا عَلَى أُصُولِ كُلِّ خَيْرٍ وَحِينَئِذٍ يَعْزِضُ الْخَبَرَ الْمَنْقُولَ عَلَى مَا
عِنْدَهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَالْأُصُولِ . فَإِنْ وَاقِعَهَا وَجَرَى عَلَى مُقْتَضَاهَا كَانَ
صَحِيحًا وَإِلَّا زَيَّفَهُ وَاسْتَعْنَى عَنْهُ . وَمَا اسْتَكْبَرَ الْقَدَمَاءُ عِلْمَ التَّأْرِيخِ
إِلَّا لِذَلِكَ حَتَّى اتَّخَذَهُ الطَّبَرِيُّ وَالتُّجَارِيُّ وَأَبْنُ إِسْحَاقَ مِنْ قَلِيلِهِمَا
وَأَمْثَلَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ . وَقَدْ ذَهَلَ الْكَثِيرُ عَنْ هَذَا السِّرِّ فِيهِ
حَتَّى صَارَ اتِّخَاذُهُ مَجْهَلَةً وَاسْتَحْفَافَ الْعَوَامِّ وَمَنْ لَا رُسُوخَ لَهُ فِي الْمَعَارِفِ
مُطَالَعَتُهُ وَحَمَلُهُ وَالْحَوْضُ فِيهِ وَالتَّطَلُّعُ عَلَيْهِ فَاخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ بِالْمَهْلِ
وَاللُّبَابُ بِالْقِشْرِ وَالصَّادِقُ بِالْكَاذِبِ وَإِنَّ لِلَّهِ عَاقِبَةَ الْأُمُورِ

وَأَعْلَمَ أَنَّ فَنَ التَّأْرِيخِ فَنٌّ عَزِيزُ الْمَذْهَبِ جَمُّ الْفَائِدَةِ شَرِيفُ
الْعَائِدَةِ إِذْ هُوَ يَقِفُنَا عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأُمَمِ فِي أَخْلَاقِهِمْ
وَالْأَنْبِيَاءِ فِي سِيرَتِهِمْ وَالْمُلُوكِ فِي دَوْلِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ حَتَّى تَتِمَّ فَائِدَةُ
الِاقْتِدَاءِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ يَرُومُهُ فِي أَحْوَالِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فَهُوَ مُحْتَاجٌ
إِلَى مَا خِذَ مُتَعَدِّدَةٍ وَمَعَارِفَ مُتَوَرِّعَةٍ وَحُسْنَ ظَنَرٍ وَتَثْبُتِ يُفِيضَانِ
بِصَاحِبَيْهَا إِلَى الْحَقِّ وَيُسَكِّبَانِ بِهِ عَنِ الزَّلَّاتِ وَالْمَغَالِطِ . لِأَنَّ
الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتُمِدَ فِيهَا مُجَرَّدُ الثَّقَلِ وَلَمْ تُحْكَمْ أُصُولُ الْعَادَةِ وَقَوَاعِدُ
السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْإِجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ وَلَا
قِيَسَ الْغَائِبِ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ وَالْحَاضِرِ بِالدَّاهِبِ فَرُبَّمَا لَمْ يُؤْمَنْ فِيهَا
مِنَ الْعُثُورِ وَمَزَلَّةِ الْقَدَمِ وَالْحَيْدِ عَنْ جَادَةِ الصِّدْقِ . وَكَثِيرًا مَا وَقَعَ
لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ وَائِمَّةِ الثَّقَلِ الْمَغَالِطُ فِي حِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ
لِاعْتِمَادِهِمْ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ الثَّقَلِ غَثَا أَوْ سَمِينًا . لَمْ يَعْزِضُوهَا عَلَى أُصُولِهَا

وَقَاسُوهَا بِأَشْبَهِهَا وَلَا سَبْرُوهَا بِبِعْيَارِ الْحِكْمَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى طَبَائِعِ
الْكَاثِنَاتِ وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ فَضَلُّوا عَنْ الْحَقِّ
وَتَاهُوا فِي يَدَاءِ الْوَهْمِ وَالْعَلْطِيسِيَا فِي إِحْصَاءِ الْأَعْدَادِ وَالْأَمْوَالِ
وَالْعَسَاسِ إِذَا عَرَضَتْ فِي الْحِكَايَاتِ إِذْ هِيَ مَظْنَةُ الْكَذِبِ
وَمَظْنَةُ الْهَذَرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى الْأَصُولِ وَعَرْضِهَا عَلَى الْقَوَاعِدِ

البحث السادس

في شروط التاريخ

(عن الفخري)

(راجع صفحة ١٩٧ من علم الادب)

وَأِنْ بَاشَرْتَ بِكِتَابَةِ تَارِيخِ عَامٍ فَتَكَلَّمْ عَلَى دَوْلَةٍ دَوْلَةٍ يَجْمُوعُ
مَا حَصَلَ ذِهْنُكَ مِنْ أَهْمِيَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي أَفَادَتْكُمُهَا مُطَالَعَةُ السِّيَرِ
وَالْتَّوَارِيخِ وَأَذْكُرْ كَيْفَ كَانَ أَيْدَاؤُهَا وَأَنْتَهَاؤُهَا وَطَرَفَا مُتَمَعًا مِنْ
مَحَاسِنِ مُلُوكِهَا وَأَخْبَارِ سَلَاطِينِهَا . ثُمَّ إِذَا ذَكَرْتَ دَوْلَةً فَدَوْلَةً
تَكَلَّمْتَ عَلَى كَلِّيَّاتِ أُمُورِهَا ثُمَّ ذَكَرْتَ وَاحِدًا وَاحِدًا مِنْ مُلُوكِهَا
وَمَا جَرَى فِي أَيَّامِهِ مِنَ الْوَقَائِعِ الْمَشْهُورَةِ وَالْحَوَادِثِ الْمَأْثُورَةِ فَإِذَا
انْقَضَتْ أَيَّامُ ذَلِكَ الْمَلِكِ ذَكَرْتَ وَزَرَءَهُ وَاحِدًا وَاحِدًا وَطَرَائِقَ
مَا جَرَى لَهُمْ . فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ الْمَلِكِ وَوُزَرَءِهِ ابْتَدَأْتَ بِالْمَلِكِ الَّذِي
بَعْدَهُ وَبِمَا جَرَى فِي أَيَّامِهِ وَبِسِيَرِ وَزَرَءِهِ كَذَلِكَ إِلَى آخِرِ تِلْكَ
الدَّوْلَةِ وَالتَّرَمُّ فِيهِ أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ لَا تَعْمِلَ فِيهِ إِلَّا مَعَ الْحَقِّ

وَلَا تَنْطِقَ فِيهِ إِلَّا بِالْعَدْلِ . وَلَنْ تَقْرَلَ سُلْطَانُ الْهَوَى وَتَخْرُجَ مِنْ
حُكْمِ الْإِنْشَاءِ وَالْمَرْبَى وَتَفْرِضَ نَفْسَكَ غَرِيْبًا عَنْهُمْ وَأَجْنِيْبًا بَيْنَهُمْ .
وَتَأْنِيْهِمَا أَنْ تُعْتَرَّ عَنْ أَلْعَانِي بِعِبَارَاتٍ وَاضِحَةٍ تَقْرُبُ مِنَ الْإِفْهَامِ
لِتَنْفَعُ بِكُلِّ لَحْدٍ عَادِلًا عَنْ الْعِبَارَاتِ الْمُسْتَضْعَبَةِ الَّتِي يُقْصَدُ فِيهَا إِظْهَارُ
الْفَصَاحَةِ وَإِثْبَاتُ الْبَلَاغَةِ فَطَلَمَّا رَأَيْتُ مُصَنِّفِي الْكُتُبِ قَدْ أَعْرَضَتْهُمْ
مَحَبَّةُ إِظْهَارِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ فَخَفِيَتْ أَعْرَاضُهُمْ وَأَعْتَاصَتْ مَعَانِيَهُمْ فَقَلَّتِ
الْفَائِدَةُ بِمُصَنَّفَاتِهِمْ . هَذَا وَإِنْ كُتِبَ التَّوَارِيخُ إِنْ نُظِرَ بِعَيْنِ الْإِنْصَافِ
إِلَيْهَا رُبِمَتْ أَنْفَعُ مِنَ الْحِمَاسَةِ الَّتِي لَهَجَ النَّاسُ بِهَا وَأَخَذُوا أَوْلَادَهُمْ
بِحِفْظِهَا فَإِنَّ الْحِمَاسَةَ لَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنَ التَّرْغِيبِ فِي الشَّجَاعَةِ
وَالضِّيَاقَةِ وَشَيْءٍ يَسِيرٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي أَلْبَابِ الْمَسْئِي بَابِ الْأَدَبِ
وَالنَّائِسِ بِالْمَذَاهِبِ الشَّعْرِيَّةِ . وَالتَّأْرِيخُ يُسْتَفَادُ مِنْهُ هَذِهِ الْخِصَالُ
الْمَذْكُورَةُ . وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ قَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَأَدَوَاتُ الرِّئَاسَةِ . فَهَذَا
فِيهِ مَا فِي الْحِمَاسَةِ وَلَيْسَ فِي الْحِمَاسَةِ مَا فِيهِ وَإِنَّهُ يُفِيدُ الْعَقْلَ قُرَّةً
وَالذِّهْنَ حِدَّةً وَالْبَصِيرَةَ نُورًا وَهُوَ لِلخَّاطِرِ الذَّكِيِّ بِمَثَلَةِ الْمَسْنَنِ لِلْقَوْلِ إِذِ
الْحَيِّدِ وَهُوَ أَيْضًا أَنْفَعُ مِنَ الْمَقَامَاتِ الَّتِي النَّاسُ فِيهَا مُتَقَدُّونَ وَفِي تَحْفُظِهَا
رَافِعُونَ إِذِ الْمَقَامَاتُ لَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا سِوَى التَّسَرُّنِ عَلَى الْإِنْشَاءِ وَالْوُقُوفِ
عَلَى مَذَاهِبِ النِّظْمِ وَالتَّنْثُرِ . نَعَمْ وَفِيهَا حِكْمٌ وَحَيْلٌ وَتَجَارِبٌ إِلَّا أَنَّ
ذَلِكَ يَمَّا يُصَغَّرُ الْهَمَّةَ إِذْ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّؤَالِ وَالِاسْتِحْدَاءِ وَالتَّحِيلِ الْقَبِيحِ
عَلَى تَحْصِيلِ الذَّرِّ الطَّيْفِ فَإِنْ تَقَعَتْ مِنْ جَانِبٍ ضَرَّتْ مِنْ جَانِبٍ
وَبَعْضُ النَّاسِ تَنَبَّهُوا عَلَى هَذَا مِنْ الْمَقَامَاتِ الْحَرِيرِيَّةِ وَالْبَدِيعِيَّةِ فَعَدَلَ

نَاسٌ إِلَى نَفْعِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : فَإِنَّهُ الْكِتَابُ
الَّذِي يُتَعَلَّمُ مِنْهُ الْحُكْمُ وَالْمَوَاعِظُ وَالْخُطْبُ وَالشَّجَاعَةُ وَالزُّهْدُ وَعُلُوُّ
أَهْمَتِهِ وَأَذْنَى فَوَائِدِهِ الْفَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ . وَكَذَلِكَ كُتِبَ التَّوَارِيخُ
فَإِنَّ الْإِنْسَانَ رَبًّا أَصْحَرَتْهُ أَلْهَامٌ وَالْأَشْغَالُ فَإِذَا رَوَّحَ فِكْرُهُ بِالنَّظَرِ
فِيهَا دَفَعَ بِهَا أَلْمَلَالَ وَتَذَكَّرَ بِهَا مَا أَنْتَهُ الْأَشْغَالُ . . .

البحث السابع

في الاصول العشرة التي يعتمد عليها الكاتب في المكاتبات

(من كتاب صبح الاعشى لابي المباس احمد القلقشندي)

(راجع صفحة ٢٠٧ من علم الادب)

(الْأَصْلُ الْأَوَّلُ حُسْنُ الْإِفْتِاحِ) الْمَطْلُوبُ فِي سَائِرِ أَنْوَاعِ
الْكَلَامِ مِنْ نَثَرٍ وَنَظْمٍ بِمَا يُوجِبُ التَّحْسِينَ لِيَكُونَ دَاعِيَةً لِاسْتِمَاعِ
مَا بَعْدَهُ . وَيُوجِبُ حُسْنُ الْإِفْتِاحِ فِي الْمَكَاتِبَةِ إِلَى مَعْنَيْنِ : (الْمَعْنَى
الْأَوَّلُ) أَنْ يَكُونَ الْحُسْنُ فِيهِ رَاجِعًا إِلَى الْمُبْتَدَأِ بِهِ إِمَّا بِالْإِفْتِاحِ
بِالْحَمْدِ لِلَّهِ كَمَا فِي بَعْضِ الْمَكَاتِبَاتِ لِأَنَّ النُّفُوسَ تَتَشَوَّقُ إِلَى
الْقَنَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى . أَوْ بِالسَّلَامِ الَّذِي جَعَلَهُ الشَّارِعُ مُفْتَتِحَ الْخُطَابِ
أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . فَإِنَّ أَمْرَ الْمَكَاتِبَاتِ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّلَطُّفِ وَاسْتِحْلَابِ
الْخَوَاطِرِ وَتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يَجْرِي هَذَا التَّجَرُّى عَلَى مَا
يَقْتَضِيهِ اعْطِلَاحُ كُلِّ زَمَنِ فِي الْإِبْتِدَاءِ . (الْمَعْنَى الثَّانِي) أَنْ
يَكُونَ الْحُسْنُ فِيهِ رَاجِعًا إِلَى مَا يُوجِبُ التَّحْسِينَ مِنْ سُهُولَةِ اللَّفْظِ

وَصَحَّةُ السَّبَكِ وَوُضُوحُ الْمَعْنَى وَتَجَنُّبُ الْحَشْوِ وَغَيْرُ ذَلِكَ... (الْأَصْلُ
الثَّانِي) بَرَّاعَةُ الْإِسْتِهْلَالِ الْمَطْلُوبَةُ فِي كُلِّ فَرْقٍ مِنْ قُنُونِ الْكَلَامِ
بِأَن يَأْتِيَ فِي صَدْرِ الْمَكَاتِبَةِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى عَجْزِهَا فَإِنْ كَانَ الْكَاتِبُ
يَهْتَمُّ بِأَن يَأْتِيَ فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّهْنِئَةِ أَوْ كَانَ الصَّدَدُ فِي
التَّعْزِيَةِ أَتَى فِي أَوَّلِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّعْزِيَةِ أَوْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي
أَتَى فِي أَوَّلِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لِيُعْلَمَ مِنْ مَبْدَأِ الْكَلَامِ مَا الْمُرَادُ...
ثُمَّ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ مَا يَعْصُرُ مَعَهُ الْإِثْنَانُ بِبَرَّاعَةِ الْإِسْتِهْلَالِ فَيَأْتِي بِهَا
فِيمَا يَلِي ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ فِي مُقَدِّمَةِ الْمَكَاتِبَةِ قَبْلَ الْخَوْضِ فِي
الْمَقْصُودِ... (الْأَصْلُ الثَّلَاثُ) الْمَقْدِّمَةُ الَّتِي يَلْزَمُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا فِي
صَدْرِ الْكُتُبِ الْمُشْتَبِلَةِ عَلَى الْمَقَاصِدِ الْخَلِيسَةِ تَأْسِيسًا لِمَا يَأْتِي فِي
مَكَاتِبَتِهَا. مِثْلُ أَنْ يَأْتِيَ فِي صَدْرِ كُتُبِ الْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ بِذِكْرِ
أَقْبَرِ أَعْدَائِهِ عَلَى الْأُمَّةِ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ نَصْرِ أَوْلِيَائِهِ وَخِذْلَانِ
أَعْدَائِهِ وَإِعْزَازِ الْمُؤَحِّدِينَ وَقَعْرِ الْمُخْلِدِينَ. وَفِي صُدُورِ كُتُبِ الْفَتْحِ
بِإِنْجَازِ وَعْدِ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَهُ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ وَإِظْهَارِ
دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَفِي صُدُورِ كُتُبِ جَبَايَةِ الْخَرَاجِ بِحَاجَةِ قِيَامِ
الْمَلِكِ إِلَى الْأَسْتِعَانَةِ بِمَا يُسْتَخْرَجُ مِنْ حُقُوقِ السُّلْطَانِ فِي عِمَارَةِ الثُّغُورِ
وَتَحْصِينِ الْأَعْمَالِ وَتَقْوِيَةِ الرِّجَالِ وَنَحْوِ ذَلِكَ بِمَا يَجْرِي عَلَى هَذَا النَّمطِ.
قَالَ فِي مَوَادِّ الْبَيَانِ : وَعَلَى هَذَا السَّبِيلِ جَرَتْ سُنَّةُ الْكُتَّابِ فِي
جَمِيعِ الْكُتُبِ مِنْ أَيْ نَوْعٍ مِنَ الْمَعَانِي كَالْفَتْوحِ وَالتَّهَانِي وَالتَّعَازِي
وَالْتَّهَادِي وَالْإِسْتِخْبَارِ وَالْإِسْتِنبَاطِ وَالْإِحْمَادِ وَالْإِذْمَامِ وَغَيْرِهَا لِيَكُونَ

ذَلِكَ بِسَاطَا لَمَا يُرِيدُ الْقَوْلَ فِيهِ وَحُجَّةٌ يَسْتَظْهِرُ بِهَا السُّلْطَانُ لِأَنَّ كُلَّ
كَلَامٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَرَشٍ يُقَرَّشُ قَبْلَهُ لِيَكُونَ مِنْهُ بَيِّنَةٌ لِأَسَاسِ
مِنَ الْبَيِّنَاتِ . (قَالَ) : وَيَرْجِعُ فِي هَذِهِ الْمَقْدَمَاتِ إِلَى مَعْرِفَةِ
الْكَاتِبِ مَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ مِنْ الْمَقْدَمَاتِ
الَّتِي تُشَاطِرُهَا . (ثُمَّ قَالَ) وَالطَّرِيقُ فِي إِصَابَةِ الْمَرْمَى فِي هَذِهِ
الْمَقْدَمَاتِ أَنْ تُجْعَلَ مُشْتَبِهَةٌ عَلَى مَا بَعْدَهَا مِنْ الْمَقَاصِدِ وَالْأَغْرَاضِ
وَأَنْ يُوضَعَ لِلْأَمْرِ الْخَاصِّ مُقَدِّمَةٌ خَاصَّةٌ وَلِلْأَمْرِ الْعَامِّ مُقَدِّمَةٌ عَامَّةٌ
وَلَا يُطَوَّلُ فِي مَوْضِعِ الْإِقْتِصَارِ وَلَا يُقَصَّرُ فِي مَوْضِعِ الْإِيْجَازِ . وَلَا
تُجْعَلَ أَغْرَاضُهَا بَعِيدَةً الْمَاخِذِ مُعْتَصَةً عَلَى التَّصْفِيحِ وَذَلِكَ أَنَّ
الْكَاتِبَ رَبَّمَا قَصَدَ إِظْهَارَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْكَلَامِ وَالتَّصَرُّفِ فِي وَجْهِهِ
النُّطْقِ فَخَرَجَ إِلَى الْإِمْلَالِ وَالْإِضْجَارِ الَّذِي تَتَدَرَّمُ مِنْهُ النُّفُوسُ وَذَوُّ
الْأَخْطَارِ الْحَلِيَّةِ . أَمَّا الْكُتُبُ الَّتِي لَا تَشْتَبِلُ عَلَى الْمَقَاصِدِ الْحَلِيَّةِ
كَرِقَاعِ التَّحْفِ وَالْهَدَايَا وَنَحْوِهَا فَلَا تُجْعَلُ لَهَا مُقَدِّمَةٌ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ
جَائِزٍ وَغَيْرُ وَاقِعٍ مَوْقِعُهُ . (الْأَصْلُ الرَّابِعُ) مَوَاقِعُ الْأَلْفَافِ الدَّائِرَةِ
فِي الْكُتُبِ فَيَلْزَمُ أَنْ يُعَيَّنَ مَوْقِعُ كُلِّ لِيَضَعَهُ مَكَانَهُ . وَقَالَ فِي
ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ : يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ الرَّئِيسِ أَنْ يَعْرِفَ مَوَاقِعَ
الْأَلْفَافِ وَمَوَاقِعَهَا لِيُرَتِّبَهَا وَيَفْرُقَ بَيْنَهَا فَرَقًا يَقِفُهُ عَلَى الْوَاجِبِ وَيَنْتَهِي
بِهِ إِلَى الصَّوَابِ فَيُجَاطِبُ كُلًّا فِي مَكَاتِبِهِ يَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ
الْخُطَابِ . . . وَمَتَى اسْتَمَرَ الْكَاتِبُ عَلَى هَذِهِ الْخُلَاقَةِ مِنَ الْأَلْفَافِ
وَالْمَقَاضِي نَقَصَتْ أَلْعَانِي وَرَدَّتْ الْأَلْفَافُ وَسَقَطَتِ الْمَقَاصِدُ وَكَانَ

الكتاب قد أخل من الصناعة بمعظمها وترك من البلاغة غاية
 محكمها بل يجب إن بدأ بخطاب رئيس أو قدير أو مرؤوس أن
 يكون ما يتخلل مكاتبة من الألفاظ على اتساق إلى آخرها وأطراد
 من غير مخالفة بينها ولا مضادة ولا مناقضة . نعم يحسن ذلك في
 معاتبات الإخوان والمداعبات الجارية بين الخللان . . . (الأصل
 الخامس) الأدعية التي جرت عادة السلف وتبعهم الخلف باستعمالها
 في المكاتبات . والنظر فيها من ستة أوجه : (الأول) أن يعرف
 مراتب الدعاء ليرفعها في مواقعها ويوردها في مواردِها . ويأتي ذلك
 في عدة أدعية منها : الدعاء بإطالة البقاء والدعاء بإطالة العمر .
 والدعاء بإطالة البقاء أرفع من الدعاء بإطالة العمر . وذلك أن
 البقاء لا يدل على مدة تنقضي لأنه ضد الفناء والعمر يدل على
 مدة تنقضي ولذلك يوصف الله تعالى بالبقاء ولا يوصف بالعمر . .
 (الثاني) أن يعرف ما يناسب كل واحد من أرباب المناصب
 الجليلة من الدعاء فيجئ به فيأتي بالدعاء في مكاتبة الملوك بدوام
 السلطان وخلود الملك . وإلى الأمراء بالدعاء بغير الضرر ومداومة
 النعمة . وإلى الوزراء من أرباب الأقلام بسبوغ النعماء وتخليد
 السعادة ودوام الحمد . وإلى القضاة والحكام بالدعاء بغير الأحكام .
 وإلى التجار بالدعاء بزيادة الأقبال وشبه ذلك . (الثالث) أن
 يعرف ما يناسب كل حالة من حالات المكاتبات فيأتي كل حالة
 بما يناسبها من الدعاء فتكون الأدعية دالة على مقاصد الكتاب

فَإِنْ كَانَ فِي الْمَنَاءِ وَالشُّكْرِ أَوْ التَّعْزِيَةِ أَوْ كَلًّا بِمَا يُنَاسِبُهُ . (الرَّابِعُ)
 أَنْ يَعْرِفَ مَوَاضِعَ الدُّعَاءِ عَلَى الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ... (الْأَصْلُ السَّادِسُ)
 أَنْ يَعْرِفَ مَا يُنَاسِبُ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَلْقَابِ فَيُعْطِيَهُ حَقَّهُ
 مِنْهَا . . . كَالْمَقَامِ وَالْمَقَرِّ وَالْجَنَابِ وَالنَّادِي وَالْحِلْسِ فِي زَمَانِنَا . . .
 وَكَذَلِكَ الثُّعُوتُ . (الْأَصْلُ السَّابِعُ) أَنْ يَرَاعِيَ مَقَاصِدَ الْمَكَاتِبَاتِ
 فَيَأْتِي بِكُلِّ مَقْصِدٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ وَمَدَارُ ذَلِكَ عَلَى أَمْرَيْنِ : (الْأَمْرُ الْأَوَّلُ)
 أَنْ يَأْتِيَ مَعَ كُلِّ كَلِمَةٍ بِمَا يَلِيْقُ بِهَا وَيَخْتَارُ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مَا يُشَاءُ كُلِّهَا
 فَإِنْ ذَكَرَ النِّعْمَةَ حَمْدَ اللَّهِ وَإِنْ ذَكَرَ الْبَلْوَى شَفَعَهَا بِالِاسْتِعَاثَةِ
 بِاللَّهِ وَالرُّجُوعَ إِلَيْهِ فِيهَا . وَيُلْحِقُ بِذَلِكَ أَيْضًا أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ الرَّئِيسَ
 فِي أَثْنَاءِ الْمَكَاتِبَةِ دَعَا لَهُ مِثْلَ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ ذِكْرِ السُّلْطَانِ :
 خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ وَبِمَا يَجْرِي هَذَا الْحَجَرُ . (الْأَمْرُ الثَّانِي) أَنْ يَتَخَطَّى
 التَّضَرُّعَ إِلَى التَّلَوُّحِ وَالْإِشَارَةِ إِذَا آجَأَهُ الْحَالُ إِلَى الْمَكَاتِبَةِ بِمَا
 لَا يَجُوزُ كَشْفُهُ وَإِظْهَارُهُ عَلَى صَرَاحِهِ بِمَا فِي ذِكْرِهِ أَطْرَاحُ مَهَابَةِ
 السُّلْطَانِ وَاسْمَاعُهُ مَا يَلْزَمُ مِنْهُ إِخْلَالُ الْأَدَبِ فِي حَقِّهِ كَمَا لَوْ أَطْلَقَ
 لِسَانَهُ فِيهِ بِلَفْظٍ قَبِيحٍ يَسُوؤُهُ سَمَاعُهُ فَيَتَّجِجُ الْمُنْشِيءُ إِلَى اسْتِعْمَالِ
 التَّوْزِيَةِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ وَالتَّلَطُّفِ فِي الْعِبَارَةِ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ
 غَيْرِ خِيَاةٍ فِي طَيِّ مَا لَا غِنَى بِهِ عَنْ عَلَيْهِ . وَهَذَا بِمَا لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ
 إِلَّا الْمُرُورُ فِي الصَّنَاعَةِ الْمُتَصَرِّفُ فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ . . . (الْأَصْلُ
 الثَّامِنُ) أَنْ يَعْرِفَ مَقْدَارَ فَهْمِ كُلِّ طَبَقَةٍ مِنَ الْخُاطِبِينَ فِي
 الْمَكَاتِبَاتِ مِنَ اللِّسَانِ فَيُخَاطَبُ كُلُّ أَحَدٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِنَ اللَّفْظِ وَمَا

يصلُ إليه فهو من الخطاب (استشهد من كتاب الصناعتين) .
(الأصل التاسع) أن يُراعى رتبة المكتوب عنه والمكتوب إليه
في الخطاب فمصدر عن كل واحد منهما بما يليق به . ويخطب
المكتوب إليه بما يليق بمقامه . فأمّا المكتوب عنه فيختلف الحال
فيه باختلاف منصبه ودرجته فمصدر في الكتب الصادرة عن أبواب
الخلافة بأمير المؤمنين مثل أن يقال : فجرى أمر أمير المؤمنين
في كذا على كذا . وأوعز أمير المؤمنين إلى فلان بكذا وأقتضى
رأي أمير المؤمنين كذا وهلم جرا . وكذلك أن يعرف قدر المكتوب
إليه من الرؤساء والنظرَاء والعلماء والوكلاء ليقرب بين من
يكتب إليه . ألا ترى أنك لو خاطبت سلطاناً أو وزيراً بالتغرية
عن المصيبة من مصائب الدنيا لما جاز أن تبني الكلام على وعظه
وتبصيره وإرشاده وحضه على الأخذ بحظه من الصبر . وإنما الصواب
أن تبني الخطاب على أنه أعلى شأنًا وأرفع مكاناً من أن يعزى
بمخلاف المتأخر في الرتبة فإنه إنما يعزى تنبيهاً وتذكيراً وتضيافاً
وتعريضاً للواجب في تلقي السراء بالشكر والضراء بالصبر . .
(الأصل العاشر) أن يُراعى مواقع الآيات والتلجج في الكتب
وذكر آيات الشعر في المكاتبات . . .



الفصل التاسع

في حل الشعر والاحتذاء

البحث الأول

في حسن الاخذ

(من كتاب الصناعتين للمصري)

(راجع صفحة ٢٣٩ من علم الادب)

لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْنَافِ الْقَائِلِينَ غِنًى عَنْ تَنَاوُلِ الْمَعَانِي مِمَّنْ
تَقَدَّمَهُ وَالصَّبُّ عَلَى قَوَالِبِ مَنْ سَبَقَهُ وَلَكِنْ عَلَيْهِ إِذَا أَخَذَهَا أَنْ
يَكْسُوهَا أَلْفَاظًا مِنْ عِنْدِهِ وَيُورِثُهَا فِي مَعَارِضٍ مِنْ تَأْلِيفِهِ وَرَضْفِهِ
وَيُؤَدِّيَهَا فِي غَيْرِ حِلَّتَيْهَا الْأُولَى وَيُرِيدُ فِي حُسْنِ تَأْلِيفِهَا وَجُودَةِ
تَرْكِيبِهَا وَجَمَالِ حِلَّتَيْهَا وَمَعْرِضِهَا . فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ أَوَّلَى بِهَا مِمَّنْ
سَبَقَ إِلَيْهَا وَلَوْلَا أَنَّ الْقَائِلَ يُؤَدِّي مَا سَمِعَ لَمَا كَانَ فِي طَاقَتِهِ أَنْ
يَقُولَ وَإِنَّمَا يَنْطِقُ الطِّفْلُ بَعْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنَ الْبَالِغِينَ . وَقَالَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ : لَوْلَا أَنَّ الْكَلَامَ يُعَادُ لَنَعِدَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كُلُّ
شَيْءٍ ثَنِيَّتُهُ قَصْرٌ إِلَّا الْكَلَامَ فَإِنَّكَ إِذَا ثَنَيْتَهُ طَالَ . عَلَى أَنَّ الْمَعَانِي
مُشْتَرِكَةٌ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ فَرُبَّمَا وَقَعَ الْمَعْنَى الْحَيْدُ لِلشُّرْقِيِّ وَالنَّبْطِيُّ وَالزَّنْجِيُّ
وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُ النَّاسُ فِي الْأَلْفَاظِ وَرَضْفِهَا وَتَأْلِيفِهَا وَنَظْمِهَا . وَقَدْ
يَقَعُ لِلْمُتَأَخِّرِ مَعْنَى سَبَقَهُ إِلَيْهِ الْمُتَقَدِّمُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلِمَّ بِهِ وَلَكِنْ

كَمَا وَقَعَ لِلأَوَّلِ وَقَعَ لِلآخِرِ . وَهَذَا أَمْرٌ عَرَفْتُهُ مِنْ نَفْسِي فَلَسْتُ
أَمْتَرِي فِيهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ مَنْ أَخَذَ مَعْنَى بِلَفْظِهِ كَانَ لَهُ سَالِحًا
وَمَنْ أَخَذَهُ فَكَسَاهُ لَفْظًا مِنْ عِنْدِهِ أَجُودَ مِنْ لَفْظِهِ كَانَ هُوَ
أَوَّلَى بِهِ بِمَنْ تَقَدَّمَ . وَقَالُوا : إِنَّ أَبَا عَذْرَةَ الْكَلَامِ مِنْ سَبْكَ
أَمْظَهُ عَلَى مَعْنَاهُ . وَمَنْ أَخَذَ مَعْنَى بِلَفْظِهِ فَلَيْسَ لَهُ فِيهِ نَصِيبٌ . عَلَى أَنَّ
الْيَتَّكَارَ أَلْفَعَى وَالسَّبْقَ إِلَيْهِ لَيْسَ هُوَ فَضِيلَةٌ تَرْجِعُ إِلَى أَلْفَعَى وَإِنَّمَا
هُوَ فَضِيلَةٌ تَرْجِعُ إِلَى الَّذِي أَبْتَكَرَهُ وَسَبَقَ إِلَيْهِ . فَأَلْفَعَى الْحَيْدُ جَدُّهُ
وَإِنْ كَانَ مَسْبُوقًا إِلَيْهِ . وَالْوَسْطُ وَالرَّدِي رَدِيٌّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ
مَسْبُوقًا إِلَيْهِمَا . وَقَدْ أَطْبَقَ الْمُتَقَدِّمُونَ وَالْمُتَأَخِّرُونَ عَلَى تَدَاوُلِ أَلْفَعَانِي
يَتَنَّهُمْ فَلَيْسَ عَلَى أَحَدٍ فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا إِذَا أَخَذَهُ بِلَفْظِهِ كُلَّهُ وَأَخَذَهُ فَأَفْسَدَهُ
وَقَصَرَ فِيهِ عَمَّنْ تَقَدَّمَ وَرُبَّمَا أَخَذَ الشَّاعِرُ الْقَوْلَ الْمَشْهُورَ وَلَمْ يُبَالِ
كَمَا فَعَلَ النَّابِغَةُ فَإِنَّهُ أَخَذَ قَوْلَ وَهْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهَيْرٍ :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ

وَقَالَ النَّابِغَةُ

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَا أُنُورُ نُورٌ وَلَا أَلِظْلَامُ إِظْلَامُ
وَأَخَذَ قَوْلَ رَجُلٍ مِنْ كِنْدَةَ فِي عَمْرِو بْنِ هِنْدٍ :

هُوَ الشَّمْسُ وَأَفَتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَأَفْضَلَتْ

عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ

فَقَالَ :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَدُ مِنْهُنَّ كَوَاكِبُ

وَسَنَتَّبِعُ الْقَوْلَ فِي هَذَا آتَابِ وَالْحَاقِقُ يُخْفِي دَيْبَهُ إِلَى الْمَعْنَى
يَأْخُذُهُ فِي سُتْرَةٍ فَيَحْكُمُ لَهُ بِالسَّبْقِ إِلَيْهِ . وَذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ مَعْنَى
مِنْ تَظْمِرِ فَيُورِدُهُ فِي نَثْرِ . أَوْ مِنْ نَثْرِ فَيُورِدُهُ فِي تَظْمِرٍ أَوْ يَنْقُلَ
الْمَعْنَى الْمُسْتَعْمَلَةَ فِي صِفَةِ خَرَفٍ فَيَجْعَلُهُ فِي مَدِيحٍ أَوْ فِي مَدِيحٍ فَيَنْقُلُهُ إِلَى
وَصْفٍ . إِلَّا إِيَّاهُ لَا يَكْمُلُ بِهَذَا إِلَّا الْمُرِزُّ وَالْكَامِلُ الْمَقْدَمُ فَمَنْ
أَخْفَى دَيْبَهُ إِلَى الْمَعْنَى وَسَتَرَهُ غَايَةَ السُّتْرِ أَبُو تَمَّامٍ فِي قَوْلِهِ :
جَمَعَتْ عُرَى أَعْمَالِهَا بَعْدَ فُرْقَةٍ إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ الْأَنْبِيَاءُ عَامِلُ
قَالُوا هُوَ مِنْ قَوْلِ الْجَبَالِ الرَّبْعِيِّ :

أَوْلَيْكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزْنَتَهُمْ فَمَا الْكَفُّ إِلَّا إِضْبَعٌ ثُمَّ إِضْبَعٌ
وَهَكَذَا قَوْلُهُ وَقَدْ ثَقُلَ مِنْ مَعْنَى إِلَى آخِرٍ :
مَكَارِمُ لَجَّتْ فِي عُلوِّ كَأَنَّمَا تُحَاوِلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكِرَاكِبِ
قَالُوا هُوَ مِنْ قَوْلِ الْأَخْطَلِ :
عُرُوفٌ يَلْحَقُ السَّائِلِينَ كَأَنَّهُ يَغْرِ الْمَتَالِي طَالِبٌ بِذُنُوبِ
وَيَمَّا أَخَذَهُ وَزَادَ فِيهِ عَلَى الْأَوَّلِ قَوْلُهُ :
أَفَنَاهُمُ الصَّبْرُ إِذَا أَبْقَاكَ الْجَزَعُ
مِنْ قَوْلِ السَّمَوِيِّ :

يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ أَجَالَنَا لَنَا وَتَكَرُّهُ أَجَاهُهُ قَطْعُ
أُورِدَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي نِصْفِ بَيْتٍ وَأَسْتَوْفَى التَّطْيِيقَ وَمِنْ هَذَا
الضَّرْبِ قَوْلُهُ :

عَلَّمَنِي جُودَكَ السَّمَاحَ فَمَا أَجَبْتُ شَيْئًا لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكَ

مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْحَيَّاطِ :

لَمْ تَسْتَ بِكَفِي كَفِّهِ أَبْتَغِي الْغَنَى
وَلَمْ أَذِرْ أَنْ تَلْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْذِرِي
فَلَا أَنَامُهُ مَا أَفَادَ ذُو الْغِنَى
أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَاتْلَفْتُ مَا عِنْدِي

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُسْلِمٍ :

أَحِبُّ الرِّيحَ مَا هَبَّتْ شَمَالًا
وَأَحْسِنُهَا إِذَا هَبَّتْ جَنُوبًا
قَسَمَ تَقْسِيمًا حَسَنًا وَمَعْنَاهُ : أَنَّ الشَّمَالَ تَحِيُّ مِنْ نَاحِيَةِ صَدِيقِهِ
إِلَيْهِ فَاحِبًّا وَالْجَنُوبَ تَهَبُّ إِلَى الْحَبِيبِ فَحَسَنُهَا لِمُبَاشَرَتِهَا جِسْمَهُ وَهُوَ
مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ جِرَانَ الْعُودِ :

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ تَحْوِ أَرْضِكُمْ
وَجَدْتُ لِرِيَّاهَا عَلَى كَيْدِي بَرْدًا
وَزَادَ مُسْلِمٌ فِي قَوْلِهِ أَيْضًا :

وَيُعْمَدُ السَّيْفُ بَيْنَ النَّحْرِ وَالْجِدِّ

عَلَى السَّابِقِ إِلَى هَذَا أَلْمَعْنَى وَهُوَ بَعْضُ الْقُرْسَانِ إِذَا يَقُولُ :

جَعَلْتُ السَّيْفَ بَيْنَ اللَّيْثِ وَمَنْهُ
وَيَنْ سَوَادِ لَحْيِهِ عِذَارًا
لِأَنَّ الْأَعْمَادَ فِيهِ أَشَدُّ تَأْثِيرًا مِنْ وَضْعِ الْعِذَارِ عَلَيْهِ . وَقَدْ زَادَ
أَبُو نُوَّاسٍ عَلَى جَرِيرٍ فِي قَوْلِهِ :

وَقَدْ أَطُولُ بِحَادِ السَّيْفِ مُحْتَبِيًا
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ هَزَّتُهُ الْأَنَابِيبُ
فَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

سَبَطَ اللَّبَانُ إِذَا اخْتَبَى بِحَادِهِ
غَمْرُ الْجَمَاجِمِ وَالسِّمَاطُ قِيَامُ
قَوْلُهُ : غَمْرُ الْجَمَاجِمِ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ .
وَهَكَذَا قَوْلُهُ :

أَسْمُ طَوَّالٍ السَّاعِدِينَ كَأَنَّمَا يَلَاثُ يَحَادَا سَيْفٍ يُلَوِّاءُ
أَحْسَنُ لَفْظًا وَسَبْكًَا مِنْ قَوْلِ عَنَتَرَةَ :
بَطْلٌ كَانَ ثِيَابُهُ فِي سَرَحَةٍ يَحْذَى نَعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَّامٍ
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي ابْنِ عُيَيْدٍ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ التَّخَايَلِ فِيهِمَا لَوْ أَهْلَتُ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلًا
لَوْ يُتَسَبَّنِ لَكَانَ هَذَا غَارِبًا لِلْمَكْرُمَاتِ وَكَانَ هَذَا كَاهِلًا
إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نَمُوهُ أَقْنَتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا
أَحْسَنُ وَأَجُودُ مِمَّا أَخَذَ مِنْهُ هَذِهِ الْمَعَايِي وَهُوَ قَوْلُ الْقَرَزْدَقِ :
وَرَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِظَةٍ لَوْ أَنَّ الْمَلَايَا أُنْسَاةُ لَيَالِيَا
لَا يَقَعُ بَيْتُ الْقَرَزْدَقِ مَعَ آيَاتِ أَبِي تَمَّامٍ مَوْقِعًا . وَأَخَذَ قَوْلَ
الْقَرَزْدَقِ :

وَمَا وَامَرْتَنِي النَّفْسُ فِي رِحْلَةٍ لَهَا إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ ضَمِيرُهَا
فَشَرَحَهُ وَقَالَ :

وَمَا طَوَّفْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا وَرَمَنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي
مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَعْتُ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ
وَالِى بَيْتِ الْقَرَزْدَقِ يُشِيرُ الْقَائِلُ :
مَدَحْتُكَ جَهْدِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ

فَقَصَّرَ عَمَّا فِيكَ مِنْ صَالِحِ جَهْدِي
فَمَا كُلُّ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ قُلْتُهُ
وَلَا كُلُّ مَا فِيهِ يَقُولُ الَّذِي بَعْدِي

وَكُنْتُ إِذَا هَيَّئْتُ مَدْحًا لِأَجْدِ
آتَانِي الَّذِي فِيهِ بِأَذْنِي الَّذِي عِنْدِي
وَمِنْ هَاهُنَا أَخَذَ أَبُو نُؤَاسٍ قَوْلَهُ :

إِذَا تَحَنُّنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا تُثْنِي وَفَوْقَ الَّذِي تُثْنِي
وَأَنْ جَرَتْ أَلَاظُ يَوْمًا بِمَدْحَةٍ غَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي
وَيُشِيرُ إِلَى قَوْلِ الْخَنَسَاءِ :

وَمَا بَلَغَ الْمُهَذُونَ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْبَعُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ
وَهَكَذَا قَوْلُهُ :

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الدُّرُوعَ يَلُوقِفُ لِبَسَتَهُمُ الْآخِسَابُ فِيهِ دُرُوعًا
أَتَمُّ وَأَجُودُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

لَبَسُوا الْقُلُوبَ عَلَى الدُّرُوعِ مِثْلَ مُظَاهِرِينَ لِدَفْعِ ذَلِكَ
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : إِنَّ أَلْتَدَى حَيْثُ تَرَى الضَّغَاطَا . فَأَخَذَهُ بَشَارٌ
وَقَدْ شَرَحَهُ وَيَبِّتُهُ فَقَالَ :

تَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْشِيرُ الْحَبُّ مِثْلَ وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكُرْمَاءِ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

يُزْجِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّرْحَامِ
وَسَمِعَ أَبُو تَمَّامٍ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ :
إِنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ قَضَاءُ اللَّهِ وَأَنْتَ مَوْزُورٌ . وَإِنَّكَ إِنْ
لَمْ تَسْلُ أَحْتِسَابًا سَلَوْتَ كَمَا تَسْلُو الْبِهَائِمَ فَحِكَاةُ حِكَايَةِ حَسَنَةٍ فِي
قَوْلِهِ :

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَاذِي لَا شَمْتَ وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَآثِمِ
أَتَصِدُّ لِلْبُلُوَى حَيَاءً وَحِسْبَةً فَتُوجَرُ أَمْ تَسْلُوسُلُوْا إِلَيْهَا نِمِ
خُلِقْنَا رِجَالًا لِلتَّجَلُّدِ وَالْأَسَى وَتِلْكَ الْغَوَايِي لِلْبُكََا وَالْمَآثِمِ
وَأَلَيْتُ الْآخِرُ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لَمَّا قُتِلَ مُضْعَبٌ .

وَأَمَّا التَّسْلِيمُ وَالسَّلَوةُ لِحُزْمَاءِ الرِّجَالِ . وَإِنَّ أَهْلَهُمَ وَالْجَزَعَ لِرَبَاتِ الْحِجَالِ
وَسَمِعَ قَوْلَ زَيْدِ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ . لَوْ أَنَّكَ ضَعِيفٌ لَأَسْتَعْمَلْتُكَ . فَقَالَ
أَبُو الْأَسْوَدِ : إِنْ كُنْتُ تُرِيدُنِي لِلصِّرَاعِ فَلَا تَنِي لَا أَصْلَحُ لَهُ وَإِلَّا فَتَقْدِرُ
شَدِيدٌ أَنْ أَمُرَ وَأَنْهَى فَقَالَ أَبُو نَعْمَانَ :

تَعْجَبُ أَنْ رَأَتْ جَنْسِي نَحِيفًا كَانَ الْحَجْدُ يُدْرِكُ بِالصِّرَاعِ
وَلَمَّا قَالَ بَشَارٌ :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ أَلْقَاكَ اللَّهُمَّ
تَبِعَهُ سَلَمٌ الْخَالِيسُ فَقَالَ :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجُسُورُ
فَلَمَّا سَمِعَ بَشَارٌ هَذَا أَلَيْتُ قَالَ : ذَهَبَ الْحَيْثُ بَيْتِي . وَمِنْ
حُسْنِ الْإِتِّبَاعِ أَيْضًا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ حَيْثُ كَتَبَ : إِذَا
كَانَ لِلْحُسَيْنِ مِنَ الثَّوَابِ مَا يُشْبِعُهُ وَلِلْمُسِيءِ مِنَ الْعِقَابِ مَا يَقْتُلُهُ
أَزْدَادُ الْحُسَيْنِ فِي الْإِحْسَانِ رَغْبَةً وَأَنْقَادَ الْمُسِيءِ لِلْحَقِّ رَهْبَةً . أَخَذَهُ
مِنْ قَوْلِ عَلِيٍّ : يَجِبُ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَتَعَهَّدَ أُمُورَهُ وَيَتَفَقَّدَ أَعْوَانَهُ
حَتَّى لَا يَنْجَحِيَ عَلَيْهِ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ ثُمَّ لَا يَتْرُكُ وَاحِدًا
مِنْهُمَا بِغَيْرِ جَزَاءٍ . فَإِنْ تَرَكَ ذَلِكَ تَهَاوَنَ الْحُسَيْنُ وَاجْتَرَأَ الْمُسِيءُ وَفَسَدَ

الْأَمْرُ وَضَاعَ الْعَمَلُ . وَسَمِعَ بَعْضُ الْكُتَّابِ قَوْلَ نُصَيْبٍ :

وَلَوْ مَسَكْتُوْا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

فَكُتِبَ وَلَوْ أُنْسِيكَ لِسَانِي عَنْ شُكْرِكَ لَنَطَقَ أَثْرُكَ عَلَيَّ .

وَفِي فِضْلِ آخَرَ : وَلَوْ جَمَعْتُكَ إِحْسَانَكَ لَا كُذِّبْتَنِي آثَرُهُ وَنَمَتْ

عَلَيَّ شَوَاهِدُهُ . وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُمْ : شَاهِدَاتُ الْأَحْوَالِ أَعْدَلُ مِنْ

شَهَادَاتِ الرِّجَالِ . أَخَذَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ فَشَرَحَهُ فِي قَوْلِهِ :

حَالُ التَّدَادُ فِي عَمَّا يُرِيكُمْ لَكِنْ فَمُ الْحَالِ مِثْلِي غَيْرُ مَسْدُودٍ

حَالٌ تَصِيحٌ بِمَا أَوْلَيْتَ مُعْلَنَةً وَكُلُّ مَا تَدَّعِيهِ غَيْرُ مَرْدُودٍ

كُلِّي هِجَاءً وَقَتْلِي لَا يَحِلُّ لَكُمْ فَمَا يُدَاوِيكُمْ مِثْلِي سِوَى الْجُودِ

وَمِنْ أَحْسَنِ الْإِتِّبَاعِ أَيْضًا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ وَقَدْ سَمِعَ قَوْلَ

عَلِيٍّ : لَا تَكُونَنَّ كَمَنْ يَعْجُزُ عَنْ شُكْرِ آتِيٍّ وَيَلْتَمِسُ الزِّيَادَةَ

فِيمَا بَقِيَ . فَكُتِبَ : أَحَقُّ مَنْ أَثْبَتَ لَكَ الْعَذْرَ فِي حَالِ شُغْلِكَ

مَنْ لَمْ يَحُلْ سَاعَةً مِنْ بَرِّكَ فِي وَقْتِ فَرَاغِكَ . وَأَخَذَهُ أَخْذَا ظَاهِرًا

أَحْمَدُ بْنُ صُبَيْحٍ فَقَالَ : فِي شُكْرِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِحْسَانِ الْأَمِيرِ شَاغِلٌ

عَنْ اسْتِيطَاءِ مَا تَأَخَّرَ مِنْهُ . وَأَخَذَهُ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ فَقَالَ : لَسْتُ

مُسْتَقْلًا لِشُكْرِ مَا مَضَى مِنْ بَلَاتِكَ فَاسْتَبْطِئْ دَرَكَ مَا أُوتِلُ مِنْ

مَزِيدِكَ . وَمِنْ هَذَا أَيْضًا قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

لَا تُسَدِّدَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا

وَأَخْبَرَ الْأَخْفَشُ قَالَ : قَالَ أَبُو نَمَامٍ لِابْنِ أَبِي رُوَادٍ لَمَّا غَضِبَ

عَلَيْهِ : أَنْتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَلَا طَاقَةَ لِي بِغَضَبِ جَمِيعِ النَّاسِ . فَقَالَ

آبنُ أبي دؤاد : ما أحسنَ هذا من أين أخذته . قال : من قول
 أبي نؤاسٍ وليسَ على اللهِ يُستَنكر . أن يجمعَ العلمَ في واحدٍ
 ومن سَمِعَ هذا الكلامَ يظنه مسروقاً من قول جرير :
 إذا غضبتَ عليَّ بنو تميمٍ رأيتُ الناسَ كلهمُ غضاباً
 وسَمِعَ قُليبُ المعتزلي آياتنا للعشي وهي :
 أفلتَ بطائفةً وراجعه حلمٌ وأعقبه الهوى ندماً
 ألقى عليه الدهرُ كلَّكده وأعادهُ الإقتارَ والعدماً
 فإذا ألمَّ به أخو ثقةٍ غصَّ الجفونَ ومَجَمَّ الكلامِ
 فقال لبعض الملوكِ يستعطفه على رجلٍ من أهله : جعلني الله
 فداك . ليس هو اليومَ كما كانَ أمسَ إلهَ وحياتك أفلتَ بطائفةً
 إي والله وراجعه حلمه وأعقبه وحبك الهوى ندماً ألقى الدهرُ عليه
 كلَّكده فهو اليومَ إذا رأى أخا ثقةٍ غصَّ بصره ومَجَمَّ كلامه .
 وهذا يعرفُ أن حلَّ المنظومِ ونظمَ التحولِ أسهلُ من ابتدائها
 لأنَّ المعاني إذا حلتْ منظوماً أو نُظمتْ مشوراً حاضرةً بينَ يديك
 تريدُ فيها شيئاً فتَحُلُّ أو تنقصُ منها شيئاً فتَنظِّمُ . وإذا أردتُ
 ابتداءَ كلامٍ وجدتَ المعاني غائبةً عنك فتحتاجُ إلى فكرٍ يُحضِرُكمَا
 والتحلولُ من الشعرِ على أربعةِ أضربٍ : ضربٌ منها يكونُ
 بإدخالِ لفظٍ بينَ اللفظِ . وضربٌ يحلُّ بتأخيرِ لفظٍ منه وتقديمِ
 أخرى فيجسُنُ محلوله ويستقيم . وضربٌ منه يحلُّ على هذا الوجهِ
 ولا يجسُنُ ولا يستقيم . فاما الضربُ الأولُ فمثاله ما تقدَّم من

صَدَرَ كَلَامِ قَلْبِ الْمُعْتَرِي . وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّانِي فَمِثَالُهُ مَا ذَكَرَ
بَعْضُ الْكُتَّابِ مِنْ قَوْلِ الْجُبَّارِيِّ :

نَطْلُبُ الْأَكْثَرِ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ تَبْلُغُ الْحَاجَةُ فِيهَا بِالْأَقْلِ
ثُمَّ قَالَ : فَإِذَا نَثَرْتَ ذَلِكَ وَلَمْ تَرُدَّ فِي الْفَاطَةِ شَيْئًا قُلْتَ :
نَطْلُبُ فِي الدُّنْيَا الْأَكْثَرَ وَتَبْلُغُ مِنْهَا الْحَاجَةُ بِالْأَقْلِ . فَأَمَّا
الضَّرْبُ الثَّلَاثُ فَهُوَ أَنْ تُضَعَّ الْفَاطَةُ أَلَيْتَ فِي مَوَاضِعَ لَا يَحْسُنُ
وَضْعُهَا فِي غَيْرِهَا فَيَحُلُّ إِذَا نَثَرَ بِتَأْخِيرٍ لَفْظٍ وَتَقْدِيمِ آخَرَ فَيَحْتَاجُ
نَثْرَهُ إِلَى التَّقْصَانِ مِنْهُ وَالزِّيَادَةَ فِيهِ . كَقَوْلِ الْجُبَّارِيِّ أَيْضًا :

يُسَرُّ بِعُمَرَانَ الدِّيَارَ مُضَلَّلٌ وَعُمَرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا
وَلَمْ أَرْضَ الدُّنْيَا أَوَانَ مَحِيَّتِهَا فَكَيْفَ أَرْضَانِيهَا أَوَانَ ذَهَابِهَا
فَإِذَا نَثَرَ عَلَى هَذَا أَلَوْجِهِ قِيلَ : يُسَرُّ مُضَلَّلٌ بِعُمَرَانَ الدُّنْيَا وَمِنْ
خَرَابِهَا عُمَرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ وَلَمْ أَرْضَ أَوَانَ مَحِيَّتِهَا الدُّنْيَا فَكَيْفَ أَوَانَ
ذَهَابِهَا أَرْضَانِيهَا . فَهَذَا نَثَرٌ قَاسِدٌ فَإِذَا غَيَّرْتَ بَعْضَ الْفَاطَةِ حَسَنًا
وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : يُسَرُّ الْمُضَلَّلُ بِعُمَرَانَ الدِّيَارِ وَإِنَّمَا يُسْتَأْنَفُ عُمَرَانُهَا
مِنْ خَرَابِهَا . وَمَا أَرْضَيْتِ الدُّنْيَا أَوَانَ مَحِيَّتِهَا فَكَيْفَ أَرْضَيْتِهَا أَوَانَ
ذَهَابِهَا . وَنَحْنُ نَقُولُ إِنَّ مِنَ النِّظْمِ مَا لَا يُمْكِنُ حَلُّهُ أَصْلًا بِتَأْخِيرِ
لَفْظَةٍ وَتَقْدِيمِ أُخْرَى مِنْهُ حَتَّى يُلْحَقَ بِهِ التَّغْيِيرُ وَالزِّيَادَةُ وَالتَّقْصَانُ .
مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَادُهُ قَلَمٌ يَتَقَى الْأَصُورَةَ اللَّحْمَ وَالْدَّمَ
فَالْمِصْرَاعُ الْأَوَّلُ يُمْكِنُ أَنْ تُؤَخَّرَ الْفَاطَةُ وَتُقَدَّمَ فَيَصِيرُ نَثْرًا .

سُنْتِيَا وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : فُوَادُ أَلْقَى نِصْفَ وَلِسَانِهِ نِصْفٌ . وَلَا
يُمْكِنُ فِي الْمِصْرَاعِ الثَّانِي ذَلِكَ حَتَّى تَرِيدَ فِيهِ أَوْ تَقْصُ مِنْهُ لِأَنَّ
الْمِصْرَاعَ الثَّانِي إِنَّمَا هُوَ تَذْيِيلٌ لِلْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْمِلَهُ
حَمْلًا مُقْتَصِرًا بِغَيْرِ لَفْظِهِ قُلْتَ : أَلَا نَسَانُ شَطْرَانِ لِسَانٌ وَجَنَانٌ . وَمِمَّا
لَا يُمْكِنُ حَمْلُهُ بِتَقْدِيمِ لَفْظِهِ مِنْهُ وَتَأْخِيرِ أُخْرَى آيضًا قَوْلُ أَبِي
نُوَاسٍ :

أَلَا يَا ابْنَ الْذِينَ قُتُوا وَبَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لِيَبْقَى
فَتَحْتَاجُ فِي نَثْرِهِ إِلَى تَخْيِيرِهِ وَإِبْدَالِ الْفَازِ قَتُولُ : أَلَا يَا ابْنَ
الَّذِينَ مَاتُوا وَمَضُوا وَطَعْنُوا فَأَوَا قَوْلَهُ مَا ظَعْنُوا لِيُتَقِيمَ وَمَا رَامُوا إِلَّا
لِيَرِيمَ . وَلَا مَاتُوا لِيَحْيَا وَلَا قُتُوا لِيَبْقَى . وَفِي هَذِهِ أَلَا لَفَازٍ طَوَّلٌ وَلَيْسَ
بِصَائِرٍ عَلَى مَا خَبَرْتُكَ فَإِنْ أَرَدْتَ اخْتِصَارَهُ قُلْتَ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ
أَلَمْتُ لَمْ يُصِبْكَ فِي آيِكَ إِلَّا لِيُصِيبَكَ فِيكَ . وَالضَّرْبُ الرَّابِعُ
أَنْ تَكْسُوَ مَا تَحْمِلُهُ مِنَ الْمَنْظُومِ الْفَازَ مِنْ عِنْدِكَ . وَهَذَا أَرْفَعُ
دَرَجَاتِكَ . وَمِنْهُ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِلرَّبِيعِ بْنِ خَيْمٍ وَقَدْ رَأَى اجْتِهَادَهُ
فِي الْعِبَادَةِ : قَتَلْتَ نَفْسَكَ . فَقَالَ : رَاحَتَهَا أَطْلُبُ . فَقَالَ الشَّاعِرُ :
سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ مِنْكُمْ لِيَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِيُحْمَدَا
وَمِنْهُ مَا جَاءَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَقَالَ نَثْرًا : إِنْ أَمْرًا لَمْ يَعُدْ بَيْنَهُ
وَيَيْنَ آدَمَ إِلَّا أَبَا مَيْتَا لَمَرَقْ لَهُ فِي أَلَمْتِ . فَاخَذَهُ أَبُو نُوَاسٍ فَقَالَ :
وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَأَبْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي أَلْهَالِكِينَ عَرِيقُ
وَسَمِعَ بَعْضُ الْكُتَّابِ قَوْلَ أَبِي ثَمَامٍ :

فَإِنْ نَجِدْ عِلَّةً نَعْمُ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نَعَادُ مِنْ مَرَضِهِ
فَكُتِبَ مَنْ تَرَلَّ مَثَلِي مِنْ طَاعَتِكَ وَمُشَارَكَتِكَ كَانَ حَقِيقًا
أَنْ يُهَنَّا بِالنِّعْمَةِ تَحْدُثُ عِنْدَكَ وَيَعْرِى عَلَى النَّائِبَةِ تِلْمُ بِكَ . فَتَقْلُ
الْعِيَادَةَ إِلَى الْمَصِيبَةِ وَالْتَّعْزِيَةَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْكِتَابَةُ تَقْضُ الشَّعْرَ .
وَقِيلَ لِلْعِتَابِيِّ : بِمِ قَدَرْتَ عَلَى الْبَلَاغَةِ . فَقَالَ : بِحُلِّ مَقْشُودِ الْكَلَامِ
وَأَحْسَنَ أَبَوْنَامٍ فِي قَوْلِهِ :

إِلَيْكَ هَتَكْنَا جَمِيعَ لَيْلٍ كَأَنَّا قَدْ أَكْتَحَلْنَا مِنْهُ الْبِلَادُ بِإِثْمِ
وَزَادَ فِيهِ عَلَى أَبِي نُوَّاسٍ وَمِنْهُ اخَذَ . وَهُوَ قَوْلُهُ :

وَجِئْتُ لَيْلٍ مُسْتَحِيلٍ بِقَارِ

لِأَنَّ الْإِكْتِحَالَ يَكُونُ بِالْإِثْمِ وَلَا يَكُونُ بِأَقَارِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
أَبْنُ الْعَبَّاسِ :

لِفَضْلٍ نِنْ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ

فَبَسَطْتُهَا لِلْغِنَى وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجَلِ

وَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى وَظَاهِرُهَا لِلْقَبْلِ

وَإِذَا لَمَعَنِي الْأَمِيرُ أَبُو عَزِيزٍ قَتَادَةُ أَمِيرُ مَكَّةَ فَقَالَ مُشِيرًا إِلَى
يَدِهِ مِنْ أَيْتَاتِ :

تَطَلُّ مُلُوكُ الْأَرْضِ تَائِمٌ ظَهَرَهَا وَفِي بَاطِنِهَا لِلنَّجْدِيِّينَ رَيْعُ

فَاتَّبَعَهُ أَبُو الرُّومِيِّ فَأَحْسَنَ الْإِتِّبَاعَ فَقَالَ :

أَصْبَحْتُ بَيْنَ خَصَاصَةٍ وَتَجَمُّلٍ وَأَخْرُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا

فَأَمْدَدُ إِلَى يَدَا تَعَوَّدَ بَاطِنُهَا بَذَلَ التَّرَالِ وَظَهَرَهَا التَّقْيِيلُ

وَمَا أَلْطَفَ قَوْلَ مَنْ قَالَ :

وَمَا أَلْهَرُّ فِي حَالِ السُّكُونِ بِسَاصِنِ
سِوَى أَنَّهُ مُسْتَجِيعٌ لَوْثُوبِ

وَأِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَقُلْتُ يَا قَوْمُ إِنَّ أَلَيْثَ مُنْقِضٌ
عَلَى بَرَأثِهِ لِنَوْثَةِ الضَّارِي
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :

كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ سَمَاهُ صَاعِدًا
رَأَى كَيْفَ يَرْقَى فِي أَلْعَلِي وَيَصْعَدُ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْبَحْثَرِيِّ :

سَمَاهُ أَسْرَتُهُ الْعَلَاءُ وَإِنَّمَا
قَصَدُوا بِذَلِكَ أَنْ يَتِمَّ عُلاهُ
وَزَادَ أَبُو تَمَّامٍ عَلَى الْآفَوِهِ وَالنَّابِغَةِ وَآبِي نُوَّاسٍ وَمُسْلِمٍ فِي مَعْنَى
تَدَاوُلُوهُ وَهُوَ قَوْلُ الْآفَوِهِ :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى أَرْمَاحِنَا
رَأَى عَيْنِ ثَعْنَةٍ أَنْ سَمَّازَ
وَقَالَ النَّابِغَةُ :

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْخَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ
عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنُ أَنْ قَيْسِلَهُ
إِذَا مَا أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ
وَقَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

تَتَأَيَّا الطَّيْرُ غَزْوَةً
ثَعْنَةً بِالشَّيْعِ مِنْ جَزْرِهِ
وَقَوْلُ مُسْلِمٍ :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقْنَ بِهَا
فَهْنٌ يَتَّبَعُهُ فِي كُلِّ مُوْتَحَلٍ
فَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

أَقَامَتْ مَعَ الرَّأْيَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الْحَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُقَاتِلُ
وَقَوْلُهُ : (أَقَامَتْ مَعَ الرَّأْيَاتِ زِيَادَةً) وَزَادَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ
الْحَدِيثِينَ فَقَالَ :

حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَلْيَانِهِمْ تَقَعُ

وَقَالَ أَبُو نَعْمَانَ :

هَمَّةٌ تَنْطَحُ الْجُرُومَ وَجِدُّ أَلْفٍ لِلْحَضِيضِ فَهُوَ حَضِيضٌ
أَخَذَهُ الْجُبَّارِيُّ فَحَسَّهُ وَهُوَ قَوْلُهُ :

مُتَحَيِّرٌ يَنْدُو بِعِزِّ قَانِمٍ فِي كُلِّ نَائِيَةٍ وَجِدَ قَاعِدٍ

وَبِمَا أَخَذَهُ مِنْ أَبِي نَعْمَانَ فَحَسَّهُ تَقْسِيًا حَسَنًا قَوْلُهُ :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيمَةٌ إِقْدَامُ غَيْرِ وَأَعْدَاءُ مُجَرَّبٍ
هُوَ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَعْمَانَ :

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَابِهِ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

كَمْ نِعْمَةٍ لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا اللَّهُ فِي طَلِي الْمَكَارِوِ كَامِنَةٍ
أَخَذَهُ أَبُو نَعْمَانَ فَقَالَ :

قَدْ يُنِيعُ اللَّهُ بِالْبَلَاوِ وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ

فَزَادَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ آتَى بِعَكْسِ أَلْفَعَى وَقَالَ أَبُو نَعْمَانَ :

رَأَيْتُ رَجَائِي فِيكَ وَحَدَّكَ هَمَّةٌ وَلَكِنَّهُ فِي سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعٌ
فَأَخَذَهُ الْجُبَّارِيُّ فَاخْتَصَرَهُ فَقَالَ :

ثَنَى أَمَلِي فَأَخْتَارَهُ عَنْ مَعَاشِرٍ يَيْتُونُ وَالْأَمَالُ فِيهِمْ مَطَامِعُ

فَأَخَذَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ فَقَالَ :
 بِهِ صَدَقَ اللَّهُ الْأَمَانِي حَدِيثَهَا وَقَدْ مَرَّ دَهْرٌ وَالْأَمَانِي وَسَاوِسُ
 وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :
 أَنْصَرْتُ أَيْكَتِي عَطَايَاكَ حَتَّى عَادَ غُصْنِي سَاقًا وَكَانَ قَضِييَا
 فَقَالَ الْبُحْثَرِيُّ وَزَادَ :
 حَتَّى يَعُودَ الذِّبُّ لِنَاضِغَتَا وَاللُّصْنُ سَاقًا وَالْقَرَارَةُ نِيَقًا
 وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ وَفِيهَا أوردتُ كِفَايَةً

البحث الثاني

في قبح الاخذ

(من كتاب الصناعتين للمسكري)

(راجع صفحة ٢٤٣ من علم الادب)

وَقَبِحُ الْأَخْذِ أَنْ تَقِيدَ إِلَى الْمَعْنَى فَتَتَنَاوَلَهُ بِلَفْظِهِ كُلِّهِ أَوْ
 أَكْثَرِهِ أَوْ تُخْرِجَهُ فِي مَعْرِضٍ مُسْتَفْهِجٍ . وَالْمَعْنَى إِنَّمَا يَحْسُنُ بِالْكُسُوفِ .
 أَخْبَرَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ : إِنَّا إِذَا سَمِعْنَا الْحَدِيثَ مِنْكَ
 نَسَمِعُهُ بِخِلَافٍ مَا نَسَمِعُهُ مِنْ غَيْرِكَ . قَالَ : إِنِّي أَجِدُهُ عَارِيًا
 فَأَكْسُوهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِيهِ حَرْفًا . أَيُّ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِي
 مَعْنَاهُ شَيْئًا فَمَا أُخِذَ بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ وَأَدْعَى أَخْذَهُ آهَ لَمْ يَأْخُذْهُ
 وَلَكِنْ وَقَعَ كَمَا وَقَعَ لِلأَوَّلِ كَمَا سَمِعَ أَبُو عَمْرٍو مِنْ الْعَلَاءِ عَنْ
 الشَّاعِرَيْنِ يَتَّفِقَانِ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ وَمَعْنَى . فَقَالَ : عُقُولُ الرِّجَالِ

تَوَافَتْ عَلَى السِّنَّتِهَا وَذَلِكَ قَوْلُ طَرَقَةَ :
 وَقُوفًا بِهَا صَحِيحِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَلَّدِ
 وَهُوَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
 وَقُوفًا بِهَا صَحِيحِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَلَّدِ
 فَغَيْرَ طَرَقَةَ الْقَافِيَةِ . وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ :
 أَرْجُو كُتَيْبٌ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كُتَيْبًا قَدِيمًا
 وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

أَرْجُو رَيْعٌ أَنْ تَحِيَّ صِغَارَهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رَيْعًا كِبَارَهَا
 وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ جِدًّا وَالْأَخَذُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ
 كَانَ مَعِيًّا وَإِنْ أَدْعَى الْآخِرُ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ الْأَوَّلِ بَلْ وَقَعَ
 لَهُ كَمَا وَقَعَ لِذَلِكَ فَإِنَّ صِحَّةَ ذَلِكَ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 وَالْعَيْبُ لَا زِمٌ لِلْآخِرِ . وَإِذَا كَانَ الْقَوْمُ فِي قِيَلَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّ
 خَوَاطِرَهُمْ تَقَعُ مُتَقَارِبَةً كَمَا أَنَّ أَخْلَاقَهُمْ وَشَمَائِلَهُمْ تَكُونُ مُتَضَارِعَةً
 وَأَنْشَدْتُ الصَّاحِبَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادٍ :

كَانَتْ سَرَاةُ النَّاسِ تَحْتَ أَظِلَّةِ

فَسَبَقَنِي وَقَالَ :

فَعَدَّتْ سَرَاةُ النَّاسِ فَوْقَ سَرَاةِ

وَكَذَلِكَ كُنْتُ قُلْتُ : فَعَلَى هَذَا جَائِزٌ مَا يُدْعَى لَهُمُ وَالظَّاهِرُ
 مَا قُلْنَاهُ فَهَذَا ضَرْبٌ . وَالضَّرْبُ الْآخَرُ مِنَ الْآخِذِ الْمُسْتَفْهِجِ أَنْ
 يَأْخُذَ الْمَعْنَى فَيُفْسِدَهُ أَوْ يُعْرِضَهُ أَوْ يُخْرِجُهُ فِي مَعْرِضٍ قَبِيحٍ وَكُسُوفَةٍ

مُسْتَذَلَّةً . وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ أَبِي كَرِيمَةَ :
 قَفَاهُ وَجْهٌ ثُمَّ وَجْهٌ الَّذِي قَفَا هُ وَجْهٌ يُشْبِهُ الْبَدْرَا
 وَإِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ :
 بَرَّ حُسْنَ الْوُجُوهِ حُسْنُ قَفَانَا

وَأَخَذَهُ أَبُو نُوَاسٍ مِنْ قَوْلِ الثَّابِتَةِ بِقَوْلِهِ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُثَنِّ :
 أَيَفَاخِرُكَ ابْنُ جَفَّةَ وَالْكَاتِ لَأَمْسُكَ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِهِ وَلَقَدْ أَلَكَ أَحْسَنُ
 مِنْ وَجْهِهِ وَلَيْسَارَكَ أَسَحَ مِنْ عَيْنِهِ . وَلَعِيدُكَ أَكْثَرُ مِنْ قَوْمِهِ
 وَلَنَفْسِكَ أَكْبَرُ مِنْ جُدِّهِ وَلَيَوْمُكَ أَشْرَفُ مِنْ دَهْرِهِ . وَلَوْ عَدُّكَ
 أَنْجَزُ مِنْ رِفْدِهِ . وَلَهْزُوكَ أَضَوَّبُ مِنْ جِدِّهِ . وَلَكُرْمُكَ أَرْقَعُ مِنْ
 مَرِيرِهِ . وَلَقِتْرُكَ أَبْسَطُ مِنْ شِبْرِهِ . وَلَأَمْكُ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ . وَسَمِعَ
 بَعْضُهُمْ قَوْلَ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقِ :

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً اللَّهُ نِعْمَةً
 عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
 فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ
 وَإِنْ طَالَتْ الْأَيَّامُ وَأَتَّصَلَ الْعَصْرُ
 إِذَا مَسَّ بِالْأَسْرَاءِ عَمَّ سُرُورُهَا
 وَإِنْ نَسَّ بِالْأَسْرَاءِ أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ
 وَمَا مِنْهَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ
 تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْأَبْرُ وَالْجَرُ
 فَقَالَ وَأَمَّا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ ذُو نِعَمٍ
 شُكْرِي لَهُ عَمَلٌ فِيهِ عَلَيَّ لَهُ
 لَمْ يُخَصِّهَا عَدَدًا بِالشُّكْرِ مِنْ حَمْدًا
 شُكْرٌ يَكُونُ لِشُكْرِ قَبْلَهُ مَدَدًا
 فَهَذَا مِثَالُ قُبْحِ الْأَخْذِ فَأَعْلَمُهُ . وَأَخَذَ ابْنُ طَبَاطِبَا قَوْلَ عَلِيٍّ
 قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُجِئُهُ . فَقَالَ :

فَيَا لَأَمِي دَعْنِي أُغَالِي بِقِيَمَتِي قِيَمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ
فَاخَذَهُ بِلَفْظِهِ وَأَخْرَجَهُ بَعْضًا مُتَكَلِّفًا . وَالْحَيْدُ قَوْلُ الْآخِرِ :
(قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ عِلْمُهُ) فَهَذَا وَإِنْ كَانَ أَخَذَهُ بِبَعْضِ لَفْظِهِ فَإِنَّ
يَتَنَّهُ أَحْسَنُ مَوْقَعًا مِنْهُ مِنْ يَتِ ابْنِ طَبَاطِبَاءَ . وَمِمَّا قَصَّرَ فِيهِ التَّجَنُّيُّ
قَوْلُهُ :

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَعَى مَشْغُوفَةٌ بِمَوَاطِنِ الْكَيْفَانِ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ :

وَالضَّارِبِينَ بِكُلِّ آيِضٍ مُرْهَفٍ وَالطَّلَاعِينَ بِجَامِعِ الْأَضْغَانِ
فَإِنَّ قَوْلَهُ (جَامِعِ الْأَضْغَانِ) أَجْوَدُ مِنْ قَوْلِهِ : مَوَاطِنِ الْكَيْفَانِ
لَا نَهْمَ إِنَّمَا يُطَاعِنُونَ الْأَعْدَاءَ مِنْ أَجْلِ أَضْغَانِهِمْ فَإِذَا وَقَعَ الطَّنُّ
فِي مَوْضِعِ الضَّغْنِ فَذَلِكَ غَايَةُ الْمُرَادِ . وَأَنْشَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ :
حَرَامٌ عَلَى أَرْمَلٍ طَنْ مُذِيرٍ وَتَنْدَقُ قَدَمًا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا
مُسْلَمَةٌ أَنْجَازُ خَيْلِي فِي الْوَعَى مُسْكَلَةٌ لَبَاتُهَا وَتُحُورُهَا
أَخَذَهُ أَبُو تَمَّامٍ فَقَالَ :

أَنَاسٌ إِذَا مَا اسْتَحْكَمَ الرَّوْعُ كَسَرُوا

صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكُتَّابِ

فَاحْسَا جَمِيعًا وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ :

يَلْقَى السُّيُوفَ بِخَرِّهِ وَبِوَجْهِهِ وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمَغْفَرِ
وَيَقُولُ لِلطَّرْفِ أَضْطَرَّ لِشِبَا الْقَنَا فَهَدَمَتْ رُكْنَ الْحَيْدِ إِنْ لَمْ يُغْفَرِ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَكْرِ بْنِ النَّطَّاحِ :

يَتَلَقَّى التَّدَى بِوَجْهِ حَيٍّ وَصُدُورَ أَلَمًا بِوَجْهِ وَقَاحٍ
وَهَذَا كُلُّهُ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ :
لَا يَقَعُ الطَّنُّ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ
وَهُوَ دُونَ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ . وَقَدْ آتَيْتُ فِي هَذَا أَلْبَابٍ عَلَى
الْكِفَايَةِ . فَحَسِّنْ بِمَا أوردتهُ عَلَى مَا تَرَكْتُهُ فَإِنِّي لَوْ اسْتَقْصَيْتُهُ خَرَجَ
هَذَا الْكِتَابُ عَنِ الْمُرَادِ وَزَاغَ عَنِ الْإِثَارِ وَبِاللَّهِ التَّرْفِيقُ

البحث الثالث

في حل الشعر

(من المثل السائر والوشى المرقوم لابن الاثير)

(راجع صفحة ٢٤٤ من علم الادب)

حَلُّ الْأَبْيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : (الْأَوَّلُ)
مِنْهَا وَهُوَ إِذَا مَا مَرَّتْ أَنْ يَأْخُذَ النَّائِرُ بِنَا مِنْ الشِّعْرِ فَيَنْثُرُهُ بِلَفْظِهِ
مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَهَذَا عَيْبٌ فَاحِشٌ . وَمِثَالُهُ كَمَنْ أَخَذَ عِشْدًا قَدْ
أَتَقَنَ نَظْمُهُ وَأَحْسَنَ تَأْلِيْفُهُ فَأَوْهَاهُ وَبَدَّدَهُ وَكَانَ يَقُومُ عُذْرُهُ فِي
ذَلِكَ أَنْ لَوْ نَقَلَهُ عَنْ كَوْنِهِ عِشْدًا إِلَى صُورَةٍ أُخْرَى مِثْلِهِ أَوْ أَحْسَنَ
مِنْهُ . وَأَيْضًا فَإِنَّهُ إِذَا نُثِرَ الشِّعْرُ بِلَفْظِهِ كَانَ صَاحِبُهُ مَشْهُورَ السَّرِقَةِ
فَيُقَالُ : هَذَا شِعْرُ فُلَانٍ بِعَيْنِهِ لِكَوْنِ الْفَاطَةِ بَاقِيَةً لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهَا شَيْءٌ
وَقَدْ سَأَلَ هَذَا الْمَسْأَلَةَ بَعْضُ الْعِرَاقِيِّينَ فُجَاءَ مُسْتَهْجِنًا لَا مُسْتَحْسَنًا .

كَقَوْلِهِ فِي بَعْضِ آيَاتِ الْحِمَاسَةِ :

وَالَّذِي حَتَّى عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
أَرْجِيئُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْئُهُ فَوْقَ النَّوَاطِرِ مِنْ عَلِ
(فَيَقَالُ) فِي نَثْرِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ : فَكَمْ لَقِيَ الدَّ ذَا حَتَّى
كَأَنَّهُ يُنْظَرُ إِلَى الْكَوَاسِبِ مِنْ عَلٍ وَتَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فَكَوَاهُ
فَوْقَ نَاطِرِيهِ وَأَصْكَبَهُ لِقَمِيهِ وَيَدِيهِ . فَلَمْ يَزِدْ هَذَا النَّاثِرُ عَلَى أَنْ
أَزَالَ رَوْنَقَ الْوِزْنِ وَطِلَاوَةَ النَّظْمِ لَا غَيْرُ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ ضَرْبٌ
مَحْمُودٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَيْتُ مِنَ الشَّعْرِ قَدْ تَضَمَّنَ شَيْئًا
لَا يُمْكِنُ تَغْيِيرُ لَفْظِهِ فَحِينَئِذٍ يُعَدُّ نَاثِرُهُ إِذَا آتَى بِذَلِكَ اللَّفْظِ .
وَكَذَلِكَ الْأَمْثَالُ السَّائِرَةُ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهَا عَلَى مَا جَاءَتْ فِي
الشَّعْرِ . (وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي) فَهُوَ وَسْطُ بَيْنَ الْأَوَّلِ وَالثَّالِثِ فِي
الْمُرْتَبَةِ وَهُوَ أَنْ يَنْثُرَ الْمَعْنَى الْمَنْظُومَ بِبَعْضِ الْفَافِطِ وَيُعَيِّرَ عَنِ الْبَعْضِ
بِالْفَافِطِ أُخَرَ وَهُنَاكَ تَطَهَّرَ الصَّنْعَةُ فِي الْمُمَاثَلَةِ وَالْمُشَابَهَةِ وَمُؤَاخَاةِ
الْأَلْفَافِطِ الْبَاقِيَةِ بِالْأَلْفَافِطِ الْمُرْتَجَلَةِ فَإِنَّهُ إِذَا أَخَذَ لَفْظًا لِشَاعِرٍ مُجِيدٍ
قَدْ نَقَحَهُ وَصَحَّحَهُ قَرَنَهُ بِمَا لَا يُبَالِغُهُ كَانَ كَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ لَوْلُوءَةٍ وَحَصَاةٍ .
وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ الْإِتِّصَابِ لِلْقَدَحِ وَالْإِسْتِهْدَافِ لِلطَّعْنِ
وَالطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ إِلَى هَذَا الْقِسْمِ أَنْ تَأْخُذَ بَعْضُ بَيْتٍ مِنْ
الْآيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ هُوَ أَحْسَنُ مَا فِيهِ ثُمَّ تُمَثِّلُهُ . وَسَاوَرِدُ هُنَا مِثَالًا
وَاحِدًا لِيَكُونَ قُدْوَةً لِلْمُتَعَلِّمِ (فَأَقُولُ) : قَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ
شِعْرِ أَبِي تَمَّارٍ فِي وَصْفِ قَصِيدَةٍ لَهُ :

وَحَدَاءُ تَمْلَأُ كُلَّ أُذُنٍ حِكْمَةً وَبَلَاغَةً وَتُدِرُّ كُلَّ وَرِيدٍ
 قَوْلُهُ (تَمْلَأُ كُلَّ أُذُنٍ حِكْمَةً) مِنَ الْكَلَامِ الْحَسَنِ وَهُوَ أَحْسَنُ
 مَا فِي الْبَيْتِ فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْثُرَ هَذَا الْمَعْنَى فَلَا بُدَّ مِنْ اسْتِعْمَالِ
 لَفْظِهِ بِعَيْنِهِ لِأَنَّهُ فِي الْغَايَةِ الْقُصْوَى مِنَ الْقَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ . فَعَلَيْكَ
 أَنْ تُوَاجِهَهُ بِمِثْلِهِ وَهَذَا عَسِرٌ جِدًّا وَهُوَ أَضْعَفُ مِثَالًا مِنْ نَثْرِ الشَّعْرِ
 بِغَيْرِ لَفْظِهِ لِأَنَّهُ مَسْلُوكٌ ضَيِّقٌ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِمِثَالِهِ مَا هُوَ فِي
 غَايَةِ الْحَسَنِ وَالْجُودَةِ . وَأَمَّا نَثْرُ الشَّعْرِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ فَذَلِكَ يَتَصَرَّفُ
 فِيهِ نَأْثَرُهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَرَاهُ وَلَا يَكُونُ مُقَيَّدًا فِيهِ بِمِثَالٍ يُضْطَرُّ إِلَى
 مُوَاجَهَتِهِ . وَقَدْ نَثَرْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمُشَارَ إِلَيْهَا وَأَتَيْتُ بِهَا فِي
 جُمْلَةِ كِتَابِ قَوْلْتُ : وَكَلَامِي قَدْ عُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ وَأَشْهَرَ . وَفَاقَ
 مَسِيرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ . وَإِذَا عُرِفَ الْكَلَامُ صَارَتْ الْمَعْرِفَةُ لَهُ
 عَلَامَةً . وَأَمِنْ مَنْ يَسْرِقُهُ إِذَا لَوْ سُرِقَ لَدَلَّتْ عَلَيْهِ الْوَسَامَةُ . وَمِنْ
 خَصَائِصِ بَيِّنَاتِهِ أَنْ يَمْلَأَ كُلَّ أُذُنٍ حِكْمَةً . وَيَجْعَلَ فَصَاحَةً كُلِّ لِسَانٍ
 عِجْمَةً . وَإِذَا جَرَتْ نَفْسَانِي فِي الْأَفْهَامِ قَالَتْ : أَهْذِهِ بِنْتُ فِكْرَةٍ
 أَمْ بِنْتُ كَرَمَةٍ . فَانْظُرْ كَيْفَ فَعَلْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِنِّي لَمَّا
 أَخَذْتُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ مِنَ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ التَّرَمَّتْ بَانَ أَوَاجِهَا
 بِمَا هُوَ مِثْلُهَا أَوْ أَحْسَنُ مِنْهَا فَحِثُّ بِهَذَا الْفَضْلِ كَمَا تَرَاهُ . وَكَذَلِكَ
 يَتَّبِعِي أَنْ يُفْعَلَ فِيهَا هَذَا سَبِيلُهُ . (وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ) وَهُوَ أَعْلَى
 مِنَ الْقِسْمَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ الْمَعْنَى فَيُصَاغَ بِالْفَاطِ غَيْرِ
 الْفَاطِ . وَتَمَّ يَتَبَيَّنُ جَذْقُ الصَّائِغِ فِي صِيَاعَتِهِ وَيَعْلَمُ بِمِقْدَارِ تَصَرُّفِهِ

فِي صِنَاعَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَاعَ الزِّيَادَةَ عَلَى الْمَعْنَى فَتِلْكَ الدَّرَجَةُ الْعَالِيَةُ
وَالْأَحْسَنُ التَّصَرُّفُ وَاتَّقِنِ التَّأْلِيفَ لِيَكُونَ أَوَّلَى بِذَلِكَ الْمَعْنَى
مِنْ صَاحِبِهِ الْأَوَّلِ . وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ آيَاتِ الشَّعْرِ مَا يَتَّسِعُ الْحِجَالُ
لِنَاقِثِهِ فَيُورِدُهُ بِضُرُوبٍ مِنَ الْعِبَارَاتِ . وَذَلِكَ عِنْدِي شَيْءٌ بِالْمَسَائِلِ
السَّيِّئَةِ فِي الْحِسَابِ الَّتِي يُجَابُ عَنْهَا بَعْدَ اجْوَبَةٍ . وَمِنْ الْآيَاتِ مَا
يَضِيقُ فِيهِ الْحِجَالُ حَتَّى يَكَادَ الْمَاهِرُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنْ لَا يَخْرُجَ
عَنْ ذَلِكَ اللَّفْظِ وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا لِعَدَمِ التَّظْيِيرِ . . . وَإِذَا انْتَهَى بِنَا
الْكَلَامِ إِلَى مَا هُنَا فِي التَّنْبِيهِ عَلَى نَثْرِ الشَّعْرِ وَكَيْفِيَّةِ نَثْرِهِ وَذِكْرِ
مَا يَسْهُلُ مِنْهُ وَمَا يَعْسُرُ . فَلْنَتَّبِعْ ذَلِكَ بِقَوْلِ كُلِّي فِي هَذَا الْبَابِ
فَقَوْلُ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا أَوْ كَانَ عِنْدَهُ طَبْعٌ مُجِيبٌ
فَعَلَيْهِ بِحِفْظِ الدَّوَابِّ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَلَا يَتَّقِ بِالْقَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ .
ثُمَّ يَأْخُذُ فِي نَثْرِ الشَّعْرِ مِنْ مَحْفُوظَاتِهِ . وَطَرِيقُهُ أَنْ يَبْتَدِئَ فَيَأْخُذَ
قَصِيدًا مِنَ الْقَصَائِدِ فَيَنْثُرُهُ يَتَنَا يَتَنَا عَلَى التَّوَالِي . وَلَا يَسْتَنْكِفُ فِي
الْإِبْتِدَاءِ أَنْ يَنْثُرَ الشَّعْرَ بِالْقَاطِئَةِ أَوْ بِأَكْثَرِهَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ إِلَّا
ذَلِكَ وَإِذَا مَرَّتْ نَفْسُهُ وَتَدَبَّرَ خَاطِرُهُ ارْتَفَعَ عَنْ هَذِهِ الدَّرَجَةِ
وَصَارَ يَأْخُذُ الْمَعْنَى وَيَكْسُوهُ عِبَارَةً مِنْ عِنْدِهِ . ثُمَّ يَرْتَفِعُ عَنْ ذَلِكَ
فَيَكْسُوهُ ضُرُوبًا مِنَ الْعِبَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ وَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ لَخَاطِرِهِ بِمُبَاشَرَةٍ
الْمَعَانِي لِقَاحٌ فَيَسْتَنْجِجُ مِنْهَا مَعَانِي غَيْرَ تِلْكَ الْمَعَانِي وَسَبِيلُهُ أَنْ
يَكْثُرَ الْأَدَمَانُ لَيْلًا وَنَهَارًا وَلَا يَزَالَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً حَتَّى يَصِيرَ
لَهُ مَلَكَةٌ . فَإِذَا كَتَبَ كِتَابًا أَوْ خَطَبَ خُطْبَةً تَدَقَّتِ الْمَعَانِي فِي

أثناء كلامه وجاءت الفاظة مَعْسُولَةٌ مَعْسُولَةٌ وَكَانَ عَلَيْهَا حِدَّةٌ
حَتَّى تَكَادَ تَرْقُصُ رَقْصًا . وَهَذَا شَيْءٌ خَرَّتْهُ بِالتَّجَرُّبَةِ وَلَا يُنْبِئُكَ مِثْلُ
خَيْرٍ

تَمَّ بِعَوْنِهِ تَعَالَى



فهرس

المقالات

وجه	وجه
١٨	توطئة
البحث السابع في الحافظة	البحث الاول في حد علم الادب ٣
البحث الثامن في تفسير الذوق في	البحث الثاني في تقسيم الادب وانواع
مصطلح اهل البيان ٢٠	العلوم الادبية ٤
البحث التاسع في المطالعة ٢٤	البحث الثالث في موضوع علم الادب
البحث العاشر في الارتياض والممارسة ٢٥	واركانه •
البحث الحادي عشر في طرائق	البحث الرابع في شرف الادب
مختلفة من الممارسة والتسرين ٢٦	ومنافعه ٢
فصل ^٣ في صفة الكاتب وما يحتاج اليه	فصل ^٣ في قوى العقل الغريزية ٩
من المعارف ٢٨	البحث الاول في العقل وشرفه واصل
البحث الاول في صفة الكاتب	نسبته وتقسيمه ٩
الظاهرة ٢٨	البحث الثاني في تقسيم العقل الى
البحث الثاني في ادوات علم	غريزي ومكتسب ١٠
الكتابة ٢٩	البحث الثالث في العقل الغريزي
البحث الثالث فيما يجب على الكاتب	وتعريفه ١١
معرفة ٣٠	البحث الرابع في العقل المكتسب ١٢
الجزء الاول في علم الانشاء ٣٧	البحث الخامس في التصور والتمثل ١٦
بحث في تعريف الانشاء ٣٧	البحث السادس الخيال والخيالي ١٧
الفصل الاول في الفصاحة ٣٩	

وجه

البحث الخامس في الترجيح بين

المعاني ٢٩

البحث السادس في الفصل

والوصل ٨٢

البحث السابع في تأكيد الكلام

وقصره وتقريره بان وانما ٨٧

البحث الثامن في التقديم والتأخير ٩٠

البحث التاسع في الحذف والاضمار ٩٦

البحث العاشر في جوامع الكلام ٧٩

البحث الحادي عشر في الانسجام ١٠٢

البحث الثاني عشر في القول في

النظم ١٠٣

الفصل الرابع في البيان ١٠٥

البحث الاول في تحديد البيان على

وجه الاجمال ١٠٥

البحث الثاني في تعريف علم

البيان ١٠٦

البحث الثالث في الحقيقة والمجاز ١٠٨

البحث الرابع في الاستعارة ١١٣

البحث الخامس فيما تدخله الاستعارة

وما لا تدخله ١١٧

البحث السادس في اقسام

الاستعارة ١١٧

وجه

البحث الاول في تحديد الفصاحة ٣٩

البحث الثاني في الفرق بين الفصاحة

والبلاغة وموضوعهما ٣٩

البحث الثالث في حقيقة الفصاحة ٤٢

البحث الرابع في احكام الفصاحة

وشروطها ٤٦

البحث الخامس في الالفاظ المترادفة

والاسماء المشتركة ٥٢

البحث السادس في فصاحة المفرد

وفصاحة المركب ٥٤

الفصل الثاني في البلاغة ٥٩

البحث الاول في الابانة عن حد

البلاغة ٥٩

البحث الثاني اقوال في تحديد

البلاغة ٦١

البحث الثالث في اوصاف البلاغات

على السنة اقوام من اهل البلاغات ٦٥

الفصل الثالث في المعاني ٦٨

البحث الاول في حقيقة المعاني ٦٨

البحث الثاني في صحة المعاني ٧٠

البحث الثالث في انواع المعاني ٧٢

البحث الرابع في الحكم على المعاني ٧٤

وجه	وجه
البحث الحادي والعشرون في	البحث السابع في جيد الاستمارة
المذهب الكلاسي	ورديتها ومتوسطها
١٨٤	١٢٢
الفصل الخامس في محاسن الانشاء	البحث الثامن في ما جاء من
ومعانيه	الاستعارات في كلام العرب
١٨٧	١٢٥
البحث الاول في تمييز الكلام جيده	البحث التاسع في مراعاة النظر
من رديته ونادره من بارده	١٣١
١٨٧	البحث العاشر في المجاز المرسل
البحث الثاني في التنبيه على خطأ	١٣٤
المعاني وصوابها	البحث الحادي عشر في القول عن
١٩٥	الكنابة
البحث الثالث في كيفية نظم الكلام	١٣٩
وما ينبغي استعماله في تأليفه	البحث الثاني عشر في التعريض
٢١٠	١٤٢
البحث الرابع في خواص الكلام	البحث الثالث عشر في ما ورد من
الحر	الكنابات عن العرب
٢١٣	١٤٤
البحث الخامس في تذيب الكلام	البحث الرابع عشر في المبالغة
وتقيقه	١٤٩
٢١٥	البحث الخامس عشر في التكرير
البحث السادس في شروط	١٥٦
الكلام	البحث السادس عشر في حقيقة
٢١٩	التشبيه وتحديد
البحث السابع في عيوب الكلام	١٦٤
٢٢٥	١٦٤
البحث الثامن في الالتباس والاسباب	البحث السابع عشر في اركان
المادة من فهم المعاني	التشبيه ومحاسنه وفوائده
٢٢٨	١٦٦
البحث التاسع في المعاطلة	البحث الثامن عشر في اقسام
٢٣٦	التشبيه
٢٣٦	١٧٠
البحث العاشر في المسافرة بين	البحث التاسع عشر في التشايب
الالفاظ في البك	المستعملة عند العرب
٢٤٣	١٢٦
الفصل السادس في وجوه	البحث العشرون في معاي
١٨١	التشبيه

وجه	الكلام
٢٩٥ الفاخوري	٢٤٧
البحث السادس في المطابقة ٣١٢	البحث الاول في وجوه البلاغة
البحث السابع في حقيقة التجنيس ٣١٢	٢٤٧ وطبقات الكلام
البحث الثامن في ذكر انواع التجنيس ٣٢٥	البحث الثاني في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع ٢٥٤
الفصل الثامن في فنون الاشياء ٣٢٦	البحث الثالث في السجع وانواعه ٢٥٨
البحث الاول في المثل وشرفه ٣٢٦	البحث الرابع في اقسام السجع وضروبه ٢٦١
البحث الثاني في آداب المثل وشروطه ٣٢٩	البحث الخامس في اليجاز ٢٦٥
البحث الثالث في آداب المحادثة والرواية ٣٣٢	البحث السادس في المساواة ٢٧٣
البحث الرابع في حقيقة التاريخ وموضوعه ٣٣٤	البحث السابع في الاطناب ٢٧٥
البحث الخامس في شرف التاريخ ٣٣٦	البحث الثامن في مواقع الاطناب ٢٧٩
البحث السادس في شروط التاريخ ٣٤١	الفصل السابع في البديع ٢٨٧
البحث السابع في الاصول العشرة التي يعتمد عليها الكاتب في المكاتبات ٣٤٣	البحث الاول في حقيقة علم البديع ٢٨٧
الفصل التاسع في حل الشعر والاختذاء ٣٤٩	البحث الثاني في ان البديع احد علوم الادب الستة ٢٨٩
البحث الاول في حسن الاخذ ٣٤٩	البحث الثالث في نسبة علم البديع الى علمي المعاني والبيان ٢٩٠
البحث الثاني في قبح الاخذ ٣٦٣	البحث الرابع في اقسام البديع ٢٩٢
البحث الثالث في حل الشعر ٣٦٧	البحث الخامس في تاريخ علم البديع وفي اصحاب البديعيات ٢٩٣
	بديعية الحوري الفاضل ارسانوس

